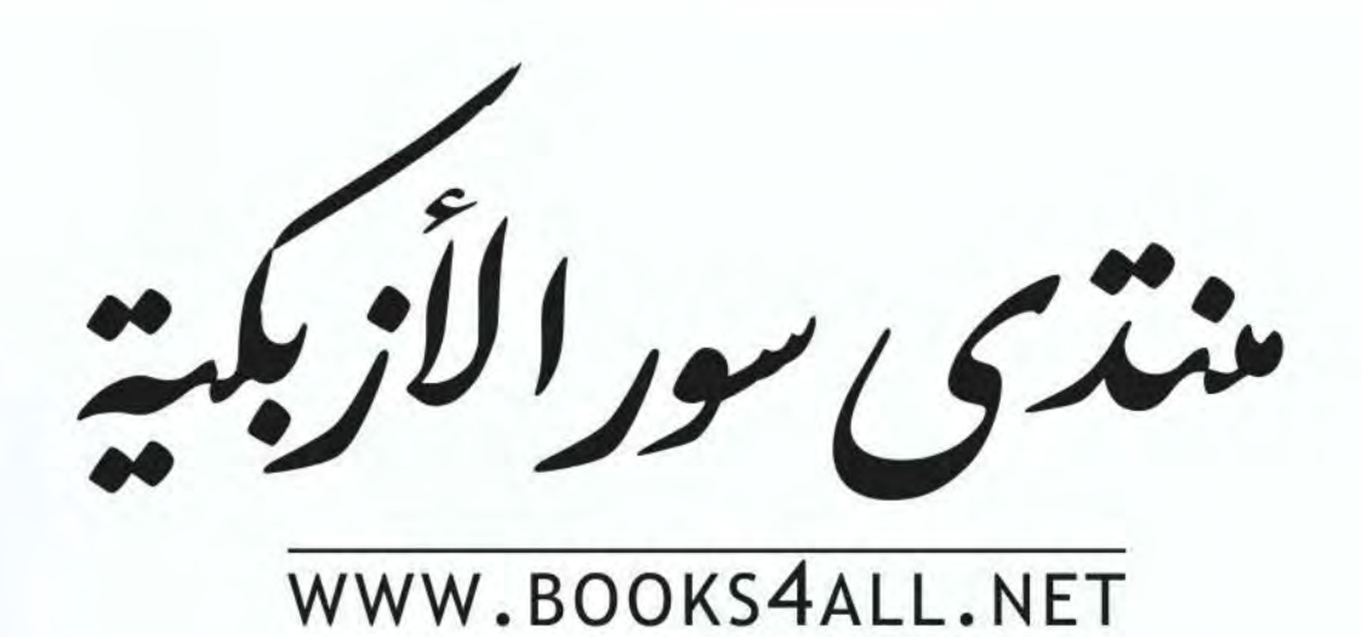

سلسلة المراجع
في
التربية وعلم النفس
علم النفس الاجتماعي
رؤية معاصرة
الدكتور
فؤاد البهي السيد
الدكتور
سعد عبد الرحمن
دار الفكر العربي


منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET

سلسلة المراجع فى التربية وعلم النفس
الكتاب التاسع

علم النفس الاجتماعى
رؤية معاصرة

الدكتور
فؤاد البهى السيد
أستاذ علم النفس الأسبق
كلية التربية - جامعة عين شمس

الدكتور
سعد عبد الرحمن
أستاذ علم النفس الاجتماعى والقياس النفسى
كلية البنات - جامعة عين شمس

١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربى
الإدارة : ٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة
ت : ٢٧٥٢٩٨٤، ٢٧٥٢٧٣٥، فاكس: ٢٧٥٢٧٣٥

٣٠١,١ فؤاد البهى السيد.
ف ؤ ع ل علم النفس الإجتماعى: رؤية معاصرة/ فؤاد البهى السيد، سعد عبد الرحمن. ـ القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٩٩.
٣٧١ ص: إيض؛ ٢٤سم. ـ (سلسلة المراجع فى التربية وعلم النفس؛ الكتاب التاسع).
يشتمل على بيليوجرافيات.
تدمك: ٦ - ١٢١٢ - ١٠ - ٩٧٧.

١- علم النفس الإجتماعى. أ- سعد عبد الرحمن، مؤلف مشارك. ب- العنوان. جـ- السلسلة.

تصميم وإخراج فنى

ثريا إبراهيم حسين



حورس للطباعة والنشر (مهندس/ هشام الشربينى وشركاه)

١ ش المدق ـ خلف رقم ١٨٤ ش بورسعيد ـ السيدة زينب ت: ٣٩٥٧٦١٤

سلسلة المراجع فى التربية وعلم النفس

تصدر هذه السلسلة بغرض النهوض بمستوى المراجع والكتب فى مجال التربية وعلم النفس بحيث تشتمل على أحدث ما صدر فى هذا المجال عالميا مع معالجته بمنظور ورؤية عربية مدعمة بخبرات الخبراء.

ويسر اللجنة الاستشارية ان يشارك اصحاب الفكر والكُتّاب وأساتذة الجامعات بنشر مؤلفاتهم المتميزة فى تلك السلسلة.

وتضم اللجنة الاستشارية التى تناقش هذه الأعمال قبل صدورها مجموعة من خيرة علماء التربية وعلم النفس فى مصر والعالم العربى، وهم:

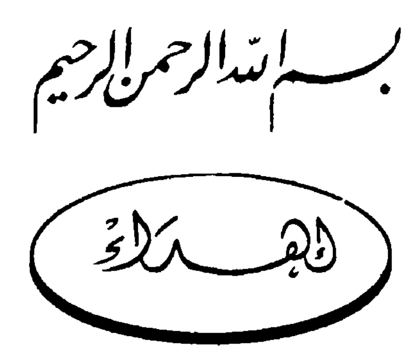
جميع المراسلات والاتصالات على العنوان التالى:

دار الفكر العربى

سلسلة المراجع فى التربية وعلم النفس

٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة

ت : ٢٧٥٢٩٨٤، فاكس: ٢٧٥٢٧٣٥



إلى الأساتذة الحقة..

إلى أساتذة المحبة والإخلاص والعطاء..

إلى من تعلم فأجاد وعلم فأفاد: فخير الناس من تعلم العلم وعلمه..

إلى أستاذي فؤاد البهي السيد في جوار ربه..

أهدي كل ما أسهمت به في هذا الكتاب..

سعد عبد الرحمن

مقدمة وتحية

أسعدنى كثيـرا أن أقدم لهذه الطبعة، من كتاب علم النـفس الاجتماعى، وهو الكتاب الذى أخرجه إلى حيز الوجود أستاذ الأساتذة / فؤاء البهى السيد ـ رحمه الله ـ.

إن نسيت، والنسيان من عادة البشر، فلن أنسى اليوم الذى جلست فيه أطلب العلم على يديه فبهرنا منطقه، وأدهشنا ذكاؤه، فنهلنا من فيض علمه، وأحسسنا بالحنو والرحمة والمودة التى يحملها الأستاذ بين جوانحه.

تعلمنا ـ أنا والجيل الذى تعلّم على يديه ـ الكثير وشعرنا أنه خُلِقَ ليكون معلما رائدا، يقود تلاميذه ومريديه إلى الحقيقة العلمية عن طريق البحث والاجتهاد.

جلست إليه لأتعلم أسس الإحصاء النفسى والتربوى، والقياس النفسى، وأتعلم علم النفس الاجتماعى فأجدت ـ ولا فخر ـ فيما تعلمت منه لدرجة أن أستاذى فؤاد البهى أهدانى نسخة من كل كتبه فى هذا المجال، وعليها إهداء فيه تذكرة دائمة لى أننى تلميذ أطلب العلم فى محرابه.

هذا الكتاب يضم أحد عشر فصلا:

الفصل الأول: هو تعريف بعلم النفس الاجتماعى، وأهمية هذا النوع من علم النفس، وقد تجلت فيه الدقة والسلاسة والوضوح الذى تميز بها أسلوب أستاذى فؤاد البهى، فأضاف عن النشأة والتطور سواء من الناحية الفلسفية أو العلمية.

والفصل الثانى: يتناول قضية جدلية هامة هى: علاقة الفرد بالجماعة والمتغيرات التى تحكم هذه العلاقة، وإنى أستأذن أستاذى فى أن أضيف هذا الفصل إلى الكتاب حتى أزهو بما علمنى إياه.

والفصل الثالث: عن الجماعة وديناميتها: وهو موضوع الساعة فى كل ساعة، وقد أفاض فيه أستاذنا، حيث تكلم عن أنواع الجماعات وخصائصها النفسية سواء كانت الجماعة كبيرة أو صغيرة، مثل جماعات الجمهرة، وجماعات المناقشة، وكان المدخل الكمى والمعالجة الموضوعية أهم ما تميز به هذا الفصل.

والفصل الرابع: يعالج موضوع الحياة: موضوع التنشئة الاجتماعية وما تشمل من مفاهيم، ومعنى وعمليات ومظاهر.

وكان الفصل الخامس إكمالا لـلفصل الرابع، حيـث يعلاج موضوع الـعلاقات الاجتماعية المتبادلة، والنماذج العملية التى تفسرها.

والفصل السادس: يمثل المدخل الكمى لعلم النفس الاجتماعى، والذى التزمت به حتى يومنـا هذا، اقتداء باستاذى فؤاد الـبهى، حيث يعرض هذا الفـصل طرق قياس العـلاقات الاجـتماعـية بدءا مـن مورينـو، وحتى جـاردنر وتومســون، بمـا فى ذلك المعاملات والمصـفوفات، وإنى أستأذن للمرة الثانية فى أن أضيـف بعض المصفوفات الحديثة والمعاملات الكمية حتى تكتمل منظومة هذا الفصل.

وفى الفصل السابع: أستأذن أستاذى للمرة الثالـثة فى أن أضيف فصلا كاملا عن الإدراك الاجتمـاعى، وهو موضوع حديـث نسبيا فى مـجال علم النفس الاجتـماعى، حيث عرض الفـصل العديد من النظريات التى وضـعت لتفسير عـملية الإدراك هذه مع الإشارة إلى أبعادها المختلفة.

وفى الفصل الثامن: أستـأذن أستاذى مـرة رابعة لأضع فى بـؤرة اهتمام الـقارئ والباحـث موضوع: الاتجـاهات النفسيـة، وهو الموضـوع الذى تدور حوله جـميع أو معظم الدراسات فى مجال علم النفس الاجتماعى.

وكذلك أستأذنه ـ رحمه الـله ـ مرة خامسة لأعرض **فى الفصل التاسع** موضوع القيادة أو الزعامة، وهو موضوع أردت ألا يخلو منه هذا الكتاب.

وفى الفصل العاشر: تعرض الكتاب لمناهج البحـث فى علم النفس الاجتماعى، بالشرح والتفصيل؛ ليكون بذلك دليلا واضحا للباحث فى العلوم السلوكية عامة، وعلم النفس الاجتماعى على وجه الخصوص.

وأما فى الفصل الحادى عشر والأخير، فقد أراد أستاذ الأساتذة أن يعرف القارئ بعض مظاهر السـلوك الاجتماعى عند الحيوان والحشرات والطيور.

وبعد...

يرحمك الله أستاذنا الفاضل الذى لم تعرف أستاذيته إلا الإخلاص والعطاء.

يرحمك الله أيها الصديق الكريم الذى لم تعرف صداقته وهنا ولا ضعفا.

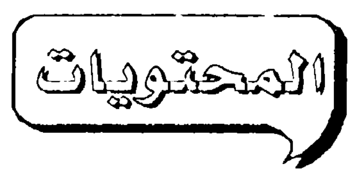
يرحمك الله أيها العالم الجليل فقد كنت صاحب علم وخلق ودين.

كنا نرى فى طول هامتك علو همتك..

وفى عرض جبينك نور يقينك..

وفى عينيك الهادئتين تألق الذكاء وتوقد العبقرية..

أ.د. سعد عبد الرحمن



الصفحة

الموضوع

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٧
مقدمة وتحية	
الفصل الأول:	
المدخل إلى علم النفس الاجتماعى	
تعريف علم النفس الاجتماعى	١٤
مشكلات التعريف	١٥
المصادر الرئيسية لعلم النفس الاجتماعى	١٦
المصادر الفرعية لعلم النفس الاجتماعى	١٧
أهمية علم النفس الاجتماعى	١٨
نشأة علم النفس الاجتماعى وتطوره	٢١
وحدة التحليل فى علم النفس الاجتماعى	٣١
الفصل الثانى:	
الفرد والجماعة: محددات التفاعل الاجتماعى	
الدافع والدافعية	٣٨
الحاجات	٤٤
الأهداف ـ صورة الذات	٤٥
مفهوم الفرد ـ القيم	٤٧
المعايير	٤٩
الاتجاهات النفسية	٥٠
العادات ـ التقاليد	٥١
عرض وتعليق	٥٢
المراجع	٦٠
الفصل الثالث:	
مفهوم الجماعة وانواع الجماعات:	
مفهوم الجماعة	٦٢
أنواع الجماعات	٦٤
الخصائص النفسية للجمهرة	٧١
الخصائص النفسية للجماعة المستمعة	٧٨

مراحل تكوين الجماعة المستمعة ٨٣
الخصائص النفسية لجماعة المناقشة ٨٤
الملخص ٩٤
المراجع ٩٨

الفصل الرابع:

علاقات التنشئة الاجتماعية

مفهوم التنشئة الاجتماعية ١٠٢
عمليات التنشئة الاجتماعية ١٠٧
مظاهر التنشئة الاجتماعية ١٠٩
وسائل التنشئة الاجتماعية ١٢٨
الملخص ١٣٩
المراجع ١٤٣

الفصل الخامس:

العلاقات الاجتماعية المتبادلة:

العلاقات الاجتماعية والتفاعل ١٤٦
مستويات علاقات التفاعل الاجتماعى ١٤٧
المستوى الأول ـ العلاقات اللاتبادلية ١٤٨
المستوى الثانى ـ الاتجاه الواحد ١٤٨
المستوى الثالث ـ شبه التبادلية ١٤٩
المستوى الرابع ـ المتوازية ١٥٠
المستوى الخامس ـ غير المتناسقة ١٥٠
المستوى السادس ـ المتبادلة ١٥١
أنواع العلاقات المتبادلة ١٥٢
حجم الجماعة وأثره فى العلاقات المتبادلة ١٥٥
أهم مظاهر العلاقات فى الجماعة الثنائية ١٥٩
أهم طرق بحث العلاقات المتبادلة فى الجماعة الثنائية ١٦٨
النماذج العلمية التى تفسر العلاقات المتبادلة ١٧٠
الجماعة الثلاثية ١٧٤
الملخص ١٧٦
المراجع ١٨٢

الفصل السادس:

قياس العلاقات الاجتماعية

الطريقة السوسوميترية ١٨٤

أهم مجالات استخدام الطريقة السوسيومترية ١٨٦
أهم خصائص أنواع الاختيار ١٨٨
الاختبار السوسيومترى ١٨٩
أهم أنواع العلاقات السوسيومترية ١٩٢
مصفوفات العلاقات السوسيومترية ١٩٤
المؤشرات الإحصائية ٢٠٢
طريقة جاردنر وتومسون ٢٠٨
تعديل الطريقة ٢١٠
المعاملات السوسيومترية ٢١١
الملخص ٢١٦
المراجع ٢١٩

الفصل السابع:

الإدراك الاجتماعى

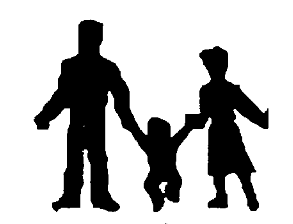
مفهوم عملية الإدراك الاجتماعى ٢٢٤
دقة الإدراك الاجتماعى ٢٣١
حساب درجات الإدراك الاجتماعى ٢٣١
تفسير درجات الإدراك الاجتماعى ٢٣٤
دليل الإدراك الاجتماعى ٢٣٦
عملية الإدراك الاجتماعى ومتغيرات أخرى ٢٣٨
عملية الإدراك الاجتماعى وإنتاجية الجماعة ٢٣٨
عملية الإدراك الاجتماعى وصورة الذات ٢٤٤
عملية الإدراك الاجتماعى والمتغيرات السوسيومترية ٢٤٥
المراجع ٢٤٨

الفصل الثامن:

الاتجاهات النفسية

معنى الاتجاه النفسى ٢٥٠
مكونات الاتجاه النفسى ٢٥٣
الاتجاه النفسى والعقيدة ٢٥٥
الاتجاه النفسى والرأى ٢٥٧
الاتجاه النفسى والقيمة ٢٥٧
أنواع الاتجاهات ٢٥٨
الاتجاه العلنى والاتجاه السرى ٢٥٩
تفسير الاتجاهات النفسية

تغيير الاتجاه النفسى ٢٦٠
قياس الاتجاهات النفسية ٢٦١
مقياس التباعد الاجتماعى ـ مقياس ثرستون ٢٦٤
مقياس ليكرت ٢٦٥
ـ مقياس جوثمان ٢٦٨
وجهة نظر أخرى فى قياس الاتجاهات ٢٧١
المراجع ٢٧٥
الفصل التاسع: ٢٧٧
ظاهرة الزعامة او القيادة
تعريف القيادة أو الزعامة ٢٨٠
دراسات فى القيادة ٢٨٢
اكتشاف القادة ٢٨٥
العلاقة بين عناصر الموقف الزعامى ٢٩١
المراجع ٢٩٤
الفصل العاشر:
مناهج البحث النفسى الاجتماعى
صعوبات البحث فى علم النفس الاجتماعى ٢٩٦
مناهج البحث فى علم النفس الاجتماعى ٢٩٩
مفهوم الطريقة العلمية ٣٠٤
أهم طرق البحث المستخدمة فى علم النفس الاجتماعى ٣٠٧
الملاحظة العلمية ٣٠٨
الطريقة التجريبية ٣١٥
أهم تصنيفات الأبحاث النفسية الاجتماعية ٣٢٤
الملخص ٣٣٢
المراجع ٣٣٥
الفصل الحادى عشر:
مظاهر السلوك الاجتماعى الحيوانى
العلاقة بين السلوك الاجتماعى الحيوانى والإنسانى ٣٣٨
التنظيمات الاجتماعية الحيوانية ٣٤٢
العلاقات الاجتماعية الحيوانية ٣٤٥
مظاهر السلوك الاجتماعى عند الحشرات والطيور والرئيسيات ٣٥٦
الملخص ٣٦٦
المراجع ٣٧٠



الفصل الأول

تعريف علم النفس الاجتماعى، ونشأته، وتطوره

أولا: تعريف علم النفس الاجتماعى ومصادره.

ثانيا: اهمية علم النفس الاجتماعى.

ثالثا: نشأة علم النفس الاجتماعى وتطوره.

رابعا: وحدة التحليل فى علم النفس الاجتماعى.

خامسا: الملخص.

لكل عمل علمى معناه، وهدفه، ونشأته وتطوره، وتجاربه، ووحدة قياسه. والمدخل الرئيسى لعلم النفس الاجتماعى يبدأ بتحديد المفهوم الدقيق لهذا العلم، والملابسات التى أحاطت به حتى استقر أخيرا فى تعريف واضح لا تختلط فيه الرؤية بين علمى النفس والاجتماع، ويبسط بعد ذلك الأهداف العملية المباشرة، والعامة العالمية لعلم النفس الاجتماعى. ثم يلخص أصول النشأة الفلسفية والتطور العلمى الحديث لهذا العلم الناشىء. ويمضى بعد ذلك إلى دراسة أول بحث فكر فيه عالم لتطويع مجال علم النفس الاجتماعى للمنهج العلمى. ويناقش أخيرا مفهوم الوحدة العلمية التى تناسب ذلك المنهج العلمى وطريقته التجريبية.

أولا ـ تعريف علم النفس الاجتماعى ومصادره

كان العلماء قديما لا يعدون التعريف تعريفا صحيحا إلا إذا تخلص من شوائب التداخل القائم بينه وبين الميادين الأخرى. لذلك كانوا يشترطون فى التعريف أن يكون جامعا لخصائص المعرف، ومانعا لخصائص المعرفات الأخرى حتى لا تختلط به. وهذا ما يسمى بالتعريف الجامع المانع، وأصبح العلماء الآن يشترطون فى التعريف أن يكون إجرائيا ينبع من عملية القياس ويخضع لها فى تحديده.

وسنبين فيما يلى التعريف الإجرائى الشائع لعلم النفس الاجتماعى، وندرس مشكلاته ومصادره الرئيسية والفرعية.

(أ) تعريف علم النفس الاجتماعى:

علم النفس الاجتماعى هو العلم الذى يهتم بدراسة وبحث كل مظهر من مظاهر السلوك الاجتماعى للفرد. أى أنه علم سلوك الفرد فى الجماعة والمجتمع.

وهو كما تدل تسميته عليه يبحث فى الميدان العلمى المشترك بين علمى النفس والاجتماع. ويعرف بأنه العلم الذى يتناول بالوصف والتجريب والتحليل سلوك الفرد مع الأفراد الآخرين واستجابته لهم، سواء أكان هؤلاء الأفراد مجتمعين أم متفرقين. أى أنه العلم الذى يعنى بالدراسة العلمية لسلوك الفرد من حيث تأثره بسلوك الأفراد الآخرين، ومن حيث تأثيره فيهم. وبذلك يهدف الباحث فى علم النفس الاجتماعى لاكتشاف العوامل التى يتغير بتأثيرها سلوك الفرد فى استجابته للمثيرات الاجتماعية المختلفة.

ولقد انتهى علم النفس الاجتماعى فى أواخر العشرينيات من هذا القرن إلى التعاريف التالية:

١ ـ دراسة الجمهرة وظاهرة التجمع.

٢ ـ دراسة الحياة العقلية الجماعية.

٣ ـ دراسة القوى والمؤثرات الاجتماعية.

٤ ـ دراسة سلوك الفرد فى استجابته لسلوك الفرد آخر.

٥ ـ دراسة السلوك الفردى داخل إطار الجماعة.

٦ ـ دراسة التنشئة الاجتماعية.

لكن كل تعريف من هذه التعاريف يجنح نحو ضرب خاص من الاتجاهات التى أثرت فى تطور علم النفس الاجتماعى. فالتعاريف الثلاثة الأولى تهتم بالجماعة أكثر مما تهتم بالفرد. وهى بهذا تميل بعلم النفس الاجتماعى ميلا شديدا نحو ميادين علم الاجتماع. والتعريفان الرابع والخامس يؤكدان أهمية الفرد دون إهمال لأمر الجماعة. وتلك وجهة نظر صحيحة تتفق وميادين الدراسات النفسية. والتعريف الأخير يقصر ميدان البحث على مظهر واحد من مظاهر السلوك الاجتماعى للفرد.

وبذلك تبدأ الدراسات الاجتماعية لعلم النفس الاجتماعى بالجمهرة والأسرة وغيرها من التنظيمات الاجتماعية، وتنتهى من ذلك كله إلى الفرد كجزء من الجماعة.

وتبدأ الدراسات النفسية بحثها فى علم النفس الاجتماعى بتفاعل الفرد مع غيره وبعلاقاته التى تنشأ من دوافعه وشخصيته التى يحددها المجتمع والثقافة القائمة. وينتهى بها المطاف إلى الجماعة.

فأولى إذن بالدراسات الأولى أن تسمى علم الاجتماع النفسى، وأن تستقل الثانية بعلم النفس الاجتماعى. هذا، والطريقة الأولى تبدأ بالعام لتنتهى إلى الخاص، والثانية تبدأ بالخاص لتنتهى إلى العام. ونعنى بالتعميم هنا صفات الجماعة، وبالتخصيص صفات الفرد. فالطريقة الأولى أقرب ما تكون لمنطق العلوم النظرية كالرياضيات وخاصة علم الهندسة. والطريقة الثانية أقرب ما تكون لمنطق العلوم التجريبية وخاصة علم الطبيعة أو الفيزياء.

(ب) مشكلات التعريف:

علم النفس الاجتماعى فرع من فروع علم النفس يدرس ظاهرة السلوك الاجتماعى وخاصة سلوك الأفراد، ويمتد أحيانا لدراسة سلوك الجماعات، والمنهج

النفسى الاجتماعى لدراسة السلوك هو منهج التفاعل أو التأثير المتبادل الذى يخضع هذا السلوك للدراسة حينما يكون مؤثرا فى الآخرين، وحينما يكون متأثرا بهم.

وتصبح مشكلة علم النفس الاجتماعى بهذا المعنى هى تفرقته عن علم الاجتماع.

ويرى بعض العلماء أن علم النفس الاجتماعى عليه أن يقصر ميدانه على الفرد فقط فى تفاعله مع الآخرين حتى يستقل بذلك عن علم الاجتماع.

لكن نفس هؤلاء العلماء كثيرا ما يهتمون بدراسة الخصائص النفسية الاجتماعية للجماعة، وخاصة الجماعة الصغيرة. ولذا يجب أن تقوم التفرقة الواضحة بين علم النفس الاجتماعى وعلم الاجتماع على نوعية المفاهيم التى يستخدمها علم النفس الاجتماعى، وتعريف هذه المفاهيم تعريفا ينحو بها نحو علم النفس أكثر مما ينحو بها نحو علم الاجتماع.

وبينما يشتق علم النفس الاجتماعي مفاهيمه من دراسة سلوك الأفراد، يشتق علم الاجتماع مفاهيمه من التنظيمات والمؤسسات الاجتماعية.

لكن هذه التفرقة لا تنطبق تماما، على كل ما يميز علم النفس الاجتماعى عن علم الاجتماع، وأحيانا تتداخل مفاهيم هذين العلمين، وذلك أمر لا مفر منه، لأن وجود علم النفس الاجتماعى نفسه رهن بمصدرين مختلفين أحدهما علم النفس، والآخر علم الاجتماع، وقد ظهر معهما منبع آخر جديد هو الأنثروبولوجى. وبذلك أصبحت المصادر الرئيسية لعلم النفس الاجتماعى هى علم النفس وعلم الاجتماع والأنثروبولوجى.

ولا تقتصر منابع علم النفس الاجتماعى على تلك المصادر الرئيسية، بل تمتد أيضا إلى مصادر فرعية أهمها علم الاقتصاد وعلم السياسة.

(جـ) المصادر الرئيسية لعلم النفس الاجتماعى:

المصادر الرئيسية لعلم النفس الاجتماعى هى: علم النفس، وعلم الاجتماع، والأنثروبولوجى. وعلم النفس هو المصدر الأساسى لدراسة أثر الدوافع النفسية على السلوك الاجتماعى للأفراد. وقد كان لعلم النفس دوره الرئيسى في دراسة الاتجاهات والتعصب على أنها دوافع اجتماعية مكتسبة. وفى دراسة أثر المنافسة الجماعية وأثر التعاون على إنتاج الأفراد. وكان لبدء البحث العلمى المنظم فى النمو النفسى وفى سيكولوچية الطفولة فيما بين سنة ١٩١٠ وسنة ١٩٢٠ أثره فى أبحاث علم النفس الاجتماعى الخاصة بالتنشئة الاجتماعية للطفل، وفى دراسة العمليات النفسية المختلفة

التى تلائم بين الفرد وبيئته الخارجية، وتخضع سلوكه لقوانين المجتمع وتقاليده، وتحد من اختيار ضروب إشباع الرغبات المختلفة التى لا تساير النظم الاجتماعية القائمة.

وكان لعلم الاجتماع الفضل فى توجيه بعض أبحاث علم النفس الاجتماعى لدراسة سيكولوچية الجماعة الصغيرة، وديناميات المجتمع، والرأى العام، والإشاعات، وغير ذلك من الموضوعات الأخرى التى تتصل بالجماعة والمجتمع. لكن الإسراف فى الاعتماد على علم الاجتماع يسلك بالباحث ضروبا من السبل تنأى به فى قليل أو كثير بعيدا عن الميدان الحقيقى لعلم النفس الاجتماعى، وتميل بدراساته نحو الجماعة أكثر مما تميل بها نحو الفرد. والفرد فى تفاعله الاجتماعى هو جوهر البحث فى علم النفس الاجتماعى.

والأنثروبولوجى[1] . أو علم البشر هو المصدر الحقيقى لاهتمام علم النفس الاجتماعى بالثقافة والمجتمعات البدائية والصور الأولى للنشاط الاجتماعى ومظاهر تطور هذه الصور من المجتمعات البدائية إلى المجتمعات الحديثة. وبينما كان الجدل العلمى ممتدا بين دعاة الغرائز وبين منكريها كان علم البشر ينشىء لنفسه ميادين جديدة فى علم النفس الاجتماعى ليفسر مظاهر الثقافة فى تطورها وانتقالها عبر الأجيال وعبر المجتمعات، وأثرها فى تشكيل الفرد وفى تغيير طبيعته الأولى.

(د) المصادر الفرعية لعلم النفس الاجتماعى:

يتأثر موضوع علم النفس الاجتماعى ببعض العلوم الاجتماعية الأخرى التى تعد إلى حد كبير مصادر فرعية لهذا العلم، ومن أهم هذه العلوم: علم الاقتصاد وعلم السياسة.

لكنه يختلف عنها فى موضوع ومناهج بحثها. فبينما يدرس علم الاقتصاد وعلم السياسة، وبقية العلوم الاجتماعية الأخرى خصائص التجمعات الكبرى للإنسان، ولتصنيف الناس إلى فئات، وتحليل المؤشرات السلوكية الاجتماعية مثل البيع والشراء، وعملية الانتخابات، فإن علم النفس الاجتماعى يعالج هذه النواحى على أنها أنماط من السلوك عند أنماط من البشر. أى أن هذه العلوم لا تهتم إلا بطائفة معينة من البشر مثل الإنسان الاقتصادى، والإنسان السياسى، وهكذا.

ولذلك يختلف علم النفس الاجتماعى عن جميع تلك العلوم فى أنه يهتم بكل مظهر من المظاهر الاجتماعية للإنسان. وبذلك يمكن أن نعده من هذه الناحية أنه علم

(١) الأنثروبولوجى Anthropology أو علم البشر، هو العلم الذى يهتم بدراسة أصول الحياة الاجتماعية البدائية، ومظاهر الثقافة فى تطورها من تلك العصور إلى المجتمعات الحديثة.

دراسة تفاعل الإنسان مع غيره من الأفراد الآخرين باعتبار أنه عضو فى الجماعة التى ينتمى لها أو يواجهها.

ثانيا ـ أهمية علم النفس الاجتماعى

أهمية علم النفس الاجتماعى عملية مباشرة، وعامة عالية. والأهمية المباشرة تتصل بحياة الناس اليومية ومدى اعتماد هذه الحياة على النواحى التطبيقية لهذا العلم. والأهمية العامة تتصل بحياة المجتمع العالمى وما يحلم به من حرية وطمأنينة وسلام، وما يعانى من عبودية وخوف وحرب.

(أ) الأهمية العملية المباشرة:

كل من يتعامل مع الجماعات، ومع أفراد الجماعات يحتاج لعلم النفس الاجتماعى لفهم ودراسة وتوجيه سلوك هؤلاء الأفراد.

والمعلمون يحتاجون لعلم النفس الاجتماعى لفهم الخصائص النفسية الاجتماعية للفصل المدرسى كجماعة صغيرة تقوم بين أفرادها علاقات تحددها مراحل التنشئة الاجتماعية وتسفر عن مظاهر التعاون والتنافس، والألفة والنفور، والتعلم والتفكير الجماعى.

والإخصائى الاجتماعى يستعين بعلم النفس الاجتماعى فى فهمه ودراسته وتوجيهه للتماسك الجماعى، والقيادة، والاتجاهات، والتعصب.

ورجال الصناعة يستفيدون من علم النفس الاجتماعى فى فهم العلاقات الإنسانية بين العمال، والروح المعنوية، وعلاقة تلك الروح بالإنتاج وبالصحة النفسية للأفراد.

وضباط القوات المسلحة يحتاجون لعلم ال نفس الاجتماعى لفهم سلوك جماعة الجنود وتوجيههم وتدريبهم ورفع مستوى الروح المعنوية والإفادة من الشعور بالولاء والتبعية فى بناء شخصية المقاتل.

والإنسان فى حياته الخاصة يحتاج لعلم النفس الاجتماعى لفهم سلوكه هو والذين معه، وفى فهم ما يحدث من تفاعل بينه وبين الآخرين، وفى فهم الخلفيات الاجتماعية والثقافية التى تحدد أنماط هذا السلوك، وتجعل الفرد يقبل على بعض الناس، وينفر من البعض الآخر، ويتقبل التضحية فى موقف ما، ويعزف عنها فى موقف آخر.

(ب) الأهمية العامة العالمية:

تطورت الأهمية العامة العالمية لعلم النفس الاجتماعى منذ نشأته الأولى، فبدأت متشائمة بالإنذار من المشكلات الحتمية للمستقبل، وتطورت متفائلة إلى بناء ذلك

المستقبل ومعالجة المشكلات الاقتصادية والسياسية، ومشكلات النقد وحرية الأسواق، وتجنب العدوان والحرب لتحقيق الطمأنينة والسلام.

وبذلك يهدف علم النفس الاجتماعى فى آفاقه العليا العالمية لإقامة مجتمع جديد فاضل تتكافأ فيه الفرص لجميع الناس فى حدود قدراتهم المختلفة وتتسع وحداته الاجتماعية لترقى من الوطن إلى النوع الإنسانى كله، وتشيع بين أرجائه المثل الإنسانية، وهو يسعى لتحقيق هذه المثل بدراسة الظواهر النفسية الاجتماعية ليخضعها لتجاربه وأبحاثه، وليسير بها قدما، نحو خلق ذلك الفردوس الواقعى.

١ ـ الإنذار من مشكلات المستقبل:

كان الإنذار من أزمات الغد من أهم أهداف علم النفس الاجتماعى فى إرهاصاته الأولى قبل النشأة العلمية التجريبية التى تطور إليها فى القرن العشرين. وكان الرأى السائد عند بعض المفكرين مثل هربرت سبنسر Spencer (١٨٢٠ ـ ١٩٠٣) أنه من العبث بل من الخطورة بمكان أن يحاول الناس توجيه التغير الاجتماعى أو التعجيل به. وكان المفكرون وقتئذ يرون أن عملية التطوير الاجتماعى عملية طويلة المدى تخضع لعوامل طبيعية وليس للإنسان دخل فيها.

وبذلك تصبح الفائدة العملية لعلم النفس الاجتماعى، وللعلوم الاجتماعية الأخرى أهى ن تنذر الناس بما سيحدث ولا تستطيع أن تتدخل فى مجرى الأحداث شأنها فى ذلك شأن العلوم التى تنذر بقرب انفجار بركان ما لكنها لا تستطيع أن تمنع ذلك الانفجار.

وللأنذار بالمشكلات أهمية قد لا تقل فى كثير من الأحيان عن عملية توجيه النشاط الاجتماعى التى تبناها علم النفس الاجتماعى فى تطوره الحديث. والإنذار يعتمد على التنبؤ العلمى بأحداث الغد. ومن هذا التنبؤ نفسه نشأ علم جديد نسميه الآن علم المستقبل[1]. وهو يهدف إلى رسم صورة الحياة فى المستقبل القريب والبعيد، ويحاول أن يمهد طريق الحاضر لتحقيق أحلام الغد.

٢ ـ بناء المستقبل:

كان البعض الآخر من المفكرين الذين عاصروا الإرهاصات الأولى لعلم النفس الاجتماعى أكثر تفاؤلا من تلك النظرة المظلمة لمصير الإنسان، وتلك الحتمية التى لا

---

(١) علم المستقبل Futurology.

يملك لها الفرد دفعا ولا تغييرا. وكان كومت Comte (١٧٩٨ ـ ١٨٥٧) الفيلسوف الفرنسى والمؤسس الفكرى للمذهب الوضعى يؤكد قدرة الإنسان على أن يغير أسلوب حياته، وعلى أن يوجه نشاطه ليعالج مشكلاته ويحقق أهدافه. وأن ذلك ليس بالأمر الصعب أو المستحيل، وخاصة بعد أن استخدم الإنسان العلوم الطبيعية لتحقيق الرفاهية المادية، واستعان بالعلوم البيولوجية لرفع المستوى الصحى، فلم لا يستفيد من علم النفس الاجتماعى فى تحقيق العدالة الاجتماعية وبناء المستقبل.

وما زالت أهمية علم النفس الاجتماعى فى بناء المستقبل عملية مستمرة من القرن الماضى إلى القرن العشرين، وأمل كل عالم ودارس فى أن يصل بمفاهيم هذا العلم وتجاربه إلى تحقيق ذلك الهدف.

٣ ـ معالجة المشكلات الاقتصادية والسياسية:

إذا جاز لنا أن نفترض إمكان بحث كل علاقة اجتماعية بحثا موضوعيا. وإذا جاز لنا أن نفترض أن شقاء النوع الإنسانى يرجع في جوهره إلى اختلال النظم الاقتصادية والسياسية القائمة فى جميع أنحاء المعمورة حيث تجحف الناس فى توزيعها للعمل والجهد والثروات. ،إذا جاز لنا أن نفترض أن اختلال تلك النظم يصدر عن جهل بطبائع الإنسان الاجتماعية، جاز لنا بعد كل ذلك أن نفترض أن فى مقدور الأبحاث النفسية الاجتماعية أن تنقذ العالم من الهوة السحيقة التى يوشك أن يتردى فيها. وأن فى مقدورها أيضا أن تنشىء الدعائم الأساسية لحياة اجتماعية فاضلة نقية.

فالأزمات الاقتصادية والسياسية تنشأ من ضعف الثقة بين فرد وفرد آخر، وبين جماعة وجماعة أخرى، وبين أمة وأمة أخرى..والثقة حالة نفسية يمكن لعلم النفس الاجتماعى أن يدرسها، وأن يلم بعوامل قوتها وضعفها ونواحى توجيهها وإصلاحها.

وبذلك تتضح أهمية علم النفس الاجتماعى فى علاج المشكلات الاقتصادية والسياسية.

٤ ـ معالجة مشكلات النقد وحرية الأسواق:

يرجع بعض الباحثين أسباب شقاء المجتمع الراهن إلى عدم ملاءمة النظام النقدى للتطورات الحديثة فى الإنتاج والتوزيع[١]. ولقد أدى هذا الاختلال إلى ظهور مناطق مختلفة يهيمن عليها تعصب اقتصادى ضيق، كمنطقة الدولار ومنطقة الاسترلينى.

(1) Brown, J. F. Psychology and the Social Orders N. Y. Mc Graw Hill. 1936.

وتغالت الدول فى إقامة الحدود المالية التى تفصلها عن جيرانها رغبة منها فى حماية نفسها وحماية أفرادها من تدفق إنتاج الشعوب الأخرى عليها. فأقامت حواجز جمركية، وحالت بين التجارة وبين حرية أسواقها. وتلك بدورها تعود فى جوهرها إلى جنوح العلاقات الاجتماعية عن الطريق السوى، وذلك نتيجة فقدان الثقة. وقد نجحت الدول الأوربية فى علاج هذه الناحية بإنشاء السوق الأوربية المشتركة.

وتتضح أهمية علم النفس الاجتماعى فى دراسته للسلوك الاقتصادى للأفراد والجماعات على أنه نوع من التفاعل الذى تحكمه ديناميات نفسية اجتماعية، تخضع بدورها للبحث العلمى، والتوجيه الهادف.

٥ ـ معالجة مشكلات العدوان والحرب:

الإنسان فى علاقاته الاجتماعية المسالمة والعدوانية هو مناط البحث فى علم النفس الاجتماعى كما تسفر عن ذلك مظاهر التنشئة الاجتماعية. ودراسة تلك المظاهر وما يلابسها من أسباب ومسببات وعلل ومعلولات؛ وجنوح عدوانى يؤدى إلى الحرب والهلاك؛ واستواء على جادة الطريق يبشر بفردوس واقعى هدف من أهداف هذا العلم. ومستقبل الحضارة الإنسانية، فى عصر كثر فيه التنازع والتنابز، وتقدمت فيه وسائل التخريب والدمار حتى أمست تهدد بفناء الجنس الإنسانى، رهن بفهم تلك المظاهر فهما علميا دقيقا، ورهن بتوجيهها توجيها متناسقا لا أضطراب فيه ولا اختلال.

أى أنه رهن بتقدم علم النفس الاجتماعى فى بحثه الدائب المستمر نحو استجلاء كنه عناصر الخير والشر فى علاقات الإنسان الاجتماعية. ورهن بدقة رصده للظواهر العلمية النفسية، الاجتماعية، وبقدرته على ضبطها، والتنبؤ بها قبل وقوعها.

وهكذا تبدو أهمية علم النفس الاجتماعى فى بحث ودراسة السلوك العدوانى الفردى والجماعى، والكشف عن العوامل التى تؤدى إلى ظهوره أو اختفائه تمهيدا للتحكم فى نزواته، وخاصة أن السلام إنما يبدأ فى عقول البشر قبل أن ينتشر بين الشعوب والدول المختلفة ويزدهر فى ربوع الحياة.

ثالثا ـ نشأة علم النفس الاجتماعى وتطوره

سنبين فى دراستنا لنشأة علم النفس الاجتماعى وتطوره أهمية تلك النشأة وكيف بدأت فى أحضان الفلسفة، ثم كيف مزجت الفلسفة بالعلم، وكيف صحح علم النفس الاجتماعى مساره حتى اتضحت اتجاهاته العلمية فى القرن العشرين، وكيف تحول إلى علم تجريبى.

(أ) أهمية دراسة النشأة والتطور:

الذين لا يعرفون نشأة العلم ومراحل تطوره يكررون أخطاء الماضى، والذين يعرفون تاريخ العلم يتعلمون من خبرات الماضى.

والماضي ليس كله أخطاء، فلقد ترك الأولون فى الدراسات النفسية الاجتماعية ثروة ضخمة من الملاحظات الأساسية والفروض الدقيقة، والآراء الذكية التى ما زالت صحيحة حتى يومنا هذا.

وقد عجز هؤلاء الرواد عن بناء أدوات علمية دقيقة للبحث النفسى الاجتماعى لقصور مفاهيمهم التجريبية ووسائل تحليلهم الإحصائية والرياضية.

وفشلوا أيضا فى صياغة النظريات المناسبة لتفسير الظواهر التى لاحظوها، وذلك لتخلف أدوات البحث العلمى المتاحة لهم وقتئذ، ولميلهم الشديد إلى التعميم السريع الذى لا يستند على النظرة الفاحصة الشاملة، وإنما يقوم على ملاحظة عابرة أو تجربة بدائية لا تحتمل التعميم الذى يرقى بها إلى مستوى النظرية.

(ب) النشأة الفلسفية:

بدأت العلوم الإنسانية من الفلسفة وإليها تعود. بدأت منها حينما كانت محاولات بدائية بسيطة لفهم الإنسان والكون المحيط به ثم انفصلت عنها لتنشىء لنفسها ميادين خاصة للبحث، ثم عادت إليها تستلهمها آفاقا جديدة للدراسة والاستكشاف.

والعلم يصف ويحلل لكنه عندما يرتطم بجوهر الأشياء ومكنوناتها وعللها الظاهرة والباطنة، يعود إلى الفلسفة مرة ثانية. أى أن الوظيفة الأولى للعلم هى وصف كيفية حدوث الظاهرة لا تعليل حدوثها. وحينما يتناول الباحث علة حدوث شىء ما فإنه بذلك يخرج من ميدان العلم المجرد إلى ميدان فلسفة العلم.

ولقد كان جوهر الطبيعة البشرية هو المحور الرئيسى للنشأة الفلسفية لعلم النفس الاجتماعى.

وبذلك بدأ علم النفس الاجتماعى بين أحضان الفلسفة، وكان وقتئذ جزءا من الفلسفة الاجتماعية، ثم وضح منهجه بعد ذلك، وتحددت طرق بحثه وتكونت مفاهيمه ومصطلحاته.

ويرجع بعض الباحثين النشأة الأولى لعلم النفس الاجتماعى إلى آراء أفلاطون وأرسطو عن جوهر الطبيعة البشرية. فكان أفلاطون يفسر سلوك الإنسان على إنه النتاج

العام لمؤثرات المجتمع المختلفة. فسلوك الفرد يعتمد فى تكوينه وأهدافه على الجماعة. وكان يعتقد أن فى مقدور الهيئات التعليمية والمؤسسات الاجتماعية تغيير الطبيعة البشرية فى أى اتجاه. ولقد أعلن المبادىء والنظم التى تقوم عليها المدينة الفاضلة، وسعى بفلسفته إلى تحقيقها فى كتابه «جمهورية أفلاطون».

وكان أرسطو يفسر سلوك الإنسان على أساس الوراثة البيولوجية. أى أن الإنسان يخضع فى أنماط حياته المختلفة للمؤثرات والاستجابات البيولوچية. فالجماعة لديه خاضعة فى مكوناتها للسلوك الفردى. وبما أن تغيير الأساس البيولوچى للفرد أمر يكاد يكون مستحيلا. فتغيير المجتمع إذن أمر شاق عسير بعيد المنال.

ولقد اهتم أفلاطون وأرسطو وسانت أوجستين St. Augustine ولوك Locke وبنثام Bentham، وطائفة أخرى من الفلاسفة الاجتماعيين بمشكلة الفرد والجماعة، والأهمية النسبية لكل منهما. فالمغالاة فى حقوق الفرد كفرد دون أى اعتبار لحقوق الجماعة تؤدى إلى الفوضى. والمغالاة فى حقوق الجماعة كجماعة دون أى اعتبار لحقوق الفرد تؤدى إلى النظم الاستبدادية، والعدل والمساواة بين الفرد والجماعة يؤديان إلى الديمقراطية.

ولقد أعلن هوبز Hobbes سنة ١٦٥١ أن الإنسان بطبيعته أنانى يغالى فى إيثاره الدائم لنفسه، فلا صلاح للناس إلا إذا حد المجتمع بنظمه وقوانينه من هذه الأنانية وأتاح للأفراد أن يعيشوا متحابين متعاونين. ويلخص هوبز دوافع السلوك البشرى فى البحث عن المتعة، والابتعاد عن الألم. وهو فى كل هذا متأثر بمذهب اللذة[1]. الذى يتلخص فى أن الفرد ينزع بسلوكه إلى كل ما يحقق لذة له، ويعزف عما يؤذيه.

ويخالفه فى ذلك روسو Rousseau حينما بسط آراءه فى كتابه «العقد الاجتماعى» سنة ١٧٦٢، وملخصها أن الإنسان بطبيعته خيّر نقى طاهر، طابعه العام نكران الذات، لكن الحضارة هى التى أفسدته وصبغته بالشر.

وبذلك نشأ تياران يؤكد أحدهما أن الإنسان كائن اجتماعى لا يكتفى بذاته بل يستعين بغيره، وأن خصائص الحياة الإنسانية اجتماعية فى مظاهرها ومجالاتها. وما زال بعض الناس يرددون هذه الفكرة من عصر أفلاطون وما قبله إلى يومنا هذا.

ويؤكد التيار الآخر ذاتية الإنسان، ويعلن رفضه لسيطرة الجماعة على تلك الذات. وهذا الاتجاه يقرر أن الإنسان كائن منفرد لا يستطيع أن ينشئ علاقة فعالة مع

---

(١) مذهب اللذة Hedonism.

الآخرين، وأن الحيـاة الاجتماعـية تنطوى فى جوهرها على النفـاق والخداع. ولذا فمن حق الفرد أن يرفض القـيم الخلقية التى يفرضـها المجتمع ويشـبع شهواته الحسـية المادية ولذاته الفردية. ومن دعاة هذا المذهب الكلبى[1] ديوجنيس الإغريقى فى القرن الرابع قبل الميلاد. واستمر هذا المذهب عبر الزمن حتى ظهـر فى صور مختلفة فى كتابات باسكال Pascal وغيره من المفكرين، ووصل إلى ذروته عند طائفة من الوجوديين.

وقد ظهرت هذه الازدواجيـة بين الشخصية الاجتماعـية والكينونة الفردية للإنسان فى مجـالات متـعددة أهمهـا علم النفس، والسـياسة، والاقـتصـاد، وعلم الأخلاق، والدين.

ويؤكد الاتجاه الاجتـماعى على أن الحضارة وليدة المدنيـة. ويؤكد الاتجاه الفردى على أن التقدم المادى بل والاجتماعى أيضا لا يتصدى لحل مشكلة سعادة الإنسان بل هو فى جوهره صورة من الصور المتعددة للعبودية.

ويتحول هذا التعارض بين الجماعة والفرد إلى اتجاهين أحدهما اتجاه متشائم يؤكد الأنانية الفردية العميقة للطبيعة الإنسانية، وأن الذات تميل دائما إلى أن تنظر إلى الآخرين على أنهم وسائل وأدوات لتحـقيق مآربها، أو أعداء يجب التغلب عليهـم لتحقيق تلك المطالب وبلوغ تلك المآرب والغايات.

ويقابل هذا الفكر المتشائم اتجاه آخر متفـائل مثالى يمجد فضائل الصداقة ويقرر أن الرغبة الطيبـة المتبادلة بين الأفراد كفيلة باحتواء كل مـا ينشأ من تنازع وصراع وعدوان. وذلك عن طريق التـفاهم الـعقلى المتـبادل بين النـاس والحرص على تماسك الجـماعـة وصلابتها.

لكن الخير والشر أمور نسبية تخـضع فى معاييرها للإطار الاجتماعى الذى يعيش فيه الفرد[2]. والإطار الاجتـماعى مركب مـعقد من علاقـات مكانية وزمنية، وتقـاليد وطقوس معينة، وعوامل أخـرى متعددة فالقتل فى الحروب خير، والقـتل المتعمد شر. وتعدد الأزواج للمرأة الواحـدة فى جميع المجتمـعات المتحضرة شـر بالغ، بينما هو أمر عادى فى بعض المجتمعات البدائية مثل سكان هضبة التبت بآسيا. فالفرد إذن خاضع فى معاييره الخلقية للتراث الاجتماعى والثقافة التى تؤثر فيه، والمجتمع يتأثر بدوره بالفرد فى تفاعله مع الأفراد الآخرين، ومع المجتمع ومع الثقافة القائمة.

---

(١) المذهب الكلبى Cynlcism.

(٢) عالـج الفيلسـوف الألمانى نيتـشة هذا الموضـوع باستطراد فى دراسـته المشـهورة «مـا وراء الخير والـشر» "Beyond Good and Evil".

ولذا فعلم النفس الاجتماعى المعاصر لا يناصر أى اتجاه من هذين الاتجاهين بل يتخطى هذا الصراع إلى مفهوم جديد لا يؤكد أهمية الجماعة على حساب الفرد ولا يؤكد أهمية الفرد على حساب الجماعة، بل يقيم أبحاثه على العلاقات الاجتماعية التى تنشأ بين الأفراد، ويتحول بالمشكلة من مجالاتها الإستاتيكية الجامدة الآسنة إلى مجالاتها الدينامية العلمية التى تخضع للقياس. والتنبؤ والتطوير، والتغير.

واتخذ البحث فى السلوك الاجتماعى للفرد وجهة بيئية، وذلك حينما أعلن منتسكيو[١]. Montesquieu مذهبه الذى يرجع السلوك الاجتماعى للفرد لأثر المناخ. وظن منتسكيو أنه اكتشف ارتباطا قويا وعلاقة واضحة بين السلوك البشرى والتغيرات المناخية البيئية العامة. وكان يعتقد أن للمناخ الحار أثرا قويا فى انتشار الرق وأن المناخ البارد لا يساعد على الرق. وأن المناخ البارد لا يساعد على الرق.

فارتفاع درجات الحرارة يساعد على الخمول والكسل، وبذلك يصبح الرق ضرورة لدفع الناس للعمل، والبرودة تساعد على النشاط والعمل، وبالتالى يصبح الرق أمرا ثانويا لا ضرورة له. وبنفس هذا المنطق حاول منتسكيو أن يفسر أنماط النظم السياسية، أو الطبقات الاجتماعية. والتكوين العائلى، والتقاليد والخلق، لكن هذه الآراء تنطوى على قدر كبير من المغالطة والمبالغة، وتتعارض مع مظاهر الحياة الاجتماعية. فالهجرة لا تؤثر كثيرا فى السلوك الاجتماعى للفرد. وتشابه بعض النظم الاجتماعية فى المناطق الجغرافية المختلفة كتعدد الزوجات فى المناطق الحارة والمعتدلة يثير كثيرا من الشكوك حول صحة هذا المذهب.

وقد صاحب اتجاه منتسكيو اتجاه آخر قريب منه سمى بعد ذلك «الجغرافية النفسية». ومثال ذلك دراسات هاردى Hardy وهلباتش Hellpach التى ظهرت بهذا الاسم أى «الجغرافية النفسية»[٢]. ولقد تعرض هذا الاتجاه أيضا لنفس النقد الذى تعرضت له آراء منتسكيو.

وبظهور كتاب أصل الأنواع لداروين Darwin سنة ١٨٥٩ الذى أعلن فيه نظريته فى النشوء والارتقاء، تجاوبت ميادين العلم المختلفة بصدى هذه الآراء الجريئة وتأثرت نشأة علم النفس الاجتماعى بهذا الاتجاه الجديد. فنادى هربرت سبنسر Spencer سنة ١٨٩٧ بأن السلوك الاجتماعى يتبع فى نموه خطوات خاصة معينة تخضع لقوانين أساسية فى تطورها. وبأن المجتمع مركب فوق العضوى يتطور فى تكوينه وسلوكه وأهدافه،

---

(1) Le Piere, E. T. Farnsworth, Social Psycology. N. Y. Mc Graw ` Hill. 1942.
(2) Miroglio A: La Psychologie des Peuples. Paris P. U. F. 1962.

وبأن دراسة السلوك الاجتماعى للفرد يجب أن تبدأ بدراسة النشأة لهذا السلوك، وتتابع المدارج المختلفة التى يتطور إليها.

(جـ) علم النفس الاجتماعى بين الفلسفة والعلم:

لعلنا لا نكون مبالغين إذا قلنا إن لازاروس Lazarus وشتاينتال Steinthal هما المؤسسان الأولان للدوريات العلمية فى علم النفس الاجتماعى. فقد أصدرا مجلة لهذا العلم سنة ١٨٦٠. ولقد لخص لازاروس أهداف هذه المجلة فى السعى للكشف عن القوانين العلمية النفسية العامة التى تحرك الجماعات كوحدة، والتى تؤثر فى هذه الوحدة وفى الدراسة العلمية لحياة الجماعات كما تبدو فى لغتها ودينها وخلقها، وفيما يطرأ على عقول الناس من خبرات تنحو بالمجتمع إلى السمو أو إلى الانحدار. وكانت الملاحظة الدقيقة هى الوسيلة العلمية لتلك الدراسات، فهى إذن مرحلة تلى النشأة الفلسفية لعلم النفس الاجتماعى تؤدى إلى مرحلة الأبحاث التجريبية. ولقد قسم لازاروس وشتاينتال ميدان علم النفس الاجتماعى إلى ميدانين: الأول يبحث فى العوامل النفسية الاجتماعية العامة التى تفسر سلوك الجماعات كافة. والثانى يبحث فى العوامل النفسية التى تفسر سلوك كل نوع من أنواع الجماعات.

ولقد اتجه فونت Wundt فى دراساته لعلم النفس الاجتماعى وجهة تقرب من طريقة لازاروس وشتاينتال. فعلم النفس الاجتماعى يعنى لديه النتاج العقلى العام للمجتمعات كما يبدو فى اللغة والقوانين والأساطير والعرف والمأثورات الشعبية والفن، وكما يبدو فى العوامل النفسية التى تؤثر فى الأسرة والقبيلة والعشيرة والدولة. وهو لا يفصل بين علم النفس الاجتماعى وعلم النفس العام فصلا واضحا بينا، إذ الأول جزء متداخل متكامل مع علم النفس الاجتماعى وعلم النفس العام ولا غنى عنه فى فهم العمليات العقلية العليا.

وتمتاز هذه الدراسات بالتبصر وعمق التفكير، لكنها تقصر عن بلوغ المرتبة العلمية الحقيقية لاعتمادها المطلق على الملاحظات الشخصية، والفروض الغامضة والتعميم الخاطىء، ولخلوها من الطرق الدقيقة فى البحث. ولخضوعها أحيانا للنعرة الوطنية، ولمغالاتها فى القيم النسبية للشعوب بتفضيل جنس بشرى على آخر.

وقبيل نهاية القرن التاسع عشر، اتجه نفر من العلماء الفرنسيين نحو دراسة أثر الجماعة فى سلوك الفرد، وأثر سلوك الفرد فى فرد آخر. فانبرى بريد Braid لبحث الأستواء وأثره المباشر فى سلوك الجماعات، وفى السلوك الاجتماعى للفرد، وبالغ فى

أهميته، وظن أنه المؤثر الوحيد فى السلوك الاجتماعى. ولقد تأثر به برنهايم Bern-heim وأثر هو بدوره فى مدرسة نانسى المشهورة بدراستها للتنويم المغناطيسى. ولقد تأثر تارد Tarde بتجارب برنايهم وبتجارب مدرسة نانسى وتأثر أيضا بملاحظاته الشخصية التى جمعها عن المجرمين طوال حياته القضائية. وذهب إلى أن الإجرام لا يعود إلى التكوين البيولوجى للمجرم كما كان سائدا وقتئذ، بل يعود إلى طبيعة المجتمع والبيئة التى ينشأ فيها المجرم. وانتهى بتحليله العلمى للسلوك الاجتماعى إلى أنه عدوى تنتقل من فرد إلى آخر. ودلل على ذلك بحالات الفزع التى تنتاب الجماعة نتيجة فزع بعض أفرادها. ثم استطرد فى تحليله حتى وصل إلى إرجاع السلوك الاجتماعى عامة إلى التقليد. ومن أهم الأبحاث التى ظهرت فى ذلك العصر دراسات جوستاف ليبون Gus-tave Le Bon عن الجمهرة. وقد اعتمد فى بحثه هذا على نتائج دراسات مدرسة نانسى فى الهستريا والفزع وبعض الظواهر النفسية الشاذة. وكان أيضا متأثرا بآراء بريد وتارد. ولذا استعرض ليبون القوى المختلفة التى تساعد على تجانس الجماعات ولخصها فى الاستهواء والمشاركة الوجدانية والتقليد.

(د) تصحيح مسار علم النفس الاجتماعى:

تدل مراحل تطور علم النفس الاجتماعى على أنه كعلم لم يبدأ حقيقة إلا فى القرن العشرين. ولقد كان قبل هذا القرن موضوعات متفرقة لا علاقة بينها. ولا تدور حول موضوع واحد واضح للمفاهيم الرئيسية لهذا العلم..

وقد كانت هذه المفاهيم أحيانا مفاهيم وصفية لا تعتمد فى بنائها الأساسى على البحث العلمى والتجارب المقننة، وتتسم بالتعصب الذى يميل بالباحث إلى النواحى الذاتية ويتأثر به بعيدا عن النواحى الموضوعية. وأحيانا لا تستعمل مفاهيم علم النفس الاجتماعى بنفسها بل تمتزج بالمفاهيم الفلسفية أو المفاهيم الاجتماعية، وتتجه إلى التعميم الذى لا يقوم على الفكر التجريبى أو الضبط العلمى، وتميل إلى الاستطراد والإطناب أكثر مما تميل إلى الدقة والإيجاز، ولا تتصف فيما بينها بالتنسيق، ولا تكاد تنحصر فى حدود معينة معروفة حتى أصبح ما ينطوى تحت اسم علم النفس الاجتماعى يختلف اختلافا كثيرا من كاتب لآخر، أى أصبح هذا المصطلح لا يدل إلا على عنوان شارد يتبع اتجاه كاتبه ولا يتبع منهج موضوعه.

ولقد عبر دور كايم[1] Durkheim عن تلك المرحلة حينما كتب سنة ١٨٩٨ ليقرر أن «علم النفس الاجتماعى مفهوم غريب يقبل أى نوع من التعميم فى مدى شموله ودقته دون أن يحدد موضوع دراسته».

---

(1) Reuchlin, M. Histoire de la Psychologie. Paris, Press Univ. de France. 1961. p. 105.

ثم بدأ الباحثون فى أوربا وأمريكا يدركون عجز علم النفس المعاصر لتلك المرحلة عن دراسة الظواهر النفسية الاجتماعية وبحث علاقة الإنسان ببيئته الاجتماعية بل وبالطبيعة أيضا. وتحليل ودراسة العلاقات الاجتماعية التى تقوم بين الأفراد والتى تتسم بالتأثير والتأثر. وبذلك بدأ الباحثون يدرسون الخصائص العلمية لهذه الظواهر والمعدلات الدينامية لنبضها المتغير، والقوانين التى تكمن وراء تلك المتغيرات النفسية الاجتماعية.

وقد زاد الاهتمام فى نفس الوقت، وعلى المستوى التطبيقى بأثر الرأى العام على الحياة العامة، وعلى اتجاهات الأحزاب السياسية، وعلى تغير ظروف ومتطلبات العمل نتيجة للتطور التكنولوجى، وعلى انتشار التعليم الإلزامى. وأصبح لزاما على العلماء والباحثين أن يواجهوا هذه المتغيرات ويتصدوا لدراسة آثارها على نمط الحياة الاجتماعية التى يحياها الناس، ويتبعوا المنهج العلمى التجريبى فى دراسة تلك المتغيرات وما يصاحبها من مشكلات وما تؤدى إليه من تطور.

وبذلك تعددت طرائق البحث ومجالاتها ومداخلها ومراجعها ونتائجها.

(هـ) وضوح الاتجاهات العلمية فى القرن العشرين:

كتابان كان لهما الأثر الكبير فى النشأة الحديثة لعلم النفس الاجتماعى. وقد ظهرا معا فى سنة ١٩٠٨، أحدهما كتبه روس[١]. Ross وهو من الأمريكيين المشتغلين بعلم الاجتماع، والآخر كتبه مكدوجل[٢]. Mc Dougal وهو من الإنجليز المشتغلين بعلم النفس. وقد اهتم روس بالتقليد وما يؤدى إليه من تفاعل اجتماعى بين الأفراد. وكان لهذا الاهتمام أثره القوى فى نشأة ديناميات الجماعة. وقد أصبحت الديناميات من أهم ركائز علم النفس الاجتماعى المعاصر. واهتم مكدوجل بالنزعات الفطرية، وكان لهذا الاهتمام أثره البالغ فى نشأة موضوع الدوافع، وما تطور إليه من دراسة لسيكولوجية الاتجاهات. وقد أصبحت الاتجاهات من أهم موضوعات علم النفس الاجتماعى.

ويعتبر كتاب مكدوجل «مقدمة فى علم النفس الاجتماعى» فتحا جديدا فى ميدان هذا العلم الناشىء. ولقد بسط مكدوجل فى كتابه هذا نظريته فى الغرائز ووصفها بأنها المحركات الأولى والدوافع الجوهرية لسلوك الحيوان والإنسان. ولقد لخص مكدوجل دوافع السلوك البشرى فى أربع عشرة غريزة. وعرف الغريزة بأنها استعداد فطرى معقد. ثم عدل التسمية، وعدل أيضا عدد هذه الغرائز. ولقد كان مكدوجل فى نظريته هذه متأثرا بنظرية التطور. وكان أيضا بيولوجيا فى اتجاهه العلمى. وظهر أثر مكدوجل فى

---

(1) Ross, E. A. Social Pychology N. Y, macmillan. 1908.
(2) Mc Dougall, W. An Introduction to Social Psychology. London Methuen. 1908.

كتاب ثورنديك[1]. Thorndike أصل طبيعة الإنسان. وظهر أثره أيضا فى كتاب وودورث[2]. Woodwarths علم النفس الدينامى. وتأثرت ميادين علم النفس عامة بهذه النظرية الجديدة، ثم أسرف العلماء فى اختراع غرائز جديدة ونعتوها بأسماء لا تكاد تمت إلى العلم بصلة.

وأصدر مكدوجل كتابه الثانى فى علم النفس الاجتماعى سنة ١٩٢٠ وأسماه العقل الجماعى[3]. وبسط فيه الأسس العامة والخطوط الرئيسية لعلم النفس الاجتماعى، ثم فسر نفسية الشعوب وأخلاقها فى ضوء هذه الأسس والخطوط، ولقد نشأت فكرة هذا العقل الجماعى من اختلاف سلوك الجماعات عن سلوك الأفراد. فقد تجنح الجماعة إلى سلوك عدوانى شاذ، وقد تقسو وقد تثور. وهى بسلوكها هذا تختلف عن سلوك كل فرد من أفرادها لو كان بمعزل عنها وعن تأثيرها الجماعى. ولذلك افترض مكدوجل وجود عقل جماعى عام يسيطر على سلوك الجماعات ويتميز عن مكوناته الفردية. ولقد اختلط الأمر على الباحثين فى نشأة هذا العقل. واختلفت الآراء فى مكوناته وفى صفاته. فمن قائل بأنه مجموعة العقول الفردية التى تتألف منها الجماعة، ومن قائل بأنه يمثل أذكى أو يمثل أغبى عقل فرد من أفراد الجماعة. ومن قائل بأنه يمثل متوسط عقول الأفراد. والقول الفصل فى هذه الآراء المتضاربة ينكرها جميعا، ويقرر أن الكل لا يتكون فقط من المجموع العددى للوحدات الجزئية التى منها يتكون، بل يتأثر بالشكل العام للوحدات مجتمعة. ويتأثر أيضا بالعلاقات المختلفة التى تربط الجزء بالجزء، والكل بالجزء، والجزء بالكل.

ولعل دنلاب[4]. Dunlap هو أول من أعلن إنكاره الصريح للغرائز فى بحثه الذى نشره سنة ١٩١٩ بعنوان «أحق أن هناك غرائز؟» وأنكر واطسون[5] Watson الغرائز فى كتابه «السلوكية».

ويتلخص نقد دنلاب ومن تبعه فى أن الغرائز وحدات معقدة، وأن العلم يهدف دائما إلى التبسيط: ولقد أدى هذا الاتجاه إلى ظهور اصطلاحات جديدة مثل الحوافز، والدوافع، والبواعث، والمثيرات، وغيرها. وظن بادىء ذى بدء أنها أبسط من غرائز مكدوجل وأقل منها تعقيدا.

---

(1) Thorndike, E. L. The Original Nature of Man. N. Y. Columbia univ. p. 1913 - 1914.
(2) Wood worth, R.S. Dynamic Psychology.N. Y Columbia Univ. P. 1918.
(3) Mc Dougal, W. The group Mind. N. Y. Put nam's Sons. 1920.
(4) Dunlap, K. Are There Any Instincts. J. .of Abn. and Soc., Psych. 1919, 14, pp. 307 - 311.
(5) Waston, J. B. Behviorism. N. Y. Norton. 1925.

لكن هذا الخلاف لم يؤثر فى نشاط الأبحاث التجريبية، واستمر العلم فى نموه وفى تطوره بمنأى عن صانعى النظريات.

وكما ظهر أثر غرائز مكدوجل فى الدوافع فقد ظهر أثره أيضا فى النزعات الفطرية العامة التى بسطها أيضا فى كتابه «مقدمة فى علم النفس الاجتماعى، وهو يلخصها فى الاستهواء والمشاركة الوجدانية والتقليد. وهو يعنى بالاستهواء تأثر فرد بفرد آخر عقليا. ويعنى بالمشاركة الوجدانية تأثر شخص بشخص آخر انفعاليا. ويعنى بالتقليد تأثر شخص بشخص آخر سلوكيا.

وقد خضعت بعض هذه النزعات العامة للتجريب أخيرا وخاصة الاستهواء وظهرت أهميتها فى مجال القياس النفسى وفى تطبيقات علم النفس الاجتماعى،كما تدل على ذلك أبحاث أيزنك[١] Eysenck التى نشرها فى كتابه «المعقول وغير المعقول فى علم النفس» سنة ١٩٥٧.

ويعد بوجاردس Bogardus المؤسس الحقيقى لعلم النفس الاجتماعى المعاصر وخاصة فى كتابه الذى نشره سنة ١٩٣١ عن أسس علم النفس الاجتماعى، وبأبحاثه فى قياس التباعد النفسى، وكولى Cooley فى كتاب مقدمة فى علم الاجتماع الذى نشره سنة ١٩٣٣، وأبحاث موريس Morris سنة ١٩٣٤ عن العقل والذات والمجتمع، والتى اعتمد فيها اعتمادا أساسيا على محاضرات مرجريت ميد Mead ونتائج دراساتها الأنثروبولوجية عن المجتمعات البدائية[٢].

و- البدء التجريبى لعلم النفس الاجتماعى:

بدأ المنهج التجريبى فى علم النفس الاجتماعى بمقارنة نشاط الفرد وهو يعمل مع الجماعة أو أمام الأفراد الآخرين بنشاطه وهو يعمل وحده[٣]. وكان هدف هذه التجارب اكتشاف مدى نقصان أو زيادة إنتاج الفرد تبعا لوجوده مع الاخرين أو تبعا لتفرده بالعمل بعيدا عن الآخرين.

ويعد تربيليت[٤]. Triplett من الرواد الأوائل فى تطويع بعض الظواهر النفسية الاجتماعية للطريقة التجريبية، وذلك عندما لاحظ سنة ١٨٩٧ أن سجلات سباق

---

(1) Eysenck, H. J. Sense and Nonsense in Psychology. London. Pelican, 1957, pp. 25 - 70.

(2) Maisonneuve, J. Psychologie Sociale, Paris Univ. de France. 1961, pp. 9 - 10.

(3) Fransse, P. et Piaget. J. Psychologie Sociale, P. U. F. 1965, p. 2.

(4) Triplett, N. the Dynamogenic Factors in Pacemaking and Competition Amer. J. Psych. 1897, 9, pp. 507 - 533.

الدراجات تدل على أن سرعة الفرد تزداد بنسبة ٢٠٪ عندما يشترك مع غيره، عنها عندما ينفرد وحده. وأدت به هذه الملاحظة إلى القيام بتجربة على ٤٠ طفلا تمتد أعمارهم من ١٠ سنوات إلى ١٢ سنة. حيث طلب من كل طفل أن يلف بكرة صيد السمك وحده، وأن يعود فيقوم بهذا العمل مع زملائه حيث يعمل وهم يعملون ويراهم من حيث لا يرونه. ودلت نتائج تجربته على أن ٢٠ طفلا زادت سرعتهم مع الجماعة عنها عندما كانوا منفردين. وأن ١٠ أطفال نقصت سرعتهم وأن ١٠ أطفال لم تتغير سرعتهم.

وبذلك تدل نتائج هذا البحث على إمكانية إخضاع الظواهر النفسية الاجتماعية للتجربة العلمية، أو على أن عمل بعض الأفراد يتأثر تأثرا واضحا بالجماعة، وأن البعض الآخر لا يتأثر بتلك الناحية الجماعية، أى أن هذا الأثر يختلف من فرد لآخر تبعا لاختلاف الفروق الفردية.

رابعا ـ وحدة التحليل فى علم النفس الاجتماعى

يمكن إلى حد ما أن نشبه تباين مستويات التقدم فى العلوم المختلفة بالشعوب النامية والشعوب المتقدمة. ولعلنا لا نكون مبالغين إذا قررنا أن أغلب العلوم التى تتصل اتصالا مباشرا بالإنسان علوم نامية، شأنها فى ذلك شأن الدول النامية، غنية فى المادة الخام وفقيرة فى وسائل معالجة تلك المادة، وأغلب العلوم المتصلة بالمادة الطبيعية والكون الفلكى علوم متقدمة، مثل الطبيعة، والرياضة، والكيمياء، والفلك.

وعلم النفس الاجتماعى، والفروع الأخرى لعلم النفس من العلوم النامية، وتعانى مثل هذه العلوم من طغيان مناهج التحليل فى العلوم المتقدمة على مناهجها التى تصلح لدراسة وتحليل خصائص موضوعاتها. ولهذا نرى المحاولات تلو المحاولات التى تطبق مناهج البحث فى علم الطبيعة أو الكيمياء أو حتى الفلك على الظواهر النفسية. وهذا يفسر مثلا المصطلحات الغريبة التى شاعت فى أبحاث وتجارب علم النفس مثل الموجهات، والمجال، والدينامية والمصفوفات، والعوامل، وما بعد الفراغ الثلاثى فى التحليل العاملى.

ولذلك كان علينا فى علم النفس الاجتماعى أن نحدد منذ البدء وحدة البحث فى علم النفس الاجتماعى ومناهجه التى يستعيرها من العلوم الأخرى المتقدمة والتى ينفرد بها وحده ويتمايز بها عن تلك العلوم.

ويشترط فى هذه الوحدة، فوق أنها مناسبة، وطيعة، أن تشتمل على أهم صفتين للسلوك الإنسانى. وتقرر الصفة الأولى دافعية السلوك، ووجهته نحو تحقيق هدفه.

وتقرر الصفة الثانية تكامل السلوك، ومعنى هذا التكامل أن الفرد بخصائصه العقلية المعرفية، والخارجية، أى الانفعالية النزوعية يسلك طريقه نحو تحقيق هدفه ككائن له كليته المتكاملة وليس كعقل يعمل مستقلا عن التنظيم المزاجى، وهكذا.

والوحدة التى تحقق كل هذه الشروط هى على وجه التحديد «حدث سلوكى شخصى. أو بمعنى آخر ما ينشأ من علاقات نتيجة للتفاعل الاجتماعى القائم بين الأفراد»[1].

والمثال التقريبى الذى يوضح بعض معالم هذه الوحدة، الحوار الذى يدور بين بعض الأفراد وما ينطوى عليه هذا الحوار من سرور وحزن، ومن تآلف وتنافر، وما يسفر عنه من «أحداث سلوكية شخصية بينية». فى مثل هذا الموقف يصبح سلوك أحد الأفراد استجابة لسلوك فرد آخر من ناحية، ويصبح من ناحية أخرى، وفى نفس الوقت مثيرا للفرد الآخر، وهكذا نستطيع أن نلاحظ ونحلل سلوك كل فرد بالنسبة للأفراد الآخرين، وسوف ينتهى بنا هذا التحليل إلى أن سلوك كل فرد سبب ونتيجة معا وفى نفس الوقت، سبب لسلوك الآخرين ونتيجة لسلوك الآخر أو الآخرين[2].

والتحليل السابق يوضح التكامل ودافعية السلوك التى توجهه نحو تحقيق الهدف. هكذا تتعاقب الأحداث فى تناسق متصل بحيث يتلو بعضها بعضا فى تكامل عضوى. ومن وراء ذلك كله دافع يوجه السلوك وجهة الهدف المرجو.

ووحدة التحليل بهذا المعنى ليست وحدة بسيطة، بل هى وحدة معقدة.

خامسا ـ الملخص

يعرف علم النفس الاجتماعى بأنه العلم الذى يتناول بالوصف والتجريب والتحليل سلوك الفرد مع الأفراد الآخرين واستجابته لهم، سواء أكان هؤلاء الأفراد مجتمعين أم متفرقين. أى أنه العلم الذى يعنى بالدراسة العلمية لسلوك الفرد من حيث تأثره بسلوك الأفراد الآخرين، ومن حيث تأثيره فيهم. فهو بذلك علم سلوك الفرد فى الجماعة والمجتمع.

وينعرض التعريف النفسى لعلم النفس الاجتماع» للنقد كما يتعرض التعريف الاجتماعى أيضا لنقد. والتعريف عندما يقصر ميدان علم النفس الاجتماعى على الفرد

---

(1) Interpersonnal Behaviour Event. حدث سلوكى شخصى

(2) Krech, D, Crutchfield, R. S, and Ballachey, E. L. Individual in Society N. Y Mc Graw - Hill, 1962, pp. 4 - 7.

فقط ينحو به نحو علم النفس، وعندما يقصر ميدانه على الجماعة يتحول به إلى علم الاجتماع. ولذا كثيرا ما تختلط مفاهيم الفرد بمفاهيم الجماعة فى كتب علم النفس الاجتماعى. وخير علاج لهذه المشكلة أن يحدد علم النفس الاجتماعى ميدانه فى العلاقات النفسية الاجتماعية التى لا توجد إلا فى مواجهة الفرد للجماعة أو للأفراد الآخرين بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

ومشكلات التعريف هى مشكلات المصادر الرئيسية والفرعية لعلم النفس الاجتماعى، فأما الرئيسية فتتمثل فى مفاهيم علم النفس وعلم الاجتماع والأنثروبولوجى. وأما الفرعية فتتمثل فى علمى الاقتصاد والسياسة. وعلى علم النفس الاجتماعى أن يستعين ببعض مفاهيم تلك العلوم ومناهج بحثها دون أن يفقد وحدة موضوعه.

وتمتد أهمية علم النفس الاجتماعى من التطبيقات العملية المباشرة إلى المجالات العامة العالمية، فأما العملية المباشرة فهى التطبيقات المختلفة لهذا العلم فى مجال التربية وعلاقته بالخصائص النفسية الاجتماعية للفصل الدراسى. ولعملية التعلم والتفكير. وفى مجال الخدمة الاجتماعية وتوجيه الجماعات. وفى مجال الصناعة وأثر العلاقات النفسية الاجتماعية على رفع مستوى الإنتاج. وفى مجال القوات المسلحة وأهمية الروح المعنوية فى بناء شخصية المقاتل، وفى حياتنا الخاصة، وعلاقاتنا الاجتماعية المختلفة. وأما المجالات العامة العالمية فقد بدأت متشائمة بالإنذار من المشكلات الاقتصادية والسياسية وتطورت متفائلة إلى بناء ذلك المستقبل، ومعالجة المشكلات الاقتصادية والسياسية، ومشكلات النقد وحرية الأسواق وتجنب العدوان والحرب وتحقيق السلام.

وقد نشأ علم النفس الاجتماعى فى أحضان الفلسفة ثم تحول فى صورته المعاصرة إلى علم تجريبى. ولهذه النشأة أهميتها لأن الذين لا يعرفون تاريخ العلم يكررون أخطاء الماضى والذين يعرفون هذا التاريخ يتعلمون من خبرات الماضى. وقد ترك لنا هذا الماضى الملاحظات الفاحصة، والفروض الدقيقة التى ما زالت تصلح للتحقيق التجريبى فى عصرنا هذا. وكان جوهر المباحث الفلسفية فى علم النفس الاجتماعى الطبيعة البشرية. فأكد أفلاطون أهمية البيئة الاجتماعية فى تشكيل هذه الطبيعة البشرية الاجتماعية، وأكد أرسطو أهمية المحددات البيولوچية. ومن ذلك الوقت بدأت ثنائية البيئة والوراثة. وانتقلت المشكلة إلى القيم التى تحدد سلوك الإنسان، فذهب هوبز إلى أن الإنسان بطبيعته شرير، وعلى المجتمع أن يصلح ذلك الشر، وخالفه فى ذلك جان جاك روسو حيث قرر أن الإنسان بطبيعته خيِّر، وأن المجتمع هو الذى أفسده.

وبذلك نشأ تياران يؤكد أحدهما أن الإنسان كائن اجتماعى لا يكتفى بذاته بل يستعين بغيره، ويؤكد التيار الآخر ذاتية الإنسان ويعلن رفضه لسيطرة الجماعة على تلك الذات.

ويتحول هذا التعارض بين الجماعة والفرد إلى اتجاهين أحدهما اتجاه متشائم يؤكد الأنانية الفردية ويقرر أن الذات تميل دائما إلى أن تنظر إلى الآخرين على أنهم وسائل لتحقيق مآربها أو أعداء يجب التغلب عليهم لتحقيق تلك المطالب، ويقابل هذا الاتجاه المتشائم اتجاه آخر متفائل يمجد فضائل الصداقة والتفاهم العقلى والحرص على تماسك الجماعة وصلابتها.

لكن الخير والشر أمور نسبية تخضع فى معاييرها للإطار الاجتماعى الذى يعيش فيه الفرد. ولقد عالج نيتشه الفيلسوف الألمانى هذا الموضوع فى دراسته «ما وراء الخير والشر».

وعلم النفس الاجتماعى المعاصر لا يناصر أى اتجاه من هذين الاتجاهين بل يتخطى هذا الصراع إلى مفهوم جديد لا يؤكد أهمية الجماعة على حساب الفرد، ولا يؤكد أهمية الفرد على حساب الجماعة، بل يقيم أبحاثه على العلاقات الاجتماعية التى تنشأ بين الأفراد.

وقد اتخذ البحث فى السلوك النفسى الاجتماعى بعد ذلك التعارض وخلال نشأة علم النفس الاجتماعى وجهة جديدة على يد منتسكيو الذى أكد أهمية ودور البيئة الطبيعية فى تشكيل سلوك الفرد.

وكان منتسكيو يعتقد أنه للمناخ الحار أثرا قويا فى انتشار الرق، وأن المناخ البارد لا يساعد على الرق، وحاول أيضا أن يفسر أنماط النظم السياسية والطبقات الاجتماعية والتكوين العائلى والعادات والتقاليد والخلق.

وقد صاحب هذا الاتجاه اتجاه قريب منه سمى بعد ذلك الجغرافية النفسية.

لكن هذه الآراء تنطوى على قدر كبير من المغالطة والمبالغة وتتعارض مع مظاهر الحياة الاجتماعية، فالهجرة لا تؤثر كثيرا فى السلوك الاجتماعى للفرد، وتشابه بعض النظم الاجتماعية فى المناطق الجغرافية المختلفة كتعدد الزوجات فى المناطق الحارة والمعتدلة يثير كثيرا من الشكوك حول صحة هذا المذهب.

وبظهور كتاب أصل الأنواع لداروين سنة ١٨٥٩ تأثرت نشأة علم النفس الاجتماعى بهذا الاتجاه الجديد.

وطبق سبنسر فكرة دراوين عن التطور على الطبيعة الإنسانية، فانتهى إلى أن الحياة الاجتماعية تمر بمراحل، وتنتهى عند المجتمع إلى صورة مركبة يسميها فوق العضوية.

وقد تحول علم النفس الاجتماعى بالتدريج من الفلسفة إلى العلم فظهرت أول مجلة له سنة ١٨٦٠ وكان منهجها هو دراسة القوانين النفسية العلمية التى تحرك الجماعات كوحدة، واهتم عالم النفس فونت فى دراسته النفسية الاجتماعية باللغة والقوانين والمأثورات الشعبية، ثم بدأ العلماء يهتمون بملاحظة وتحليل الظواهر الأساسية التى يمكن أن تصلح لتفسير السلوك النفسى الاجتماعى، وانتهى بريد إلى أن الأساس العلمى لذلك السلوك هو ظاهرة الاستهواء وخالفه فى ذلك تارد حين أكد أهمية التقليد. وعكف جوستاف ليبون على دراسة الجمهرة وأهمية الاستهواء والمشاركة الوجدانية والتقليد فى وصف الجمهرة، وما يصدر عنها من سلوك نفسى اجتماعى.

لكن علم النفس الاجتماعى لم يبدأ كعلم إلا فى القرن العشرين، وكان قبل هذا القرن موضوعات متفرقة لا علاقة بينها، ومفاهيم وصفية لا تعتمد على البحث العلمى والتجارب المقننة، وكانت هذه المفاهيم تمتزج بالمفاهيم الفلسفية والاجتماعية وتميل إلى الاستطراد أكثر مما تميل إلى الإنجاز وإلى التعميم أكثر مما تميل إلى التخصص الدقيق.

ثم اتجه العلماء بعد ذلك إلى تصحيح هذا المسار وذلك بعد أن أدركوا عجز علم النفس المعاصر لتلك المرحلة عن دراسة الظواهر النفسية الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية. وزاد اهتمام العلماء بهذا العلم لإدراكهم لأثر أبحاثه على الرأى العام وعلى الاتجاهات السياسية. ومتطلبات العمل، وأثر التطور التكنولوچى على حياة الأفراد والجماعات وبذلك تعددت طرائق البحث ومجالاتها.

وتعد سنة ١٩٠٨ سنة فاصلة فى تاريخ هذا العلم حيث ظهر فيها كتاب العالم الإنجليزى مكدوجل «مقدمة فى علم النفس الاجتماعى» وبظهور هذا الكتاب بدأت مشكلة الدوافع تأخذ طريقها إلى مباحث علم النفس الاجتماعى وتطورت من غرائز مكدوجل إلى الاتجاهات النفسية التى أصبحت من أهم موضوعات علم النفس الاجتماعى المعاصر. وبدأت أيضا مشكلة النزعات الفطرية العامة التى تتلخص فى الاستهواء والمشاركة الوجدانية والتقليد تأخذ طريقها إلى التجريب العلمى وخاصة فى الخمسينيات من هذا القرن، وذلك عندما نشر أيزنك نتائج أبحاثه التجريبية على الاستهواء فى كتابه «المعقول وغير المعقول فى علم النفس».

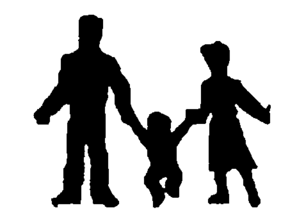
وظهر أيضا كتاب لعالم الاجتماع الأمريكى روس «علم النفس الاجتماعى» وبظهور هذا الكتاب ظهرت مشكلة التفاعل النفسى الاجتماعى والعلاقات الاجتماعية بين الأفراد. ويعد هذا الموضوع الآن من أهم ركائز علم النفس الاجتماعى المعاصر إن لم يكن أهمها كلها.

ويعد بوجاردس المؤسس الحقيقى لعلم النفس الاجتماعى وخاصة فى كتابه «أسس علم النفس الاجتماعى» الذى نشره سنة ١٩٣١ وبأبحاثه فى قياس التباعد النفسى، وكولى فى كتابه»مقدمة فى علم الاجتماع» الذى نشره سنة ١٩٣٣ وأبحاث موريس التى نشرها سنة ١٩٣٤ والتى اعتمد فيها على أبحاث مرجريت ميد عن المجتمعات البدائية وبذلك بدأ الأنثروبولوچى يؤثر فى أبحاث علم النفس الاجتماعى.

وبدأ المنهج التجريبى فى علم النفس الاجتماعى بمقارنة نشاط الفرد وهو يعمل مع الجماعة أو أمام الجماعة بنشاطه وهو يعمل وحده. ويعد تويبليت أول من قام بتجربة علمية فى علم النفس الاجتماعى سنة ١٨٩٧ على أطفال يقومون بلف كرة صيد السمك مجتمعين وفرادى وقارن بين نتائج المرتين.

وقد تطورت وحدة التحليل فى علم النفس الاجتماعى من الاستهواء عند بريد إلى التقليد عند تارد، إلى الغريزة عند مكدوجل، إلى العادة عند وليم جيمس، حتى استقرت أخيرا فى العلاقة الاجتماعية التى تدل على التفاعل القائم بين الأفراد الآخرين والتى تعتمد فى جوهرها على الحدث السلوكى الشخصى البيئى.

* * *



الفصل الثاني

الفرد والجماعة

محددات التفاعل الاجتماعي

١ ـ الدوافع والدافعية.

٢ ـ الحاجات.

٣ ـ الأهداف.

٤ ـ صورة الذات عند الفرد.

٥ ـ مفهوم الفرد عن الآخرين.

٦ ـ القيم.

٧ ـ المعايير.

٨ ـ الاتجاهات النفسية.

٩ ـ العادات.

١٠ ـ التقاليد.

كم هى عسيرة وشاقة وتحتاج إلى جهد جهيد: تلك هى دراسة العلاقة بين الفرد والجماعة وخاصة من وجهة نظر علم النفس.

وكم هى مثمرة ومفيدة تلك الدراسة. إذ أن علاقة الفرد بالجماعة علاقة تحتاج إلى اهتمام خاص لأن الوشائج التى تربط أفراد الجماعة ببعضهم البعض ليست بسيطة ومسطحة ولكنها أعمق وأعقد: ومن ثم فإن نتيجة هذه الدراسة سوف تكون ذات خطر بالغ، وخاصة فى فهم وتحليل وتعليل وتفسير أنماط سلوك الأفراد فى الجماعات.

وهذا الفهم يعتمد غالبا على معالجة مجموعة من المتغيرات تؤثر فى هذه العلاقة وتعطيها صيغتها النهائية، وبالتالى فإن هذه العلاقة هى التى تحدد نوعية التفاعل الاجتماعى داخل الجماعة.

وفى الفقرات التالية سوف نتعرض بشىء من المناقشة والتحليل لهذه المتغيرات على أمل أن يستطيع القارىء فى نهاية هذه المناقشة تكوين مفهوم عام عن حركية وتعقد التفاعل الاجتماعى فى هذه الجماعة أو تلك:

١ ـ الدافع والدافعية:

ليس هناك شك فى أن الدوافع النفسية ذات أثر واضح على سلوك الفرد وتفاعله مع الآخرين، ولذلك فقد نالت الدوافع النفسية والدافعية القدر الذى تستحقه من دراسة وبحث حتى أصبح هذا المتغير الذى تعطى له الأولوية فى التأثير على نوعية ودرجة التفاعل الاجتماعى على قدر من الوضوح للدارسين والباحثين.

ويحسن فى بادىء الأمر أن نتعرف فى بساطة ويسر على الدوافع النفسية عند الإنسان، وربما كان من الأفضل أيضا أن نحدد معنى هذا الدافع ونضع له التعريف المناسب.

وسوف نطور التعريف الذى سبق أشرنا إليه فى كتاب سابق[١] والذى كان يشير إلى أن الدافع هو حالة تفاعل تركيب ووظيفة الكائن الحى مع عنصر أو أكثر من العناصر التى تقع فى المتسع النفسى الاجتماعى لهذا الكائن. وسوف نطور هذا التعريف ليكون أكثر مرونه لتفسير وظيفة الدافع كمتغير يؤثر فى علاقة الفرد بالجماعة فنقول:

---

(١) سعد عبد الرحمن، السلوك الإنسانى تحليل وقياس المتغيرات ١٩٨٣.

«إن الدافع هو عبارة عن حالة من التوتر وعدم الاتزان تنشأ نتيجة التفاعل غير المتوازن بين تركيب أجهزة الكائن الحى ووظيفة هذه الأجهزة فى وجود عناصر المجال النفسى أو الاجتماعى أو البيولوچى للفرد».

وهذا يعنى أننا سوف نفسر دافع الجوع على أنه تفاعل غير متوازن بين تركيب الجهاز الهضمى للكائن الحى ـ أى القناة الهضمية وملحقاتها من غدد وغير ذلك ـ ووظيفة هذا الجهاز من حيث هضم وامتصاص الطعام وما يترتب على ذلك من تمثيل وطاقة، هذا التفاعل غير المتوازن هو الذى يؤدى إلى الإحساس بالتوتر وعدم الاتزان مع عناصر البيئة الخارجية وهى الحالة التى تدل على نشاط هذا الدافع أو ذاك.

بهذه الصورة يمكن أن نتفهم كيف يؤثر الدافع على علاقة الفرد بالجماعة إذ أن العلاقة الطبيعية بين الفرد والجماعة التى ينتمى إليها هى علاقة الاتزان والتعادل، والتعادل هنا لا يعنى التساوى ولكنه يعنى الاستقرار فى العلاقة القائمة بين الطرفين.

بعض الجماعات ترى أن العلاقة التى تقوم بينها كشخصية معنوية (الدولة أو الحكومة أو. . .) وبين الأفراد يجب أن تكون فى إطار الحقوق والواجبات أى أن عملية إشباع الدوافع عند الفرد سواء كانت هذه الدوافع فسيولوچية أو اجتماعية يجب أن تقترن بما يبذله الفرد من مساهمة وجهد فى حفظ كيان الجماعة وتطويرها والعمل على استمرارها. أو بمعنى آخر إذا كانت عملية إشباع الدوافع حق فإن الجهد الذى يبذله الفرد هو الواجب.

لذلك فإن تفسير هذه العلاقة من خلال نشاط الدوافع أمر محتمل وممكن، حيث إن الدوافع عند الإنسان لا تقف عند مجرد الجوع والعطش ولكنها تصل إلى الأنجاز والتفوق وتحقيق الذات وتقديرها، وبهذا نجد أنه فى حالة عدم إشباع الدافع أيا كان هذا الدافع فإن حالة عدم الاستقرار سوف تسيطر على العلاقة بين الفرد والجماعة وتنتهى هذه الحالة ويعود الإتزان عندما يتم أشباع دوافع الفرد من خلال ما وضعته الجماعة من نظم وأعراف لتنظيم كيفية إشباع هذه الدوافع. كما أنه يجب أن نقول أن حالة عدم الاستقرار سوف تستمر لو أن الفرد أشبع دوافعه بصورة تتعارض مع الإطار الذى حددته الجماعة.

وهناك جماعة أخرى ترى أن العلاقة بينها كشخصية معنوية ـ وبين الفرد يجب أن تقوم على مبدأ الضبط والتحكم بمعنى أنه لا يجوز للفرد أن يشبع دوافعه إلا بالقدر الذى تسمح به الجماعة وتحت الظروف والشروط التى تراها هذه الجماعة ضرورية ومناسبة.

وفى هذه الحالة نجد أن حالة الاستقرار التى تسود العلاقة بين الفرد والجماعة لا تحدث إلا عندما يقبل الفرد هذا الإطار من الضبط والتحكم قبولا فعليا وليس ظاهريا فقط.

فمعظم حالات الانحراف الفردى أو الجمعى أو حالات التمرد والعصيان أو حالات الرفض وعدم السواء: قد جاءت نتيجة لعدم تمكن الفرد من قبول مبدأ الضبط والتحكم الذى افترضته الجماعة لتقوم عليه العلاقة بينها وبين أفرادها.

وهناك نوع آخر من الجماعات يقيم العلاقات مع الأفراد على أساس مبدأ المنحة والحق المكتسب دون النظر إلى واجبات أو ضبط وتحكم، حيث يتمكن الفرد من إشباع دوافعه ويدرك ذلك على أنه حق اكتسبه بمجرد انتمائه للجماعة، بينما تدرك الجماعة هذه العملية على أنها منحه تجود بها على الفرد. لذلك فقد كانت هذه العلاقة أشد أنواع العلاقات تأثرا بنشاط الدوافع عند الفرد، إذ أنه فى حالة عدم إشباع هذه الدوافع أصبح انتماء الأفراد للجماعة مهددا بالتحلل والتلاشى.

لسنا هنا بصدد مقارنة جماعة بجماعة أخرى فقد يكون هناك مجال لذلك فى مكان آخر بشئ من التفصيل والتحليل ولكنه ما نهتم به الآن هو توضيح مدى تأثير نشاط دوافع الفرد على علاقته بالجماعة.

نعود مرة أخرى إلى معنى الدافع النفسى كما سبق أن أوضحناه على أنه حالة من التوتر تنشأ من تفاعل غير متوازن بين تركيب أجهزة الكائن الحى ووظيفة هذه الأجهزة فى وجود عناصر مختلفة نفسية كانت أو اجتماعية أو بيولوجية.

نعود ونقول أن هذا المعنى لا يتوقف عند مجرد التعريف الذى أشرنا إليه بل يجب أن يتعداه إلى التفسير والتوضيح حتى يرى القارئ مدى أهمية الدوافع كمتغير يؤثر فى العلاقة المتبادلة بين الفرد والجماعة.

هناك أكثر من تفسير مقبول لنشاط الدوافع عند الإنسان وقبل أن تدخل إلى مجال تفسير الدوافع يحسن بنا أن نشير إلى مفهوم (نشاط الدافع) أو كما نحب أن نسميه ميكانيكية الدافع.

نقول أن نشاط الدافع له ثلاث مراحل متميزة هى:

أ. مرحلة الإلحاح: وهى المرحلة التى يتسارع فيها معدل التوتر ويتزايد ويصبح الدافع واضحا تماما فى المجال الإدراكى للفرد كما يتحول ما عداه من عوامل ومتغيرات إلى أرضية أو خلفية لهذا المجال.

ب ـ مرحلة الإشباع: وهى المرحلة التى يتم فيها إشباع الدافع وتحقيق الحاجة سواء كانت بيولوجية أو اجتماعية، وتتميز هذه المرحلة بدرجة الاكتفاء أو الرضى التى تتصل بأداء الفرد وسلوكه. وتختلف هذه الدرجة من فرد لآخر ومن موقف إلى موقف ويعتمد ذلك على نوعية الدافع ودرجة نشاطه وشدته، كما يعتمد أيضا على مستوى طموح الفرد وصورة ذاته ومفهومه عن الآخرين.

جـ ـ مرحلة الاتزان: وهى المرحلة الأخيرة من مراحل نشاط الدافع حيث يتم التوافق أو التعادل فى عملية التفاعل بين تركيب أجهزة الفرد ووظائف هذه الأجهزة، ومن ثم يحدث التوازن بين الفرد وبين عناصر البيئة الخارجية،ويصل الدافع إلى مرحلة من الاستقرار هى مؤقتة بطبيعة الحال ـ وذلك إلى أن ينشط من جديد.

ولو نظرنا إلى هذه المراحل الثلاث لوجدنا أن كل مرحلة لها أثر من نوع خاص على علاقة الفرد بالجماعة.

ففى المرحلة الأولى وهى مرحلة الإلحاح نجد أن علاقة الفرد بالآخرين من أفراد الجماعة تتخذ صيغة متميزة قد يغلب عليها التنافس أو التعاون مع أفراد آخرين أو الانضمام إلى عشائر Subgroups أو تنظيمات Organizations أو نظم Systems حيث يبحث الفرد وبطريقة واضحة عن حاجته التى تتعلق بإشباع هذا الدافع النشط أو قد تضطرب هذه العلاقة بين الفرد والجماعة. نتيجة لارتفاع درجة الإلحاح عن درجة قدرة الجماعة فى توفير الأمكانات المناسبة لإشباع دوافع الفرد.

وفى هذه المرحلة كذلك نجد أن علاقة الفرد بالجماعة قد تميزت بنوع خاص من الحراك Mobility حيث يكون أهم خصائص هذا الحراك محاولة انتقال الفرد إلى مراكز الاهتمام، بل ربما تعدى هذه المراكز إلى بؤرة الزعامة والقيادة من الجماعة.

وفى جميع الحالات فإننا نرى أن مرحلة الإلحاح هذه هى أهم مراحل نشاط الدافع النفسى لأن فيها تتضح درجته من الشدة والتأثير على علاقة الفرد بالجماعة.

أما فى المرحلة الثانية وهى مرحلة إشباع الدافع نجد أن العلاقة بين الفرد والجماعة اتخذت صيغة أخرى غير تلك التى كانت عليها فى المرحلة السابقة.

نلاحظ أن هذه العلاقة تتميز بتنظيم من نوع خاص حيث يقل فيه الحراك إلى الحد الأدنى وتصبح العلاقة من الفرد والجماعة مجموعة من الشرائح المتتالية حيث يكون لكل شريحة درجة مختلفة من الاستقرار النسبى، وفى نهاية مرحلة الإشباع تتبلور العلاقة بين الفرد والجماعة وتتخذ صورتها المحددة، وخاصة أن هذه العلاقة قد خضعت لعملية تقييم ضمنى يقوم بها الفرد من حين لآخر.

يلى ذلك مرحلة الاتزان أو التوازن، حيث نلاحظ أن علاقة الفرد بالجماعة قد اتخذت صيغة الاستقرار ولكنه الاستقرار المؤقت الذى لابد وأن يعود إلى النشاط مرة أخرى، وربما كان هذا أهم ما يميز استقرار الدافع. أو بمعنى آخر وأكثر توضيحا: علاقة الفرد بالجماعة فى هذه المرحلة الأخيرة تكون علاقة الاتزان الحركى وليس الاتزان الساكن.

يقودنا الحوار السابق إلى مفهوم يتردد كثيرا عند الحديث عن مراحل نشاط الدافع النفسى وهو مفهوم التسامى أو الإعلاء Sublimation وهو تعبير أحيانا يرتبط بالغريزة كذلك عندما يتحدث البعض عن إعلاء الغريزة أو التسامى بها.

ونحن نريد فى الفقرة التالية أن نوضح معنى عملية التسامى من الناحية العلمية أو كما يجب أن يتم تفسيرها حيث إن كل الكتابات السابقة أو معظمها كان يتناول المعنى الوظيفى للتسامى أما نحن فسوف نتناول المعنى البنائى لها.

كلمة التسامى Sublimation هى أصلا فى قاموس الكيمياء وبالذات فى وصف خواص المادة. ونحن نعلم أن كل مادة لها ثلاث حالات: هى الحالة الصلبة والحالة السائلة والحالة الغازية أو البخارية. وعند تسخين المادة فإنها تنتقل من حالة الصلابة إلى حالة السيولة، وباستمرار التسخين فإنها تنتقل إلى الحالة الغازية. فعلى سبيل المثال إذا أخذنا قطعة من الثلج (صلبة) وعرضناها للحرارة فإنها تتحول إلى الماء (سائل) ثم باستمرار الحرارة تتحول إلى بخار الماء (غاز).

ولكن هناك بعض المواد الصلبة عندما تتعرض للحرارة فإنها تتحول مباشرة إلى الحالة الغازية أو البخارية دون المرور بمرحلة السيولة. مثل مادة اليود أو الثلج الجاف (ثانى أكسيد الكربون المجمد) وفى هذه الحالة نقول أن هذه تسامت أو حدث ما يسمى بالتسامى.

ونحن نريد فى هذا المجال أن نقول أن الدافع بمراحله الثلاث يشبه إلى حد كبير المادة فى حالتها الأصلية، وعليه فإن تسامى الدافع هو عبارة عن **انتقال الدافع من مرحلة الإلحاح (التوتر) مباشرة إلى مرحلة الاتزان دون المرور بمرحلة الإشباع.**

وهنا يمكن أن نفسر الكثير من الدوافع النشطة مثل دافع الجنس عند الشباب فى مجتمع يعطى للجنس القدسية ويفرض عليه بعض الشروط، وكذلك دافع الجوع عند الصائمين: حيث نجد أن أيا من هؤلاء يتزن مع نفسه وبيئته دون أن يشبع دافع الجنس أو دافع الجوع.

ندخل الآن إلى مجال تفسير الدافع حتى يستعين القارىء بما سوف نسوقه من تفسيرات فى استنباط مدى تأثير الدافع والدافعية على علاقة الفرد بالجماعة.

ربما كان أقرب ما نشير إليه هو تفسير يقوم على العمليات الحيوية التى يتميز بها الإنسان أو كما سمى فى بعض الكتابات التفسير الفسيولوچى للدوافع[1]. والحقيقة أن هذا التفسير يقوم على حقائق علم وظائف الأعضاء Physiology وكذلك التشريح Anatomy

ويعتقد أصحاب هذه الفكرة فى تفسير الدافع أن أى مثير سواء كان داخليا أو خارجيا يسبب ـ عندما يدخل مجال إدراك الكائن الحى ـ نوعا من التغيرات البيوكيميائية التى تشمل غالبا إفرازات الغدد الصماء والغدد القنوية، وبناء على هذا النشاط البيوكيميائى يتوتر الدافع، ومن ثم يسلك الفرد من أجل إشباعه.

ربما كان هذا التفسير يلتقى إلى حد واضح مع تعريفنا السابق للدافع، فإن تفاعل وظيفة أجهزة الكائن الحى مع تركيبها فى وجود هذا المثير أو ذاك أدى إلى هذا النشاط البيوكيميائى الذى بدوره يؤدى إلى حالة التوتر والتى سميناها الدافع.

قد لا يكون هذا التفسير مقبولا من جميع المشتغلين بعلم نفس الدوافع ولكنه قد يكون قادرا على توضيح بعض الدوافع وخاصة دوافع الجوع والجنس وما إلى ذلك.

قد تكون هناك وجهة نظر أخرى تفسر الدوافع تفسيرا عصبيا أى يعتمد على نشاط وفعالية الجهاز العصبى عند الإنسان، وخاصة أن هناك العديد من البحوث التى تراكمت فى السنوات الأخيرة حول علاقة جهاز الإيقاظ أو التنبيه فى المخ بالانفعال والدافعية واتصاله المتبادل مع القشرة الدماغية،وكذلك حول نوعية الطاقة الحيوية فى الخلية العصبية سواء كانت سريعة التحول أى لا تستغرق فى ذلك أكثر من $\frac{١}{١٠٠٠}$ من الثانية، وبطيئة التحول أى تستغرق $\frac{١٥}{١٠٠٠}$ إلى $\frac{٣٠}{١٠٠٠}$ من الثانية الواحدة.

وقد ورد ضمن نتائج هذه البحوث حقيقة ذات أهمية كبرى فى مجال سيكولوچية الدوافع وهى أن الخلية العصبية تتعرض فى بعض الأحيان لعوامل التعب والإنهاك الذى يؤدى إلى الكف، وقد يستغرق ذلك مدة أطول بكثير من أجزاء الثانية. هذه الحقيقة العصبية تفسر لماذا يتباطأ الفرد فى تقديم استجابة خاصة لإشباع دافع خاص. مثل الفرد الذى يدهمه الخطر فنجده يتلكأ قليلا قبل أن يقدم استجابة الهرب. (لاحظ أن الدافع هو دافع تجنب الأذى أو حب البقاء وأن الانفعال هو الخوف والاستجابة هى الهرب).

---

(١) سعد عبد الرحمن السلوك الإنسانى: تحليل وقياس المتغيرات ط ٣ مكتبة الفلاح ١٩٨٣.

وهناك أيضا وجهات نظر ثالثة ورابعة وهكذا فى تفسيرنا للدوافع، منها ما يربط الدافع بالغريزة كما هى وجهات نظر مدرسة التحليل النفسى الكلاسيكية حيث يفسر فرويد جميع دوافع الإنسان فى إطار غريزيتين فقط هما غريزة الجنس أى بقاء النوع (الحياة) ثم غريزة الموت بما فيها عدوان وكراهية وغير ذلك. وبهذا فقد نظر فرويد إلى دوافع الإنسان من خلال طرفى مقياس لا تدريج له ولا وسط فيه.

ومن وجهات النظر هذه ما يفسر الدوافع من خلال وظيفتها أو من خلال ديناميكية السلوك وغير ذلك.

٢ - الحاجات:

الحاجة هى ما يشبع الدافع إشباعا مرحليا، وذلك إذا سلمنا أن دوافع الإنسان فى نشاط دائم.

فالطعام هو الحاجة عندما يكون الجوع هو الدافع، والتفوق هو الحاجة عندما يكون الدافع هو تحقيق الذات أو الإنجاز.

ومن هذا نرى أن الحاجات ترتبط دائما بالدوافع، وبالتالى لابد أن يكون لها أثر علاقة الفرد بالجماعة، وسوف يتضح ذلك عندما نستعرض فكرة ترتيب أو تنظيم الحاجات النفسية عند الإنسان كما أشار إليها بعض المشتغلين بهذا الفرع من علم النفس. يرى (ماسلو) أن دوافع الفرد وحاجاته النفسية والبيولوجية يمكن أن ترتب أو تنظم فى شكل هرمى يكون قاعدته الحاجات الفسيولوجية مثل الطعام والشراب والجنس والهواء... إلخ. وهذه كما هو واضح تتصل بدوافع الجوع والعطش والجنس والتنفس على الترتيب.

ثم يلى ذلك أى يعلو قاعدة الهرم مجموعة من الحاجات تسمى حاجات الأمن والطمأنينة، وهذه ترتبط بها دوافع تجنب الأذى والدفاع عن الذات وما إلى ذلك.

بل إنه يجب أن نفهم العلاقة بين الفرد والجماعة من هذه الزاوية، إذ أن الفرد ينتمى إلى جماعة ما بحثا عن الأمن ومتجنبا للأذى إذا عاش بمفرده.

ومن ثم تكون هذه الحاجات ـ وهذه بالذات ـ من أهم عوامل ارتباط الفرد بالجماعة. ثم يأتى بعد ذلك فى الترتيب مجموعة من الحاجات تسمى «حاجات الحب والرفقة» وهذه ترتبط بدوافع الرعاية والعناية والحب والانتماء، وهنا أيضا نعود ونؤكد أهمية هذا النوع من الحاجات فى عملية ارتباط الفرد بالجماعة من جهد لرعاية الفرد والاهتمام به والالتزام نحوه.

ثم تأتى فى أعلى الهـرم حـاجـات الذات. وهى التى ترتبط بدوافع الذات مـثل تحقيق الذات وتقديرها والأمر هنا أكثر من واضح، إذ أن الحاجة إلى تحقيق الذات تعطى لعلاقة الفرد بالجـماعة لونا خاصا من التنافس أو التعاون أو بذل الحـد الأقصى للجهد، كما أن الحـاجة إلى تقدير الذات تعطى علاقة الجـماعة بالفرد صيغـة محددة من الإثابة والثناء والتقدير.

٣ـ الأهـداف:

الهدف هو النهاية المحتـملة لكل دافع وذلك لأن سلوك الإنسان غرضى أو هدفى حتى السلوك غـير السوى (المرضى) فـإن له هدفا وغاية. وأهداف الفـرد تحدد علاقـته بالجماعة وتؤثر فى تفاعله مع بقيـة أفرادها لأن هذه الأهداف هى التى ترسم للفرد مسار سلوكه وكيفيـة الوصول إليها. هذا من ناحية الوظيفة أمـا من ناحية المعنى فإن الأهداف تخضع الفرد فى مكان مـحدد داخل الجماعة. فبناء على مدى مـشروعية هذه الأهداف ومـدى اتـفـاقـهـا مع الأهـداف الـعـامـة للـجـمـاعـة يتـحـدد مـكـان الـفـرد بـين الآخرين ـ كمـا يتضح ـ قوة واتجاه تفاعل الآخرين مع الفـرد، إذ عندما تكون أهدافه منسجمة مع أهداف الجماعة تكون العلاقة تدعـيما وتعزيزا، أما إذا كانت غير ذلك فإن هذه العلاقة تكون علاقة منع وكف وضغط.

٤ ـ صورة الذات عند الفرد:

وهذا متغيـر آخر من المتغيرات التى تؤثر فى علاقة الفرد بالجـماعة والحديث عن صورة الذات هو من الأحاديث التى يشترك فيها جميع المتخصصين فى علوم الإنسان.. فالفلاسفة يتحدثون عن الذات. وعلماء النفس يناقـشون بل ويجربون فى مجال مفهوم الذات وصورتها، وكذلك علماء الأجناس والسلالات يعتبرون صورة الذات أو مفهومها من المتغـيرات الأسـاسية التى تدخل ضـمن اعتـبارهم ودراساتـهم، وصورة الذات هى مفهوم الفرد عن نفسه بكل ما فيها من خصائص أو قدرات أو سمات.

وهذه الصـورة قد تكون قـريبة من (الواقـع) ولو أنه ليس هناك واقع فى مجـال مفهـوم الفرد عن نفسه ـ وقد تكون بعـيدة عنه، قد تكون هذه الصورة قـريبة من فهم الآخرين لذات الفرد، وقد تكون بعيـدة عن هذا الفهم وبناء على هذه المسافات والأبعاد تتحدد علاقة الفرد بالجماعة.

قد يكون مفهوم الفرد عن نفسه أنه عـلى درجة متميزة من الذكاء والمهارة، ولكن مفهـوم الجماعة عـنه بعيد عن ذلك، ومن ثم نجد أن هناك مـسافة واضحـة بين صورة

الذات عند الفرد وبين ما يفهمه الجماعة عنه، وعليه تكون العلاقة غير ذات تنظيم واضح يشبع الفرد ويريح الجماعة.

والحقيقة أن هذه النقطة ذات أهمية بالغة فى دراسات الإدراك الاجتماعى وخاصة تلك الدراسات التى اتخذت المدخل الكمى أساسا لمنهجها بجانب ما يتطلبه المنهج العام من وصف وحوار ومناقشة. لذلك سوف نترك هذا التفصيل إلى مكان آخر فى هذا الكتاب عندما نناقش موضوع الأدراك الاجتماعى مناقشة مستقلة.

يتضح مما سبق أهمية مفهوم الفرد عن ذاته فى علاقته بالجماعة، وقد يكون من المفيد أن نشير إلى كيفية تكوين وتطور هذا المفهوم.

تنشأ صورة الذات مع بداية النشأة الاجتماعية للطفل أى عندما يتبادل التفاعل الاجتماعى مع الآخرين مع ملاحظة أن صورة الذات هذه تشمل جميع خصائص الفرد الجسمية الفيزيقية والعقلية والنفسية وغير ذلك.

وتنمو هذه الصورة أثناء التفاعل والاحتكاك إذ يمثل الآخرون مصدرا أساسيا من مصادر تكوين صورة الذات عند الفرد: حيث يستقبل الطفل، والفرد عموما إدراكات الآخرين له ثم يقوم باستدخالها ومعالجتها ذهنيا ليحولها إلى بعض مكونات صورة ذاته.

ونشير أيضا إلى أن هناك بعض المفاهيم الأخرى التى ترتبط بصورة الذات عند الفرد، مثل الذات الواقعية أو الحقيقية ومن الطبيعى أن نسلم أنه ليست هناك ذات حقيقية مطلقة، وإنما كل حقيقة هى نسبية؛ ولذلك نفضل أن نطلق عليها الذات الواقعية بدلا من الحقيقية، وهى عبارة عن الذات كما تحددها المعايير الواقعية التى تفترضها الجماعة وتتبناها فى ثقافتها وحضارتها.

وربما اتصل هذا المفهوم ـ الذات الواقعية ـ بمفهوم الذات كما يجب أن تكون أو كما يتوقع أن تكون، وهذه ذات الفرد، كما تؤهله له قدراته وخصائصه وما كان يتوقع منه أو ما يجب عليه أن يكونه.

وهذا التكوين أو هذا المفهوم هو فى حقيقة الأمر من المحاور فى علاقة الفرد بالجماعة وعلاقة الجماعة بالفرد؛ لأن المعايير الحضارية والثقافية هى من وضع الجماعة وهى فى نفس الوقت الأطر التى ينشط فى حدودها الفرد.

وهناك أيضا مفهوم الذات المثالية أو المثل الأعلى وهى مجموعة من القيم والمبادىء والتكوينات النفسية يجمعها الفرد ويجعل منها تنظيما متناسقا يسميه الذات

المثالية ــ وهى فى ذلك تختلف عن الذات القدوة التى تكون عبارة عن ذات أخرى محددة يحاول الفرد أن يمتص خصائصها أو يتوحد معها وخاصة على مستوى الإدراك والشعور.

وبمعنى آخر نجد أن الذات المثالية قد تكون من نسيج الخيال والتوقعات والإرهاصات، أما الذات القدوة فهى ذات ماثلة حقيقية يقتدى بها الفرد فى سلوكه وردود أفعاله.

وقد يتصل هذا المفهوم ــ مفهوم الذات المثالية ــ بمفهوم الذات كما يجب أن يكونها الفرد دون أن يكون فى إطار قدراته أو خصائصه وإمكاناته.

٥ ـ مفهوم الفرد عن الآخرين:

وهذا متغير آخر يؤثر فى علاقة الفرد بالجماعة، وخاصة من حيث تنظيم استجابات الفرد للمثيرات المتوافرة فى مجال الجماعة.

ومفهوم الفرد عن الجماعة يحدد درجة انتمائه إليها فقد يدرك الجماعة على أنها جماعة مرحبة مشجعة توفر حاجاته من أمن وطمأنينة وصداقة ورفقة فتزداد درجة انتمائه إلى الجماعة وينشط تفاعله معها.

أما إذا أدرك الجماعة على أنها غير ذلك أصبح يتلمس الطريق للخروج منها أو الانسحاب من المواقف الاجتماعية التى تكون مجال الجماعة أو تقديم الاستجابات الساكنة أو المحايدة لمجموعة المثيرات التى تقدمها الجماعة.

ومفهوم الفرد عن الجماعة يحدد نوعية تفاعله معها فعندما يدركها متسامحة أصبح تفاعله حرا غير مقيد أما إذا أدركها على أنها عقابية أصبح تفاعله مع الآخرين حذرا كما تصبح توقعاته أيضا من الجماعة وأفرادها غير توقعاته منهم فى الحالة الأولى.

٦ ـ القيم:

عندما نناقش القيم فإننا نناقش الأبعاد الحضارية العامة التى تكون هيكل البناء الاجتماعى للإنسانية، ونناقش أيضا الأبعاد الخاصة التى يقوم عليها النشاط الإنسانى فى كل وقت وفى كل مكان.

القيم أشبه ما تكون بشكل هندسى متعدد الأضلاع يمكن رؤيته من زوايا مختلفة وفى أشكال مختلفة.

المتخصص فى علم النفس الاجتماعى له رؤية خاصة، والمتخصص فى علم الاجتماع له رؤية ثانية والمتخصص فى علم الإنسان له رؤية ثالثة، والفيلسوف له رؤية رابعة، والمتخصص فى القانون له رؤية أخرى وهكذا...

ولكن يتفق الجميع على كيان القيم وأثرها الواضح فى علاقة الفرد بالجماعة، وخاصة من حيث تنظيم هذه العلاقة ووضعها فى مسارات وقنوات تحافظ على نمو الجماعة وتشبع رغبات الفرد.

والقيمة ـ من وجهة نظر علم النفس الاجتماعى ـ هى تنظيم خاص لخبرة الفرد ينشأ فى مواقف المفاضلة والاختيار ليصبح دينامية تكمن خلف سلوك الفرد كما يتحول إلى وحدة عيارية على الضمير الاجتماعى للإنسان.

وفى ظل التعريف الذى اقترحه وتبناه الكاتب فى كتابات سابقة[1]. يمكن أن نوضح مدى تأثير القيم على علاقة الفرد بالجماعة والجماعة بالفرد. فمواقف المفاضلة والاختيار هى مواقف تبادل خبرة بين الفرد والآخرين وهى المواقف التى تنشأ فيها القيمة كما أن الضمير الاجتماعى لا يتكون من الداخل ـ حتى لو أخذنا بآراء مدرسة التحليل النفسى ـ وإنما يتكون من مجموعة من الخبرات تسوقها الجماعة أثناء تفاعلها مع الفرد، كما أن تحول القيمة إلى وحدة عيارية يعنى تحول القيمة إلى حالة الفعل حيث يستخدمها الفرد ـ كوحدة عيارية ـ للحكم على صحة وخطأ استجابات الأفراد الآخرين ـ أو حتى استجاباتهم ـ للمثيرات الاجتماعية وهناك عدة أنواع من القيم سبق أن تناولتها معظم المراجع فى هذا المجال، مثل **القيمة الروحية** أو الدينية وهى القيمة التى يرتبط بها سلوك الدين والعقيدة والإيمان بالغيب وما إلى ذلك[2].

والقيمة العلمية أو النظرية ويتصل بها سلوك الشك والبحث عن الحقيقة وكذلك السلوك الاختبارى (المختبرى) وغير ذلك مما يتصل بطبيعة العلم والنظرية.

والقيمة الاجتماعية ويتصل بها سلوك التجمع والبحث عن الرفاق والأصدقاء والهروب من العزلة والاهتمام بالطاعة الاجتماعية والمسايرة وتدعيم النظم الاجتماعية وغير ذلك.

والقيمة السياسية ويتصل بها سلوك إدارة الأفراد والسعى إلي مراكز الزعامة والقيادة وما إلى ذلك.

والقيمة الاقتصادية ويتصل بها سلوك التوفير فى جميع مصادر الطاقة التى يستخدمها الإنسان مثل الوقت أو الجهد أو المال.

وأخيرا قيمة **تذوق الجمال أو القيمة الجمالية** ويرتبط بها مجموعة من الأنماط السلوكية الفنية من رسم وموسيقى وشعر وغير ذلك مما يمكن أن يتذوق فيه الإنسان معنى الجمال.

---

(١) أسس القياس النفسى الاجتماعى، مكتبة القاهرة الحديثة ١٩٦٧ القاهرة.

(٢) السلوك الإنسانى تحليل وقياس المتغيرات ط ٣ ١٩٨٣ الكويت.

وإذا نظرنا الآن إلى هذه المجموعة من القيم سوف نجد أنها بلا أدنى شك ذات أثر ـ لابد وأن يكون واضحا ـ على علاقة الفرد بالجماعة. وإذا أردنا أن نستطرد سوف نقول أن هذه القيم عندما تقوى وتشتد فإنها تصبح من عموميات النسيج الاجتماعى فى أى جماعة وتصبح كذلك من إلزاميات توجيه تفاعل الأفراد مع بعضهم البعض ومصدرا من مصادر التشريع وسن القوانين وتدعيم قواعد السلوك وبذل الضغط على الأفراد الذين يحاولون الخروج عن النظام العام للمجموعة. هذه القيم منها ما يستند على خلفية دينية أو بمعنى آخر تكون مشتقه من دين أو عقيدة وهذه تكون أقوى أنواع القيم تأثيرا أو أكثرها استمرارية. ومن هذه القيم ما تستند على خلفية من الممارسات الحضارية اليومية أى تكون مشتقة من واقع خبرة الفرد ونظم تفاعله مع الآخرين.

وسوف نعود إلى القيم مرة أخرى فى مكان آخر من هذا الحوار.

ولكن ما نهتم به حاليا هو أن يرى القارئ مدى أهمية القيم كمتغيرات تؤثر فى علاقة الفرد بالجماعة.

٧ ـ المعايير:

المعيار هو مقياس نسبى تتفق عليه جماعة معينة فى موقف معين لتحكم به على مدى صحة سلوك أى فرد من أفرادها فى هذا الموقف بالذات.

وهذا يعنى أن المعايير أكثر نسبية من القيم وأقل ثباتا منها، ولتوضيح معنى المعيار نقول أن سلوك تناول الطعام ليس خطأ على وجه العموم ولكن تناول الطعام أثناء المحاضرة أو الدرس يعتبر خطأ يستوجب العقوبة فى هذا الموقف بالذات.

ومن الناحية الأخرى نحن نعلم أن سلوك القتل خطأ على وجه العموم ولكن عملية القتل أثناء معركة حربية هو سلوك صحيح يستوجب التشجيع والإشاذة.

هذا ما قصدنا إليه وهو أن المعيار مقياس نسبى يتبع تصور جماعة معينة فى موقف معين.

والمعايير فى جميع الحالات تكتسب قوتها وفعاليتها من كثرة استخدامها حيث يدل ذلك على مدى قربها من التفكير العلمى والمفهوم الإجرائى لنشاط الجماعة إذ أن هناك بعض المعايير لا تستخدم نتيجة عدم قدرتها على إشباع حاجة الجماعة فى النمو والاستمرار وهذه تضعف إلى أن تختفى من نسيج الجماعة.

والمعايير عندما تقوى وتشتد وتكتسب قدرا معينا من الثبات والاستقرار فإنها تتحول إلى قيم وتدخل إلى حضارة الجماعة وثقافتها وتصبح ذات مكان فى نسق أو بروفيل القيم فى هذه الجماعة أو تلك.

فعـلى سبـيل المثال هناك مـعيـار اتفقت عليـه الجمـاعة لإظهـار واجب التقـدير والاحترام لمن يقوم على تعليم أطفال هذه الجماعة، وقد وجد الآباء والأمهات ومن يقوم على عملية تعليم الأطـفال أن هذا المعيار عملى وإجرائى ونـافع ومفيد فكثر استـخدامه كما ارتبطت بـه أيضا قيمة أخـرى هى قيمة احـترام كبر السن وذلك لأن المعلم بطبـيعة الحال أكبر سنا من الأطفال.

وهنا يمكن أن نقول أن قيمـة احترام المعلم واحترام كبر السن مـعايير متطورة إلى قيم. أما قـيمة احتـرام الوالدين فهى قيمـة بالأصل لأنها مشتـقة فعلا من خلفـية دينية وكذلك قيمة احترام الأنثى (الأم).

٨ ـ الاتجاهات النفسية:

الاتجاه النفسى استـعداد عقلى عصبى أحدثته الخـبرة الحادة المتكررة، وهذا الاتجاه وبهذا المعنى يدفع بالفرد قريبا أو بعيدا من عناصر البيـئة الخارجية سواء كانت هذه البيئة مادية أو معنوية أو بشرية.

وعليه فـإن الاتجاهات النفسـية لابد وأن تكون ذات أثر واضح على علاقـة الفرد بالجماعة. والاتجـاهات ذات أنواع متعددة حيث يمكن أن نتعـرف على الاتجاهات العامة والنوعـية: الاتجاهـات العامة هـى التى تشمل العنصـر أو الموضوع بأكـمله فى حين أن الاتجاهات النوعية هى التى تختص بجزئية محددة من العنصر. كما أن الاتجاه العام أكثر ثباتا من الاتجاه النوعى:

هناك أيضـا الاتجاه الفـردى والاتجاه الجـمعى ثم الاتجـاه العلنى والاتجاه الـسرى والاتجاه الموجب والاتجاه السالب، والاتجاه القوى والاتجاه الضعيف.

والحقيقة أن وظيفـة هذه الاتجاهات جميعها بأنواعها المختلفـة تتصل اتصالا وثيقا بنوعية العـلاقة بين الفرد والجمـاعة. فالاتجاهات الموجبـة القوية العامة تجـعل من علاقة الفرد بالجماعة علاقة ذات معنى خاص قد تصل به إلى مـراكز القيادة والزعامة فيها، أما الاتجاهات السالبة والتى تدفع بالفرد بعيدا عـن مكونات البيئة فإنها تدخله فى صراع مع أفراد الجماعة ومؤسساتها المختلفـة وتبعده كذلك عن مراكز الصدارة فيها. ولكن هذا لا يعنى أن الأتجاه السالب فى هذه الحـالة هو دائما أتجاه معيب فـأتجاهات الرفق فى موقف ما من مواقف الجمـاعة قد تكون صحيحة من وجهـة نظر الفرد. ومن وجهة نظر بعض الآخرين، ولكن لا تكون كذلك من وجهة نظر الجماعة كشخصية معنوية وكذلك معظم الآخرين.

إن تعارض الاتجاهات هو أمر متوقع فى جماعة حية نشطة، ويصبح من الطبيعى أن تنتج هذه الاتجاهات المتعارضة محصلة تشير إلى اتجاه تام موحد أو متكامل، ولكن ليس من الطبيعى أبدا أن يحاول بعض هذه الاتجاهات قهر البعض الآخر به من أجل أن يسود هذا البعض من الاتجاه ويحمى هذا البعض الآخر.

هذا التعارض وهذا الصراع هو الذى يعطى الصيغة المحددة لعلاقة الفرد بجماعة ما.

٩ ـ العادات:

العادة الاجتماعية نمط من أنماط السلوك الفردى الذى يكتسب صفة الشيوع والانتشار وينتقل بالتالى فى تكوينات الجماعة المختلفة محدثا نوعا من التناسق الذى ينشأ عن التقليد والمحاكاة.

وعلى هذا فإن العادات متغير آخر يؤثر فى علاقة الفرد بالجماعة من حيث مدى تقبل الفرد فى إطار الجماعة.

فعلى سبيل المثال تناول نوع معين من أنواع الأطعمة أو المشروبات مثل الشاى أو القهوة فى مناسبات معينة يعتبر عادة اجتماعية تميز بعض الجماعات عن البعض الآخر، وكذلك لأن يلبس الفرد نوعا خاصا من الملبس فى مناسبة معينة لهو عادة اجتماعية أخرى.

ومن المتوقع بطبيعة الحال أن يساير الفرد مثل هذه العادات حتى يدخل إلى إطار الجماعة.

ومما يجدر الإشارة إليه أن العادات عندما تقوى وتشتد نتيجة تكرار الممارسة وشدة الشيوع فإنها تتحول إلى تقاليد.

١٠ـ التقاليد:

التقاليد مجموعة من الأنماط السلوكية الجمعية الموروثة والتى تنتقل من جيل إلى جيل وبذلك فهى ذات أثر كبير فى نشاط الجماعة وتفاعل أفرادها وتعتبر متغيرا أساسيا من المتغيرات التى توجه علاقة الفرد بالجماعة.

والتقاليد ـ دون الحاجة إلى مناقشة وتوضيح ـ هى مصدر أساسى بجانب القيم من مصادر الإلزام والتشريع فى الجماعة فهى أساس للقاعدة والقانون والحكم على السلوك بالصحة والسواء أو الشذوذ والتجريم. وهى ـ أى التقاليد ـ تدخل بذلك دائرة عموميات الجماعة، وخاصة إذا كانت تؤازرها القيمة والدين والعقيدة، فتصبح بذلك

ذات قوة من نوع خاص تؤثر ليس فقط فى علاقة الفرد بالجماعة أو علاقة الجماعة بالفرد وإنما فى التشكيل العام للجماعة ونظامها وبنائها.

والعلاقة بين القيم والتقاليد علاقة تبادلية يقوّى كل منهما الآخر وذلك فى وجود الدين والعقيدة كأساس لكل منهما.

عــرض وتعلـيـق:

فى الفقرات السابقـة أشرنا فى غير تفصيل إلى المتغـيرات المحتملة والتى يمكن أن تؤثر فى علاقـة الفرد بالجـماعة وصنفت هذه المتـغيرات إلـى عشرة: حـيث كانت هى الدوافع والحاجات والأهداف وصـورة الذات ومفهوم الفرد مـن الآخرين وهذه تبدأ من حيث يقدم الفـرد على التعامل مع الجمـاعة، وكذلك كانت القيم والمعـايير والاتجاهات النفسية والعادات والتقاليد وهذه تبدأ من حيث تقدم الجماعة على التعامل مع الفرد.

والحقيـقة نحن لا نميل إلى الفصل بين الفـرد والجماعة إذ أن كـلاهما يتكامل مع الآخر فلا يمكن أن تكون هنـاك جماعة دون أفراد ولا يمكن أن يكون هناك فـرد فى غير إطار جماعة حتى لو كانت هذه الجماعة افتراضية.

وقد أوضحنا أهمية هذه المتغيرات العشرة فى التأثير على العلاقة المتبادلة بين الفرد والجماعة وهى أهمـية لا يمكن عدم الالتفات إليها بل يجب أن تؤخذ دائمـا فى الاعتبار عند دراسة الجماعات وسيكولوچية الأفراد أثناء التفاعل الاجتماعى.

يبقى الآن ما ادخرناه لهذه الفقرات وهى مناقـشة التفاعل الداخلى أو البينى لهذه المتغيرات العشرة فهى لا تعمل فى صيغة أحادية ـ أى أن كل متغير لا يعمل أبدا بمفرده ولكنها تعـمل فى صيغة جمـاعية حيث هناك هذا التـفاعل الداخلى بينها جمـيعا الذى يؤدى إلى تكوين ما يسمى بشبكة العلاقات الاجتماعية.

هذا التفـاعل يتضح على سبيل المثـال عندما تتفاعل الدوافع مع القـيم فى وجود المتغيـرات الأخرى، فعندما يريد الإنســان أن يشبع بعض دوافعه بطريقـة أو بأخرى فإنه يجد أمامه النظم والقواعد التى أرستها قيم المجتمع وتقاليده لتنظيم وتنسيق وتقنين إشباع هذه الدوافع.

ومن هنا يبدأ التفاعل بين هذه الدوافع وتلك القيم فإما أن تسير الدوافع فى المسار الذى حددته القيم، وبالتالى يصبح نشاط الفرد فى إطار الطاعة الاجتماعية التى فرضتها الجماعة أو أن ينحرف الفرد فى إشباع دوافعه، ومن ثم يعتبر من الخارجين على الجماعة

التى تقف منه مواقف الكف والمنع والعقاب إذا اقتضى الأمر. يتضح هذا التفاعل أيضا عندما تتفاعل صورة الذات مع اتجاهات الفرد نحو بعض عناصر البيئة، وخاصة اتجاهات التعصب والتحامل وبالذات العرقية منها حيث نجد أن صورة الذات تقوى وتعزز هذا النوع من الاتجاهات، كما نجد أن هذه الاتجاهات تعزز صورة الذات وتدعمها وتقوى من كيانها.

وهكذا نستطيع أن نحدد (٤٥) نوعا من أنواع هذا التفاعل البينى إذ أن عدد المتغيرات عشرة فيكون احتمالات التفاعل $\frac{١٠ \times ٩}{٢ \times ١} = ٤٥$

ويمكن أيضا أن نعرض نموذجا من هذا التفاعل عندما نستعرض نظرية سابقة قدمها المؤلف فى مرجع سابق وقد تحدثنا فى هذه النظرية عن السلوك المنظور وغير المنظور وقلنا أنه فى منطقة السلوك غير المنظور يغلب الدافع على أى متغير آخر يكون له علاقة بسلوك الإنسان[١]. وهنا نجد أن دوافع الفرد تكون لها الأولوية على بقية المتغيرات وإن كانت هذه البقية تدخل أيضا مجال نشاط الفرد فى المنطقة غير المنظورة.

نجد أيضا أنه فى منطقة السلوك المنظور تتبادل القيمة الأولوية مع الدافع فتأتى القيمة فى المقدمة وبالذات فى الجزء الأول من منطقة السلوك المنظور ويسمى هذا الجزء بمجال السعى أو البحث ثم يلى ذلك جزء آخر وهو مجال الهدف حيث تكون الأولوية والأهمية للاتجاه النفسى دون بقية المتغيرات.

وقد أقمنا هذه النظرية والتى نرى أنها تفسر سلوك الفرد فى يسر وسهولة بمجموعة من المسلمات نعرضها على النحو التالى:

(أ) المسلم الأول: «سلوك الإنسان ليس بسيط الخلفية»

ولتفسير هذا فإننا نقول أن كل نمط سلوكى يقوم به الفرد أنما له خلفية معقدة متعددة المكونات فليس هناك متغير واحد فقط مثل الدوافع أو القيم أو الاتجاهات أو غير ذلك هو الذى ينتج سلوك الفرد، ومعنى ذلك أنه ليس هناك دالة واحدة يمكن عن طريقها استنتاج سلوك الفرد أو التنبؤ به.

وعليه فإن جميع المتغيرات والتى سبق أن أشرنا إليها لابد وأن تشترك معا فى تكوين سلوك الفرد وإعطائه الصيغة المناسبة للموقف الذى يتفاعل مع عناصره ومكوناته.

---

(١) سعد عبد الرحمن السلوك الإنسانى تحليل وقياس المتغيرات ص ٦٠٢ ـ مكتبة الفلاح ط ٣ ١٩٨٣ .

(ب) المسلم الثانى: «المتغير المتعلق بسلوك الإنسان ليس أحادى الفعل أو الوظيفة»

وهذا المسلم يعتبر مكملا للمسلم السابق وموضحا له فقد قلنا سابقا أن سلوك الفرد ليس بسيط الخلفية وأن هذه الخلفية هى نتاج تفاعل جميع المتغيرات مع بعضها البعض، وهنا نقول أن كل متغير من هذه المتغيرات يشترك فى إنتاج أكثر من نمط من أنماط اللسوك.

فالاتجاهات على سبيل المثال تشترك مع مجموعة أخرى من المتغيرات لتعطى نمط الطاعة الاجتماعية من السلوك، والاتجاهات نفسها تشترك مع مجموعة ثانية من المتغيرات لتعطى نمط القيادة أو الزعامة فى نفس الجماعة. وهكذا.

(جـ) المسلم الثالث «سلوك الإنسان يبدأ بالدافع وينتهى بالغرض»

وهذا يقودنا إلى القول بأن سلوك الإنسان غرضى دائما، وأن سلوك الفرد فى لحظة ما من موقف ما يكون محصورا بين نقطتين هما الدافع والغرض أو الهدف، ولكن هاتين النقطتين لا تقعان على خط مستقيم أى لا تمثلان قطبين فى نهايتين كما ورد ذلك فى بعض التصورات الأولية لسلوك الإنسان ووصفه بأنه ثنائى القطبية، وإنما هاتان النقطتان أى الدافع والغرض يقعان على قوس أو جزء من محيط دائرة بحيث يكون كل دافع يسبقه غرض ويليه غرض وأن كل غرض يسبقه دافع ويليه دافع.

(د) المسلم الرابع «تتفاعل المتغيرات مع بعضها البعض بالتراكم والتركيب وليس بالإضافة البسيطة»

والقصد من هذا المسلم هو توضيح كيفية تفاعل المتغيرات العشرة الأساسية التى أشرنا إليها سابقا فإذا كان هناك دافع نشط وقيمة وتقاليد قائمة وصورة ذات محددة على سبيل المثال فإن السلوك الذى ينشأ عن تفاعل هذه المتغيرات الأربعة لا يكون ناتجا بمجرد الإضافة الكمية لنشاط الدافع والقيمة والتقاليد وصورة الذات.

وإنما ينتج من تفاعل تراكمى من هذه المتغيرات، وبالتالى فإن السلوك المتكون يكون له من الخصائص ما يختلف عن سلوك ينشأ عن نشاط الدافع بمفرده أو القيمة بمفردها أو التقاليد أو صورة الذات؟.

وبمعنى آخر حتى نوضح ما نقصده فإن التركيب الكيميائى للماء هو غاز الأكسجسن + غاز الأيدروجين وعند تفاعل كلا الغازين مع بعضهما البعض لا يكون التفاعل بالإضافة ولكن بالتركيب والتراكم حيث يكون الناتج هو الماء مختلفا تماما فى خصائصه ومميزاته عن كل من غاز الأكسجين بمفرده أو غاز الأيدروجين بمفرده.

فى ضوء هذه المسلمات الأربعة ووصفنا للمتغيرات العشرة ومناقشتنا لكيفية سلوك الإنسان ونوعيته فإننا نقترح هذه القوانين التالية كأسس تنبؤية ــ من وجهة نظرنا ــ لسلوك الفرد فى موقف ما.

١ ـ القانون الأول: قانون أولوية المتغير:

ينص هذا القانون على أنه «يتغير تركيب سلوك الفرد حسب أولوية ظهور المتغير المتعلق بهذا النمط من السلوك» ويمكن التعبير عن هذا القانون كما يلى:

أ ــ فى منطقة السلوك غير المنظور تكون العلاقة بين القيمة والدافع كمتغيرين يتعلقان بسلوك الفرد وتفاعله مع الجماعة علاقة تناسب عكسى:

أى أنه د × ق = مقدار ثابت ك.

حيث د هى كمية الدافعية (الدافع).

ق هى مدى تأثير القيمة على سلوك الفرد.

وبذلك كلما اشتدت الدافعية عند الفرد كان أثر القيمة على سلوكه قليلا أى تتناسب مع $\frac{١}{ق}$.

ب ــ أما فى منطقة السلوك المنظور تتدخل عوامل الضغوط الاجتماعية الخارجية الأخرى، وبالتالى فإن العلاقة وإن كانت علاقة تناسب عكسى بين الدافع والقيمة إلا أنها تأخذ شكلا آخر يعبر عنه فيما يلى:

د × ق = ك + س

حيث س هى أثر الضغوط الاجتماعية على سلوك الفرد، وعند إزالة أثر هذه الضغوط نحصل على العلاقة السابقة التى أشرنا إليها. أى:

(د × ق) - س = ك

جـ ــ فى الجزء الأخير من السلوك المنظور أى فى مجال الهدف يتعرض سلوك الفرد لنوعين من العوامل الأخرى هما الاتجاه النفسى الذى يحدد سلوك الفرد بصورة أقوى من تحديد القيمة والدافع لهذا السلوك والنوع الثانى هو الضغوط الخارجية التى تسببها بقية المتغيرات الأخرى.

ويمكن التعبير عن هذه العلاقة كما يلى:

$$\frac{د \times ق}{جـ} = ك \times س$$

حيث د هى كمية الدافعية أو نشاط الدافع.

ق هى مدى تأثير القيمة على سلوك الفرد.

جـ هى أثر الاتجاه النفسى على السلوك.

س هى أثر الضغوط الاجتماعية المختلفة.

ك مقدار ثابت.

ونحن نعلم بطبيعة الحال أن د(الدافعية) تناسب طرديا مع نشاط وأثر الاتجاه النفسى (جـ) أى أن $\frac{د}{جـ}$ = مقدار ثابت وبمعنى آخر أنه كلما زادت الدافعية عند الفرد زاد أثر الاتجاه النفسى على سلوك هذا الفرد.

ونحن نعلم أيضا أنه إذا ارتفع أثر القيمة على سلوك الفرد زاد كذلك أثر الاتجاه النفسى على سلوكه أى أن التناسب بين هذين المتغيرين تناسب طردى أى أن $\frac{ق}{جـ}$ = مقدار ثابت.

أما الدافع أو الدافعية (د) ونشاط القيمة (ق) فإن العلاقة بينهما غير ما سبق فهى ليست طردية ولكنها عكسية، وخاصة إذا كانت القيمة هى التى تحكم طريقة إشباع الدافع وعلى ذلك فإنه كلما زاد نشاط القيمة قل النشاط التلقائى للدافع أى أن د × ق = مقدار ثابت، وهذا ما يوضحه القانون السابق.

٢ ـ القانون الثانى هو قانون تنظيم المتغير:

وينص هذا القانون على أن الفرد يقوم فى كل مرحلة من مراحل سلوكه بتنظيم كمية المتغير المطلوبة بناء على مدى حساسيته للغرض أو الهدف الذى يسعى إليه.

ومعنى ذلك أن الفرد كلما اقترب من الهدف زادت قدرته على تنظيم كمية المتغير النشط أو الفعال فى كل منطقة من مناطق السلوك، فقدرة الفرد على سبيل المثال على تنظيم العلاقة بين متغيرات القيمة والاتجاه النفسى والدوافع والضغوط الاجتماعية فى منطقة الغرض أكثر بوضوح من قدرته على تنظيم العلاقة بين الدافع والقيمة فى منطقة أخرى من مناطق السلوك.

٣ ـ القانون الثالث هو قانون الجهد المتضاعف:

ينص هذا القانون على أنه كلما ابتعد الهدف أو الغرض من الفرد ولكن كان فى متسع إدراكه؛ تضاعف الجهد الذى يبذله الفرد بمعدل متزايد. ويمكن تفسير هذا القانون

عندما نفترض أن المسافة بين الفرد والهدف هى (ف) على سبيل المثال وأن الفرد يبذل الجهد (أ) للوصول إلى الهدف فإن المسافة إذا زادت بمقدار (س) فإن جهد الفرد يرتفع إلى أ ثم إلى أ ً وهكذا، بحيث تتسارع الزيادة فى جهد الفرد.

٤ ـ القانون الرابع هو قانون اتصال السلوك أو استمرارية السلوك:

وهذا يعنى أن وحدات السلوك الإنسانى متصلة ومتتابعة بين الدافع والغرض. وهذا يعنى أيضا أن هذا السلوك وحدة متكاملة وأن حلقاته متصلة متتابعة لتصل بين الدافع والغرض ومن هنا يمكن أن نشير إلى نقطتين:

أ ــ لأن ينشط الفرد ويتجه إلى الهدف لابد أن يتعدى سلوكه مستوى الدافعية ولذلك فإن أحلام اليقظة على سبيل المثال لا تصل بين الدافع والغرض وذلك لأنها سلوك دون مستوى الدافعية.

ب ــ أن سلوك الإنسان لا يتكرر لأنه حلقات متتابعة وهذا يمكن تفسيره إذا عرفنا أن الإنسان متغير بخصائصه وطبيعته من موقف إلى آخر وكذلك فإن كل موقف هو متغير أيضا فى بنائه وعناصره.

٥ ـ القانون الخامس هو قانون تعديل الهدف:

وينص هذا القانون على أن الفرد يعدل من وضع الهدف ومكانه بما يتناسب مع قدراته وإمكاناته، وهذا يعنى أن العكس احتمال وليس هو القاعدة أى أن يقوم الفرد بتعديل مستوى قدرته للوصول إلى هدف ما ليس هو القاعدة العامة لسلوك الفرد تجاه الهدف.

وهذا لا يتعارض مع القانون الثالث والخاص بالجهد المتضاعف، فإن بذل النشاط لا يعنى تعديلا فى مستوى القدرة وهى التى تعتبر من الخصائص المميزة والثابتة نسبيا فى بناء موقف التفاعل بين الفرد والهدف.

بعد هذا العرض يأتى دور الحديث عن شبكة العلاقات الاجتماعية وهى ما أشرنا إليه سابقا كنتيجة طبيعية لتفاعل المتغيرات العشرة التى ناقشنا أثرها على علاقة الفرد بالجماعة.

شبكة العلاقات هذه تمثل مجموعة الضغوط الاجتماعية التى يتعرض لها الفرد وتتعرض لها الجماعة أيضا فهى حصيلة تفاعل المكونات الرئيسية فى علاقة كل منهما بالآخر.

ولهذه الشبكة مجموعة من الوظائف الحيوية بالنسبة للفرد والجماعة تشير إليها فيما يلى:

١ ــ من أهم الوظائف التى تقوم بها شبكة العلاقات الاجتماعية هى حماية الجماعة من عوامل التعرية الاجتماعية والتحلل والمحافظة على استمراريتها وتأكيد شخصيتها المعنوية.

وربما كانت أهم عوامل التعرية الاجتماعية هى موجات الغزو الحضارى والثقافى التى تتعرض لها أى جماعة من حين لآخر مثل الأيدلوجيات المختلفة والاتجاهات الفكرية المتباينة بل حتى بعض عادات الحياة اليومية من لغة ولهجة ومأكل وملبس وغير ذلك مما يحتمل أن يغير موقف الفرد من علاقته بالجماعة التى ينتمى إليها.

وهنا يأتى دور شبكة العلاقات الاجتماعية فى المحافظة على الجماعة وحمايتها وذلك من خلال:

أ ــ أحداث ما يسمى بتكامل الجماعة Group Integration وهو عبارة عن رفع مقاومة الجماعة وممانعتها أمام العوامل الخارجية وذلك عن طريق إظهار وتجسيد مقومات الجماعة حاليا وخصائصها وإنجازاتها سابقا وتوقعاتها مستقبلا.

فعلى سبيل المثال عندما تتعرض جماعة ما لغزو حضارى أو ثقافى نجد أن وسائل التواصل فى هذه الجماعة تلعب الدور الأول والأساسى فى إحداث هذا التكامل بين الماضى بأمجاده وإنجازاته والحاضر بخصائصه وسماته والمستقبل بتوقعاته وذلك فى إطار المقومات الحضارية أو الثقافية الحالية، وهذا من أجل رفع درجة مقاومة الجماعة لهذا الغزو.

وهنا نريد أن نقول إن كل غزو حضارى أو ثقافى ليس بالضرورة ضارا أو مدمرا، بل قد يكون من عوامل تغير الجماعة إلى الأحسن والأفضل وربما كان المثل واضحا فى دخول الفكر الإسلامى إلى كثير من الأقطار والجماعات بعد ممانعة ومقاومة وأصبح هذا الفكر مقوما أساسيا من مقومات حضارة أكثر ازدهارا بالنسبة لهذه الجماعات أو المجتمعات بما تميز به من منهج ومحتوى.

ب ــ رفع معدل الروح المعنوية عند أفراد الجماعة وكذلك روح الفريق وتنظيم العمل الجماعى والتعاون من أجل مساعدة الجماعة فى الحفاظ على كيانها. ورفع الروح المعنوية يعنى بالضرورة إحداث الثقة فى الجماعة وقيادتها والاقتناع بأهدافها وإحساس الفرد بأهمية دوره فى نشاط الجماعة، وهذا ما تقوم به شبكة العلاقات الاجتماعية عن

طريق أدواتها المختلفة من وسائل إعلام ومؤسسات وتنظيمات اجتماعية متعددة مثل المدرسة والأسرة وما إلى ذلك.

جـ ـ رفع معدل مخرجات Out Puts التفاعل الاجتماعى بدرجة واضحة عن مدخلاته In Puts.

وهذا يعنى رفع مستوى فاعلية ونشاط القيم الاجتماعية والتقاليد وبقية مصادر الإلزام الأخرى.

فإن مدخلات التفاعل الاجتماعى هى مجموعة المثيرات فى حين أن مخرجات هذا التفاعل هو نشاط وفاعلية الإلزاميات. ولتوضيح ذلك فإن مطلق الإشاعة فى زمن السلم له عقوبة من نوع ما يحددها نشاط هذه القيم والتقاليد، وهذا يعنى أن المدخلات هى إطلاق الإشاعة والمخرجات هى نوعية العقوبة المناسبة.

أما فى زمن الحرب ـ وهذا فى معناه الواسع زمن غزو حضارى يهدد الجماعة ـ نجد أن العقوبة أشد وأعتى وهى العقوبة التى حددتها نفس القيم والتقاليد التى قامت بذلك فى زمن السلم. وهذا يعنى أن معدل المخرجات (نشاط القيم) ارتفع كثيرا عن معدل المدخلات (نشاط الإشاعة).

٢ ـ أما الوظيفة الثانية لشبكة العلاقات الاجتماعية فهى عملية تطوير الجماعة وذلك لضمان استمراريتها وتناسبها مع ما يستجد من أحداث خارجية. ويتم ذلك عن طريق إعادة النظر من حين لآخر فى مكونات وعناصر الجماعة وخاصة فيما يتصل بنشاط العادات والتقاليد والقيم والاتجاهات وغير ذلك: حيث تتمكن شبكة العلاقات الاجتماعية من ممارسة الضغط السكانى الذى يؤدى إلى إلغاء تقليد ما أو تطويره أو إحلال قيمة مكان قيمة أخرى أو تعديل اتجاه معين أو إزالة عادة من العادات أو غير ذلك مما تحدده شبكة العلاقات الاجتماعية ضروريا لاستمرارية الجماعة.

٣ ـ الوظيفة الثالثة لشبكة العلاقات الاجتماعية هى إعطاء الجماعة الشخصية المعنوية وتأكيد هذه الشخصية المعنوية وصياغتها صياغة متميزة، وهذه الوظيفة هى التى تجعل جماعة ما أو مجتمع ما يختلف عن مجتمع آخر مثل جماعات الحضر وجماعات الريف والبدو وجماعات المناطق الساحلية وهكذا.

٤ ـ الوظيفة الرابعة والأخيرة لشبكة العلاقات الاجتماعية هى عملية التجديد التلقائى لمكوناتها (أى مكونات الشبكة ذاتها) وهو تجديد ذاتى حتى تحافظ الشبكة على فاعليتها وقدرتها على بذل الضغط وممارسة الوظائف السابقة.

* * *

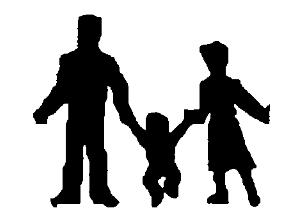
المراجع

1 -- Berelson, The behavioural Science, Harper, 1966.

2 -- Borgata, Hand book of Personaity, 1969.

3 -- Kats, Racial Strereotypes J. Abn. Psych 1983.

٤ ـ سعد عبد الرحمن. السلوك الإنسانى تحليل ومقياس المتغيرات ١٩٨٣ م.



الفصل الثالث

مفهوم الجماعة وأنواع الجماعات

أولا - مفهوم الجماعة فى علم النفس الاجتماعى.

ثانيا - أنواع الجماعات.

ثالثا - الخصائص النفسية لجماعة كبيرة - الجمهرة.

رابعا - الخصائص النفسية لجماعة كبيرة أو صغيرة - الجماعة المستمعة.

خامسا - الخصائص النفسية لجماعة صغيرة - جماعة المناقشة.

سادسا - الملخص.

كانت الجماعة الكبرى لا الصغرى هى أهم موضوعات علم النفس الاجتماعى فى نشأته الأولى. ومن أمثلة ذلك كتاب جوستاف ليبون Le Bon عن الجمهرة، وكتاب مكدوجل Mc Dougall عن العقل الجماعى كما سبق أن بينا ذلك بالتفصيل فى الفصل الأول من هذا الكتاب.

ثم تحول مجال البحث فى التطور المعاصر لعلم النفس الاجتماعى من الجماعات الكبرى إلى الجماعات الصغرى التى لا يكاد يزيد عدد أفرادها عن ثلاثين عضوا. يلتقون وجها لوجه، ويؤثر كل منهم فى الآخر ويتأثر به بطريقة مباشرة. ويتغير سلوكهم تبعا لمدى التفاعل الاجتماعى الذى يحدث بينهم. ويتصف هذا التغير بالدينامية التى أصبحت من أهم الظواهر التى تميز الجماعات الصغيرة إلى الحد الذى أدى إلى نشأة ميدان جديد من ميادين علم النفس الاجتماعى هو ميدان ديناميات الجماعة.

أولا - مفهوم الجماعة فى علم النفس الاجتماعى

الجماعة فى مفهومها المنطقى تصنيف لطائفة من الناس يشتركون معا فى صفة أو صفات متعددة. فهى بهذا المعنى فئة من فئات التصنيف. ومثال ذلك جماعة الأميين التى تقابلها جماعة المتعلمين، وجماعة المرضى التى تقابلها جماعة الأصحاء، وغير ذلك من التصنيفات المختلفة للأفراد.

والجماعة فى علم النفس الاجتماعى هى التى يتفاعل أفرادها مع بعضهم البعض فى مواقف محددة، وما ينشأ عن هذا التفاعل فى تلك المواقف من علاقات اجتماعية متبادلة. وقد يصبح هذا التفاعل مقصورا على فردين فتسمى الجماعة: جماعة ثنائية، وقد يمتد هذا التفاعل إلى ما يقرب من ثلاثين فردا فتسمى الجماعة: جماعة صغيرة، وقد يزيد عدد الجماعة عن ذلك الحد بكثير، فتقل بذلك حدة التفاعل ويصعب لقاء الأفراد وجها لوجه وتفاعلهم فردا مع كل فرد بطريقة مباشرة فتسمى الجماعة: جماعة كبيرة.

ويهتم علم النفس الاجتماعى المعاصر بالجماعة الصغيرة أكثر من اهتمامه بالجماعة الكبيرة.

والجماعة الصغيرة كما يعرفها سميث[1]. Smith وحدة تتكون من مجموعة قليلة من الأفراد الذين يتصفون بإدراك اجتماعى مشترك أو متشابه، وبأنهم يتخذون من البيئة المحيطة بهم موقفا موحدا.

(1) Smith, M. Social situation, social behavior, social group. Psych. Rev. 1945, 52, 244 -- 229.

ويؤكد فرويد[1] Freud فى تحديده لمفهوم الجماعة وحدة القيم والمعايير التى توجه سلوك كل فرد من أفراد الجماعة مع الآخرين ومع البيئة المحيطة به وبهم. وللقيم والمعايير التى تهيمن على سلوك أفراد الجماعة وظيفتان: الأولى أنها تصبح إطارا مرجعيا ينسب أفراد الجماعة سلوكهم إليه ويحدد توقعاتهم من سلوك زملائهم نحوهم. والثانية أنها تحدد مكانة الفرد فى الجماعة وذلك بمقدار ما يدافع عنها، ويتمسك بها، ويتخذها أسلوبا لحياته وموجها لسلوكه. وتختلف الجماعات عن بعضها البعض تبعا لمدى جمودها أو تحررها فى تمسكها بقيمها ومعاييرها. فمن الجماعات ما يتصف سلوك أفرادها بالتحرر واليسر. وتقبل الجماعة لهذا النوع من التحرر يساعد على استمرار بقائها لأنها لا تضيق الخناق على أعضائها ولا تلفظ أو تحرم من عضويتها من يتحرر إلى حد ما من قيود قيمها وتقاليدها. ومن الجماعات ما يتصف سلوك أفرادها بالجمود، وهى لذلك لا تقبل أى انحراف مهما كان صغيرا عن الحدود التى توجه بها سلوك أفرادها. ومثل هذا النوع من الجماعات لا يستمر طويلا بل سرعان ما يضيق حتى يصبح مقصورا على عدد قليل من الأفراد. وقد يتحول إلى جماعات سرية أو تنظيمات إرهابية.

ويمتد مفهوم الجماعة عند دويتش[2]. Deutsch حتى يشتمل على وحدة الهدف الذى تسعى الجماعة ـ كجماعة ـ لتحقيقه. ولوحدة الهدف أهميتها فيما ينشأ بين أفراد الجماعة من علاقات وتفاعل لأنها تصبح بذلك هادفة وليست مجرد علاقات أو مجرد تفاعل. وقد تكون وحدة الهدف كامنة عند كل فرد من أفراد الجماعة لكنها سرعان ما تسفر عن نفسها عندما يهدد الجماعة خطر ما أو عندما تتعرض الجماعة لأى مؤثر يتصل من قريب أو بعيد بوحدة كيانها. وبذلك يجب أن ننظر إلى الجماعة على أنها كيان دينامى وليست مجرد تجمع للأفراد.

وقد تكون للفروق الفردية القائمة بين أفراد الجماعة أهميتها فى تنوع نشاطها وتعدد مجالات سلوكها. وعلى الفرد الذى ينتمى لمثل تلك الجماعة أن يتقبل خصائص كل فرد آخر، ويقرها، ويحترمها. وبهذا تقوى الصلة القائمة بين الفرد وكل فرد آخر من أفراد الجماعة. فلا يسخر الأفراد بعضهم من بعض لأن الجماعة لا تعنى قط أن يصبح سلوك كل فرد صورة أخرى من سلوك الأفراد الآخرين، بل تعنى تشابهها فى

---

(1) Freud, S. Group Psychology and the Analysis of the Ego. London, Hogarth, 1922.

(2) Deutch, M. The effects of Cooperation and Competition upon group process. In Cartwright, D. and Zander. A. Group Dynamics. N. Y. Harper, 1960. 414 - 448.

بعض النواحي واختلافـا في نواحي أخرى، ولهذا الاختلاف أهميـته في تحديد دور كل فرد في الجمـاعة، أي أن يصبح لكل عضـو من أعضاء الجماعـة دوره في النشاط الذي تقوم به الجماعة[1].

ثانيا ـ أنواع الجماعات

يجتمع الناس لأمـور عدة. فقد يجتـمعون لمشاركة زمـيل لهم في أفراحه أو في أتراحه وأحـزانه. وقد يجـتمـعون لمشـاهدة حادث في الطريق العـام. وقد يجـتمـعون للمطالبه بحق أو رفع الظلم عن أنفسهم. وقد يجتمعون لغير هذا من الأسباب المختلفة.

وقد يقل عدد أفراد الجمـاعة فتصبح جماعة صغيرة أو يزداد عـدد أفرادها فتصبح جماعة كبيرة. وقد يجتمع الناس لأمـور موضوعية أو لأمور ذاتية تتصل بهم من قريب أو من بعيد. وقد يجتمعون في منظمات تـهيمن على جميع ضروب حياتهم، أو لأمور تتناول حياتهم من بعيـد. وقد تجمعهم لحظة عابرة ينفض بعدها شملـهم وقد تجمعهم صلات عميقة تؤثر فيهم مدى الحياة.

والحقائق النفسية التي تقوم عليها هذه التـقسيمات المختلفة تستند في جوهرها إلى أسس عدة، تحـاول كل منها أن تستوعب الأنواع المخـتلفة للتجـمع الإنساني في إطارها العلمي. ولكل من هذه الأسس نواحي قوتها ونواحي ضعفها.

وتتلخص أهم التقسيمات المختلفة للجماعات على النحو التالي:

(أ) حجم الجماعة:

تنقسم الجماعات بالنسبة لحجمهـا إلى صغيرة وكبيرة، والصغيرة هي التي لا يكاد يتجاوز عدد أفرادها ٣٠ فردا، والكبيرة هي التي يجاوز عدد أفرادها ذلك الحد.

والصغيرة إما أن تكون ثنائية أو ثلاثية أو أكبر من ذلك. وللصغيرة ديناميتها، كما أن للكبيرة أيضا ديناميتها

ومن أمثلة الجـماعة الصـغيرة الأسرة. ومن أمـثلة الجماعـات الكبيرة الجمـهرة. وسوف نبين فيـما بعد خصائص بعض الجـماعات الصغيـرة مثل الثنائية والثلاثيـة. كما سنبين بعد ذلك أمثلة أخرى للجماعة الصغيرة والجماعة الكبيرة.

(ب) الموضوعات والذاتية:

تنقسم الجماعـات بالنسبة لموضوعية وذاتية العـوامل المؤثرة في التجمع إلى أربعة أنواع:

---

(1) Sportt, W. J. H. Human Groups. Harmondsworth. Penguin, 1963.

١ ـ وحدة العوالم الموضوعية:

ومن أنواعها التفرقة القائمة بين الجماعات على أساس اختلاف البيئات الجغرافية. واختلاف لون البشرة، والفروق الواضحة فى العمر الزمنى، وفى مستويات الدخل.

ومن أمثلة التفرقة الجغرافية التمييز بين سكان الوجه البحرى وسكان الوجه القبلى بمصر. وبين سكان السواحل وسكان الوادى.

ومن أمثلة التفرقة القائمة على اختلاف لون البشـرة التمييز بين الشعوب البيضاء، والشعوب الصفراء، والشعوب السوداء.

لكن الوحدة الموضوعية لا تعنى وحدة سيكولوچية. ونعنى بالوحدة السيكولوچية الشعور بالتآلف الجماعى الذى ينطـوى على تشابه الآراء، والتفكير، والاتجاهات. وقوام هذا التشابه التفاعل الاجتماعى الذى ينشأ بين أفراد الجماعة كنتيجة للتجمع نفسه.

٢ ـ وحدة المعايير الاجتماعية والاتجاهات:

ومن أمثلتها التفـرقة الاجتماعية القائمة بين أفراد حـزب سياسى ما وأفراد حزب سياسى آخر. وغالبا ما تنشىء هذه الأحزاب جماعات مختلفة لكل جماعة منها وجهتها الخاصة التى تتـفق مع أهداف الحزب الذى تنتمى إليه ومعـايير الاجتماعـية واتجاهاته، والتى تتعارض مع اتجاهات الأخرى وتختلف عنهـا تبعا لتباين غايات وأهداف الأحزاب المختلفة.

٣ ـ تشابه السلوك ووحدة العمل:

ومن أمثلة ذلك عـمال المصنع الواحد الذين تجـمعهم روابط خـاصة تؤلف بينهم وتنشىء من هذا التآلف جماعات لها مميزاتها السيكولوچية.

٤ ـ الشعور المشترك بالتبعية:

ومن أمثلة ذلك شعور الطالب بتبعيته لكليـته حتى إذا تخرج فيها وانفصل عنها، لا يفتـأ يحس بنوع من التبعـية غير المرئيـة تربطه بها وبباقى الخـريجين مهمـا اختلفت أجيالهم. وينطوى شعـور التبعية على إدراك الفرد للتشابه القـائم بينه وبين الجماعة التى ينتمى لها.

وقد ينتمى الأفـراد إلى جماعة ما، ويهـيمن عليهم إطار جمـاعة أخرى. وهكذا نفرق هنا بين نوعين من أنواع الجماعات التى يظن الناس أن الفرد ينتمى إليها، والجماعة التى يظن الفرد نفسه أنه ينتمى إليها.

(جـ) الجزئية والكلية:

تنقسم الجماعات بالنسبة للسلوك الاجتماعى للفرد إلى نوعين:

١ - الجزئية:

تتمثل الجزئية فى الجماعة التى تهيمن على جزء محدود من النشاط الاجتماعى للفرد. فانتساب الفرد إلى أندية عدة واشتراكه فى نشاط جماعات مختلفة فى جوهره انتساب واشتراك جزئى.

ومشاركة الفرد الجزئية فى نشاط الجماعة التى ينتسب لها تختلف باختلاف مدى هذا النشاط. فقد يهب الفرد جماعة ما، ما يساوى ٩٠٪ من مجموع نشاطه الاجتماعى، وقد يهبها ما يساوى ١٠٪ فقط.

وقد يمضى الفرد أغلب وقته مع أفراد جماعة ما، بينما ذاته تحلق به فى جو جماعة أخرى.

٢ - الكلية:

تتمثل الكلية فى سيطرة إحدى الجماعات سيطرة مطلقة على جميع نواحى الفرد حتى تفنى فيها شخصيته وتصبح الجماعة بمثلها وبمبادئها وبدستورها هى كل ما يحيا له الفرد ويجاهد فى سبيله.

ومن أمثلة هذا النوع جماعة الفدائيين، والتنظيمات أو الجماعات السرية.

(د) التقييد والحرية:

تستلزم بعض أنواع الجماعات خضوع الفرد لاتجاهات ثابتة، ومسالك محددة ومعايير مقننة. ولعل أوضح مثل لهذا النوع من الجماعات جماعة الجنود فى خضوعهم للنظام العسكرى وفى احترامهم لتقاليده. ومن أمثلتها أيضا الخضوع المطلق للطقوس الدينية التى تهيمن على جماعة ما، والمغالاة والتعصب لحزب سياسى معين.

والبعض الآخر من الجماعات يحرر الفرد من أغلب تلك القيود مثل جماعة المناقشة، وقد لا تنجح المناقشة أو التفكير الجماعى دون هذا التحرر.

وقد تطور هذا التقسيم على يد علماء النفس الاجتماعى حتى أعدوا مقياسا لتقدير مدى الجمود والتحرر فى اتجاهات الأفراد.

(هـ) الثبات:

تنقسم الجماعات بالنسبة لثباتها إلى ثلاثة أنواع: جماعة ثابته كالأسرة، وجماعة غير ثابتة كالجمهرة، وجماعة ثابتة نوعا ما كجماعة النادى أو الطائفة.

وتختلف الجماعات أيضا فى درجة ثبات أثرها وفى درجة تجانسها.

وأثر الجماعة الثابتة قوى عميق يهيمن على سلوك الفرد طول حياته أو يكاد. فأثر الأسرة يظل فى تفاعل دائم مع الفرد فى ضروب ومسالك حياته اليومية. وللأسرة أثران بارزان فى حياة الفرد هما: الوراثة والبيئة. حيث تساعد البيئة على اكتساب الصفات الاجتماعية.

أما الجماعة غير الثابتة فإنها غالبا ما تنشأ لسبب عارض كاجتماع الناس فى الطريق العام لمشاهدة حادث ما. وسرعان ما ينفض شمل الجماعة ويمضى كل فرد إلى وجهته التى كان يسعى إليها من قبل. فالجمهرة إذن جماعة يؤلف بين أفرادها شعور واحد كما أسلفنا. لكنه شعور سطحى مؤقت يتولد بسرعة ويزول بنفس السرعة التى بزغ بها. وليس لهذا النوع من الجماعات وحدة اجتماعية قوية تربطها، فأهدافها قريبة وعواطفها سطحية وذكرياتها معدومة.

والجماعة الثابتة نوعا ما مثل جماعة النادى وهى أقوى أثرا وأكثر تماسكا وتجانسا من الجمهرة. ومن أمثلتها نقابات المهن المختلفة مثل نقابة المهندسين والتجاريين والمعلمين، وخريجى معهد أو كلية واحدة وأعضاء الأحزاب السياسية. ويتميز هذا النوع بذكريات مشتركة، وعواطف متبادلة، وأهداف بعيدة وعلاقات داخلية تربط الأعضاء بعضهم ببعض، وقوانين ودساتير خاصة تعمل على تنظيم وتآلف أفراد هذه الجماعة.

(و) الداخلية والخارجية:

الجماعة التى ينتمى إليها الفرد تسمى بالجماعة الداخلية. والجماعة التى لا ينتمى إليها هى جماعة خارجية بالنسبة له. وبين الجماعتين فوارق وحدود قائمة. وتختلف هذه الفوارق قوة أو ضعفا، وضوحا أو غموضا باختلاف آراء واتجاهات الجماعتين. فإذا اتفقت الآراء والاتجاهات اختفت الفوارق والحدود أو كادت. وإذا تضاربت الاتجاهات اشتد التنازع بين الجماعتين واتضحت الفوارق وأسفر الموقف عن تعصب يشتد ويقوى كلما اشتد التباين والتمايز.

ولذا فأفراد الجماعة الداخلية يرتبطون معا بعلاقات عاطفية واتجاهات خاصة. آراؤهم مشتركة أو متقاربة، ومعاييرهم الاجتماعية متحدة أو متشابهة. يثورون معا لأى اعتداء يصيب أحد أفراد الجماعة. ويفخرون معا بأى نجاح يلقاه أحدهم. وأول جماعة داخلية ينتمى لها الفرد هى أسرته.

وغالبا ما تشعر مثل هذه الجماعة نحو الجماعة الخارجية بالخوف بل وبالبغض والاشمئزاز أحيانا.

وقديما قسم العبرانيون الناس إلى نوعين: شعب الله المختار، والشعوب الأخرى. وقسم اليونانيون شعوب العالم إلى نوعين، على أساس وحدة اللغة، فمن كانت لغته اليونانية فهو إنسان مهذب فاضل، والبقية الباقية التى تجهل اليونانية برابرة.

ولا يعنى هذا أن لكل جماعة داخلية، جماعة خارجية تقابلها. فهناك من الجماعات أنواع لا تثير فى الفرد نفورا أو ميلا. وتلك ما نسميها بالجماعات المحايدة.

(ز) الأولية والثانوية:

تقسم الجماعات بالنسبة لأسبقية ظهورها فى حياة الفرد إلى أولية وثانوية. وتسبق الجماعة الأولية جماعة أخرى تسمى الجماعة الوثقى. وتسبق الجماعة الثانوية الجماعة الوسطى، وسميت بالوسطى لأنها تقع بين الجماعة الأولية والجماعة الثانوية.

وبذلك تتطور الجماعات خلال مراحل حياة الفرد من الوثقى، إلى الأولية، إلى الوسطى، إلى الثانوية. وسنبين فيما يلى أهم خصائص كل نوع من هذه الأنواع الأربعة.

١ ـ الجماعة الوثقى:

علاقات هذا النوع من الجماعات أقوى وأوثق عرى من علاقات أى نوع من الأنواع الأخرى. ومن أمثلتها الجماعة التى تكون من الأم وطفلها. وعلاقة الزوج بزوجه، وعلاقة المحاربين فى جبهة القتال وهم بين الحياة والموت.

وتتلخص أهم خصائص الجماعة الوثقى فيما يلى:

ـ نوع الاتصال الاجتماعى: وجها لوجه، مباشر، وبالأخص لحاستى اللمس والشم.

ـ درجة الاتصال الاجتماعى: مستمر حينا وكثير التكرار أحيانا أخرى.

ـ الحدة الانفعالية للاتصال: حدة الانفعال عميقة تؤثر فى الفرد طول حياته.

ـ مدى الارتباط ومدى الاستقلال: ارتباط كلى أو شبه كلى.

٢ ـ الجماعة الأولية:

الجماعة الأولية هى اللبنة الأساسية فى صرح المجتمع. وهى عريقة فى القدم تمتد جذورها إلى نشأة الحياة الإنسانية وتعاصر نشأة الإنسان الأول وهى أساسية جوهرية فى تكوين الفرد لأنها تشبع حاجاته الرئيسية، وهى عامة بين أفراد النوع الإنسانى كافة فى مختلف بقاع الأرض، وخلال الأجيال المتعاقبة.

ومن أمثلة الجماعة الأولية الأسرة ورفقاء اللعب والجيران.

وتتميز مثل هذه الجماعات بتكوينها التلقائى فى بيئة يسكنها أناس يجمعهم تجانس قريب فى صلة الدم حينا وفى الثقافة أحيانا وفيهما معا أحيانا أخرى.

وفى تلك الجماعات تبرز شخصية الفرد وتتشكل إلى حد كبير. وفى نطاقها الضيق يتلقى الفرد مؤثراته الاجتماعية الأولى ويتلقى لأول مرة مؤثرات الثقافة، وتتشرب نفسه المعايير الاجتماعية والخلقية، والاتجاهات النفسية الهامة.

وتتميز المؤثرات والعلاقات الاجتماعية بأنها مباشرة قريبة، ومستواها أولى جوهرى، يقوم على لقاء الأفراد بعضهم مع بعض، ووجها لوجه، وصوتا لصوت، فى أحاديثهم المتبادلة. ميولهم مشتركة، وأذواقهم قريبة، وصلاتهم قوية عميقة.

ودراسة أثر الجماعة الأولى فى السلوك الاجتماعى تؤدى بنا إلى فهم سلوك الفرد فى الجماعات الكبيرة المعقدة المتشابكة التى يسلك أفرادها سلوكا يسفر عن ألوان مختلفة متباينة من ثقافات عدة. وتتكون الأسس الأولى لمثل هذا السلوك فى الجماعات الأولية وتسرى منها إلى الجماعات الثانوية. ويفسر نوع استجابة الطفل لسلطة أبيه وأمه الأسس النفسية لاستجابة الإنسان للقانون.

وتتلخص أهم خصائص الجماعة الأولية فيما يلى:

ـ نوع الاتصال الاجتماعى: وجها لوجه، اتصال مباشر للسمع والبصر والشم.

ـ درجة الاتصال الاجتماعى: اتصال كثير التكرار فى مراحل الطفولة ثم تقل مرات التكرارفى المراحل التالية.

ـ الحدة الانفعالية للاتصال: اتصال يترك فى نفوس الأفراد طابعا خاصا وذكريات تبقى مدى الحياة.

ـ مدى الارتباط ومدى الاستقلال: أفكار مشتركة، طموح متقارب، استقلال عاطفى نوعا ما.

٣ـ الجماعة الوسطى:

تقوم هذه الجماعات على علاقات تقرب فى جوهرها من العلاقات المباشرة الشخصية، وتتميز أحيانا باتجاهات متشابهة أو مختلفة نوعا ما، كجماعة أحد الفصول فى مدرسة ما، أو كالجماعة التى تتكون من سكان أحد الأحياء فى قرية، أو زملاء العمل الذين يشتركون معا فى حجرة تعد مكان تجمعهم وعملهم.

وتتلخص أهم خصائص الجماعة الوسطى فيما يلى:

ـ نوع الاتصال الاجتماعى: وجها لوجه، اتصال مباشر للسمع والبصر.

ـ درجة الاتصال الاجتماعى: تتشابه الأهداف أحيانا وقد تختلف أحيانا أخرى إلى حد ما.

ـ الحدة الانفعالية للاتصال: اتصال سطحى، وعلاقات شكلية أو قريبة من الشكلية.

ـ مدى الارتباط ومدى الاستقلال: رغبات وميول تكاد تكون مشتركة. تأكيد الناحية الفردية فى السعى لتحقيق نواحى الطموح المختلفة. استقلال عاطفى نوعا ما.

٤ ـ الجماعة الثانوية:

يتميز تكوين الجماعات الثانوية عن الجماعات الأولية بالقصد والاختيار. وتمثل هذه الجماعات الرغبات والحاجات العامة للأفراد. ولا تعتمد دائما على العلاقات الاجتماعية المباشرة بين الأفراد التى تقوم على مقابلة أفرادها بعضهم مع البعض الآخر ووجها لوجه بين الحين والآخر، بل تعتمد على وسائل الاتصال غير المباشر كالصحف والتليفون وغيرها.

ومثال ذلك الهيئات العلمية، فقد ينتسب الفرد إلى جمعية علمية ويصبح عضوا فيها دون أن يقابل جميع أعضائها. وقس على ذلك الأحزاب السياسية والنقابات المهنية.

وبالرغم من أن هذه الجماعات تمثل رغبات عامة إلا أنها تتطلب من أفراد الجماعة تنظيما وتنسيقا يفوق ما تتطلبه الجماعات الأولية.

وتواجه الحضارة الراهنة طغيان الجماعات الثانوية على الجماعات الأولية. لكن ليس معنى هذا زوال أثر الجماعة الأولية من حياة الفرد الاجتماعية. فكل ما يكتسبه الفرد من عادات واتجاهات فى جماعته الأولية ينتقل إلى نواحى نشاطه المختلفة فى الجماعات الثانوية.

وتتلخص أهم خصائص الجماعة الثانوية فيما يلى:

ـ نوع الاتصال الاجتماعى: غالبا ما يكون الاتصال غير شخصى وغير مباشر. وقوام هذا النوع من الجماعات الاتصال الآلى الميكانيكى. ومن أمثلة الصحف والدوريات العلمية والتليفون والتلغراف والراديو.

ـ درجة تكرار الاتصال الاجتماعى: اتصال نادر بالنسبة للزمان والمكان.

ـ الحدة الانفعالية للاتصال: شكلية.

ـ مدى الارتباط ومدى الاستقلال: آراء لفظية مشتركة. تحفظ تام بالنسبة للأهداف وضروب الطموح المختلفة. استقلال عاطفى اللهم إلا فى الأزمات التى تمس جميع أفراد الجماعة.

(ح) تعدد الجماعات التى ينتمى لها الفرد:

اختلاف تقسيم الجماعات من حيث الموضوعية والذاتية، والجزئية والكلية، والتقييد والحرية، والثبات، والداخلية والخارجية، والأولية والثانوية لا يعنى أبدا تقسيما حادا جامدا، وذلك لأن تلك الأنواع متداخلة. فالعلم يصنف دائما ليدرس وليحلل. وتظل التقسيمات بعد ذلك كله تختلط من نوع إلى نوع، لكنها فى اختلاطها هذا تتجمع وتتركز فى جماعات أخرى.

فعلاقات الفرد الاجتماعية بالأفراد الآخرين تختلف من حيث النوع، والمدى، والحدة. وتلك الصفات مجتمعة تسمى علميا المشاركة الاجتماعية [1]. لأن هذه المشاركة تحتل مستويات مختلفة فى نشاط الأفراد وتمهد بذلك لإقامة ما يقرب من المقاييس المعيارية للعلاقات الاجتماعية.

فالأسرة مثلا تهيمن على الفرد فى بدء حياته، ثم يتسع الأفق الاجتماعى للطفل، فى حدود الجماعة الأولية، فيشارك رفقاءه فى ألعابهم، ويصادق جيرانه، ثم تنمو دائرة نشاطه الاجتماعى فتشمل بعض الجماعات الثانوية كالمدرسة، وتخف بذلك حدة اتصاله المباشر بالمنزل والجماعات الأولية الأخرى. وقد يجد نفسه فى شبابه يشترك فى حشد ضخم من جماعات عدة.

وبما أن هذه العلاقات تختلف من حيث النوع، والمدى، والحدة، كما أسلفنا، فلا يضير الفرد أن يعيش فى إطارها جميعا، كل وفق مستواه ونوعه. فقد تكون علاقات الفرد العائلية علاقات مودة وعطف وحب، بينما علاقاته فى عمله تقوم على الكفاح الشديد أو على أى لون من ألوان قانون الغابة فتتسم بالأنانية والقسوة.

ثالثا ـ الخصائص النفسية لجماعة كبيرة ـ الجمهرة:

تتكون الجمهرة من حشد كبير نسبيا من الناس.

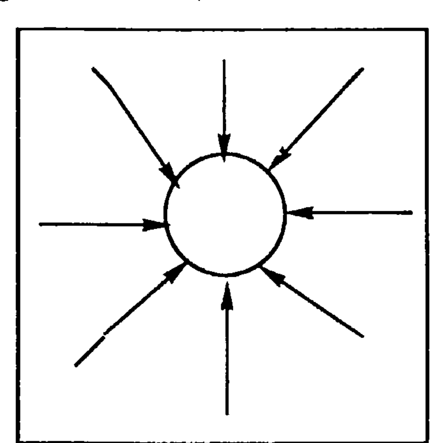
وهى تستجيب انفعاليا لمثير مشترك. والاستجابة الانفعالية الحادة هى من أهم الخصائص التى تميز الجمهرة عن بقية الأنواع الأخرى للجماعات.

(1) Social Participation المشاركة الاجتماعية

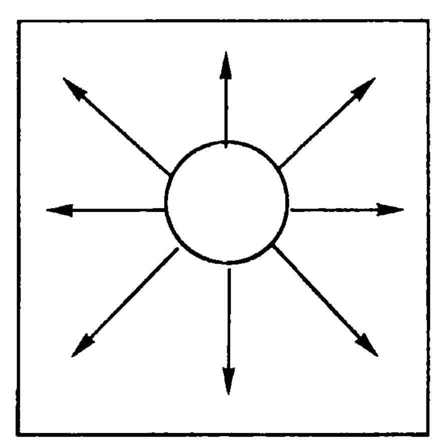
وتختلف الاستجابات الانفعالية المختلفة. فـالجمهرة الثائرة تختلف فى استجاباتها عن الجمهرة التى تجمعت فوق سطح باخرة توشك أن تغرق.

والجمـهرة جمـاعة بسيـطة فى تجمعـها، لا هى بالمتمـاسكة ولا هى بالمستـقرة، وأهدافها قريبة، وذكـرياتها كوحدة اجتماعيـة معدومة أو ضعيفة، إذ سـرعان ما يتجمع أفرادها وسرعان ما ينفض شملهم.

والجمهرة فى تجمعهـا تتجه نحو بؤرة واحدة يتركز فيها هدفها ومـثار انتباهها كما يبدو ذلك فى الشـكل التالى حيث تدل الدائرة على الـبؤرة، وترمز الخطوط إلى مـسار الأفراد، وتشير الأسهم إلى اتجاه التجمع.



الجمهرة فى تجمعها نحو بؤرة اهتمامها



الجمهرة فى انحلالها وتشتتها

والجمهرة فى فزعها تتجه بعيدا عن البؤرة التى يتـركز فيها انتباهها فيتدافع أفرادها بالمناكب والأكتاف، وقد يشتد الزحام فيـهلك من يهلك أو يعدو من يعدو خوفا وفزعا، كما يبدو ذلك فى الشكل الآخر.

(أ) الخصائص النفسية للجمهرة:

تتلخص أهم الخصائص النفسية للجمهرة فيما يلى:

١ ـ الوباء العقلى:

فى حياة كل أمة موجات تشبه الجنون، يندفع فيها الناس كافة فيتجمهرون فى كل مكان، ويثورون في كل بقـعة طوائف وجمـاعات، رجالا ونسـاء وأطفالا. صيحـتهم عامة، وعاطفـتهم حادة مشتركة. يهـدفون جميعا إلى شىء واحـد لا يبغون عنه حولا حتى حين. ذلك هو ما نسـميه مجازا «الوباء العقلـى». ومن أمثلته مظاهرات ٢٦ يناير

سنة ١٩٥٢ التى أسفرت عن حرق القاهرة. ومن أمثلته فى العالم جنون البحث عن الذهب فى ولاية كاليفورنيا بأمريكا سنة ١٨٤٨. وجنون البحث عن الماس جنوب أفريقيا سنة ١٨٨٤.

وأساس تلك الظاهرة النفسية، الرغبة العامة فى التنفيس من توتر اجتماعى حاد.

والوباء العقلى غاية المرتقى فى تضخم الجمهرة وانتشارها كالعدوى عبر المكان والزمان.

٢ ـ تشابه الاستجابات:

المتجمهرون فى مظاهرة ما يسلكون سلوكا متشابها. فهم يصيحون معا هاتفين بحياة زعيم ما أو بسقوطه. يرددون معا عبارات قصيرة قوية عاطفية حماسية.

وقد يبدو أحيانا على سلوك أفراد الجمهرة نوع من الاختلاف والتباين حينما يصبح بعضهم فى ثورة، وحينما يقذف البعض الآخر بالحجارة على المنشآت العامة أو التجارية، وحينما يهز كل فرد فى فريق آخر يديه فى وعيد وتهديد. لكنهم جميعا بسلوكهم هذا يهاجمون فى غضب وثورة، فاستجاباتهم متشابهة مشتركة رغم اختلافها الظاهرى.

٣ ـ وحدة الدافع والمثير:

يصدر تشابه الاستجابات عن دافع واحد مشترك. فالجمهرة كلها تهدف فى نفس الوقت إلى غرض واحد. وقد يكون الغرض واضحا محددا، وقد يكون عاما غامضا. ويتحول غموض الهدف إلى وضوح عندما ينهض من بين المتجمهرين زعيم يحدد هدف التجمهر وينظم الصفوف لهجوم واحد مباشر. ومهما يكن من أمر الهدف فالدافع الذى يكمن وراء التجمهر يميل دائما إلى الشدة والعنف، ويضفى بذلك على الهدف حيوية وقوة.

والجمهرة التى تفوز بتحقيق هدفها المباشر تحس بأنها نجحت فى القيام بمهمة جد خطيرة، ومثال ذلك جمهرة الطلبة حينما تندفع ثائرة، مخربة محطمة كل ما يقابلها فى طريقها وهى مندفعة لتترك المدرسة إلى الطريق العام وعندما تجتاز عقباتها وتتخطى الأسوار تحس بنشوة الانتصار وتمضى فى سيرها لتستهوى طلبة المدارس الأخرى فى الانضمام معها موحية إليهم بنفس الذى أثارها هى أولا.

٤ ـ العاطفة الجارفة:

الواقع القوى الحاد يتصل من قريب ومن بعيد بعاطفة جارفة هوجاء تهيمن على أفراد الجمهرة كافة. وبذلك فكل سلوك يصدر عن الجمهرة يصطبغ بشحنة انفعالية قوية تسفر عن نفسها فى ثورة الأفراد واضطرابهم.

وهو متصل فى هذا كله بطبيعة الظروف المحيطة بالموقف. وكلنا يذكر حماس الناس عندما يشاهدون مباريات كرة القدم وصياحهم كلما انتصر فريق على فريق آخر. وتصفيقهم فى دوى قاصف عندما ينتصر الفريق الذى يناصرونه، وغضبهم وسلوكهم العدائى عندما ينهزم الفريق الذى يشايعونه.

٥ ـ مستوى الذكاء:

يدل سلوك الأفراد فى الجمهرة على مستوى منخفض من الذكاء. وقد يعزى ذلك إلى ضرورة هبوط ذكاء الجمهرة كلها إلى مستوى أغبى فرد فيها حتى يفهم عنها سلوكها ويندمج فى زمرتها فتتحرك الجموع المتراصة كوحدة. لكن هذا التفسير أصبح الآن مرفوضا من عدد كبير من العلماء لأن اندفاع الجمهرة فى سلوكها العدوانى لا يعنى بالضرورة أن كل فرد من أفرادها يفهم دوافع هذا السلوك، وإنما هو يتحرك كما تتحرك الحشود من حوله، يصيح عندما تصيح ويقذف بالأحجار عندما تقذف، بل ويهرب أيضا عندما تهرب.

والرأى الأكثر صوابا والذى يشايعه عدد كبير من العلماء هو أن مستوى الذكاء يرجع إلى ما يطرأ على الجمهرة من عود إلى بدء للمستويات الحيوانية الأولى فى سلوكها الهمجى. لكن هذا الرأى تعوزه الصبغة العلمية فى إقامة دعواه، وتوطيد أدلته.

وأقرب الآراء مطابقة لخصائص السلوك الجماعى هو أن التوتر الشديد يساعد على ثورة الجماهير ويؤدى إلى انفعال حاد وعاطفة جارفة وتزيد من قوة الجمهرة الغضبى لتحقق بذلك هدفها. وحدة هذا الانفعال تكاد تشل القوى الإدراكية العليا فتسلك الجمهرة سلوكا غبيا يشبه صياح الأطفال وغضب الصبية. ويؤيد هذا الرأى ما نلاحظه على أنفسنا حينما يشتط بنا الغضب ويعصف بنا الغيظ. فتبدو منا ألفاظ وأفعال هوجاء، هى أقرب ما تكون إلى سلوك الحمقى.

٦ ـ قرارات الجمهرة نهائية لا رجعة فيها:

تتخذ الجمهرة قراراتها على ما يعترضها فى سرعة واندفاع. وسلوك كهذا يغلب عليه الطيش. ومصدر تلك القرارات الهوجاء انعدام روح النقد النزيه بين أفراد الجمهرة لانحطاط الذكاء ولطغيان العاطفة وسيطرتها على أساليب المتجمهرين. وعلى الفرد أن يقبل ما تفعله الجمهرة وتقره، لا على أنه أحد الاحتمالات الممكنة لتحقيق الهدف، بل على أنه الاحتمال الوحيد الصحيح.

وآية هذا كله زيادة تماسك الجماعة لأن النقد يؤدى إلى الانقسامات الداخلية، ومعارضة فريق آخر. وهذا يتنافى مع قوة الجمهرة فى سيطرتها المطلقة على أفرادها لأنهم يسلكون طريقهم وكأنهم دمى تحركها يد غير منظورة.

٧ـ القابلية للاستهواء:

الأفراد فى الجمهرة يتأثرون بالاستهواء فى سهولة ويسر لضعف روح النقد ولانحطاط مستوى الذكاء. فكل رغبة طارئة، وكل فكرة عابرة، تستهوى الجمهرة مادامت تلك الرغبات والأفكار لا تتعارض وملابسات الموقف العام الذى يشتمل على المتجمهرين عامة. وكل من تزعم أو يتزعم أى جمهرة، ويدرك أهمية الاستهواء فى التأثير على الحشد الضخم من الناس، يدرك تماما متى وأين وكيف يوحى إلى أفراد الجمهرة بالأفكار التى تصلح لإثارتهم واندفاعهم فى حماس وقوة.

ومن الأمثلة المعروفة للاستهواء ما كان يحدث فى أسواق الريف المصرى، وما زال يحدث فى بعضها، حيث يقف أحد الباعة يلقى خطابا مثيرا حماسيا ليبيع بعض العقاقير التى يحملها فى حقيبته، فيوحى إلى الجمع الساذج بسحر عقاقيره، ويعلم الله أن عقاقيره لا فائدة فيها ولا جدوى. لكن قوله هو الذى سحر وأسلوبه هو الذى فتن، فاستهوى الجمع وأوحى لهم بما أوحى.

٨ـ ضعف الشعور بالمسئولية:

سلوك الجمهرة يتصف بالرعونة والطيش، وسلوك كل فرد فيها يتنافى أحيانا والمعايير الخلقية التى أقامها لنفسه. ولو كان الفرد بمعزل عن الجمهرة لراجعته نفسه فيما يفعل. ولأحجم بشدة عما يأتيه وهو منساق مع التيار العام للجمهرة. ومرجع ذلك كله ضعف شعور الفرد بمسئوليته. فهو عندما يخرب ويعيث فى الأرض فسادا لا يخشى لومة لائم، فهو فرد فى جمع حاشد من الناس، تخرب كما يخرب، وتعبث كما يعبث. فتحديد المسئولية الفردية أمر شاق وجد عسير. فهو عندما يسأل عما فعل، وعما يفعل. يلقى التبعة على غيره وهم جمع كثير. ويظن بذلك أنه ناج من العقاب. وهذا الظن وحده هو أقوى ما يضعف شعور الفرد بمسئوليته.

٩ـ الشعور بالعالمية:

التكتل البشرى الذى تتصف به الجمهرة يكسب كل فرد فيها شعورا بالقوة. وحينما يسمع الفرد الجمع كله يهتف كما يهتف ويصيح كما يصيح، يصبح التجاوب بينه وبين الأفراد الآخرين تجاوبا تاما. وعندما يرى الأفراد المحيطين به فى اندفاعهم، يمد البصر إلى ما لا يرى، فيذهب فى تعميمه مذهبا واحدا، فيرى الجماعة كلها وكأنها رجع قريب عام مشترك لما تفعله فئته القريبة منه.

وآية ذلك كله شعور الفرد بالعالمية، وبنشوة من القوة تغمره لإحساسه العميق بما يعنى هذا الحشد الضخم المحيط به من قوة

١٠ ـ الزعامة فى الجمهرة غير مستقرة:

تنشأ الجـمهرة تلقائيا دون زعـيم يقودها أو يوجهـها. ونشأتها رهن بموقف مـثير يؤلف بين الأفـراد، فتصـدر عنهم استـجابات مشـتركـة. وقد ينهض من بين صـفوف الجمهرة زعيم ينظم صفوفها ويوجه أفرادها وجهة واحدة.

لكن سمة الجمهرة عدم الاستـقرار. فهى رعناء متحولة لا تلبث على نحو واحد وسرعان ما ينهض زعيم آخر يضلها عن هداها ويسوقها إلى رداها.

وقد يختلط الأمر بينهما فيختفيـان فجأة بين الحشد الضخم ويبتلعهم التيار وتمسى الجمهرة كما بدأت دون زعيم.

(ب) قياس خصائص الجمهرة:

تواجه الدراسة التجريبية التى تستـهدف الكشف عن خصائص الجمهرة مشكلات عدة تتلخص أهمـها: فى عدم القـدرة على متابعـة رصد سلوك الأفراد فى الجمـهرة، ورصد مظاهر الجمهرة نفـسها، للسرعة الفائقة التى يتطور بهـا مجرى الأحداث ولكثرة عدد المتجمهرين كثرة تحول دون بحث سلوك كل فرد فيها ولصعوبة التنبؤ بالخطوة التالية لأى سلوك للجمهرة كتوطئة لدراسته وبحثه.

ولقد تغلب الباحثـون على بعض تلك الصعوبات باستخدام التسـجيل السينمائى لدراسة التغيرات التى تطرأ على سلوك الجمهرة، بيد أن طريقة كتلك لا تصلح لاكتشاف الدوافع التى تنزع بالأفراد إلى التجمهر. ولا تصلح أيضـا لمعرفة الحالات العقلية للأفراد قبل التجمهر.

ومن أهم الأبحـاث التى أجريت فى هذا الميـدان التجـربة التى أجـراها ميـير[1]. Meier ومننجا Mennenga وستولتز Stoltz سنة ١٩٤١. وتتلخص تلك التـجربة فى تهيـئة الجـو المناسب لتجـمهـر طائفة من الأفـراد ثم دراسة اسـتجاباتـهم المختلفـة بعد تجمهرهم.

وأعد الباحثون استبيانا لمعرفة اختيار كل فرد لإحدى الحالات التالية:

ــ إذا تجمهر الناس، فإنى أسارع بالانضمام إليهم / نعم لا.

ــ إذا تجمهر الناس، فـإنى أنضم إليهم لا عن رغبة صادقة فى التـجمهر ذاته بل لمساعدتهم ــ ١ نعم لا.

ــ إذا تجمهر الناس، فإنى لا أشترك معهم أبدا نعم لا.

---

(1) Meier N. C. Menanga, G. H. and Stoltz, H. J An experimental approcach to the study of mob behavior J. Ab. Soc. Psych. 1941, 506 - 524.

ـ إذا تجمهر الناس، فإنى أحاول إقناعهم بالحسنى حتى لا يأتوا بمنكر نعم لا.

ويلى هذا الاستبيان استبيان آخر لتحليل دوافع اختيار كل حالة من الحالات الأربع التى اشتمل عليها الاستبيان السابق. وعلى سبيل المثال إذا كانت إجابة الفرد على السؤال الأول بنعم فعليه أن يجيب على الأسئلة التحليلية التى تلى السؤال الأول وهى:

ـ أسارع بالانضمام لأن القانون لا ينال المتجمهرين بسوء ـ نعم / لا.

ـ أسارع بالانضمام لأن ذلك التجمهر يضع الحق فى نصابه ـ نعم / لا.

والأسئلة التحليلة التى تلى الإجابة بنعم على السؤال الثالث فى الاستبيان الأول هى:

ـ لا أشترك مع المتجمهرين لأن التجمهر خيانة للمجتمع ـ نعم / لا.

ـ لا أشترك مع المتجمهرين لأنى لا أميل إلى العنف والاغتصاب نعم / لا.

ـ لا أشترك مع المتجمهرين تجنبا للوقوع تحت طائلة القانون مذنبا أو شاهدا ـ نعم / لا.

ويلى التحليل السابق تهيئة الجو المناسب للتجمهر وذلك باستثارة الأفراد استثارة انفعالية حادة، وتوجيههم نحو هدف واحد يؤلف بينهم جميعا مثل الثورة ضد الاستيراد أو الاعتراض على تشريع جديد ليس فى صالح الجماعة التى تعلن رفضها بتجمهرها وهتافاتها المعادية.

وتتكون عينة التجربة التى قام بها مير وزملاؤه من ١٢٤ طالبا يبلغ متوسط أعمارهم ٢١ سنة وتمتد هذه الأعمار من ١٧ سنة إلى ٢٨ سنة، وهم يتألفون من ٧٩ طالبا، ٤٥ طالبة. وتتلخص نتائج هذه التجربة فيما يلى:

ـ أعلى نسبة للذين اشتركوا فى التجمهر هى نسبة الطلبة الجدد بالكلية، تليها نسبة الطلبة عامة، تليها نسبة الطالبات.

ـ دلت تقارير الطلبة عن مدى تأثرهم بالجماعة على أن ٨٥٪ منهم تأثروا بهتاف زملائهم وأن ٦٪ تأثروا بالخوف وأن ٣٪ تأثروا بالغضب. وأما الـ ٦٪ الباقية فلم تستطع تحديد نوع تأثرها.

ـ بلغت نسبة الذين يعتقدون أن كل فرد فى الجمهرة يشعر بنفس شعورهم ٨٤ ٪ وذلك ما نسميه الإسقاط الاجتماعى [1]، أى إسقاط شعورهم وإحساساتهم فى الجماعة كلها صدى لهم أو هم رجع لها، ولقد بلغت نسبة الذين يقررون أن شعورهم يشابه شعور الجماعة ٧٪ ونسبة الذين يميلون إلى الاعتقاد بأن بعض أفراد الجماعة يشعرون بشعورهم ٣ ٪.

الإسقاط الاجتماعى (1) Social Projection

ـ يدل سلوك الأفراد المتجمهرين على أنه تفاعل مع الموقف واستجابة مباشرة له.

ـ يتأثر الأفراد وهم فى الجمهرة بسابق اتجاهاتهم وعاداتهم ونماذج سلوكهم الشخصية.

رابعا ـ الخصائص النفسية لجماعة كبيرة أو صغيرة ـ للجماعة المستمعة:

الجماعة المستمعة زمرة من الناس تجمعت للأستماع أو للرؤية أو لهما معا. ولذا فتسمية تلك الزمرة بالجماعة المستمعة تنطوى على تجاوز للمعنى اللغوى الدقيق الذى نقصده. ولعل شفيعنا فى ذلك أن الأسس النفسية لتكوين وتنظيم تلك الزمرة بنوعيها واحدة. وتلك الجماعة أكثر تنظيما وأرقى شكلا وموضوعا وهدفا من الجمهرة. وهى تتفق والجمهرة فى خضوعها لمظاهر التأثير الجماعى. وقد تتحول الجماعة المستمعة إلى جماعة متجمهرة إذا واتتها العوامل الخاصة بهذا التحول. وهى لذلك محط أنظار الزعماء الطامحين فى إثارتهم للجموع الحاشدة إثر خطاب حماسى يلقونه على مستمعيهم.

وتهيمن على الجماعة المستمعة صفات ثقافية متشابهة. فالمستمعون فى الجامعة لمحاضرة تلقى عليهم، والمستمعون فى السرادق لخطاب سياسى والمستمعون فى الفصل لدرس ما، والمستمعون فى المسجد للوعظ، كل أولئك يشتركون معا فى صفات عامة تجمع بينهم كمستمعين لمحاضرة أو لخطاب أو لدرس أو لوعظ.

(أ) عملية الاستقطاب ومراحلها:

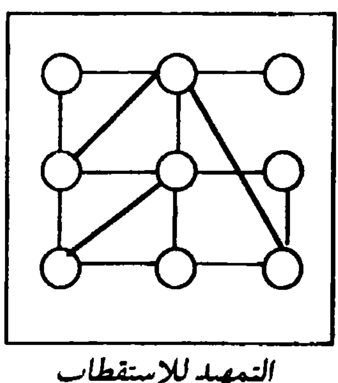
نعنى بالاستقطاب توجه الجماعة المستمعة نحو هدف واحد مشترك، وهذا الهدف قد يكون محاضرا فى الجامعة أو مدرسا فى المدرسة أو خطيبا فى محفل سياسى أو واعظا فى محراب عبادة أو ممثلا فى مسرح، أو غير ذلك من الاحتمالات الممكنة.

وتمر عملية الاستقطاب بمراحل ثلاث تبدأ بالتمهيد للاستقطاب وتتطور إلى الاستقطاب الجزئى، وتنتهى إلى الاستقطاب الكلى.

١ ـ مرحلة التمهيد للاستقطاب:

تبدأ مرحلة التمهيد للاستقطاب بتوافد المستمعين واحدا إثر آخر داخل مكان الاستماع أيا كان نوعه، كأن يكون قاعة للمحاضرات، أو سرداقا للتجمع السياسى، أو محرابا للعبادة، وهكذا. ويتوجه كل فرد بعد ذلك إلى مكانه المألوف إذا كانت الاجتماعات دورية، أو يبحث له عن مكان إذا كان الاجتماع موقوتا بأحداث ولم يتكرر من قبل ثم ينشأ بين الوافدين بعد ذلك حوار عابر، وقد يشغل بعضهم نفسه بتأمل مبنى قاعة المحاضرات، وقد يهتم البعض الآخر بمقعد المحاضر.

ويدل سلوك الأفراد فى هذه المرحلة على تشتت الانتـباه. ويمكن أن تمثل علاقات الأفراد وما ينشأ بينهم من حوار فى الشكل التالى حيث تدل الدوائر على الأفراد، وتدل الخطوط على العلاقات.

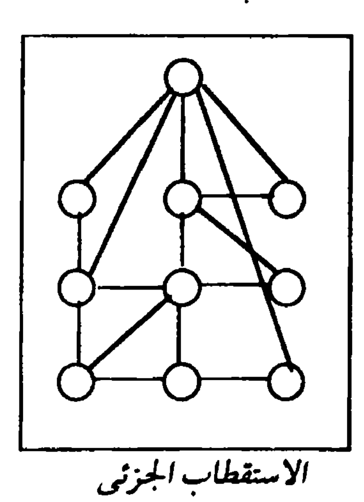


التمهيد للاستقطاب

٢ ـ مرحلة الاستقطاب الجزئى:

يتطور التمهيد للاستقطاب إلى استقطاب جزئى، فيتجه انتباه بعض المستمعين إلى المحاضـر، ويشغل البعض الآخـر نفسه بشىء غـير المحاضرة وتـدل هذه الظاهرة عندما تحدث على أمـور شتى أهمهـا ملل المستمـعين، وعجز المحـاضر عن جذب انتـباههم، ووجود بعض عنـاصر مشـاغبة بين المسـتمـعين. وغير ذلك من الأمـور التى تؤدى إلى تشتت الانتباه.

ويمكن تمثيل الاستقطاب الجزئى فى الشكل التالى حيث تدل الخطوط المتجهة نحو المتحـدث على ترميـز الانتبـاه أى على الاستقطاب، وتـدل الخطوط غير المتـجهـة نحو المتحدث على تشتت الانتباه أو الاستقطاب.



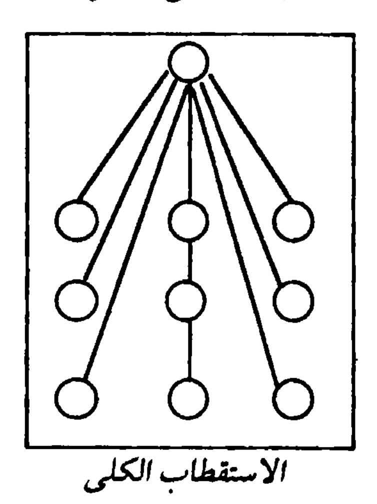
الاستقطاب الجزئى

٣ ـ مرحلة الاستقطاب الكلى:

تتضح مظاهر الاستقطاب الكلى عندما يستطيع المتحدث أن يجذب كل انتباه المستمعين نحوه لاستمتاعهم العميق بما يقول وتأثرهم البالغ بما يعنى. وبذلك تبلغ عملية الاستقطاب ذروتها.

ولا تستمر عملية الاستقطاب الكلى طويلا لأنها سرعان ما تفسح المجال للاستقطاب الجزئى، وتلك بدورها تفسح لها الميدان، وهكذا تتوالى الظاهرتان، الواحدة تلو الأخرى، مع تباين متصل فى المدى الزمنى لكل منهما.

والشكل التالى يبين أهم مظهر من مظاهر الاستقطاب الكلى وذلك عندما تتجه الخطوط كلها نحو المتحدث لتدل بذلك على أنه بؤرة انتباههم جميعا.



الاستقطاب الكلى

(ب) الشروط اللازمة للاستقطاب:

تعتمد عملية الاستقطاب فى تطورها على ضرورة توافر شروط محددة نلخص أهمها فى التحدث، والتجانس العقلى الثقافى للمستمعين، وخبرتهم السابقة. والتمهيد الصحيح للحديث المقبل، وتوافق مقومات الموقف العام، ومدى الانتباه، كما سيأتى بيان ذلك بالتفصيل فيما يلى:

١ ـ المتحدث أو المحاضر:

يتوقف نجاح عملية الاستقطاب على المتحدث نفسه، فهو العامل النشيط فى ذلك النوع من العلاقات الاجتماعية. فهو المؤثر والجماعة هى التى تخضع لتأثيراته. هو مؤثر فى عرضه لأفكاره. وفى تصويره وتمثيله لحديثه، وفى قوله وبراعة حجته، وفى وضوح أفكاره، وفى موقفه الإيجابى الفعال وكأنه موقف الزعيم من أتباعه، وفى موقف الجماعة منه وكأنه موقف الأتباع من زعيمهم.

وتظل تلك العلاقات قائمة حتى تنشيط الجماعة المستمعة فتضحك أو تبكى أو تصفق أو تصيح. وبذلك تنعكس العلاقة الاجتماعية، ويصمت المتحدث إلى حين، ثم يعاود إقامة الحدود النفسية السابقة، ويعاود تنظيم المجال الاجتماعى من جديد. ويجيد بعض الخطباء معرفة التوقيت الزمنى لصمتهم، ومعرفة الوقت المناسب لحفزهم لأفراد الجماعة على التصفيق. وقد يعلو صياح الجماعة، ويشتد تصفيقها لتعلن بذلك عن تأثرها البالغ بما تسمع.

٢ ـ التجانس العقلى الثقافى:

يؤدى التجانس العقلى الثقافى إلى سرعة استقطاب الجماعة، ومثال ذلك الجماعة المؤلفة من أفراد حزب سياسى واحد. فهى أسرع إلى الاستقطاب فى استماعها لخطيب ما من جماعة تتكون من أحزاب عدة يعارض أفرادها بعضهم بعضا. وطلبة الفرقة الدراسية الواحدة أكثر تجانسا من طلبة فرق عدة مجتمعة. وتلك بدورها أكثر تجانسا من طلبة مدارس عدة يجمعها صعيد واحد فى استماعها لخطيب ما.

والتجانس العقلى الثقافى يؤدى إلى وحدة الجماعة. وتلك الوحدة تؤدى بدورها إلى استقطاب الانتباه فى بؤرة واحدة. وانعدام هذا التجانس ينشىء فراغا نفسيا بين الأفراد. ويؤدى هذا الفراغ إلى توزيع الانتباه. ويعمل أيضا على تفرقة الأفراد تفرقة سيكولوچية. فالجماعة المستمعة ليست مجرد طائفة من الناس يجمعهم صعيد واحد فى استماعهم لخطيب ما، بل هى تفاعل واستجابة نفسية بين الجماعة والخطيب.

٣ ـ الخبرة السابقة والتدريب:

الجماعة المستمعة فى ظهر يوم الجمعة بالمسجد تنصت إلى الخطيب فى انتباه وتستجيب لندائه عندما تدعو معه الله ليغفر لها ذنوبها، فإذا الشفاه تتحرك فى همس خافت، وإذا الأكف ترتفع فى خضوع وضراعة. وهذا الإنصات وتلك الحركات تعتمد فى جوهرها على خبرة سابقة وتدريب ومران.

والجماعة المستمعة للمطرب أو المطربة فى حفل غنائى عام، تعلم متى تصفق، ومتى تهتف بحماس، ومتى تنصت فى سكون، فالاستقطاب هنا يعتمد فى جوهره على الخبرة الفردية السابقة بتلك الأمور.

٤ ـ التمهيد الصحيح للحديث المقبل:

يعنى التمهيد الصحيح للحديث المقبل إثارة انتباه الجماعة المستمعة بشتى الطرق قبيل اجتماعها. وتهدف تلك الاستثارة لتهيئة الأذهان لنوع الحديث المقبل. فالجماعة المقبلة للاستماع إلى حديث علمى خاص تنفر حينما تجد تغييرا مفاجئا يستبدل فيه

بالحديث العلمى حديث سياسى، لأنها أقبلت بحالة عقلية خاصة، وتهيأت للاستماع إلى ضرب خاص من ضروب الحديث. واستقطاب مثل ذلك الجماعة أمر شاق عسير يتطلب من المتحدث مقدرة كبيرة وجهدا بالغا.

٥ ـ توافق مقومات الموقف العام:

تتأثر الجماعة المستمعة فى استقطابها بعوامل ثانوية تعتمد فى جوهرها على قاعة الاجتماع ذاتها، وعلى خصائصها الضوئية والصوتية. ولمساحة القاعة أثر سيكولوچى فى نفوس الأفراد. فالحفنة القليلة من الناس فى البهو الواسع العريض تحس بالوحدة. والحشد الضخم فى القاعة التى تضيق بالأفراد يحس إحساسا خفيا بأهمية موضوع المحاضرة.

ولطبيعة الجو العام المحيط بقاعة الاجتماعات أثره فى نفوس المستمعين. فالحديث الدينى فى مرقص شعبى لا يهيىء الجو المناسب لتقبله. ومحاضرة عن الفلسفة فى مزاد علنى مقضى عليها بالفشل. ولهذا كان لجو المساجد والكنائس الدينى أثر كبير فى خشوع الناس وإنصاتهم لإمامهم. ولهذا أيضا تلجأ صناعة القصص السينمائى إلى ألوان مختلفة من الموسيقى لتهيئة الأذهان لجو القصة.

فتوافق وحدات الموقف يهيمن على المتحدث والمستمعين معا، ويضفى على الحديث نفسه صفات يشتقها من الكل الذى يحتويه ويساعد عملية الاستقطاب على اكتمال نموها.

٦ ـ مدى الانتباه:

كلما احتفظت الجماعة المستمعة بتركيز انتباهها فى المحاضر أو المحاضرة مدة أطول، كان الاستقطاب أقوى وأشد. ويتأثر مدى الانتباه بدرجة تجانس المجموعة، وبطريقة المتحدق فى الإلقاء، وبمادة الحديث نفسه. فالجماعة غير المتجانسة لا تقوى على الاحتفاظ بالاستقطاب مدة طويلة. وقد تساعد الجمل القصيرة على تركيز انتباهها لأن قصرها يناسب ضيق مدى الانتباه. والخطيب الذى يلجأ إلى الجمل الطويلة قمين بأن يفشل.

والمحاضر الذى يقرأ محاضراته على الطلبة من مذكرات يحتفظ بها معه، أضعف تأثيرا فى المستمعين من محاضر لا يعتمد فى إلقاء محاضراته إلا على العناصر الأساسية التى يدونها فى بطاقة صغيرة ويستطرد هو فى بناء محاضرته مستجيبا للتغيرات التى تطرأ على الموقف العام.

ولقد دلت نتائج التجربة التى نشرها مور[1] Moore سنة ١٩١٩ على أن الطريقة الثانية تفوق الأولى بكثير. وتتلخص تجربته فى قراءة أحد الموضوعات على مجموعة من الطلبة، ومحاضـرة أخرى عبارة عن حوار مع الطلبة فى نفس الموضـوع ثم قياس مدى فهم المجموعتين. ولقد دلت نتائج هذه التجربة على أن المجموعة الثانية فاقت المجموعة الأولى بحوالى ٣٦٪ فى احتفاظها بعناصر المحاضرة وفى فهمها لها.

(جـ) مراحل تكوين الجماعة المستمعة:

يتطور تكوين الجمـاعة المستمعـة خلال خمس مراحل: تبدأ الأولـى منها بجذب انتباه الأفراد ليجتمعـوا حول المتحدث أو الخطيب. وتتطور عملية التكوين بعد ذلك إلى مرحلة الحـفاظ على استمـرار انتباه الجمـاعة وزيادة شوقهم إلى الاسـتماع. ثم يسـتمر التطور إلى مرحلة تأثـر أفرد الجماعـة بما يستمـعون ويتطور التأثر إلى الاقـتناع. وتنتهى تلك المراحل بعد ذلك إلى قيـام الجماعة المسـتمعة بنشاط معين أو بعمل مـحدد وفق ما تتلقى من توجيهات وإرشادات.

وللمتـحدث أن يسلك بالجمـاعة المسـتمعة تلـك المراحل الخمس مبـتدئا بالأولى ومنتهيـا بالخامسة. وله أن يبـدأ بإحداها لينتهى عند التى تليهـا، أو عند أى مرحلة من المراحل السابقـة. ويعتمد اخـتياره لتلك المراحل علـى طبيعة الحـديث، وهدفه، وعلى خصائص الجماعة المستمعة والموقف العام.

فالمستمعون لخطيب على قارعة الطريق إنما يجـتمعون حوله لأنه أثار انتباههم وقد يتركونه بعد حين. وهم يفدون إلى اجتماعهـم من كل صوب وحدب، مختلفى المشارب والأهواء، متعددى الاتجاهات والأهداف، وقد ينتـهى اجتماعهم عند تلك المرحلة. وقد يسلك بهم الخطيب مسلكا خاصا فى حديثه إليهم حتى ينتهى بهم إلى المرحلة الأخيرة، ومثال ذلك الحملات الانتخابية التى يقوم بها رجـال السياسة لاكتسـاب أصوات ناخبيهم فهدف الخطيب هنا توجيه الجماعة المستمعة لانتخابه، وهذا نزوع للقيام بعمل ما.

والطلبة فى فصولهم الدراسـية يمثلون جماعة درس ومناقشة فهم باجـتماعهم هذا فى قاعة واحدة، ليسوا إذن بحاجة إلى من يثير انتباههم للتجمع إذ هم فعلا مجتمعون، وبذلك يبدأ المتحـدث إليهم من المرحلة الثانية فيثـير اهتمامهم وشوقهـم للاستماع وهو يمضى معهم فى حديثه إليهم، ويمضى بهم حتى ينتهى إلى المرحلة الخامسة.

---

(1) Moore, H. T. The attention value of lecturing without notes. J. of Educ. Psych. 1919, 11, 467 - 469.

واجتماعات ممثلى النقابات للمطالبة بحق أو لإعلان رأى خاص تمثل جماعة مستمعة مختارة. فهى إذن ليست بحاجة إلى من يثير انتباهها لتجمعها وليست بحاجة إلى من يثير اهتمامها للإنصات. فأهمية الموضوع الذى من أجله يجتمعون، واتصاله الوثيق بحياتهم تقوم عندهم بأداء المرحلة الأولى والثانية، وعلى المتحدث إليهم أن يبدأ معهم مباشرة من المرحلة الثالثة لينتهى إلى الخامسة.

والجماعة المدبرة ـــ مثل جماعة الفدائيين ـــ تبدأ بالمرحلة الرابعة ثم الخامسة فهى ليست فى حاجة إلى المراحل الثلاث الأولى.

والجنود فى إصغائهم لقائدهم وتنفيذهم لأوامره، إنما يمثلون بذلك جماعة نظامية تبدأ بالمرحلة الخامسة فتنزع توا إلى القيام بنشاط محدد.

خامسا ـ الخصائص النفسية لجماعة صغيرة ـ جماعة المناقشة:

جماعة المناقشة، جماعة صغيرة، علاقاتها الاجتماعية متبادلة، ولقاء أفرادها لقاء وجه لوجه. ويتصف نشاطها بالدينامية لتغيره خلال تطوره ولتغير دور الفرد من موقف فكرى فى المناقشة لموقف فكرى آخر.

وعندما تكبر جماعة المناقشة، ويزداد عدد أفرادها، يحتكر بعض هؤلاء الأفراد المناقشة ويظل الآخرون دون دور إيجابى يقومون به، ولا يبقى أمامهم إلا أن ينصتوا، ولذا لا تصلح المناقشة الجماعية إلا فى الجماعات الصغيرة.

ومن أمثلة جماعات المناقشة اللجان التى تجتمع لدراسة موضوع محدد والعمال الذين يجتمعون لمناقشة مشكلة تهمهم، والزراع الذين يناقشون استخدام نوع جديد من السماد. والجماعة لا تسمى جماعة مناقشة إلا إذا كان حوارها قائما على معالجة مشكلة أو مواجهة موقف، ولذا لا تسمى جماعة العلاج النفسى جماعة مناقشة، ولا تسمى جماعة الأصدقاء الذين يسمرون فى حفل ما جماعة مناقشة.

وجماعة المناقشة بهذا المعنى جماعة تفكير جماعى.

(أ) أهم وظائف جماعة المناقشة:

١ ـ التفكير الجماعى:

عندما يناقش الإنسان مسألة مع الآخرين فإنه يقوم ببحثها بحثا جماعيا وهذا البحث يتخذ لنفسه صورة من صور الحوار العقلى الذى ينشأ وينمو بين أفراد جماعة صغيرة من الناس.

والمناقشة بهذا المعنى عملية فكرية جماعية يعالج بها أفراد جماعة صغيرة مشكلاتهم بطريقة تعاونية ناقدة مرنة تيسر لكل فرد الاشتراك فى تحديد موضوع المناقشة،

وفى صياغة عناصرها وتساعد على ظهـور وجهات النظر الأساسية، وعلى تحديد الخطة الشاملة وعلى اتخاذ القرارات النهائية الضرورية لمعالجة الموضوعات والمشكلات المختلفة.

والحل الجماعى للمشكلة ليس مجرد صورة أخرى للحل الفردى، وإنما هو ظاهرة متمايزة لها خصائصها وصفاتها.

ويحدث هذا النوع من التفكير خلال عملية الاتصال العقلى التى تحدث بين أفراد الجماعة، أى أثناء التفاعل الاجتماعى، وما ينطوى عليه هذا التفاعل من علاقات متبادلة بين الأفراد. ومعنى ذلك أنهـا عملية تفكير جديد، وليـست مجرد مجـموع المحاولات الفردية لمعالجة مشكلة قائمة، وذلك لأنـه يتطلب وصول الجماعة إلى قرار، وما ينطوى عليه من هذا القرار من حوار فكرى وتباين واتفاق.

فالمناقشة بهذا المعنى تفكير جماعى.

٢ـ ممارسة الديمقراطية:

المناقشة أسـاسها الشورى. والشورى عـملية ديمقراطية. وعندما يتـحرر الفرد من الضغوط وهو يناقش يتحرر أيضا من المخاوف والشكوك فيألف الآخرين بعد أن كان ينفر منهم وتتعدل اتجاهاته وقيمه فى ذلك الجو السوى الصحيح.

ولذا تساعد المناقـشات الجماعيـة الجماعة على ممارسة الديمقـراطية والتدرب على أسلوبها فى الحـوار الذى يؤكد أهمية الحريـة فى نجاح المناقشة، وذلك لأن جـو المناقشة الجماعية يهيىء الفرصة المناسبـة لكل فرد حتى يدلى برأيه، ويشترك بخبراته فى المناقشة القائمة.

فهى بهذا المعنى عمليـة إيجابية تثير نشاط الأفراد، وتشـيع بينهم الجو الديمقراطى الضرورى للخصوبة الفكرية.

٣ـ نقد المعرفة:

زادت وسائل نشـر المعرفـة فى القرن العشـرين إلى الحد الذى أصـبح لزاما على الفرد أن يتعلم كـيف يختار ما يناسـبه منها واختفى بذلك ذلك النـوع من المثقفين الذى كان يلم بكل علوم عصره، وتحولت المعرفة الموسوعية إلى معرفة فارقة متخصصة.

ولم تعد مشكلة المعرفة مشكلة نقص فى المعلومـات بل أصبحت مشكلة اكتشاف المعلومات الصحيحة من الزائفة، ومعرفة الخـبر من الإشاعة، والحقيقة من الدعاية. وقد نشأت هذه المشـكلة نتيجـة لتعدد وسـائل نشر المعلومـات التى امتدت مـن الكتاب إلى الصحافـة إلى الإذاعة والتليفزيون والسـينما، وجاوزت فى مداها حـدود الكرة الأرضية فاستخدمت الأقمار الصناعية فى نقل المعرفة عبر المسافات النائية.

والمناقشات الجماعية وسيلة فعالة فى اصطراع الفكر وتمحيص الرأى والكشف عن المعرفة الأصيلة والدخيلة والصحيحة والزائفة.

والإنسان يناقش ليرى سبيله فى حياته، وليكتشف ما يصلح هذه الحياة من معارف وآراء، وما يصلح من هذه المعارف والآراء لأن يكون أسلوب حياة، ونظام عمل.

٤ ـ تأكيد الذات:

تعد المناقشة الجماعية من أهم الوسائل التى يتبعها الفرد للتعبير عما يخالج نفسه من أفكار وانفعالات، فيؤكد بذلك شخصيته وينميها وذلك عن طريق العلاقات الاجتماعية التى تنشأ بينه وبين الأفراد الآخرين خلال تطور مراحل المناقشة وخاصة عندما تستمع الجماعة لرأيه، وتهتم به، وتناقشه مؤيدة إياه، أو ناقدة له، أو تتطلب منه مزيدا من المعلومات.

ويشعر الفرد بالراحة عندما يسأل فيجاب، ويهتم به من يجيبه، ويوليه عنايته. وبذلك تنمو ثقة الفرد بنفسه من خلال حواره، متحدثا أو مستمعا، سائلا أو مجيبا.

٥ ـ تدعيم التعلم:

تؤثر المناقشة الجماعية على مدى قابلية الكبار للتعلم لأنها تساير ميولهم وتيسر لهم إدراك النواحى المعنوية بما تضفيه عليها من واقعية وخبرات عملية. وتؤدى بذلك إلى تدعيم التعلم لأنها تشعر الفرد بالأهمية عندما ينصت إليه الآخرون.

وهى بذلك تساير ميول الكبار لأنها تحقق لهم النشاط الحيوى المناسب للتفاعل الاجتماعى المتصل بين الأفراد المختلفين. ولذا فهى وسيلة قوية لتعليم الكبار. وهى تختلف عن أغلب الوسائل التعليمية الأخرى فى أنها إيجابية تؤكد شخصية الفرد، وتسير به وفق مستواه، وتوضح له الغموض الذى يواجهه وتمتد معه فى أبعاده الفكرية وفق استعداداته ومواهبه المختلفة.

وتهدف المناقشة الجماعية فى نواحيها التعليمية إلى تجسيد الأفكار المعنوية التى يصعب على الفرد العادى إدراكها إدراكا مباشرا، لأن تلك المناقشة تعتمد فى نموها وتطورها على مدى خصوبة الخبرات التى يؤكد بها كل فرد آراءه أثناء حواره ومناقشاته.

ويميل أغلب الأفراد إلى أن يتحدثوا أثناء مناقشاتهم عن خبرات حياتهم الماضية حتى يوضحوا الفكرة التى يعالجونها خلال المناقشة. ولهذا التوضيح أهميته التعليمية فى ربط المفاهيم المختلفة بواقع الحياة اليومية.

وهكذا ندرك أهمية المناقشة الجماعية فى العملية التعليمية المشتركة بين الأفراد، وذلك لأن التعلم فى جوهره تغير فى السلوك المكتسب نتيجة للاتصال الاجتماعى الذى يحدث بين فرد وفرد آخر، أو بين فرد وإنتاج فرد آخر.

وعندما ينجح الفرد فى التعبير عن نفسه، ويرى أثر هذا النجاح على وجوه المستمعين فإنه يمضى فى طريق تطوره التعليمى على هدى ويقين. ومن المعروف علميا أن النجاح يؤدى إلى النجاح. والنجاح بهذا المعنى تدعيم للعملية التعليمية. والجو الاجتماعى الذى ينشأ أثناء المناقشة يصبغ العملية التعليمية بألوان عاطفية تساعد على تأكيد هذه العملية وتثير رغبات وميول الناس فى مزاولتها والاستمرار فيها لأنها تحقق لهم رغبة شخصية، وتؤكد تدعيم التعلم الذى يحدث بين الأفراد خلال المناقشة.

(ب) خصائص التفاعل الاجتماعى فى جماعة المناقشة:

١ ـ تحليل عملية التفاعل فى جماعة المناقشة:

دلت نتائج الأبحاث التى نشرها بيلز [1]. Bales سنة ١٩٥٠ على أنه يمكن تحليل التفاعل الاجتماعى الذى يحدث أثناء المناقشة الجماعية عن طريق تصنيف مظاهر النشاط الاجتماعى الذى يحدث خلال تطور المناقشة إلى ست مراحل يتلو بعضها بعضا، وتنقسم كل مرحلة إلى اتجاهين أحدهما سالب والآخر موجب. والسالب سؤال أو طلب، والموجب إجابة عن ذلك السؤال أو عطاء للطلب كما يبين ذلك الشكل التالى (ص ٨٨).

وتتطور المراحل من المعلومات إلى الرأى إلى المشورة إلى القرار إلى النزاع، وتنتهى عند التكامل. فهى بهذا المعنى ست مراحل تشتمل على ستة اتجاهات سالبة وستة اتجاهات موجبة.

والاتجاه السالب فى المرحلة الأولى مرحلة المعلومات هو طلب معلومات، وطلب تكرار لمعلومات سبق أن قبلت حتى تتضح معانيها وتتأكد مراميها ومقاصدها. والاتجاه الموجب فى نفس هذه المرحلة إعطاء معلومات وتكرار لمعلومات سبق أن قبلت وتوضيح لها وتأكيد لأهميتها.

والاتجاه السالب فى مرحلة الرأى طلب الرأى وتحليله. والاتجاه الموجب إعطاء للرأى وتحليله.

والاتجاه السالب فى مرحلة المشورة طلب مقترحات وإرشادات، وطلب توضيح للطرق المحتملة للعمل. والاتجاه الموجب اقتراحات وإرشادات وتوضيح للطرق المحتملة للعمل.

---

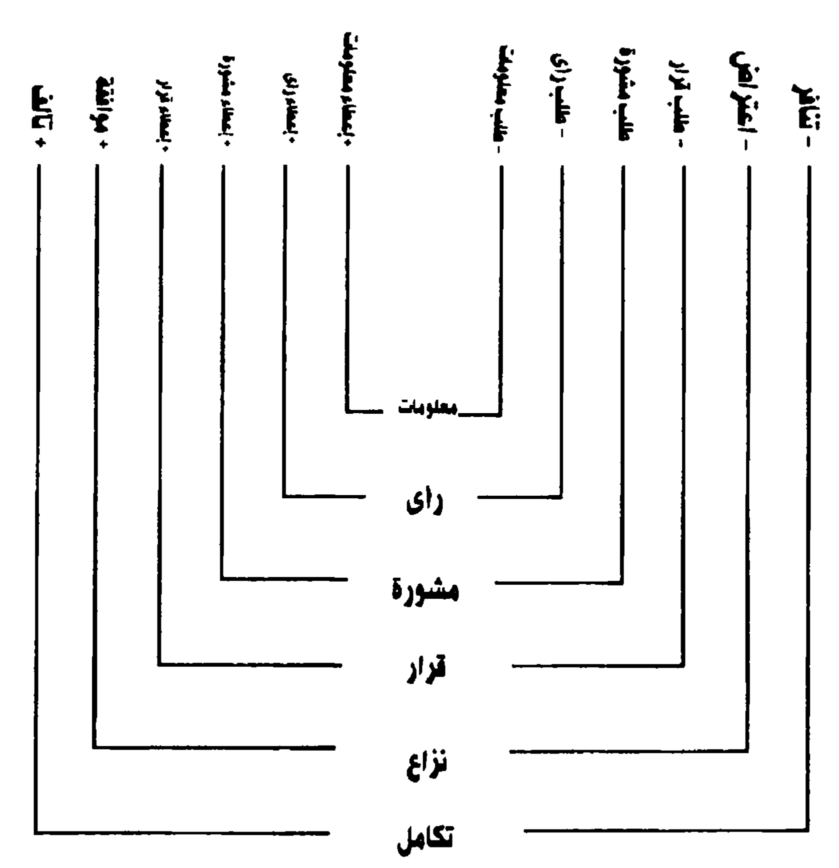
(1) Bales, R. F. Interaction Process Analysis: A Method for the Study of small Group. Cambridge, Mass,. Addison - Wesley, 1950.

والاتجاه السالب فى مرحلة القرار طلب القرار وقد يمتد هذا الاتجاه السالب إلى رفض المساعدة. والاتجاه الموجب أتخاذ القرار، وقد يمتد هذا الاتجاه إلى الفهم الصحيح للقرار.

والاتجاه السالب فى مرحلة النزاع الأعتراض وقد يصل الأمر إلى الانسحاب. والاتجاه الموجب الموافقة والرضا.

وينتهى التفاعل فى مرحلة التكامل بالتسوية الشاملة ويصبح اتجاهها السالب التنافر واحتقار وامتهان آراء الآخرين. والدفاع عن النفس وتأكيدها بطريقة عدوانية. ويصبح اتجاهها الموجب التآلف، والتضامن، واحترام وتقدير آراء الآخرين.

وتصنف المراحل إلى عمليات عقلية تتمثل فى مرحلتى المعلومات والرأى، وعمليات انفعالية تتمثل فى مرحلتى المشورة والقرار. وعمليات سلوك وتتمثل فى مرحلتى النزاع والتكامل.



مراحل التفاعل فى جماعة المناقشة واتجاهاتها السالبة والموجبة

٢ ـ العوامل التى تؤثر على مراحل التفاعل:

تتلخص أهم العوامل التى تؤثر فى سير المناقشة الجماعية فى موقف الفرد من الجماعة، وفى موقف الجماعة منه، وفى طريقة توجيه المناقشة.

فأما عن موقف الفرد من الجماعة فهو إما أن يوافقها على رأيها العام ويظل موافقا لها فى آرائها وبذلك تصبح مشاركته سلبية لكل ما يقال. وهذا لا يؤدى بالمناقشة إلى هدفها الصحيح. وإما أن يبدأ معارضا ويناقش وينتقد وينقد، وعندما يقتنع يتحول إلى الموافقة. وقد يغير الفرد رأيه ويقر الرأى المعارض له إذا اقتنع أن هذا التغيير يهدف إلى المصلحة العليا ويبقى على التماسك الجماعى المنتج. وقد يحاول الفرد أن يقنع نفسه وغيره بأن الفروق القائمة بين الرأى الذى يعتقده والآراء الأخرى المعارضة له فروق بسيطة غير جوهرية، ويجب أن تهمل حتى تسير الجماعة فى اتجاه واحد ومسار مستقيم. وإما أن يبدأ الفرد معارضا ويبقى معارضا حتى النهاية لا يحاول أن يتفهم الآراء المختلفة بل قد ينفس عن عواطفه بأن يحقر رأى معارضيه أو ينكره أو يشوهه، وفى هذا إعاقة لسير المناقشة، وتصلب فى الرأى لا قيمة له. وبذلك يتلخص موقف الفرد من الجماعة فى الموافقة أو التحول أو المعارضة.

وأما موقف الجماعة تجاه المعارضين من الأفراد فيتضح عندما يبدى أحد الأفراد رأيا يخالف الرأى العام للجماعة، فإن الذى يحدث هو أن الجماعة تنشط وتركز انتباهها على هذا الفرد ليغير رأيه ولو بطريقة غير منطقية، وإذا كان الفرد الذى أبدى ذلك الرأى المعارض للجماعة له أهميته ومكانته، فإن الجماعة قد تفسر رأيه فى الناحية التى لا تهدد كيانها وتضامنها. وقد تلتمس له الأعذار بأن تعتقد أنه لا يعنى ما قال أو أنه أسيء فهمه أو قد تغير الجماعة رأيها من أجل الفرد. أما إذا كان التماسك أقوى من الفرد فإن الجماعة تعزل هذا الفرد وتبعده عن اجتماعاتها حتى لا يتهدد تماسكها وكيانها.

وأما طريقة توجيهها ومدى سيطرة بعض أفرادها على الآخرين فإنه من المعروف علميا أن أنسب جو للمناقشة هو الجو الديمقراطى حيث يصل إنتاج الجماعة فيه إلى القمة. وذلك عكس القيادة المسيطرة أو القيادة الفوضوية كما دلت على ذلك الأبحاث المختلفة فى ديناميات الجماعة وسيكولوچية القيادة. وتتأثر العلاقات الاجتماعية التى تنشأ بين الأفراد بفكرة الفرد عن نفسه وعن الآخرين، وبفرق مستوى إنتاجه عن مستوى طموحه.

(جـ) توجيه المناقشة الجماعية:

تدل نتائج أغلب الأبحاث على أن أهم الصفات التى يجب أن تتوافر لدى موجه المناقشات الجماعية يمكن أن تتلخص فيما يلى:

١ ــ القدرة على إثارة الأسئلة وتهيئة الجو المناسب لحرية المناقشة.

٢ ــ القدرة على معالجة التعصب والنزاع عندما يظهر بين أفراد الجماعة. والإنسان بطبعه عدو لما يجهل. وقد ينشأ بين بعض الأفراد لون من الخلاف نتيجة التعصب لفكرة معينة أو لفرد معين، وعلى موجه المناقشة الجماعية أن ينتبه تماما لهذا اللون الغريب الذى يحول بين المناقشة وبين تحقيق هدفها.

٣ ــ يجب على موجه المناقشة أن يشجع كل فرد للمشاركة الإيجابية، وأن يهتم بالأفراد الصامتين، والخجولين فيدعوهم بطريقة مشجعة إلى الاشتراك فى المناقشة.

٤ ــ يجب على موجه المناقشة الجماعية ألا يفرض آراءه على المتناقشين فمن المفروض أن الأفراد هم الذين يناقشون المشكلة بحرية تامة حتى تظهر الحقيقة المرجوة من تلك المناقشة، وهو كأى فرد منهم له الحق فى إبداء رأيه وليس له حق فرضه عليهم.

٥ ــ يجب على موجه المناقشة الجماعية أن يحول بين بعض الأفراد وبين السيطرة على ناحية معينة من المناقشة.

٦ ــ يجب على موجه المناقشة ألا يفضل بعض المتحدثين على الآخرين إذ أن هذا التفضيل ينشىء جوا غير سوى بين الأفراد ويعوق سير المناقشة الجماعية.

٧ ــ يجب أن تتوافر لدى موجه المناقشة القدرة على التلخيص الصحيح بين الحين والآخر، وعليه أن يعرض هذا التلخيص على أفراد الجماعة ليقروه أو لينقدوه. وعملية التلخيص المتتالية تساعد على تسجيل جميع نواحى المناقشة وربط أفكارها وعناصرها.

٨ ــ القدرة على التوقيت وتحديد الزمن المناسب للمناقشات العامة والفرعية فى بدئها ونهايتها ومداها، فأحيانا يستمر الإنسان فى حديثه ويستغرق وقتا طويلا فى الإدلاء بآرائه، وهذا معناه طغيان بعض الأفراد على وقت الآخرين وحقهم فى مناقشة الآراء المختلفة والإنسان بطبعه يميل إلى أن يستمع إلى صوته. ذلك الصوت الذى يحس له الفرد ضخامة وقداسة. وإذا استمرت العملية بهذا الوضع فإن المناقشة لا تؤتى ثمرتها، ولذا فعلى موجه المناقشة أن يلاحظ التوزيع الزمنى الصحيح بالنسبة للأفراد والأفكار.

٩ ــ يجب على موجه المناقشة أن يحول بين المناقشة وبين انحرافها عن الهدف. وعليه أن يذكر الأفراد بموضوع المناقشة، وخاصة كلما استطردوا فى مناقشات فرعية لا تمت إلى الهدف بصلة.

١٠ ــ يجب على موجه المناقشة أن يدرك خلال مراحل المناقشة مدى اقترابها من الهدف، وأن يشعر المتناقشين بهذه الناحية، وأن يقدر السرعة التى تقترب بها الجماعة من تحقيق هدفها والعوامل المؤدية إلى هذه السرعة فيؤكدها ويعمل على نشرها.

١١ ــ يجب أن يهتم موجه المناقشة بشرح فكرة المناقشة منذ البدء حتى يفهم كل فرد الموضوع الذى يناقشه.

١٢ ــ من الصفات الرئيسية للتوجيه الناجح للجماعات الصغيرة القدرة على إشاعة الاحترام المتبادل بين الأفراد، وبين الفرد والجماعة.

١٣ ــ يجب أن يعمل موجه المناقشة على أن يوجه عملية النقد وجهتها الصحيحة.

وهكذا يصبح النقد نقدا للآراء لا نقدا للأفراد.

(د) قياس المناقشة الجماعية:

١ ـ قياس قدرة الموجه على تسيير المناقشة:

بما أن المناقشة الجماعية عملية تدريبية وإنتاجية، إذن يجب أن يتطور تدريب الموجه والأفراد حتى يصل الإنتاج العقلى الجماعى إلى نهايته العظمى. ولذا علينا أن نقيس قدرة الموجه على تسيير المناقشة الجماعية.

وخير طريقة لتحقيق فكرة القياس بالنسبة لهذه الظاهرة هو الاستبيان. وعلى الأفراد المشتركين فى المناقشة أن يحكموا على القدرات المختلفة لموجه المناقشة وفقا للجدول فى الصفحة التالية:

ويستحسن أن يوزع هذا الاستبيان على الأفراد المشاركين فى المناقشة وأن تحلل نتائجه فى نهاية المناقشة حتى يستفيد منها موجه المناقشة بالنسبة للاجتماعات المقبلة.

٢ ـ قياس التفاعل الاجتماعى أثناء المناقشة:

تعتمد طريقة قياس التفاعل الاجتماعى الذى يحدث بين الأفراد أثناء المناقشة الجماعية على المراحل وأقطابها السالبة والموجبة. وذلك عن طريق إعداد جدول يبين نشاط كل فرد خلال المناقشة.

والجدول ص ٩٣ يوضح فكرة قائمة قياس التفاعل حيث يدل العمود الأول على المراحل وأقطابها السالبة والموجبة. ويدل الصف الأول على أرقام أفراد المناقشة. وتدل خلايا القائمة على تكرار نشاط كل فرد فى كل مرحلة بقطبيها السالب والموجب.

وعلى كل جماعة مناقشة أن تنتخب أحد أفرادها ليقوم بعملية رصد النشاط فى القائمة المعدة لذلك. ويمكن أن نحول تكرار نشاط كل فرد فى كل مرحلة من مراحل التفاعل إلى نسب مئوية وأن نحول هذه النسب إلى خط بيانى يدل على التفاعل الاجتماعى لكل فرد من أفراد جماعة المناقشة، ويسمى مثل هذا الخط البيانى بمبيان التفاعل الاجتماعى.

استبيان لقياس قدرة الموجه على تسيير المناقشة

صفات الموجه	ممتاز	فوق المتوسط	متوسط	أقل من المتوسط	ضعيف
١ ـ القدرة على إثارة الأسئلة.					
٢ ـ القدرة على معالجة التعصب					
٣ ـ تشجيع الخجولين على المناقشة.					
٤ ـ لا يفرض رأيه على المناقشين.					
٥ ـ منع الأفراد من السيطرة على المناقشة.					
٦ ـ عدم تفضيل بعض المتحدثين على الآخر.					
٧ ـ القدرة على التلخيص.					
٨ ـ القدرة على تحديد الزمن المناسب.					
٩ ـ توجيه سير المناقشة نحو الهدف.					
١٠ ـ تقديم سرعة اقتراب المناقشة من الهدف.					
١١ ـ القدرة على شرح موضوع المناقشة.					
١٢ ـ القدرة على احترام أفراد المناقشة.					
١٣ ـ القدرة على توجيه الجماعة للنقد.					
١٤ ـ إشاعة روح المرح والفكاهة.					

قائمة تسجيل التفاعل الاجتماعى أثناء المناقشة

المرحلة	الاتجاه السالب والموجب	الأفراد				
		١	٢	٣	٤	٥
(١) المعلومات	طلب معلومات					
	إعطاء معلومات					
(٢) الراى	طلب الراي					
	إعطاء الراي					
(٣) المشورة	طلب المشورة					
	إعطاء المشورة					
(٤) القرار	طلب القرار					
	إعطاء القرار					
(٥) النزاع	الاعتراض					
	الموافقة					
(٦) التكامل	التنافر					
	التآلف					

سادسا: الملخص:

بدأ علم النفس الاجتماعى فى نشأته بدراسة الجماعات الكبرى مثل الجمهرة، ثم تطور فى مباحثه المعاصرة لدراسة الجماعات الصغرى التى لا يكاد يزيد عدد أفرادها عن ٣٠ فردا مثل جماعة المناقشة.

والجماعة فى مفهومها المنطقى مجرد تصنيف لطائفة من الناس يشتركون معا فى صفة ما أو فى صفات متعددة. والجماعة فى مفهومها النفسى الاجتماعى هى التى يتفاعل أفرادها فى مواقف محددة ويدركون البيئة المحيطة بهم إدراكا اجتماعيا مشتركا أو متشابها، وينسبون سلوكهم إلى قيم ومعايير واحدة، ويعتمدون فى تحديد مكانتهم الاجتماعية على تلك القيم، ويسعون لتحقيق هدف مشترك، ويؤدون أدوارهم فى أى نشاط تقوم به الجماعة وفق ما بينهم من فروق فردية تميز وتؤكد خصائص كل فرد منهم.

وتقسم الجماعة إلى جماعات. وبعض أسس التقسيم تنطوى تحت الخصائص النفسية الاجتماعية. والبعض الآخر لا ينطوى تحت تلك الخصائص، وتكمن أهميته فى تحديد الصفات الفارقة للجماعة فى مفهومها النفسى الاجتماعى وفى مفهومها المنطقى. وتقسم الجماعة بالنسبة لحجمها إلى صغيرة وكبيرة، وتعد الصغيرة من أهم موضوعات علم النفس الاجتماعى، وبالنسبة للموضوعية والذاتية إلى وحدة العوامل الموضوعية، وهذا مفهوم منطقى. وإلى وحدة المعايير الاجتماعية والاتجاهات، وهذا مفهوم نفسى اجتماعى. وإلى تشابه السلوك ووحدة العمل، وإلى الشعور المشترك بالتبعية. وهما صفتان تنطويان تحت المفهوم النفسى الاجتماعى. وبالنسبة إلى الجزئية والكلية إلى ما يهيمن على جزء محدود من نشاط الفرد وما يسيطر سيطرة كاملة على نشاط الفرد. والكلية أقرب إلى مفهوم النفسى الاجتماعى من الجزئية. وبالنسبة للتقييد والحرية إلى ما يستلزم خضوع الفرد لمعايير مقننة ومسالك محددة، وإلى ما يحرر الفرد من أغلب تلك القيود. وللنوعين دورهما فى المفهوم النفسى الاجتماعى. وبالنسبة للثبات إلى جماعة ثابتة وهى من الخصائص النفسية الاجتماعية للجماعة وإلى جماعة ثابتة نوعا ما وجماعة غير ثابتة وهما أبعد من الثابتة فى انتمائها للمفهوم النفسى الاجتماعى. وبالنسبة للداخلية والخارجية، تعد الأولى الجماعة التى ينتمى لها الفرد فى مواجهة أخرى قد تكون فى موقف عدوانى مع الداخلية، ولذا قد تنطوى الداخلية والخارجية تحت المفهوم النفسى الاجتماعى للجماعة. وبالنسبة لأسبقية ظهورها فى حياة الفرد إلى وثقى وأولية ووسطى وثانوية. فأما الوثقى فتبدو فى علاقة الأم بطفلها والزوج بزوجه. ومن أهم

خصائصها أن الاتصال الاجتماعى يكون وجها لوجه مباشرا مستمرا حينا وكثير التكرار أحيانا، وحدته الانفعالية عميقة تؤثر فى الفرد طول حياته، ومدى ارتباطه الاجتماعى قد يكون كليا أو شبه كلى. وأما الأولية فخير مثال لها الأسرة، واتصالها الاجتماعى يكون وجها لوجه مباشرا وكثير التكرار فى مراحل الطفولة ثم تقل مرات تكراره بعد ذلك، وحدته الانفعالية تترك أثرا فى نفوس الأفراد وذكريات تبقى مدى الحياة، ويدل مدى ارتباطه على أفكار مشتركة وطموح متقارب واستقلال عاطفى نوعا ما. وأما الوسطى فمن أمثلتها زملاء العمل وسكان أحد الأحياء فى قرية ما. ويكون اتصالها الاجتماعى وجها لوجه، مباشرا، يتكرر أحيانا، وحدته الانفعالية سطحية، وعلاقاته شكلية أو قريبة من الشكلية. ويدل مدى ارتباطه على تأكيد الناحية الفردية فى الطموح وما يصاحب ذلك من استقلال عاطفى نوعا ما. وأما الثانوية فمن أمثلتها المدرسة، والأحزاب السياسية، ويكون اتصالها الاجتماعى غير شخصى وغير مباشر، نادرا بالنسبة للزمان والمكان، وحدته الانفعالية شكلية، ويدل مدى ارتباطه على التحفظ والاستقلال العاطفى إلا فى الأزمات التى تمس جميع أفراد الجماعة.

والفرد فى انتمائه الاجتماعى لا يقصر هذا الانتماء على جماعة واحدة بل يمتد به إلى جماعات عدة. وتتغير هذه الجماعات خلال مراحل نمو الفرد.

وسنبين فيما يلى أهم الخصائص النفسية الاجتماعية لثلاث جماعات يهتم علم النفس الاجتماعى بدراستها. **الأولى هى الجمهرة** وهى جماعة كبيرة عاصرت دراستها علم النفس الاجتماعى منذ نشأته الأولى. **والثانية الجماعة المستمعة** وهى بطبيعة تكوينها قد تكون أحيانا جماعة كبيرة وأحيانا تكون جماعة صغيرة. **والثالثة جماعة المناقشة** وقد زاد الاهتمام بها فى الدراسات المعاصرة لأهميتها فى التفكير الجماعى.

فأما الجمهرة فتتكون من حشد كبير نسبيا من الناس يستجيبون استجابات انفعالية حادة ويعتمدون على مثير مشترك، ويتجهون فى تجمعهم نحو بؤرة واحدة ويتفرقون عنها عندما ينتهى التجمهر. وقد تصبح الجمهرة وباء عقليا عندما تنتشر بين الأفراد فى أماكن متعددة. وتعد بذلك وسيلة من أهم وسائل التنفيس عن التوتر الاجتماعى الحاد. ومن أهم خصائص الجمهرة أن استجابات أفرادها متشابهة أو مشتركة، وتتميز بالغضب والثورة، وتصدر عن دافع أو مثير واحد مشترك، وقد يكون هدف التجمهر عاما غامضا، بادئ ذى بدء، لكنه سرعان ما يتحدد عندما ينهض من بين المتجمهرين زعيم ينظم صفوفهم لهجوم مباشر. وتهيمن على المتجمهرين عاطفة جارفة هوجاء تصدر عن شحنة انفعالية قوية. ويدل سلوكهم على مستوى منخفض من الذكاء لأن حدة الانفعال

تكاد تشل القوى الإدراكية العليا. وقرارات الجمهرة سريعة يغلب عليها الطيش والاندفاع، ويتأثر أفرادها بالاستهواء، ويضعف شعورهم بالمسئولية، ويشعرون بالقوة والعالمية نتيجة للتكتل البشرى الذى تتصف به الجمهرة، وتنشأ الزعامة فى تلقائية لكنها سرعان ما تنتقل من زعيم لزعيم لآخر وهكذا. ولقد واجهت الطرق العلمية التى تصدت لقياس خصائص الجمهرة صعوبات مختلفة ومتعددة مثل متابعة تطور الأحداث، وكثرة عدد المتجمهرين وصعوبة التنبؤ بالخطوة التالية. وقد استخدم التسجيل السينمائى للتغلب على أغلب تلك الصعوبات. واستعان بعض الباحثين الآخرين بتهيئة الجو المناسب للتجمهر ثم قياس استجابات الأفراد عن طريق الاستبيان.

وتعد الجماعة المستمعة جماعة كبيرة أحيانا وصغيرة أحيانا أخرى. فدراسة خصائصها دراسة لهذا النوع من الجماعات. وهى فى مفهومها النفسى الاجتماعى زمرة من الناس تجمعت للاستماع أو للرؤية أو لهما معا.

وقد تتحول هذه الجماعة إلى جمهرة إذا واتتها العوامل الخاصة بهذا التحول ولا يتم تحويل الجماعة المستمعة إلا إذا اكتملت عملية الاستقطاب. ونعنى بالاستقطاب توجه الجماعة المستمعة نحو هدف واحد مشترك. وتتطور عملية الاستقطاب فى ثلاث مراحل: الأولى هى التمهيد للاستقطاب وقوامها توافد الأفراد إلى مكان الاجتماع واهتمامهم أحيانا بمقعد المحاضر. والثانية الاستقطاب الجزئى وتتميز باتجاه بعض المستمعين إلى المحاضر والانتباه له، بينما البعض الآخر لا يتجه له ولا ينتبه إليه وذلك لما يشعرون به من ملل أو لعجز المحاضر عن جذب انتباههم. والثالثة الاستقطاب الكلى ويحدث هذا النوع من الاستقطاب عندما يتمكن المتحدث من جذب انتباه كل المستمعين. وتعتمد عملية الاستقطاب فى نجاحها على توافر شروط مختلفة أهمها: المتحدث أو المحاضر وما يتميز به من قدرة لتوضيح أفكاره ولبراعة حجته ولمعرفة التوقيت المناسب للصمت، ولحفز المستمعين ومثال ذلك طلبة الفرقة الدراسية الواحدة. والشرط الثالث هو الخبرة السابقة للجماعة المستمعة مثل جماعة المصلين فى المسجد يوم الجمعة. والشرط الرابع هو التمهيد الصحيح للحديث المقبل حتى تتهيأ أذهان المستمعين له. والشرط الخامس هو توافق مقومات الموقف العام من حيث الخصائص الضوئية والصوتية لقاعة الاستماع. والشرط السادس هو مدى انتباه الجماعة المستمعة ويتأثر هذا المدى بدرجة تجانس الجماعة، وبطريقة المتحدث فى الإلقاء، وبمادة الحديث نفسه وبطول جمل المتحدث حيث إن الجمل القصيرة أجدى من الطويلة لأنها تناسب ضيق مدى الانتباه. ويتطور تكوين

الجماعة المستمعة خلال خمس المراحل: أولها جذب انتباه الأفراد ليجتمعوا، وثانيها الحفاظ على استمرار انتباه الجماعة وثالثها تأثر أفراد الجماعة بما يستمعون، ورابعها الاقتناع بما يقال، وخامسها قيام الجماعة المستمعة بنشاط معين أو بعمل محدد.

وخير مثال لتوضيح أهم الخصائص النفسية للجماعات الصغيرة **جماعة المناقشة**، وذلك لأن علاقاتها الاجتماعية متبادلة، ويلتقى أفرادها وجها لوجه ولا يكاد يزيد عدد أفرادها عن ٣٠ فردا. وتتلخص أهم خصائصها فى التفكير الجماعى لمعالجة مشكلة بطريقة تعاونية ناقدة مرنة وذلك بهدف اتخاذ القرارات النهائية عن طريق الحوار العقلى الجماعى. وفى ممارسة الديمقراطية لأن المناقشة أساسها الشورى. وفى نقد المعرفة وذلك لأن مشكلة المعرفة لم تعد مقصورة على نقص المعلومات، بل تعدت إلى اكتشاف المعلومات الصحيحة من الزائفة، والحقيقة من الإشاعة أو الدعاية، وفى تأكيد الفرد لذاته وخاصة عندما تستمع الجماعة لرأيه، وتهتم به، وتناقشه. وفى تدعيم عملية التعليم ولذ تعد المناقشة الجماعية من أهم وسائل تعليم الكبار لأنها إيجابية تؤكد شخصية الفرد.

وتتطور عملية التفاعل فى جماعة المناقشة خلال ست مراحل، وتنقسم كل مرحلة إلى اتجاهين أحدهما سالب والآخر موجب. وتبدأ عملية التفاعل بالمعلومات اتجاهها السالب: الطلب واتجاها الموجب: الإعطاء. تليها مرحلة الرأى فى طلبها وإعطائها. ثم مرحلة النزاع فى اعتراضها وموافقتها. وتنتهى فى مرحلتها السادسة إلى التكامل حيث يصبح اتجاهها السالب هو التنافر واتجاهها الموجب هو التآلف. وتتأثر مراحل التفاعل بموقف الفرد من الجماعة فى موافقته أو تحوله أو معارضته. وبموقف الجماعة من الفرد فى تغييرها لرأيه، أو تغييرها لرأيها هى، أو فى عزلها للفرد بعيدا عنها. وتتطلب جماعة المناقشة موجها لها يتصف بالقدرة على السؤال، وعلى معالجة التعصب، وعلى تنشيط المناقشة. وعليه ألا يفرض رأيه على المتناقشين، وألا يترك غيره يفرض رأيه، وألا يفضل بعض المتحدثين على الآخرين. وأن يتميز بالقدرة على التلخيص والتوقيت، والوصول بالمناقشة إلى هدفها، وتحديد مسارها لتحقيق غايتها، والشرح الواضح لموضوعها، وإشاعة الاحترام بين الأفراد. وتقاس قدرة الموجه على تسيير المناقشة عن طريق استبيان يجيب أفراد الجماعة على أسئلته. ويقاس التفاعل الاجتماعى أثناء المناقشة عن طريق مراحله الست وأقطابها السالبة والموجبة. وتسجل النتائج فى جدول يعد لذلك على أن يقوم برصد النتائج أحد أفراد الجماعة.

سابعا - المراجع العامة

1- Bales, R. F. Interaction Process Analysis A Method for Small Groups. Cambridge, Mass, Addison - Wesley, 1950.

2- Cantril, H., and Allport, G. W The Psychology of Radio. N. Y., Harper, 1935.

3 - De Gre, G., Outlines for a systematic classification of social groups. Amer. Soc. Rev., 1949, 14, 145 - 148.

4 - Festinger, L., and Thibaut, J. Interpersonal communication in small groups. J. Abnorm. Soc. Psych., 1951, 46, 92 -- 99.

5 - Golembiewski, R. T. The Small Group. Chicago, University of Chicago Press, 1962.

6 - Hare, A. P. Handbook of Small Group Research. Glencoe, I11., Free Press, 1962.

7 - Homans, G. The Human Group., London, Routledge and Kegan Paull, 1951.

8 - Krech, D., and Gutchfield, R. Theory and Problems of Social Psychology. N. Y. Mc Graw - Hill 1962.

9 - Krech, D., Crutchfield, R.S., and Ballachey, E. L. Individual in Society. N. Y. mc Graw - Hill, 1962.

10 - Mc Curdy, H. G., and Lambert, W. E., The efficiency of small human groups in the solution of problems repuiring genuine cooperation. J. Pres., 1952, 20, 478 - 494.

11 - Sherif, M. An Outline of Social Psychology. N. Y., Harper, 1948.

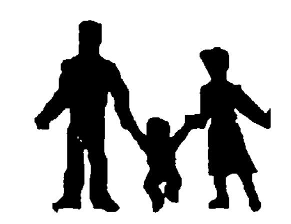
12 - Sherif, M., White, B. J., and Harvey, O. J. Status in experimentally produced group. Amer. J. Social, 1955, 60, 370 - 379.

13 - Smith, P. B (Ed.). Group Process. Harmondsworth, Penguin 1970.

14- Sprott, W. J. H. Human Group. Harmondsworth, Penguin. 1963.

15 - Waller, W. W., and Hill, R. The Family: A Dynamic Inerpretation. N. Y. Dryden Press, 1951.

16 - Winch, R. F. The Modern family. N. Y. Holt, 1952.





علاقات التنشئة الاجتماعية

أولا - مفهوم التنشئة الاجتماعية ونشأته.

ثانيا - عمليات التنشئة الاجتماعية.

ثالثا - مظاهر التنشئة الاجتماعية.

التنشئة الاجتماعية مصطلح لمفهوم يشتمل على عمليات متعددة أهمها التعلم الاجتماعى، وتكوين الأنا، والتوافق الاجتماعى، والتثقف أو الانتقال الثقافى من جيل لآخر. فهى بهذا المعنى مفهوم خصب وبالرغم من كثرة مكوناته فإن لهذا المفهوم تكامله ووحدته المتميزة.

ومصطلح التنشئة الاجتماعية هو التعبير اللفظى عن هذا المفهوم. ويعد هذا المصطلح أكثر مصطلحات التنشئة شيوعا بين المشتغلين بعلم النفس الاجتماعى وأقدمها وجودا. ومن المصطلحات البديلة مصطلح التطبيع الاجتماعى، ومصطلح التطبع الاجتماعى، لكنا نؤثر مصطلح التنشئة الاجتماعية على تلك المصطلحات البديلة.

وسنبين فيما يلى معنى التنشئة الاجتماعية والعمليات التى تعتمد عليها، ومظاهرها التى تكاد تنحصر فى التعلق والعدوان، ووسائلها التى تنتشر عن طريقها وأهمها الأسرة، والمدرسة، والجماعة المرجعية، وجماعة النظائر، ووسائل الإعلام.

أولا ـ مفهوم التنشئة الاجتماعية ونشأته

أ ـ معنى التنشئة الاجتماعية:

تدل التنشئة الاجتماعية فى معناها العام على العمليات التى يصبح بها الفرد واعيا ومستجيبا للمؤثرات الاجتماعية، وما تشمل عليه هذه المؤثرات من ضغوط وما تفرضه من واجبات على الفرد حتى يتعلم كيف يعيش مع الآخرين، ويسلك معهم مسلكهم فى الحياة.

وهى فى معناها الخاص نتاج العمليات التى يتحول بها الفرد من مجرد كائن عضوى إلى شخصى اجتماعى.

وتصل تلك التنشئة إلى أقصاها فى الطفولة لكنها لا تقف عندها بل تمتد بامتداد الحياة وخلال مراحلها المتعاقبة.

وبالرغم من أن التنشئة الاجتماعية تمثل أهم جانب من جوانب الشخصية إلا أنها ليست مرادفا لها، ويجب ألا نخلط بينهما، وتدل الشخصية فى أبسط معانيها على التنظيم الدينامى للسمات التى تميز شخصا ما عن شخص آخر فى توافقه المميز لبيئته.

ومن المفاهيم التى تدل أيضا على التنشئة مصطلح التثقف[1] وهو يدل على العمليات التى بها يتعلم الطفل الأنماط السلوكية التى تميز ثقافة مجتمعه عن ثقافة المجتمعات الأخرى.

ومنها أيضا مفهوم الاندماج الاجتماعى[2]، وهو يدل على احتواء الشخص لأفكار، وممارسات، ومعايير، وقيم المجتمع الذى يعيش فى إطاره. ودلالة هذا الاندماج تحول قول الطفل من «أمى تعتقد» و« أبى يعتقد» إلى «أنا أعتقد». ومعنى هذا أنه قد احتوى تماما ذلك المعتقد، ولم يعد مجرد راوية أو مقلد.

لكن بالرغم من ظهور مثل تلك المفاهيم البديلة إلا أنها لا تعدو أن تكون مفاهيم جانبية أو هامشية ولا ترقى إلى مستوى مفهوم التنشئة الاجتماعية فى خصوبته وأصالته.

(ب) نشأة المفهوم:

التنشئة الاجتماعية عملية قديمة قدم المجتمعات الإنسانية ذاتها. مارستها الأسرة والقبيلة والشعوب منذ نشأتها الأولى لتنشئ أطفالها على ما نشأت هى عليه، ولتحافظ بذلك على استمرار عاداتها وتقاليدها وخصائصها الاجتماعية المختلفة.

وقد تتضح بعض جوانب هذه الممارسات عندما نذكر ما كانت تقوم به إسبرطة من أساليب فى التنشئة لتربى أطفالها ليصبحوا مقاتلين.

لكن التنشئة الاجتماعية فى دراستها العلمية عملية حديثة إذ يرجع الاهتمام العلمى الحقيقى بها إلى أواخر الثلاثينيات وأوائل الأربعينيات وذلك عندما نشر بارك[3] بحثه عن التنشئة الاجتماعية سنة ١٩٣٩ باعتبار أنها إطار مرجعى لدراسة المجتمع.

ومن أهم العلوم التى أسهمت فى نشأة هذا المفهوم علم النفس وعلم الاجتماع وعلم البشر أو الأنثربولوچى. والغريب أنها جميعا بدأت تهتم فى وقت واحد تقريبا بالتنشئة الاجتماعية. وهذا يعنى حاجة التطور العلمى فى العلوم الإنسانية إلى ذلك المفهوم لتفسر به الظواهر العلمية المختلفة التى ترتبط به.

(جـ) التنشئة الاجتماعية السوية واللاسوية:

بالرغم من أهمية مفهوم التنشئة الاجتماعية وسرعة انتشاره إلا أنه لم يسلم من النقد الذى يتلخص أكثره فى أن التنشئة الاجتماعية بمعناها العلمى الشائع تنطوى على

---

(1) Indoctrination. التثقف

(2) Acculturation الاندماج الاجتماعى

(3) Park, R. E. Symbiosis and socialization: a frame of refrence for the study of society. Amer. J. of Sociology, 1939, 45, 1 - 25.

تأكيد لأهمية المجتمع على حساب الفرد حيث يقوم المجتمع بالدور الرئيسى الفعال فى تشكيل حياة الفرد وتحديد أهداف نموه ولا يبقى للفرد إلا أن يساير ضغوط المجتمع ويتقبل هذا التشكيل لأن تكوينه العصبى النفسى يتصف بالمرونة التى تساعده على التوافق مع بيئته الاجتماعية القائمة، وما تشتمل عليه من مؤثرات مختلفة.

وأياً كان الرأي فى مدى صحة هذا النقد إلا أنه يتناسى التفاعل القائم بين الفرد والجماعة، وأثر هذا التفاعل على تشكيل الجماعة، وتشكيل الجماعة للفرد وإلا أصبح المجتمع جامدا لا يتطور ولا يتمتع أفراده بأى لون من ألوان الحرية الفردية التى تظهر أحيانا فى مغايرتهم للأنماط السلوكية السائدة فى المجتمع. ومن مظاهر هذا التفاعل الصراع القائم بين قوى الجماعة وقوى الفرد، والذى قد ينتهى بمسايرة الفرد للجماعة أو استقلاله عنها.

والإفراط فى دور الجماعة، والمغالاة فى إخضاع الفرد لضغوطها يدفعانه إلى التقييد بحدود هذه التنشئة أكثر من اللازم، وهذا مما يحول بينه وبين مرونة الابتكار وخصوبته وأصالته، ومما يؤدى به أيضا إلى اتجاه المحافظة والجمود.

والتراخى فى دور الجماعة، والمغالاة فى أهمية الفرد يؤديان به إلى تجاوز الحدود المرعية وكثرة مطالبه من الآخرين، وعدم مراعاة حقوقهم ومشاعرهم.

وهكذا يؤدى الإفراط فى التنشئة الاجتماعية إلى ضعف ثقة الفرد بنفسه واعتماده على الآخرين. وما أقرب هذا المظهر للتطفل فى الحيوانات بل وفى النباتات أيضا. ويؤدى التفريط إلى العصيان والعدوان[1]. أى أن الإفراط والتفريط يؤديان إلى التنشئة الاجتماعية اللاسوية. والتفاعل الصحيح القائم على اتزان ضغوط الجماعة مع الحرية الفردية يؤدى إلى التنشئة الاجتماعية السوية.

ثانيا ـ عمليات التنشئة الاجتماعية

أكدنا فى دراستنا للمعنى العام للتنشئة الاجتماعية أنها العمليات التى يتحول بها الفرد إلى شخص. وفى تحديدنا لمعناها الخاص بينا أنها حصيلة تلك العمليات. وتعنى العملية ما ينتاب الشئ أو الكائن من تغير يكسبه خصائص جديدة أو وجهة معينة. والعملية بهذا المعنى مفهوم دينامى يدل على تفاعل وأمور تحدث. وهى من هذه الوجهة تختلف عن التكوين الذى يدل على التنظيم أو الشكل أو الصورة القائمة.

والتنشئة الاجتماعية باعتبار أنها تغير يصاحب الفرد خلال مراحل حياته عمليات مختلفة متعددة تؤدى إلى هذا التغير. وباعتبار أنها صفة لفرد فى موقف من مواقف حياته حصيلة لتلك العمليات.

---

(1) Danziger, K. Socialization. Harmondsworth, Penguin, 1971, 22 - 23.

وسنبين فيما يلى أهم العـمليات التى توصف بها التنشئة الاجتمـاعية وسنوجزها فى: التعلم الاجـتماعى؛ وتكوين الأنا أو الذات الاجـتماعـية، والتوافق الاجتـماعى، والانتقال الثقافى.

(أ) التعلم الاجتماعى:

يقصر بعض العلماء تعريف التنشئة الاجتـماعية على التعلم الاجتماعى. وبالرغم من أن التعلم يلعب دورا هاما فى التنشئة الاجتماعية إلا أنها أعم من مجرد التعلم لأنها كما بينا فى تحديدنا لتعريـفها حصيلة عمليات متعددة مختلـفة، وقد تكون عملية التعلم الاجتماعى أهم تلك العمليات، لكنها ليست العـملية الوحيدة كما سيأتى بيان ذلك فى دراستنا للعمليات الأخرى.

ويخـتلف دور التعلم الاجـتمـاعى فى التنشئـة الاجتـماعـية عن مـجرد النـمو الاجتـماعى لأن التعلم نمو مـوجه لإعداد الطفل لمجتـمعه الذى ينتـمى إليه. ويدل هذا التعلم على مـا يكتسبه الطفل من عادات وتقـاليد. وقيم مجتـمعه حتى يصطبغ فـهمه وإدراكه للعـالم الخارجى المحيط به بإدراك هذا المجتـمع، وحتى يفسر خـبراته فى إطار ذلك الإدراك.

ويختلف دور التـعلم الاجتمـاعى أيضا فى التنشئـة الاجتماعـية تبعا لاخـتلاف مراحل النمو، ويصل تأثير هذا التعلم إلى أقصاه فى الطفولة وخاصة المبكرة والوسطى. ولذا تعتمد خطة توطين المهجرين إلى مجتمعـات أخرى جديدة غير مجتمعاتهم الأصلية على هذا التعلم الاجتـماعى فى تنشئة أطفال المهـجرين وفق عادات وتقاليد المجتـمعات الجديدة. وكلما تباعدت أنماط الحـياة الاجتماعية فى المجتمعات الأصليـة عن مجتمعات المهجر، زادت تبـعا لذلك حدة الصراع بين جيل الآبـاء والأبناء، لأنه فى جوهره صراع بين تنشئتين اجتماعيتين مختلفتين. فإذا سلمنا علمـيا بأن التعلم عملية مستمرة باستمرار الحياة أمكننا أن نهيئ للكبار أيضا سبل الـتعلم الاجتماعى المناسب الذى يساعدهم على إعادة تنشـئتهم الاجتـماعية بالأسلوب الذى يـساير نبض المجتمع الجـديد وأنماط سلوكه السائدة.

ولقد بلغ من أهمية التعلم الاجتماعى أن صاغ روتر[1]. Rotter نظرية أعلنها سنة ١٩٥٤، وتؤكد هذه النظرية ست حاجات يحققها التعلم الاجتماعى وهى: تأكيد المكانة الاجتمـاعية، والحماية النـاتجة عن التعلق، والسيطرة، والاستـقلاق، والحب والعطف،

(1) Rotter, J. B. Social learning and Clinical Psychology. N. Y. Prentice Hall. 1954.

والراحة البدنية. والتعلم الاجتماعى الذى يحقق هذه الحاجات ينحو بالتنشئة الاجتماعية إلى وجهتها الصحيحة.

وتعد أيضا نظرية الاستقلال الوظيفى[1] لألبورت[2] Allport تأكيدا لأهمية الدوافع الاجتماعية وما يصاحبها من تعلم اجتماعى فى التنشئة الاجتماعية. ويؤكد الاستقلال الوظيفى نشأة الدوافع الاجتماعية فى إطار أى دوافع سابقة ثم استقلالها عنها وظيفيا خلال مراحل نمو الفرد. وهكذا تتطور تنشئة الفرد اجتماعيا عن طريق الاستقلال الوظيفى فتكتسب بهذا التطور مظهرها الدينامى، وتكتسب أيضا خصائصها الاجتماعية واحدة تلو الأخرى.

ويؤكد سيوراد[3] Seward أهمية التقمص فى التعلم الاجتماعى حيث يتقمص الطفل خلال تنشئته الاجتماعية دور الكبار فى سلوكهم الاجتماعى. وتعد عملية التقمص من أهم العمليات التى تعتمد عليها التنشئة الاجتماعية فى إكساب الطفل قيمه المختلفة، وخاصة قيم والديه. وتصلح فكرة سيوارد فى الدراسة المقارنة للتنشئة الاجتماعية فى الثقافات المختلفة.

ويقول باندروا Bandura ١٩٧٧ أن التعلم الاجتماعى يتم عن طريق التعلم بالملاحظة وهذا الأخير عليه ثلاث ملاحظات هى:

١ ـ ملاحظة سلوك المثل أو القدوة حيث تساعد تلك الملاحظة المتعلم أن يكتسب سلوكا لم يكن اكتسبه من قبل.

ويبدو هذا واضحا فى تعلم العادات الاجتماعية والاتجاهات النفسية وممارسة التقاليد بوجه عام.

٢ ـ تأثر الملاحظ المتعلم بنموذج سلوك المثل أو القدوة حيث يمكن أن يقوى سلوك المثل سلوكا سابقا اكتسبه الملاحظ المتعلم أو يضعفه.

ويبدو ذلك فى تغيير بعض العادات والتقاليد والمعايير الاجتماعية حيث يكون السلوك النموذج دافعا لتقوية عادة ما أو مضعفا لها أو بمعنى آخر يعمل السلوك النموذج على تقوية أو إضعاف الرابطة بين المثير والاستجابة فى موقف ما وبطبيعة الحال يتم ذلك عن طريق الإثابة أو العقاب.

---

(1) Functional autonomy — الاستقلال الوظيفى

(2) Allport, G. W. Personality: A Psychological Interpretation. N. Y. Holt. 1937.

(3) Seward, J. P. Learning Theory and identification. J. Genet. Psychol. 1954, 48, 201 - 210

٣ ــ ملاحظة السلوك النموذج قد تستثير بعض أنماط سلوكية ذات علاقة بالموقف عند التعلم الملاحظ فيقدمها بعد تعديلها.

ويبدو ذلك فى تطور أساليب التعبير عن الاتجاهات والقيم عند الأجيال المختلفة.

ومن أهم نتائج التـعلم الاجتمـاعى ظاهرة النمو الخلقى عند الطفل حـيث يقول كولبرج ١٩٧٦ أن هناك ست مراحل يتم فيها النمو الخلقى من خلال التعلم الاجتماعى وهى كما يلى:

١ ـ مرحلة العقوبة والطاعة:

بمعنى خوف الطفل من أن يعاقب على عمل ما فيكون البديل هو الطاعة.

٢ ـ مرحلة المعاملة بالمثل:

بمعنى أن الطفل لا يرتكب خطأ حتى لا يرتكب أحد نفس الخطأ فى حقه.

٣ ـ مرحلة الثناء والإطراء:

بمعنى أن الطفل يشـعر بأن هناك من يثنى عليـه أو سوف يكون فخـورا به عندما يقوم بعمل حسن.

٤ ـ مرحلة النظام والقانون:

بمعنى أن يشـعر الطفـل بأن ما يقـوم به من خطأ إنما هو كـذلك من وجهـة نظر القانون والعرف والتقاليد وأن ما ارتكبه عمل يعاقب عليه.

٥ ـ مرحلة العقد الاجتماعى:

بمعنى أن تكون هناك بعض المواقف تتغلب فيها القيمة والضرورة على القانون كأن يكون إنقاذ حياة إنسان مخالفا لبعض نواحى القانون أو النظام.

٦ ـ مرحلة عمومية المبادئ الخلقية:

بمعنى أن يقوم الفرد بدراسة متغيـرات الموقف قبل أن يتخذ القرار وذلك فى ضوء المبادئ الخلقية التى تتفق عليها الإنسانية.

(ب) عملية تكوين الأنا والأنا الأعلى:

يتكون الجـهاز النفـسى للفـرد من الإد، والأنا، والأنا الأعلى. والأصل فى هذا الجهاز هو الإد، أو الجزء اللاشعورى الذى يولد به الفرد. وهو بخصائصه اللاشعورية لا خلقى، ولا منطقى، ويسعى دائما لتحقيق اللذة، وبه يتمـيز الفرد كمجرد كائن عضوى عن الشخص كذات اجتماعية.

وعندما يتصل (الإد) بالمجتمع تبدأ عملية تكوين الأنا أو الصيرورة من الفردية إلى الشخصية. وبهذه العملية تبدأ أيضا التنشئة الاجتماعية. وبذلك تعد عملية تكوين الأنا من أهم عمليات التنشئة الاجتماعية. والأنا يخضع لمبدأ اللذة، ولذا فهو منطقى. ،إذا تمكن من تحقيق رغبات (الإد) فهو يحققها فى إطار الواقع الذى يفرضه المجتمع القائم بعاداته وتقاليده وقوانينه.

ويشتق الفرد الأنا الأعلى سماعيا من أوامر الأب ونواهيه، كما تدركها الأنا. أى مما يقوله الأب آمرا، ناهيا، مهددا، راضيا، مشجعا، مكافئا. والأب بذلك ينقل لأولاده سلطة أبيه هو، وهكذا. فكأن الأنا الأعلى هو مظهر استمرار قيم وعادات وتقاليد وطقوس المجتمع إلى الأجيال القادمة. وهو بذلك أساس معايير السلوك الاجتماعى.

وبذلك ترتبط التنشئة الاجتماعية فى نشأتها وتطورها بعمليتين رئيسيتين هما عملية تكوين الأنا، وعملية تكوين الأنا الأعلى. وبهما يكتسب الفرد عاداته وتقاليده، بل ومعاييره وقيمه أيضا.

(جـ) عملية التوافق الاجتماعى:

قد يصعب أحيانا الفصل الواضح بين التوافق والتكيف[١]. ولذا فعلينا قبل أن نبين دور عملية التوافق فى التنشئة الاجتماعية أن نفرق بين المصطلحين. والتوافق كما تعرفه المعاجم النفسية الإنجليزية[٢] والفرنسية[٣] أعم من التكيف، ويكاد يكون معناه مقصورا على النواحى النفسية والاجتماعية. أما معنى التكيف فيختص بالنواحى الفسيولوجية. وبذلك تصبح عملية تغيير الفرد لسلوكه ليتسق مع غيره، وذلك باتباعه للعادات والتقاليد وخضوعه للالتزامات الاجتماعية، عملية توافق. وتصبح عملية تغيير حدقة العين وذلك باتساعها فى الظلام وضيقها فى الضوء الشديد عملية تكيف، وهكذا ندرك دور عملية التوافق الاجتماعى فى التنشئة الاجتماعية.

وعملية التوافق الاجتماعى لا تقتصر فقط على الطفل بل تمتد لحياة الراشد وخاصة عندما يواجه بيئة اجتماعية جديدة، وعندئذ تبدأ عملية التوافق مع تلك البيئة.

---

(1) Adjustment توافق - Adaptation تكيف

(2) English, H. B., and English, A. C. A Comprehensive Dictionary of Psychological and Psychoanalytical Terms. N. Y. Longman, 1974.

(3) Pieron, H. Vocabulaire de la Psychologie. Paris. P. U. F. 1963.

ولذا فإنه بالرغم من أن أغلب أبحاث التنشئة الاجتماعية تتمركز حول تنشئة الطفل ونموه الاجتماعى إلا أن التنشئة الاجتماعية فى معناها العام ليست مقصورة على ما يحدث للطفل وهو يتحول من فرد إلى شخص بل إنها لتمتد لتشتمل على كل ما يحدث لأى فرد عندما يتوافق بسلوكه مع معايير الجماعة التى ينضم لها ولأسلوب حياتها، وهذا ما يحدث مثلا للمدنى عندما يجند، وللفرد عندما ينتقل خلال مراحل حياته من بيئة لأخرى، ومن عمل لعمل آخر، ومن مستوى اجتماعى لمستوى آخر، وبذلك تؤكد عملية التوافق استمرار عملية التنشئة الاجتماعية خلال مراحل الحياة.

(د) عملية التثقف أو الانتقال الثقافى:

عندما تعمل التنشئة الاجتماعية على تحويل الفرد ككائن بيولوجى إلى الشخص ككائن اجتماعى، فإنها فى نفس الوقت تنقل ثقافة جيل إلى الجيل الذى يليه ويعقبه، وذلك عن طريق الأسرة والمؤسسات الاجتماعية الأخرى. وبما أن هذه الثقافة تميز مجتمعا عن مجتمع آخر، إذن فالتنشئة الاجتماعية من أهم الوسائل التى يحافظ بها المجتمع على خصائصه وعلى استمرار هذه الخصائص عبر الأجيال[1].

ولذا ففشل التنشئة الاجتماعية بالنسبة للفرد قد لا يؤدى إلى مثل خطورة فشلها بالنسبة للمجتمع، لأنها عندما لا تحقق وظيفتها الثقافية فإن هذا قد يعنى انتهاء المجتمع القائم وتحوله إلى مجتمع آخر، ومثل ذلك تحول المجتمع المصرى المعاصر بثقافته عن ثقافة المجتمع الفرعونى القديم، أى أن المظاهر الثقافية التى يعتمد عليها المجتمع المصرى المعاصر فى حفاظه على ذاتيته ليست هى نفس المظاهر الثقافية التى عاش بها المجتمع المصرى الفرعونى القديم. وهكذا تغيرت التنشئة الاجتماعية للطفل المصرى عبر الأجيال المتعاقبة نتيجة لتغير المتطلبات الثقافية للمجتمع القائم، ونعنى بالمتطلبات الثقافية: اللغة، والدين، والخلق، والعادات، والتقاليد، وكل ما يميز مجتمعا عن مجتمع آخر فى بيئتين مختلفتين، أو يميز المجتمع عن نفسه فى عصور متباينة متباعدة.

ثالثا - مظاهر التنشئة الاجتماعية

كان علماء النفس الاجتماعى حتى الستينيات من هذا القرن يقحمون مفاهيم مختلفة ومتعددة على مظاهر التنشئة الاجتماعية. وقد تعرضت أغلب تلك المفاهيم وما تعتمد عليه من نظريات إلى النقد العلمى القائم على البحث التجريبى. ولم يقف الناقدون موقفا سلبيا من تلك المفاهيم بل صاغوا بدائلها العملية الصحيحة. ومثال ذلك

---

(1) Elkin, F. The Child and Society: The Process of Socialization N. Y. Random House, 1960.

مفهـوم التبعية الذى بـدأ يختفى من الدراسات المعاصـرة ليفسح المجال لمفـهوم التعلق. ويرجع الفـضل فى أغلب هذا النقـد إلى بولبى Bowlby وشافر Schaffer وإنيزورث Ainsworth وغيـرهم من الذين عكفوا عـلى الدراسات الميدانـية وتسجـيل الملاحظات العملية الدقيقة وتتبعوا مظاهر التنشئة الاجتماعية خلال مراحل النمو المختلفة.

وكما ضعف الاهتـمام بمفهوم التبعية لخطأ إطاره النظرى، ضـعف الاهتمام أيضا بكثير من المفاهيم التى كانت تحسب خطأ من مظاهر التنشئة الاجتماعية مثل الاستقلال، ودوافع الإنجاز، واسـتقـر الأمر بتلك المظاهـر على مفهـومين رئيسـيين هما: التـعلق، والعدوان.

وسنبين فيما يلى خصائصهما الرئيسية وطرق دراستهما:

(أ) التعلق:

كان مصطلح التبعية هو المصطلح السائد فى أبحـاث ودراسات التنشئة الاجتماعية حتى نهاية الخمسينيات من هذا القرن. وترجع نشأة هذا المصطلح إلى موارى[1] Murray الذى عرفـه سنة ١٩٣٨ على أنه اعتـماد الفـرد على مسـاعدة الآخريـن إلى الحد الذى يصبح فيه هذا الاعتمـاد هدفا يسعى الفرد لتحقيقه. ولذلك فغالبـا ما تؤدى التبعية إلى ضعف ثقة الفرد بنفسه. والتبعية من هذه الوجهة صفة مهينة.

وتنشأ التبعية من تطور اعتماد الفرد على غـيره فى تحقيق حاجاته الفسيولوچية إلى اعتمـاد الفرد على غيره فى تحـقيق حاجاته النفـسية. ولذا تعد حافـزا ثانويا. ولقد أثبتت الأبحـاث بعد ذلك خطأ هذه الفكرة وأن اعـتماد الفـرد على فرد آخر فى إشـباع حاجـاته الفسيـولوچية لا يتطور، فى الأغلب والأعم، إلى الاعـتماد عـلى نفس الفرد السابق فى إشباع الحاجات النفسية.

ويرجع الفضل إلى بولبى[2]. Bowbly سنة ١٩٥٨ فى نقده لـمصطلح التبعـية، وفى دعوتـه إلى استخـدام مصطلح التـعلق[3]بدلا منـه. وذلك لأن الأسـاس الـنظرى لمصطلح التبعية أسـاس خاطئ. وأن التعلق يعتمد على مفهـوم العلاقات المتبادلة. وهو مفهوم رئيسى ومن أهم مفاهيم علم النفس الاجتماعى. وأنه كما يتعلق الطفل بأمه فإن الأم أيضا تتعلق بطفلها. والتعلق بهذا المعنى ظاهـرة سوية، وعندما نصف أفراد جماعة ما بأن كل فـرد منهم يتعلق بالـفرد الآخر فـإننا بذلك نصف تلك الجمـاعة بالتـماسك

---

(1) Murray, H. A. Explorations in Personality Oxford. Oxford Univ. Press. 1938.

(2) BOwlby, J. The nature of the child's tie to his mother. Int. J. Psycho Anal. 1958, 39, 350 - 73.

(3) Dependency التبعية Attachment التعلق

والألفة والتعاطف. ويقرر بولبى أن الفرد خلال مراحل نموه من طفولته إلى رشده يتعلق ببعض الأفراد، أى يسعى دائما لأن يكون بمقـربة منهم، وينفصل أيضا عن أفراد آخرين أى يتباعد عنهم حتى تتخذ تنشئته وجهتها السوية.

١ ـ معنى التعلق:

التعـلق من أهم مظاهر التنشئـة الاجتـماعيـة. ويعرف بأنه الـسعى للتـقرب من شخص آخر والميل للمحافظة على هذا الجوار عندمـا يتحقق. ويتعلق الطفل بأمه ليتقى بذلك المخاطر، وليحصل على الطمأنينة التى يحتاجها والأمن الذى يرجوه.

وكما يتعلق الطفل الإنسانى بأمه تتعلق أيضا صـغار الرئيسيات أو الثدييات العليا بأمها، ويختلف تعلقها عن تعلق الإنسان فى أنه يبدأ مبكرا جدا فى حياة تلك الصغار. ومن أهم مظاهر التعلق عند الحيوانات ميل الصغار إلى تـتبع أمهاتها وخاصة عند أفراخ البط حـيث تسير فـى خط وراء أمها، والميـل إلى الالتصاق بـالأم كما يبـدو ذلك عند القردة.

ويدل التعلق على علاقات اجتماعية متبادلة بين الطفل وأمه فى بدء حياة الطفل. وكما يتعلق الطفل بأمه تتعلق الأم أيضا بطفلهـا، كما يسعى لجوارها تسعى هى لجواره، أى أن العلاقة بينهـما علاقة متـبادلة. وينطوى التبادل على تفاعـل ودينامية. ثم يتطور التعلق وتتسع آفاقه خلال مراحل الحياة ويصبح فى كثير من نواحيه الدعامة الأولى لكثير من مظاهر الجمـاعة الصغـيرة، ومثـال ذلك التماسك الجـماعى. وأغلب ما تسـفر عن ديناميـات الـتفـاعل الجـماعى. من أجل هـذا أصبح التـعلق من أهم مظاهر الـتنشئـة الاجتماعية.

ومن أهم التـجارب التى تؤكـد دور القرب والجـوار فى التعلق البـحث[1] الذى أجرى على مظاهر سلوك حمل صغير فصل عن أمه لمدة ستة أسابيع ووضع بجوار جهاز للتليفزيون ظل يبث برامجه طوال الوقت. وبعد مضى تسعة أسابيع على انفصال الحمل عن أمه أبعد جـهاز التليفزيون من جوار الحـمل، فاصطبغ نشاطه بعد إبعـاد التليفزيون بسلوك الباحث عن شئ ما. وعندمـا وجد الحمل التليفزيون اقـترب منه فى رضا. وفى تجربة أخرى عاشت جماعة من الحملان بالقرب من كلب يفصلها عنه شبكة حديدة حتى لا ينشأ بينهما تفاعل نتيجة للاتصال البدنى. وبذلك أصبح الكلب موضوع التعلق. وقد أصبحت عـلاقة الحملان بالكلب قوية بحـيث إن الحملان كانت تتبـعه بعد ذلك فى أى مكان يرتحل إليه.

---

(1) Danziger, K. Socialization. Harmondsworth, Penguin, 1971, 104 - 105.

وقد لاحظ الباحثون أيضا أن الحملان الصغيـرة اليتيمة التى تنشأ مع الراعى تتبعه أين يذهب ولا تختلط بالحملان الأخرى إن وجدت معها بعد ذلك.

٢ ـ أنماط التعلق:

سبق أن بينا أن أهم أنماط التعلق عند الحيوانات همـا السير وراء الأم كما يحدث ذلك عند أفراخ البط، والالتصاق كما يحدث ذلك عند القردة.

وقامت إينزورث[1] Ainsworth سنة ١٩٦٧ بدراسـة ميدانيـة لعينة مـن الأطفال الأوغنديين منذ ولادتهم حـتى بلغ عمرهم خـمسة عـشر شهـرا. وكانت الباحـثة تزور العائلات التى اختـارتها لبحثهـا كل أسبوعين. وأعدت قوائم الملاحظة لتـسجيل المظاهر المختلفة للتعلق. وانتهت الباحثة بعد تسجيلها لملاحظاتها ومقابلاتها إلى تحديد ستة عشر نمطا للتعلق نبينها فيما يلى:

١ ــ الصراخ الفارق ــ يصـيح الطفل عندما يحمله شخص آخر غـير أمه ويكف عن صياحه عندما تحمله أمه.

٢ ــ الابتسام الفارق ــ يبتسم الطفل لأمه فى تفاعله مـعها أسرع وأكثر مما يبتسم للآخرين فى تفاعله معهم.

٣ ــ المناغاة الفارقـة ــ يناغى الطفل أمه فى تفاعله معها وأسـرع وأكثر مما يناغى الآخرين فى تفاعلهم معهم.

٤ ــ التوجيه البصرى الحركى ــ عندما يبتعد الطفل عن أمه ويبقى فى مكان يمكن أن يراها منه فإنه يتجه ببصره، باستمرار نحوها.

٥ ــ استجابات الترحيب ــ عندما تعود الأم بعد غـيابها فإن الطفل يبتسم مرحبا بها فى نشوة.

٦ ــ رفع الذراعين للترحيب ــ يرفع الطفل ذراعيه تجاه أمه مرحبا بها بعد عودتها من غيابها.

٧ ــ التصفيق باليدين للترحيب ــ قد يصفق الطفل بيديه بدل أن يرفع ذراعيه.

٨ ــ الصراخ عند رحيل الأم ــ يصرخ الطفل فى احـتجاج عندما ترحل الأم من مجاله البصرى.

---

(1) Ainsworth, M. D. S. Infancy in Uganda: Infant care and the Growth of Attachment. Baltimore, md: The Johns Hoppins Press.

٩ ــ التسلق على الأم ــ يتسلق الطفل على أمه ويحافظ على التصاقه بها وهو يتسلقها ليكتشف خصائص جسمها وملابسها.

١٠ ــ الاتباع ــ عندما يستطيع الطفل أن يزحف فإنه لا يصرخ فقط عندما ترحل أمه عنه بل يحاول أن يتبعها.

١١ ــ إخفاء الوجه فى حجر الأم ــ يخفي الطفل وجهه فى حجر أمه وهو يلتصق بها متسلقا أو عندما يعود إليها من مكان قريب أو بعيد.

١٢ ــ الالتصاق ــ عندما يجد الطفل نفسه بين ذراعى أمه فإنه يلتصق بها فى شدة عندما تنظر إليه وتدلله.

١٣ ــ التحرك للاقتراب ــ عندما يستطيع الطفل أن يزحف، فإنه يصل بترحيبه بها إلى نهايته وذلك بإسراعه نحوها زاحفا ليلقاها.

١٤ ــ الاحتضان والتقبيل ــ يقابل الطفل ترحيب الكبار به باحتضانهم وتقبيلهم.

١٥ ــ اكتشاف البيئة من قاعدة الأم الآمنة ــ عندما يستطيع الطفل أن يزحف فإنه ينطلق ليكتشف ما حوله ثم يعود إلى أمه بين الحين والآخر.

١٦ ــ الهروب إلى الأم طلبا للأمن والنجاة ــ عندما يتعرض الطفل لما يثير فى نفسه الخوف فإنه يسرع إلى أمه.

هذا، بالرغم من أن نتائج هذا البحث قد لا تصلح للتعميم من بيئة لأخرى إلا أنها تدل بوضوح على مدى تعدد وتباين استجابات التعلق.

ولا شك فى أهمية هذا البحث كمثال يحتذى فى البيئات الأخرى وكمؤشر لأهم خصائص ظاهرة التعلق وخاصة أن سلوك الطفل الإنسانى أكثر مرونة من سلوك أطفال الحيوانات المختلفة، ولهذا فهو أكثرها قابلية للتغير تبعا لزيادة السن وتبعا لاختلاف البيئات.

هذا، وبالرغم من اختلاف مسالك هذه الأنماط وتعددها إلا أنها جميعا تهدف إلى غاية واحدة هى تحقيق الجوار على أنه أهم وظائف التعلق. وهذا يعنى أن التعلق قد يتخذ أى صورة من الصور السابقة وقد يجاوزها إلى صور أخرى جديدة لتحقيق الجوار.

٣ ـ مراحل التعلق:

يميز الطفل منذ بدء حياته بين المثيرات البيئية المختلفة المحيطة به. ويعد هذا النوع من التمييز الأساس الأول لتطور التعلق خلال مراحله المتتابعة. ويستجيب الطفل بصفة خاصة للمثيرات التى تصدر عن الأفراد الآخرين أكثر مما يستجيب للمثيرات التى تصدر

عن الأشياء الأخرى فيستجيب مثلا للمثيرات السمعية التى تصدر عن أقوال وأصوات الأفراد الآخرين، ويستجيب للمثيرات البصرية التى يشعر بها وهو ينظر لأوجه الناس، ويستجيب للمثيرات اللمسية الحركية التى يحس بها عندما يلمس أيدى وأذرع وأجسام الكبار. ومن هذه المثيرات والاستجابات البسيطة تبدأ عمليات التمييز الفارق المعقد التى تتطور بعد ذلك إلى مراحل متتابعة للتعلق.

ويعد البحث الذى أجراه شيفر .Schaffer وأميرسون Emerson سنة ١٩٦٥ من أهم الأبحاث التجريبية التى تصدت للكشف عن مراحل التعلق. ولقد قام الباحثان بدراسة طولية تتبعا فيها تغير مظاهر سلوك التعلق للأطفال من الأسابيع الأولى للميلاد إلى ١٨ شهرا. وكانت الأداة التى استخدماها هى قياس استجابة الطفل متدرجة من لاتعلق إلى تعلق حاد بالنسبة لسبعة مواقف انفصال مثل ترك الطفل وحده فى الحجرة. وكان الباحثان يهتمان بالأعمار التى تحدد التعلق الاجتماعى، وشدة هذا التعلق وموضوعه، والمتغيرات التى تتصل بالفروق الفردية. وأكدت نتائجهما أهمية النمو الإدراكى فى تغير مظاهر التعلق خلال مراحله المتتابعة. وأن بعض الأطفال يتعلقون بفرد واحد، والبعض الآخر يتعلق بأفراد متعددين.

وقد توصل الباحثان إلى علاقة واضحة بين سرعة استجابة الأم لبكاء الطفل وشدة تعلقه بها، وخاصة فى سن ١٨ شهرا. وأن التعلق يرتبط ارتباطا موجبا بنوع المبادرة التى تصدر عن الأم فى تفاعلها مع الطفل. ومن أغرب ما كشفت عنه هذه التجربة أن ٣٩٪ من الحالات كان تعلقها بشخص آخر غير الذى يقوم بالغذاء والعناية بالأطفال. وأن ٢٢٪منها لا ترتبط بتحقيق الرغبات المادية البدنية.

وتشير نتائج هذا البحث والدراسات التى قام بها بولبى Bowlby ونتائج الأبحاث الأخرى على أن للتعلق أربع مراحل أساسية تتلخص فيما يلى:

١ ــ المرحلة الأولى: وتعد هذه المرحلة مقدمة للتعلق وإرهاصا له، وتتمثل فى التوجه العام للآخرين دون أى تمييز فارق، حيث يتفاعل الطفل مع الآخرين دون أن يفرق فى تفاعله بين فرد وآخر. ويعتمد الطفل فى توجهه نحوهم على المثيرات السمعية، وتستمر هذه المرحلة منذ بدء الحياة حتى ما يقرب من نهاية الأسبوع الثانى عشر.

٢ ــ المرحلة الثانية: وتتميز بالتوجه نحو شخص بالذات. وفى هذه المرة يظل اهتمام الطفل بمن حوله كما كان فى المرحلة الأولى ولكنه يهتم أكثر بأمه. وتبدأ هذه المرحلة فى الأغلب والأعم بعد الأسبوع الثانى عشر، وتستمر هذه المرحلة حتى نهاية الشهر السادس.

٣ ـ **المرحلة الثالثة:** مرحلة الجوار من الأم والتقرب لها والاستعانة بها كقاعدة للتحرك منها والعودة إليها. وبذلك تقوى علاقة الطفل بأمه وتضعف علاقته بالآخرين، فيصيح عندما تبعد عنه ويرحب بها عندما تعود إليه. وينظر الطفل إلى الأغراب بمنتهى الحيطة والحرص بل والخوف أحيانا. وغالبا ما تبدأ هذه المرحلة فيما بين الشهر السادس والسابع من عمر الطفل، وقد تتأخر فى بعض الحالات إلى نهاية السنة الأولى فى حياة الطفل. وغالبا ما تستمر هذه المرحلة خلال السنة الثانية والسنة الثالثة.

٤ ـ **المرحلة الرابعة:** مرحلة تكوين العلاقات الاجتماعية مع الآخرين وتبدأ بنظرة الطفل إلى أمه على أنها كائن مستقل عنه، ثم يفهم بالتدريج لماذا تقبل عليه ولماذا تبعد عنه، وبذلك يدرك بطريقة أو بأخرى ما تسعى إليه أمه وكيف تحقق لنفسها ما ترجوه. أى أنه بمعنى آخر يفهم عن أمه مشاعرها ودوافعها. وبذلك تتحول علاقته بها إلى علاقة الصاحب. ومن هذا المنطلق تبدأ علاقات الطفل الاجتماعية مع الآخرين تتخذ وجهتها الصحيحة. وتبدأ هذه المرحلة فى الأغلب والأعم فى نهاية السنة الثانية، وقد تتأخر عند بعض الأطفال إلى نهاية السنة الثالثة.

وإذا نظرنا إلى التعلق من منظور هذه المراحل فإننا نستطيع أن نقرر أن الطفل فى المرحلة الأولى لا يسفر عن مظاهر التعلق، ويسفر عن هذا التعلق فى المرحلة الثالثة أما عن المرحلة الثانية فهى مزيج من التعلق والانفصال.

٤ ـ عوامل شدة التعلق:

تواترت نتائج الأبحاث المختلفة على أن من أهم العوامل التى تحدد مدى شدة تعلق الطفل بالأفراد الآخرين: درجة إحساس الأم بمسئولياتها كما يظهر هذا الإحساس فى سرعة تلبيتها لصياح الطفل بحمله والاهتمام به، وطول الزمن الذى يقضيه الكبار مع الطفل ومدى اهتمامهم به، وملامسة جسم الطفل لجسم أمه وخاصة ما يتصل منه ومنها بالرضاعة، ويعد وجه الأم بل وحتى وجودها بالقرب منه من أهم العوامل التى تؤثر فى شدة التعلق، حتى أن مجرد ظهورها أمام طفلها يهدئ من روعه ويطمئن خاطره، وعندما ينفصل الطفل عن أمه يبكى ويصيح فى احتجاج واضح، ثم يتحول سلوكه عندما تطول مدة انفصاله عنها إلى السلبية والانسحاب والتباعد عن الأفراد الآخرين. وتدل الأبحاث التى أجريت على الأطفال الذين فقدوا أمهاتهم أو فصلوا عنهم لأمر ما مثل الطلاق أو الموت أو لأى سبب آخر على أن مثل هؤلاء الأطفال يصابون بالكآبة وتضعف صحتهم وتنهار إلى حد الموت فى بعض الحالات.

٥ ـ طرق قياس التعلق:

يعد البحث الميداني أنسب الأبحاث لدراسة التعلق. ويعتمد البحث الميداني على طريقة الملاحظة:

وقد أعد بولبي[1]. Bowlby قائمة تصلح لتسجيل ملاحظات الباحثين وذلك تمهيدا لدراسة أنماط التعلق. وتشتمل هذه القائمة على أهم المواقف التى تحدد صور وأشكال السلوك الذى يدل على التعلق.

وسنبين فيما يلى أهم المواقف الخاصة والعامة التى تصلح للتسجيل. فأما المواقف الخاصة فتتلخص فيما يلى:

١ ــ ترحيب الطفل بأمه ــ وذلك عندما يقترب منها، ويحضنها، ويتسلق عليها، ويخفى وجه فى حجرها، ويناديها، ويحادثها لتكلمه، ويلوح لها بيده، ويبتسم.

٢ ــ استجابة الطفل لترحيب أمه به ــ وتشتمل هذه الاستجابة على كل المظاهر السابقة لسلوك التعلق وذلك علاوة على مرافقة الطفل لأمه فى سكناتها وحركاتها.

٣ ــ تجنب الطفل الانفصال عن أمه ــ وذلك عندما يتبع الطفل أمه، ويمسك بها، ويصيح، ويبكى.

٤ ــ النشاط الاستكشافى ــ وذلك فى بحث الطفل عن أمه.

٥ ــ النشاط الهروبى ــ وذلك عندما يخاف الطفل ويسرع نحو أمه.

ويقترح بولبى أيضا أن تشتمل عملية الملاحظة على المواقف العامة التى تبين سلوك الطفل لوجود الأم وتحركاتها، ولوجود أو غياب الأفراد الآخرين، ولمدى ألفته بالأشياء المادية المحيطة به، وبحالته.

والقائمة التالية تبين طائفة من تلك المواقف العامة التى تساعد الباحث على دراسة التعلق:

١ ــ وجود الأم وتحركاتها:

ــ الأم موجودة.

ــ الأم ترحل.

(1) Bowlby, J. Attachment. Harmondsworth, Penguin, 1978, 396 - 398.

ـ الأم غير موجودة.

ـ الأم تعود.

٢ ـ موقف الطفل من الأفراد الآخرين:

ـ وجود أو غياب الأفراد المألوفين للطفل.

ـ وجود أو غياب الأفراد غير المألوفين للطفل.

٣ ـ الأشياء المادية المحيطة بالطفل:

ـ مألوفة.

ـ غريبة إلى حد ما.

ـ غريبة جدا.

٤ ـ حالة الطفل:

ـ سليم، مريض، متألم.

ـ نشيط، أو مرهق.

ـ جائع، أو شبعان.

وقد استعانت إينزوريث Ainsworth بالقائمتين السابقتين فى دراستها لأنماط التعلق عند الأطفال الأوغنديين.

ويستطيع الباحث أن يستكمل أيضا القائمتين السابقتين وذلك بتسجيل سلوك الأم بما فى ذلك استجاباتها المختلفة لأنماط تعلق الطفل بها، ومتى وكيف تستجيب هى لسلوك الطفل فى تعلقه بها، ومتى وكيف تثير هى سلوك التعلق عند الطفل.

(ب) العدوان:

لا يكاد يختلف اثنان فى أن الإنسان كائن عدوانى ـ ويكاد يكون هو الكائن الحى الوحيد الذى يعتدى على بنى جنسه حيث يقتل غيره ويجد متعة فى مثل هذا القتل.

ومن المألوف أن نصف قسوة الإنسان بأنها عمل وحشى، والواقع أن قسوة الإنسان على الإنسان لا ميل لها عند الحيوانات. والحقيقة التى يجب أن نعترف بها أننا كبشر أقسى وأشرس من عاش ويعيش على وجه هذه الأرض.

ولكل منا ميوله العدوانية التى تظهر فى القتل والضرب والسب والإيذاء.

وعندما يصبح العدوان سلوكـا مرضيا فإنه يكبت ويتحول إلى الفـرد ذاته فيعتدى على نفســه، وقد ينتهى به هـذا الاعتداء إلى الانتـحار. وقد ينسب الفـرد العدوان إلى الآخرين ويبـرىء نفسه من عدوانه عليـهم. وقد يعود الفرد إلى مظاهر غـضب الطفولة فينفجر فى صيحات وصراخ وكأنه طفل غـاضب ويعتدى على ما حوله فى بيئته. ومثل هؤلاء الأفراد يسفرون بعدوانهم المرضى عند عجزهم عن أن يسلكوا بهذا العدوان سلوكا إيجابيا سويا متكاملا مع البناء العام لشخصيتهم.

ولهذا يعد العدوان من أهم موضوعات التنشئـة الاجتماعية، لأن هذه التنشئة من أهم وسائل التحكم فى العدوان منذ نشأته الأولى فى الطفولة المبكرة، وفى تحديد مساره السوى.

ولكن ماذا نعنى بالعدوان؟ ومتى يصبح العدوان سويا إيجابيا نافعا، ومتى يصبح لا سويا مـخربا مدمـرا حتى نستطيع أن نعلم كـيف نوجه طاقة العـدوان اللاسوى إلى العدوان السوى.

١ ـ تعريف العدوان:

من الصعب تعـريف العدوان لأنه أى التعـريف يستخـدم فى مجالات متـعددة، ويدل فى كل مجال من المجالات على معنى يختلف عن معانى المجالات الأخرى.

فالطفل الذى يصـيح فى غضب ليحصل على الحلوى، يدل بذلك الـصياح على سلوك عدوانى لأنه يشعر بالإحباط الذى يحـول بينه وبين إشباع رغباته. والقاضى الذى يغضب فيحكم على المذنب بأقسى وأقصى العقوبة يمكن أن يدل بذلك أيضا على سلوك عدوانى يتصف بالانتقام والغيظ.

هذا وقد ترجع بعض مشكلات تعـريف العدوان إلى أننا لا نستطيع أن نضع خطا فاصلا بين العدوان الذى يمكن أن نحتمله ونتـجاوز عنه، وبين العدوان الضرورى لبقائنا واستمرار حياتنا، والعدوان المدمر والمخرب.

فعندمـا يثور الطفل على السلطة القائمـة فإنه يصبح عدوانيـا، لكن هذا العدوان يمثل ميله إلى الاسـتقلال ورغـبته فى الحـرية. وهذا الميل أو تلك الرغبـة إحدى مظاهر نموه، ومن أهم مطالبه الحيوية لاكتمال هذا النمو.

والرغبة فى القوة والسيطرة ظاهرة سيـئة لا نقرها ولا نرضاها. لكن سيطرة الفرد على المشكلات التى تواجهـه ظاهرة طيبة نقرها ونرضـاها لأنها وسيلة الإنســان لمواجهة المجهول والانتصار على الصعاب والتحكم فى البيئة المحيطة به.

وهكذا يصل بنا هذا التحليل إلى تعريف العدوان بأنه الاستجابة التى تعقب الأحباط ويراد بها إلحاق الأذى بفرد آخر أو حتى بالفرد نفسه. ومثال ذلك الانتحار فهو سلوك عدواني على الذات.

٢ ـ المظاهر الفسيولوجية المصاحبة للعدوان:

يوجد فى الحيوان والإنسان ميكانيزم فسيولوچى ينمو به عندما يثار إلى الشعور بالغضب وإلى تغيرات فسيولوچية تعد الفرد للقتال.

إذ عندما يغضب الفرد تسرع ضربات قلبه ويزداد ضغط دمه، وتزداد نسبة الجلوكوز فى الدم، ويزداد معدل تنفسه فى شهيقه وزفيره، وتنكمش عضلات أطرافه وتتوتر لتقاوم التعب والإرهاق، وتزداد سرعة الدورة الدموية وخاصة فى الأطراف.

ويعض الفرد على أنيابه، وتصدر عنه أصوات لا إرادية، ويقل إدراكه الحسى حتى إنه قد لا يشعر بالألم فى معركته مع غريمه.

وقد أدت التجارب التى أجراها بيركوڤيتز[١] Berkowitz على بعض الحيوانات، وتلك التى أجراها هس[٢] Hess على القطط وهولست[٣] Holst على الدجاج إلى معرفة الميكانيزمات الفسيولوچية التى تؤدى إلى العدوان. فعندما تستثار الغدة الهيبوسلامية Hypothalamus الموجودة فى قاع المخ بالتيار الكهربائى المناسب فإن الحيوان يغضب وتبدو عليه جميع أعراض السلوك العدوانى مع عدم وجود الغريم الذى يثير مثل هذا السلوك.

وتخضع هذه الغدة فى عملها للكف المفروض عليها من القشرة المخية الذى يحول بينها وبين دفعها الفرد إلى المسلك العدوانى. وعندما تصل أية إشارة من العالم الخارجى بما قد يؤدى إلى تهديد حياة الفرد أو يؤدى به إلى الإحباط فإن القشرة المخية تحرر الغدة الهيبوسلامية من قيودها فتبدأ عملها، فيغضب الفرد ويسلك سلوكه العدوانى.

وتدل نتائج التجارب[٤]. التى أجريت على علاقة القشرة المخية بالغدة الهيبوسلامية أنه عند قطع الاتصال العضوى القائم بين القشرة المخية وهذه الغدة فإن الكائن الحى يصبح عصبيا عدوانيا.

---

(1) Berkowitz, L. Aggression: A Social Psychological Analysis. N. Y. Mc Graw - Hill 1962.

(2) Hess, E. A. Imprinting in animals. Sci. Am. March 1958.

(3) Holst, V. E. Electrically controlled behaiour, Sci. Am. 1962, 206, pp. 943 - 944.

(4) Milner, P. M. The Role of the Brain in Motivation. In Foss, B. M. (E d). New Horizons in Psychology. London. Pelican. 1977. p. 249.

ويقابل الغدة الهيبوسلامية فى عملها جسم يسمى الاميجدالا Amygdala وعندما يستثار هذا الجسم فى الحيوان والإنسان بالتيار الكهربائى المناسب، فإن الفرد يخاف ويهرب إلى أقرب مأوى، وكأنه يحتمى من شئ مخيف يهدد حياته. والمرضى الذين يتعرضون لاستثارة الأميجدالا أثناء إجراء العمليات الجراحية بالمخ يصابون بالقلق، وأحيانا ينتابهم خوف شديد فيصيحون فى فزع شديد. وعندما يستأصل الجسم الأميجدالا عند بعض الحيوانات المتوحشة بعملية جراحية فإنها تصبح أليفة، وتقترب من الإنسان دون أن تعرضه لأى أذى.

٣ - وظيفة العدوان وأهميته:

يتصل العدوان اتصالا مباشرا بالجذور الأساسية للتقدم البشرى. ولقد حقق الإنسان مكانته فى البيئة المحيطة به عن طريق سلوكه العدوانى. ولولا هذا السلوك لما أصبح الإنسان هو بحق سيد هذه الأرض التى يحيا عليها مسيطرا على ما بها من قوى حتى أخضعها لإرادته وتحقيق آماله ورغباته. ولولا ذلك العدوان لانقرض النوع الإنسانى من عهد سحيق.

ولذا فلا يقتصر العدوان فقط على التخريب والتدمير لأن هدفه الأساسى هو مساعدة الفرد على النمو وعلى تحقيق سيادته فى الحياة التى يحياها. وعندما يحال بين الفرد وبين تحقيق أهدافه فإنه غالبا مايثور ويغضب ويعتدى على كل ما يحول بينه وبين تحقيق أهدافه[1]. لأن هدف العدوان استمرار حياة الكائن الحى فى مواجهة البيئة الخارجية المحيطة به، والتى تحمل بين طياتها ما يهدد استمرار هذه الحياة وما يؤدى بالفرد إلى الإحباط.

بهذا يمتد مجال العدوان لتهيئة الفرد للتغلب على الصعاب ولتأكيد مكانته حتى يصبح كائنا متمايزا بشخصيته عن الآخرين. والعدوان بهذا المعنى ضرورة من ضرورات البقاء بشرط أن يتمكن الإنسان من ترويضه وتطويعه لفائدة البشرية لا لتدميرها.

٤ - العلاقة بين التعلق والانفصال والعدوان:

عندما يتحول الفرد من طفل يتعلق بأمه إلى راشد يستقل بذاته ويدرك حقوقه وواجباته، فإنه يتخفف بالتدريج من التعلق إلى الانفصال وقد يتطور الانفصال إلى العدوان. والفرد فى انفصاله وفى عدوانه يؤكد وجوده واستقلاله.

---

(1) Thompson, C. M. Interpersonal Psycho - Analysis. N. Y. Basic Book. 1964, P. 179.

ومن أهم التجارب التى توضح العلاقة بين التعلق والانفصال والعدوان وخاصة عندما يتخذ الانفصال والعدوان مظهرا اكتشاف البيئة المحيطة بالفرد والسيطرة على متغيراتها تجربة هارلو H. F. Harlow وهارلو M. K. Harlow[1]. حيث قام الباحثان بتربية قرد صغير مع دمية صناعية كبديل للأم، وترك القرد وحده مع أمه الصناعية وبعض اللعب والأحجار والكور وما شابه ذلك. وفى البدء بدت الحيرة على وجه القرد وأسرع فى خوف إلى أمه الصناعية ليلتصق بها ليحمى نفسه من خطر هذا المجهول.

ثم بدأ بعد ذلك يتحول بالتدريج وفى استحياء إلى ملاحظة ما فى الحجرة من لعب وأشياء. ثم تشجع وترك أمه وسار نحو الكرة. ووضع يده عليها فتحركت، ففزع وأسرع نحو أمه الصناعية ليلتصق بها. وتكررت هذه المخاطرات حتى تناقصت مرات التصاقه بأمه وزادت مرات عبثه بما فى الحجرة من ألعاب وأشياء.

هذا وكثيرا ما نلاحظ مثل هذا السلوك فى أطفالنا وخاصة عندما يواجهون الأمور الجديدة عليهم. وبذلك يتخفف الطفل من التعلق ويتجه إلى اكتشاف البيئة المحيطة به والسيطرة عليها وهو فى محاولته للسيطرة عليها يسلك سلوكه العدوانى.

والطفل الذى يتاح له أبوه لعبة جديدة يقترب منها باحتراس وخوف أحيانا ثم يهرع إلى أحضان أمه ويعود ليكتشف هذه اللعبة حتى يألفها ويتعلم كيف يلعب بها، بل وكيف يعتدى عليها ويضربها أحيانا وخاصة إذا رأى أحد الكبار يضرب تلك اللعبة.

وهكذا تصبح العلاقة بين التعلق من ناحية والانفصال والعدوان من ناحية أخرى علاقة عكسية، أى كلما زاد التعلق نقص الانفصال والعدوان، وكلما نقص التعلق زاد الانفصال والعدوان.

٥ ـ العوامل التى تؤثر على السلوك العدوانى:

يتأثر السلوك العدوانى فى نشأته، وفى ضعفه وقوته بعوامل متعددة نلخص أهمها فى: التقليد الذى يمارس الطفل وهو يتعلم من الكبار أسلوبهم العدوانى، وفى البيئة العدوانية التى تؤدى بالطفل إلى الإحباط الذى يدفعه إلى العدوان، وفى الفروق الجنسية بين الذكور والإناث التى تؤدى بدورها إلى فروق فى مثيرات العدوان وأنواع استجاباته، وفى العزلة التى تزيد من حدة العدوان عند الحيوانات وعند الإنسان.

وسنبين فيما يلى أثر كل عامل من تلك العوامل على السوك العدوانى:

---

(1) Harlow, H. F., and Harlow, M. K. Social Deprvations. Scientific American. 1962.

(٥ ـ ١) أثر التقليد على العدوان:

للتقليد أثره المباشر والرئيسى فى السلوك العدوانى. وهو وسيلة من وسائل التعلم عن طريق الملاحظة التى تسبق التقليد.

ومن أهم الدراسات التى أجريت فى هذا الميدان تجربة باندورا[1] Bandura سنة ١٩٦١ عن أثر التقليد فى تكوين السلوك العدوانى لدى أطفال الرياض. وتتلخص فكرة هذه التجربة فى تقسيم عينة من أطفال الرياض إلى مجموعتين، إحداهما تجريبية والأخرى ضابطة. وقد شاهدت المجموعة التجريبية أحد الباحثين فى سلوكه العدوانى تجاه إحدى الدمى حيث أخذ يضربها ويدوس عليها بقدمه ويركلها برجله، ولم تشاهد المجموعة الضابطة هذه العملية. ثم تركت كل مجموعة لتلعب ببعض الدمى الشبيهة بالدمية التى أوذيت. وقد سجل الباحثون سلوك أطفال المجموعتين دون أن يرى الأطفال الباحثين الذى يرصدون أثناء لعبهم

ودلت نتائج هذه التجربة على أن سلوك أطفال المجموعة التجريبية أصبح عدوانيا نحو تلك الدمية، ولم يتغير سلوك أطفال المجموعة الضابطة إلى هذا المسلك العدوانى. وبذلك يبرهن هذا البحث على أثر التقليد فى اكتساب السلوك العدوانى، وفى مسار التنشئة الاجتماعية وما تتصف به من مكونات سلوكية مختلفة.

(٥ ـ ٢) أثر البيئة العدوانية:

للبيئة العدوانية أثرها المباشر على السلوك العدوانى أو المسالم للطفل ثم على سلوكه بعد ذلك فى رشده واكتمال نضجه، ولذا يهتم العلماء بدراسة خصائص تلك البيئة العدوانية حتى يكتشفوا مظاهرها ليتحكموا فيها ويحولوها إلى بيئة مسالمة ليتحقق السلام الذى ننشده جميعا.

والبيئة العدوانية هى البيئة التى تؤدى بالفرد إلى الإحباط، والإحباط قد يؤدى به إلى العدوان. ويختلف مدى الإحباط من بيئة لأخرى لأنه يقترن بمدى ما لا يتحقق من رغبات الطفل، وليس فى استطاعة أية بيئة أن تحقق جميع رغبات الطفل، لكن فى استطاعة البيئة أن تعد الطفل ليتعلم ما يمكن أن يتحقق من رغباته وما لا يمكن أن يتحقق دون أن تشعره بالإحباط.

---

(1) Bandura, A., and others. Transmission of aggression throught imitation of aggressive models. J. Abnorm. Soc. Psychol. 1961, 63, 575 - 582.

(٥ - ٣) أثر الفروق الجنسية على العدوان:

يختلف السلوك العدوانى عند الإناث عنه عند الذكور من الحيوانات وخاصة الثدييات العليا والإنسان، ولذا يعد الجنس سببا من أسباب تباين مظاهر العدوان بين الجنسين.

فالعدوان عند أنثى الحيوان يستثار عندما يتعرض أطفالها لخطر يهدد حياتها، بينما يستثار العدوان عند الذكور فى حالات التنافس على الأنثى والإغارة على رقعة الأرض التى يعيش عليها الحيوان وعائلته والتظاهر بمظهر القوة للسيطرة على الآخرين.

وعندما تحقن أطفال الحيوانات بالهرمونات الذكرية فإنها تصبح أكثر عدوانا من الأخرى التى لم تحقن بتلك الهرمونات.

ومما يؤكد هذه الفكرة عند الإنسان أن البنين أكبر عدوانية من البنات. وتستمر هذه الظاهرة خلال مراحل النمو من الطفولة إلى الرشد واكتمال النضج.

وللطمأنينة الانفعالية أثرها على الفروق الجنسية فى العدوان. فالرجال الذين لا يشعرون بالطمأنينة الانفعالية يصبحون أقل عدوانية وسيطرة من الذين يشعرون بها. والنساء الأقل شعورا بالطمأنينة الانفعالية أكثر عدوانية وتنافسا من اللاتى يشعرن بها[1].

(٥ - ٤) أثر العزلة على السلوك العدوانى:

تعد العزلة سببا رئيسيا من أسباب نشأة السلوك العدوانى لأنها تؤدى إلى الإحباط. وتدل نتائج البحث الذى أجراه ماسون[2] Mason سنة ١٩٦٠ على أن عزل القردة منذ طفولتها المبكرة عن القردة الأخرى يزيد من حدة عدوانها.

وقد دلت نتائج الأبحاث المختلفة بعد ذلك على أن هذه الظاهرة ليست مقصورة على القردة بل هى موجودة أيضا عند الكلاب والفئران وأغلب الحيوانات الأخرى، بل وعند الإنسان أيضا كما تدل على ذلك نتائج هارتوب[3] .Hartup وهيمنو Himeno التى نشراها سنة ١٩٥٩ حيث بينا بوضوح السلوك العدوانى للإنسان بعد عزله عن

---

(1) Storr, A. Human Aggression. Hormondsworth, Pengiun, 1970, 94.

(2) Mason, W. A. The effect of Social restictions on the behaviour of Rhens Monkeys. J. Comp. Phych. 1960, 53, pp. 582 - 589.

(3) Hartup, W. W., and Himono, Y. Social isolation VS. interaction with adults in relation to aggression in preschool children. J. Aln. Soc. Psych. 1959, 59, pp. 17 - 12.

الآخرين لمدة زمنية طويلة. ويفسر الباحثون ظاهرة العدوان بعد العزلة بأن العزلة تؤدى إلى الإحباط، والإحباط يؤدى إلى العدوان.

وتؤكد كذلك نتائج التجربة التى قام بها إيبل ايبسفلدت[1]. Eibel - Eibesfeldt سنة ١٩٦٣ على أن الفئران التى تربى معا فى قفص واحد فى عزلة عن الفئران الأخرى تسلك مسلكا عدوانيا مع الفئران الأخرى التى لم ترب معها عندما تقترب منها، وعندما وضع الباحث فأرا معها فى قفصها اعتدت عليه الفئران فى ضراوة وقسوة شديدة.

٦ - قياس العدوان:

قياس العدوان ليس بالأمر السهل البسيط لأن الشخص العدوانى فى حياته العملية قد يكون شخصا مسالما فى حياته العائلية. وأن ما يعده بعض الناس سلوكا عدوانيا قد لا يراه الفرد نفسه الذى يصدر عنه هذا السلوك عملا عدوانيا، ومن ناحية أخرى فإن الفرد يستطيع أن يخفى سلوكه العدوانى حتى لا يبدو أمام الآخرين عدوانيا. وبالمثل فإن السلوك العدوانى عند فرد ما لا يصدر عن نفس دوافع السلوك العدوانى عند فرد آخر. ولا شك أن هناك فرقا شاسعا بين سلوك عدوانى لفرد يريد أن يؤكد رجولته بهذا السلوك، وبين سلوك عدوانى لفرد آخر ينتقم لنفسه بهذا السلوك من إساءة فرد آخر.

وبالرغم من صعوبة بحث العدوان كمظهر رئيسى من مظاهر التنشئة الاجتماعية، إلا أن بعض الباحثين قد تمكنوا من قياس السلوك العدوانى، ونخص بالذكر البحث الذى قام به ماكورد[2]. Mc Cord وهوارد Howard على العدوانية الحادة عند الأسوياء والجانحين. واعتمد الباحثان في اختيارهما للحالات الشاذة للعدوانية على المدرسين والإخصائيين الاجتماعيين ورجال الشرطة وغيرهم ممن لهم صلة مباشرة بتلك الحالات، وقد تمكن الباحثان من اختيار ٢٤ ولدا يصفهم المجتمع وصفا جازما بالعدوانية، ثم قارنا هؤلاء الأولاد بآخرين ممن لا يتصفون بهذه العدوانية الحادة. وقد دلت نتائج هذا البحث على أن الحالات الحادة للعدوانية ترتبط ارتباطا إحصائيا كبيرا بالبيئة التى تتصف بالأمور التالية:

ـ التعرض للإيذاء من أحد الوالدين أو من كليهما.

ـ إحساس الوالدين أنفسهما بالفشل.

---

(1) Eibl - Eibesfeldt, I. Aggressive Behaviour and Ritualized Fighting in Animals. From Massermann, J. H. (Ed.), Science and Psychoanalysis.
N. Y. Grune and Stratton 1963.

(2) Mc Cord, W., Mc Cord, J., and Howard, A. Familial correlates of aggression in nondelinquent mal children. J. Abn. Soc. Psych. 1961, Vol. 62, 79, 79 - 93.

ـ اختلاف الوالدين وتعارضهما فى أسلوب تربية الطفل.

ـ كره الوالدين لإنجاب الأطفال، وكأن الأطفال جاءوا رغما عنهم.

ـ قسوة الوالدين إلى الحد الذى لا يتصف به سلوكهما بالعطف والحنان..

وتؤكد نتائج هذا البحث، والأبحاث الشبيهة به، أهمية دور الآباء والأمهات فى التنشئة الاجتماعية السوية، وأسباب التنشئة الاجتماعية اللاسوية.

ولقد سجلت نتائج الدارسات الطولية للعدوان نجاحا أكثر وضوحا من الدراسات المستعرضة التى لم تلق نجاحا يذكر فى دراسة السلوك العدوانى عند الأسوياء، ونجحت فى دراستها للجانحين.

ولقد دلت نتائج الدراسات الطولية التى قام بها كاجان[1]. Kagan وموس Moss سنة ١٩٦٢ على ارتباط مظاهر العدوانية فى الطفولة بالعدوانية فى الرشد. وقد أتيح لهذين الباحثين أن يحصلا على سجلات مظاهر نمو جماعة من الشبان والشابات من الميلاد حتى سن الرابعة عشرة. ثم أجريت مقابلات مقننة على هؤلاء الأفراد عندما بلغوا مرحلة الرشد المبكر، وسجلت نتائج تلك المقابلات وقورنت سجلات نموهم من الطفولة حتى المراهقة. وقد دلت نتائج هذا البحث على أن السلوك العدوانى فى الطفولة يصلح للتنبؤ بالسلوك العدوانى فى الرشد عند الذكور أكثر مما يصلح عند الإناث.

ويمكن تفسير هذه الظاهرة على أساس مفهوم الدور، واختلاف دور الذكور عن دور الإناث. أى أن الجنس ذكرا كان أم أنثى يحدد نوع الدور المتوقع من الفرد. وبذلك ترتبط العدوانية بالذكورة أكثر ما ترتبط بالأنوثة.. وتؤكد معاملات ارتباط الدور الذكرى فى الطفولة بالرشد هذه الفكرة، حيث قيمة الارتباط ٦٣, ٠ وبلغت معاملات ارتباط الدور الأنثوى فى الطفولة بالرشد ٤٤, ٠.

٧ـ تفسير العدوان:

تتلخص أهم الاتجاهات العلمية التى تحاول تفسير السلوك العدوانى فى ثلاثة اتجاهات رئيسية:

أولها يعتمد على التعلم، **وثانيها** يعتمد على التحليل النفسى، **وثالثها** يعتمد على التحليل العاملى.

(1) Kagan, J., and Moss, H. H. birth to Maturity. N. Y. Wiley, 1962

وقد سبق أن بينا أهمية التعلم الاجتماعى فى تحديد معنى التنشئة الاجتماعية. وينقسم دعاة التعلم إلى فئتين: **الفئة الأولى** ترجع نشأة العدوان إلى أثر الثواب والعقاب والإحباط على سلوك الفرد وخاصة فى طفولته المبكرة، وخلال المراحل الأولى للتنشئة الاجتماعية، **والفئة الثانية** ترجع نشأة العدوان إلى التقليد وما يتطلبه هذا التقليد من وجود النموذج المناسب مثل مشاهدة الأطفال لأحد الأفراد الكبار وهو يعتدى على بعض الدمى بالضرب. فعندما يترك الأطفال وحدهم بعد ذلك مع الدمى فإنهم يضربونها كما تعلموا من النموذج الذى كان يتمثل أمامهم فى ذلك الفرد، كما سبق أن بينا ذلك فى دراسة العوامل المؤثرة فى العدوان.

وهذا التفسير الذى يعتمد على التعلم يقرر أن السلوك العدوانى سلوك مكتسب ومن أكبر دعاة هذا الاتجاه باندورا كما سبق أن أشرنا إلى ذلك بالنسبة لأبحاثها فى ذلك الميدان[1].

وتفسر باندورا أثر التقليد والنموذج على العدوان بأن الطفل يتعلم استجابات جديدة من النموذج، وهذا يؤدى به إلى تقليد ومحاكاة هذا السلوك الجديد. وأن رؤية الطفل للسلوك العدوانى للكبار يضعف من أثر الكف الذى يتعرض له الدافع العدوانى الكامن فى نفسه فينطلق سافرا دون قيد أو عقبة.

أما الاتجاه الثانى فهو على عكس **الاتجاه الأول** حيث يقرر أن السلوك العدوانى سلوك فطرى يولد مع الطفل، وذلك هو اتجاه التحليل النفسى كما يتضح ذلك من كتابات فرويد وأدلر.

وقد يبالغ بعض المشتغلين بالتحليل النفسى فيصفون عملية الرضاعة بأنها عملية عدوانية بين الطفل وثدى أمه[2].

وأيًا كان الرأى فى صحة هذا الاتجاه فإن المحللين النفسيين قد يخطئون فى تعميمهم هذا على كل أفراد النوع الإنسانى، وقد يكون أجدى لهم أن يقصروا عدوانية الطفولة على الأفراد العصابيين وعلى الذين نشأوا فى بيئة تتصف بالإحباط الذى يحول بينهم وبين تحقيق رغباتهم.

ولقد بدأ فرويد كتاباته عن العدوان على أنه أحد المكونات الأساسية للغريزة الجنسية، فهو لا يدرسه دراسة مستقلة، بل يدرسه فى إطار الدافع الجنسى. وهو يذهب

(1) Bandura, A Social Learning and Personality Development. N. Y. Holt, Rinehart and Winston, 1963.

(2) Siegal, H. Introduction to the Work Of Melanein Klein. Londo Heinemann, 1964, p. 2.

إلى أن الدافع الجنسى يقترن عند الرجل بالسيطرة والتسلط وتلك مظاهر السلوك العدوانى.

ولقد غير فرويد رأيه فى العدوان بعد ذلك واعتبره عاملا أساسيا متمايزا عن الغريزة الجنسية، وذلك عندما نشر بحثه عن غريزة الموت سنة ١٩٢٠ فى كتابه ما بعد مبدأ اللذة[1].

وكان يرى أن العدوان يتجه نحو الذات ليقضى عليها ولا يتجه للعالم الخارجى، ويختلف أغلب المشتغلين بالتحليل النفسى مع فرويد فى فكرته عن غريزة الموت.

ويرى أدلر أن العدوان هو الدافع الأساسى فى حياة الفرد والجماعة، وأن الحياة تنحو نحو مظاهر العدوان المختلفة من سيطرة، وتسلط، وقسوة. وأن العدوان هو أساس الرغبة فى التمايز والتفوق، وهذا ما دعاه إلى أن يقرر أن العدوان هو أساس إرادة القوة، وأن إرادة القوة هى أساس الدوافع الإنسانية.

ولقد طور أدلر بعد ذلك فكرته فى إرادة القوة بما أسماه بعد ذلك النزعة نحو التمايز، وطور هذه النزعة أخيرا إلى النزعة نحو الكمال أو النزعة للارتقاء. وقد يعاب على هذه التسمية الأخيرة أنها غامضة شأنها فى ذلك شأن طاقة الحياة عند الفيلسوف الفرنسى بيرجسون.

أما الاتجاه الثالث فيعتمد على نتائج التحليل العاملى لسمات الشخصية. ومن أكبر دعاة هذا الاتجاه إيزنك[2]. Eysenck فى بحثه الذى نشره سنة ١٩٧٧ والذى انتهى به إلى أن العدوان يمثل القطب الموجب فى عامل ثنائى القطبية شأنه فى ذلك شأن بقية عوامل السمات الانفعالية للشخصية وأن القطب السالب فى هذا العامل يتمثل فى اللاعدوان أو فى الحياء والخجل وأن بين القطبين مدارج من العدوان إلى اللاعدوان تصلح لقياس درجة العدوانية عند مختلف الأفراد.

وأقرب هذه التفسيرات إلى الاتجاه العلمى الحديث هو التفسير الأخير الذى يعتمد على التحليل العاملى لاختبارات تقيس السلوك العدوانى وتنتهى إلى تحديده تحديدا كميا موضوعيا.

٨ ـ دور التنشئة الاجتماعية فى التحكم فى العدوان:

ماذا يجب أن يكون عليه موقف التنشئة الاجتماعية من السلوك العدوانى. هل تقضى عليه؟ أم تنميه؟.

---

(1) Beyyond the pleasure principle — ما بعد مبدأ اللذة

(2) Eysenck, H. J. Psychology is about People, Pelican. 1977. p. 4.

بقول إنه فى القضاء عليـه قضاء على حوافز التقدم وتهديد لاستـمرار حياة الفرد والجماعة، وفى تنيمته دمار وخراب لكل ما في الحياة من سلام وحب وخير وجمال.

لذا يجب أن توجه التنشـئة الاجتماعـية حياة الفرد لمعـرفة المواقف التى يجب أن يثور فيهـا ليحافظ على نفسه والمواقف التى يجب أن يتـجنبها، والمواقف التى يجب ألا يبدأ فيها سلوكه العدوانى.

ويقرر بعض العلماء أن الكائن الحى، حيوانا كان أم إنسانا، يولد باستعداد يجعله يحتفظ بمثيرات العدوان فتتراكم حتى تصل إلى مستوى التوتر الذى يؤدى بها إلى المسلك العدوانى. وإذا صح هذا الرأى، فـإن معالجة مثل هذا السلوك العـدوانى تتطلب أن نجد مسلكا، بين الحين والآخر لتفريغ تلك الشحنة العـدوانية حتى تحول بينها وبين التراكم. وقد تكون بعض ألعاب الأطفال هى المسلك المناسب لتفـريغ الشحنة العدوانية لو أحسن اختيارها خلال تنشئة الطفل اجتماعيا.

ويقرر البعض الآخر أن الاسـتجابة العدوانية طاقة كامنـة يجب أن نتفادى إثارتها حتى لا تتحول إلى طاقة حركية عدوانية.

وبذلك يصبح دور التنشئة الاجتماعية فى هذه الحالة هو أن نجنب الأطفال مواجهة المثيـرات التى تؤدى إلى العدوان وخـاصة ما يهـدد حياة الكائـن الحى وما يؤدى به إلى الإحباط.

ويستند دعـاة هذا الرأى إلى نتائج التجربة التى أجـراها زينج يانج كو[1]. Zing Yang Kwo على هرة صغيرة وفأر صغير حـيث ربى الاثنين معا فى قفص واحد فتآلفا ولم يعد بـينهم العداء التـقليدى بين القط والفـأر أى أن الفأر لم يعـد مثيـرا للسلوك العدوانى لدى القط

وبذلك تهدف هذه الطرق إلى التحكم فى العدوان والتـخفف من حدته للحيلولة بينه وبين تحولـه إلى تدمير وإيذاء، ولتـحويل مسـاره إلى الأهداف الإيجابيـة التى تحقق للفرد المحافظة على حياته، وعلى حياة الجماعة التى ينتمى إليها.

ثالثا ـ وسائل التنشئة الاجتماعية

عن طريق الوسائل تتم التنشـئة الاجتماعيـة. فالطفل الذى يولد، يولد فى أسرة تعد الجـماعة الأولى التى يـتعلم فيـها الطفل لغتـه التى تسمى بحق لغـة الأم، وعاداته

(1) Kwo, Zing Yang. Genesisof the Cat's Response to the Rat. From Instict. Princenton. N. J. Van Nostrand. 1961, p. 24.

وتقاليده وقيمه. عن طريق هذه الأسرة وبين أحضان الأم تبـدأ عملية التنشئة الاجتماعية فيتـعلق الطفل بأمه ويطمئن لجوارها ثـم تتدرج به الحياة فيـمتد بتعلقـه إلى أبيه وإخوته وذويه، ثم يستقل إلى حد ما عن أسرته لينتظم فى مدرسته، وتتطور تنشئته الاجتماعية من البيت إلى المجتمـع عن طريق تلك المدرسة ،وما تهيئه للطفل من جـماعات أخرى تسيـر به قدما فى مدارج تلك التنشـئة وذلك عندما يتـصل بأقرانه ولداته ليصبح مـعهم عضوا فى جماعة الـنظائر أو لتصبح جماعة النظائر له جماعته المرجـعية شأنها فى ذلك شأن الأسرة والمدرسة.

وسنبين فيما يلى دور كل وسيلة من تلك الوسائل فى تنشئة الطفل اجتماعيا.

(أ) دور الأسرة فى التنشئة الاجتماعية:

الأسرة الحـديثة هى الأسـرة الصغيـرة التى تتكون من الزوجين وأبنائهـما، وهى المدرسة الأساسية لكل طفل، لأن مـا يتعلمه فيها يبقى معـه طول حياته. وعن طريقها يكتسب قيمه الاجتماعية ومعايير سلوكه، ويكتسب ضميره الآمر الناهى الذى يثيبه على خير ما يقوم به ويعاقبه على شر ما يقترفه وذلك عندما يتصل الطفل بسلطة أبيه.

وتعد الأسرة، بلا منازع، الجـماعة الأولية التى تكسب النشء الجديد خـصائصه الاجتماعية الأساسية. أى أنها الوسيلة الرئيسية للتنشئة الاجتماعية.

ويتأثر الطفل فى تنشئته الاجتماعيـة بالمستوى الاقتصادى الاجتماعى لأسرته وبأثر ذلك المستوى على تحقـيق مطالبه. ويختلف أثر تلك التنشئة أيضا تبـعا لاختلاف جنس الطفل فالأسرة لا تعامل الذكور من الأطفال كما تعامل الإناث.

وكمـا يتأثر الطفل بأسرته يؤثر أيضـا فيها، ولذا يخـتلف سلوك الأب والأم قبل ولادة الطفل عن سلوكهما بعد ولادته، وبذلك تصبح عملية التنشـئة الاجتماعية عملية متبادلة أى عملية تأثير وتأثر.

وسيأتى بيان جـميع تلك الأدوار التى تقوم بها الأسرة فى تنشئة الطفل اجـتماعيا فيما يلى:

١ ـ دور الأسرة فى تكوين المعايير:

عن طريق الأسرة يكتسب الطفل المعايير العامة التى تـفرضها أنماط الثقافة السائدة فى المجتـمع. ويكتسب أيضا المعـايير الخاصة بالأسـرة التى تفرضهـا هى عليه. وبذلك تصبح الأسرة، بهذا المعنى، وسيلة المجتمع للحـفاظ على معاييره، وعلى مستوى الأداء المناسب لتلك المعايير.

وتعتمد تلك المعايير فى فعاليتها على دور الفرد فى الأسرة، وما يقوم به من نشاط، وما يرتبط به من علاقات، وعلى نوع تفاعله الاجتماعى السوى مع بقية أفراد الأسرة، بما فى ذلك مدى إمكانية تحقيق مطالبه فى مقابل تحقيق متطلبات الأسرة. وبذلك تصبح علاقة الفرد بالأسرة علاقة تبادلية قوامها الأخذ والعطاء، وضوابطها ما يسود بين الأسرة وأفرادها من معايير عامة ومعايير أسرية.

ولهذه المعايير أثرها الفعال فى تعديل السلوك الاجتماعى للفرد، وفى تحديد مسار تنشئته الاجتماعية. وعلى سبيل المثال قد يرضى الفرد لنفسه أن يصبح كبش فداء بالنسبة لبقية أفراد الأسرة ليقى الأسرة كلها من الصراعات الداخلية كما تدل على ذلك نتائج بعض الأبحاث الكلينيكية.

وجمود المعايير التى تحددها الأسرة لأفرادها يجنح بهم نحو السلوك العصابى بل والذهانى أحيانا. وتعارض المعايير بالنسبة للموقف الواحد يعوق عملية تكامل التنشئة الاجتماعية للفرد، كمثل الأب الذى يطالب ابنه بسلوك ما فى أحد المواقف ثم يعود ليطالبه بعكس ذلك السلوك فى نفس الموقف أو فى المواقف الأخرى الشبيهة به.

٢ ـ أثر سيطرة أحد الوالدين على التنشئة الاجتماعية:

لسيطرة أحد الوالدين أثرها المباشر على نوع الدور الذى يسلكه الطفل فى حياته الراهنة والمقبلة. فإذا كان الأب مسيطرا فإن ذلك ينحو بالذكور من الأطفال إلى تقمص دور الأب وبذلك يميلون فى سلوكهم إلى النمط الذكرى الرجولى. وإذا كانت الأم هى المسيطرة فإن ذلك يؤدى بالأطفال الذكور، فى الأغلب والأعم، إلى السلوك العصابى بل والذهانى أحيانا، كما تدل على ذلك نتائج أبحاث هيزرنحتون[1] Hetherington. التى نشرها سنة ١٩٦٥.

وعلى عكس ذلك، إلى حد ما، بالنسبة لسلوك الإناث من الأطفال. والابن يقلد الأب لأن الأب هو النموذج الصالح كما يرتضيه له المجتمع، والبنت تقلد الأم لأن الأم هى النموذج الصالح كما يرتضيها لها المجتمع.

وعندما تتعارض سيطرة الأب مع سيطرة الأم، يواجه الطفل صراعا فى اختيار الدور الذى يقلده. وقد ينحرف سلوكه إلى مسالك لا سوية، وخير نموذج للعلاقات الوالدية الصالحة للتنشئة الاجتماعية السوية هو الذى يشيع فى جو الأسرة نوعا من

---

(1) Hetherington, E. M. A deveopmental study of the effects of sex of the dominant on sex - role reference, identification and imitation and imitation in children. T. Person. Psych. 1963, Vol 2, pp. 188 - 94.

التكامل بين سلوك الأب وسلوك الأم بحيث ينتهى إلى تدعيم المناخ الديمقراطى المناسب لتنشئة أطفال الجيل المقبل.

٣ - أثر المستوى الاقتصادى الاجتماعى فى التنشئة الاجتماعية:

يتأثر نموذج الشخصية الذى يقتدى به الطفل فى أسرته، والذى تعتمد عليه عملية التنشئة الاجتماعية، باختلاف المستوى الاقتصادى الاجتماعى للأسرة.

ويصطبغ سلوك الطفل فى باكورة حياته بسلوك أبيه، والأهداف التى يسعى الأب لتحقيقها، وما حققه منها وما فشل فى تحقيقه. وغالبا ما يفرض الأب على ابنه التنشئة التى تعده لتحقيق الأهداف التى فشل هو فيها كأب فى سعيه المتواصل طوال حياته. فالأب الذى كان يطمع أن يكون طبيبا ولم ينجح فى الوصول لهدفه يدفع ابنه بكل الوسائل لأن يكون طبيبا، وكذلك الحال بالنسبة للآمال الأخرى. ولذلك تتأثر التنشئة الاجتماعية للطفل بالمستوى الاقتصادى الاجتماعى للأسرة وما يتصل بتلك المستويات من أهداف تحققت، وأهداف لم تتحقق بعد.

وبينما تصطبغ التنشئة الاجتماعية فى المستويات الاقتصادية الاجتماعية الدنيا بالطاعة التى يبالغ الأب فى فرضها على أبنائه، نجد أن تلك التنشئة تصطبغ فى المستويات الاجتماعية المتوسطة بالمحافظة على العادات والتقاليد والقيم وتعويد الأطفال على ضبط النفس كما تدل على ذلك أبحاث كوهن[1]. Kohn التى نشرها سنة ١٩٥٠.

وتؤكد نتائج أغلب الأبحاث أن الآباء والأمهات الذين ينتمون إلى المستويات الاجتماعية والاقتصادية الدنيا[2]. يلجأون إلى العقاب البدنى فى تنشئتهم الاجتماعية لأطفالهم، وخاصة إذا أدى الأطفال إلى إتلاف بعض الأشياء، أما إذا تجنب الطفل ذلك التخريب فإنه غالبا ما ينجو من العقاب البدنى.

والآباء الذين ينتمون إلى المستويات الاقتصادية الاجتماعية المتوسطة لا يعاقبون بما ينتج عن سلوكهم من نتائج مختلفة بل بالدوافع التى أدت إلى تلك النتائج. وهذا قد يؤدى بالأب إلى مناقشة أطفاله مناقشة عقلية ليصل منها إلى معرفة دوافع سلوكهم

---

(1) Kohn, M. L. Social Class and parental values. Amer. J. Sociology, 1959, Vol. 64, pp. 337 - 51.

(2) Elder, G. H. Jr. Structural variations in the child rearing relationship. Sociomerty, 1962, 25, pp. 241 - 262.

- Bayley, N. and Schaefer, E. Relationship between socioeconomic variables and the behaviour of methods toward young children. J. Genet. Psych. 1960, 96, pp. 61 - 77.

وأسبابها حتى يتخذ الأب قراراتـه ويصدر أحكامه فى ضوء تلك المناقشة. ولذلك يكثر الحوار بين آباء وأبناء ذلك المستوى، ويقل فى المستويات الدنيا.

وأن الآباء والأمهات الذين ينتـمون إلى الطبقات المتوسـطة ينشئون أولادهم على الأمانة، وضبط النفس، والذين ينتمون إلى الطبقات الدنيا ينشئون أولادهم على الطاعة والنظام.

وتدل نتائج الدراسات المختلفة[1]. على أن دور الرجل فى الطبقات الاجتـماعية الاقتصـادية العليا أهم من دور المرأة، فهـو الذى يتخذ القرار، أو بمعنى أدق يتـخذ من القرارات أكثر مما تتخذ المرأة. وأن دور المرأة يتكافأ مع دور الرجل فى الطبقات الدنيا.

ولهذا الدور فى الطبـقات الثلاث أثره القوى على تنشـئة الطفل لأنه يمثل السلطة السـائدة فى الأسرة.

٤ - دور الأسرة فى تحقيق مطالب الطفل:

يتطور التعبيـر عن المطالب من الإشارات إلى مجرد التعبـير اللفظى ثم ينتهى إلى الإقناع العقلى.

وتسمى **المرحلة الأولى** من مراحل هذا التطـور مرحلة ما قـبل التعبـير اللفظى، وذلك لأن وسائل الطفـل لتحقـيق مطالبه لا تخـرج عن مجرد الإشـارات، والصراخ، والابتسام، وذلك قبل أن يتعلم كيف يتكلم ويقول ما يريد ويرغب.

أما **المرحلة الثانية** فهى مرحلة التعبير اللفظى. ويتخذ التعبير اللفظى عند الوالدين صورة الأوامر والنواهى الموجزة مثل «افعل هذا. لا تفعل ذلك» والأحكام التى يصدرها الآباء على سلوك أبنائهم مثل «هذا صواب. وهذا خطأ». وعندما يستجيب الطفل لأبيه فإنه إنما يفـعل ذلك لعلمه بقوة شـخصية أبيـه التى تجعله قادرا على أن يفـرض مطالبه بالقوة. وكذلك تتخذ مطالب الطفل هذه الوسيلة اللفظية لتحقيقها، وذلك لقدرة الطفل على إثارة الضجيج والفوضى أو استعطاف والده إذا لم تتحقق مطالبه.

وتعتمد **المرحلة الثـالثة** على الإقناع وذلك عندمـا يكبـر الطفل ويدرك أن مجـرد التعبير اللفظى عن مطالبه لا يجدى ولذلك يتخذ تعبيره اللفظى أسلوبا للإقناع. ولذلك فهو يتـطلب من أبيه أن يكون مقنعا فى مطالبـه ولا يمليها أو يفـرضها عليه باعـتبار أنه

(1) Blood, R. O. and Wolfe, D. M., Husbands and Wives, the Dynamic of arried Living. ILL. Glencoe Press. 1960.

- Olsen, M. E. Distribution of family resonponsibilities and social stratification. Marriage and Family Living, 1960, 22, pp. 60 0 65.

الأب. وبذلك يتعلم الطفل أن يحترم المعايير والقيم والقواعد والنظم والقوانين أكثر مما يحترم الأفراد فلا يستجيب للفرد الآخر باعتبار أنه الأب أو الأم بل باعتبار ما يمثل من قيم ويراعى من قواعد ومدى نجاحه فى إقناع الطفل.

وهكذا نرى أن تحقيق المطالب يعد عاملا رئيسيا من عوامل إنجاح التنشئة الاجتماعية. وأن هذا النجاح يعتمد على التوازن القائم بين مدى استجابة الوالدين لمطالب الطفل ومدى استجابة الأبناء لمطالب آبائهم.

هذا وقد يحول فقر الوالدين دون تحقيق أغلب المطالب المادية لأبنائهم، وبذلك يستعاض عنها فى مثل تلك الأحوال بالمطالب غير المادية.

ولعدد أبناء الأسرة أثره الواضح فى نوع ودرجة تحقيق مطالب الطفل، بل وفى الطريقة التى يسلكها الآباء لتحقيق تلك المطالب.

وقد توصل إلدر Elder وباورمان[١]. Bowerman فى بحثهما الذى نشراه سنة ١٩٦٣ عن أثر حجم الأسرة فى أنماط التنشئة الاجتماعية للأطفال إلى أن كثرة الأبناء تنحو بالآباء إلى أسلوب السيطرة فى تحقيق المطالب. وقلة الأبناء تنحو بالآباء إلى أسلوب الإقناع.

ويمكن أن نصنف فئات الآباء بالنسبة لمدى تحقيقهم لمطالب أبنائهم ومدى ما يتطلبونه منهم إلى أربع فئات متمايزة نلخصها فيما يلى[٢]:

١ ــ الذين يجيدون تحقيق مطالب أولادهم ولا يفرضون عليهم مطالبهم، وغالبا ما يؤدى مثل هذا السلوك إلى شدة التعلق، والأنانية، وحب الذات.

٢ ــ الذين يجيدون تحقيق مطالب أولادهم، ويفرضون عليهم مطالبهم، وغالبا ما يؤدى هذا السلوك إلى تنشئة اجتماعية متزنة تعلم الفرد كيف يطالب بحقوقه ويؤدى واجباته.

٣ ــ الذين لا يجيدون تحقيق مطالب أولادهم ولا يفرضون عليهم مطالبهم، وغالبا ما يؤدى مثل هذا السلوك إلى اللامبالاة.

٤ ــ الذين لا يجيدون تحقيق مطالب أولادهم، ويفرضون عليهم مطالبهم، وغالبا ما يؤدى مثل هذا النوع من السلوك إلى الخنوع.

---

(1) Elder, G. H., and Bowerman, C. E. Family structure and child rearing patterns. The effect of family size and sex compsition Am. Soc. Rev., 1963, Vol. 28, 891 - 905.

(2) Danziger, K. Socialization. Harmondsworth, Penguin, 1971, 64 - 66.

وهكذا نرى الأثر المحتمل لكل علاقة من تلك العلاقات الوالدية.

٥ ـ تأثر دور الأسرة بجنس الطفل:

يختلف مسلك الوالدين مع أطفالهما تبعا لاختلاف جنس الطفل، ولهذا المسلك أثره فى التنشئة الاجتماعية التى تحدد مسار النمو الاجتماعى للطفل.

ومن التجارب التى توضح مدى اختلاف علاقة الأم بأطفالها تبعا لاختلاف الجنس ذكرا كان أم أنثى، التجربة التى قام بها موس[1] Moss سنة ١٩٦٧ وخلاصتها أن الباحث سجل سلوك الأمهات مع الأطفال الذين يبلغون من العمر ثلاثة أسابيع، ثم عاد وسجل سلوك نفس الأمهات مع نفس الأطفال عندما بلغت أعمارهم ثلاثة أشهر. وقد لاحظ الباحث أن الطفل ليس هو وحده الذى يغير سلوكه فى استجابته لأمه بل إن الأم نفسها تغير سلوكها أيضا فى استجابتها لسلوك أطفالها.

ومن أهم الأمور التى كشف عنها هذا البحث أن الأم لا تستجيب لصراخ وبكاء الذكور من الأطفال كما تستجيب لصراخ وبكاء الإناث. وقد يكون ذلك لأنها تعلم أن تدخلها مع الذكور من الأطفال لا يجدى لأنهم أكثر عنادا من الإناث، أو لأنها أكثر حزما مع الذكور منها مع الإناث، أو لأنها تفترض أن على الأطفال الذكور أن يكونوا أكثر احتمالا من الإناث. وهذه التفرقة فى مسلك الأم تحدد مسلكا للتنشئة الاجتماعية للذكور من الأطفال يختلف عن مسلك تلك التنشئة عند الإناث.

وهكذا تتأثر التنشئة الاجتماعية للأطفال بالعلاقات العائلية السائدة فى جو الأسرة والتى تصطبغ بمفهوم الأسرة عن تنشئة الذكور ومدى اختلافها عن مفهومها لتنشئة الإناث.

٦ ـ تأثر الطفل بوالديه وتأثيره فيهما:

كما يؤثر الوالدان فى سلوك طفلهما وفى مسار تنشئته الاجتماعي، كذلك يؤثر الطفل فى سلوك والديه بل وفى تعديل مسار تنشئتهما الاجتماعية أيضا، وذلك لأن الطفل يمتلك وسيلتين من أقوى الوسائل للتحكم فى سلوك الكبار وفى تغيير مسار سلوكهم الاجتماعى، وهما الصياح والابتسام، كما يقرر ذلك رينجولد[2] Rheingold.

(1) Moss, H. A. Sex, age and state as determinants of mother infant interaction. Merrill Palmer Q., 1967, Vol. 19, 19 - 36.

(2) Rheingold, H. L. Infancy. In International Encyclopedia of the Social Science. (Ed.). Sills, D. L., N. Y. Macmillan, 1968.

سنة ١٩٦٨. فعندما يصيح الطفل يسرع إليه الكبار، وعندما يبتسم يفرح به والداه. ويشارك هو بابتسامته تلك فى تشكيل بعض أنماط الحياة الاجتماعية السائدة حوله وبذلك لا يملك الوالدان وحدهما وسائل الثواب والعقاب، بل يملكها الطفل أيضا. وكما تنتقل المعلومات من الوالدين إلى أطفالهما، كذلك تنتقل معلومات أخرى من الأطفال إلى الوالدين، وذلك لأن الصراخ والابتسام يدلان الوالدين على مطالب الطفل. وبذلك يعدل الطفل بدوره مسار التنشئة الاجتماعية للوالدين وذلك لأن سلوكهما الاجتماعى بعد ولادته يختلف عن سلوكهما الاجتماعى قبل ولادته.

(ب) دور المدرسة فى التنشئة الاجتماعية:

بالرغم من أن المظاهر الأولى للتنشئة الاجتماعية تبدأ وتترعرع فى جو الأسرة إلا أن الأسرة لم تعد تستأثر وحدها بتلك التنشئة، فى عالمنا المعاصر وذلك نتيجة للتصنيع الذى أدى بدوره إلى تحديث المجتمعات وتطويرها حتى أضعف بذلك دور الأسرة.

ويضعف أثر الأسرة فى التنشئة الاجتماعية وخاصة بعد مضى سنوات الطفولة المبكرة وذلك عندما لا يرتبط توزيع العمل بتكوين الأسرة، ولا تبقى الأسرة هى الوحدة الاقتصادية التى توفر لكل فرد من أفرادها كسب الرزق كما يحدث فى العائلات الريفية الكبيرة التى يرتبط عمل أبنائها بملكيتها الزراعية وأعمالهم فى الحقل.

ويضعف أيضا أثر الأسرة فى تلك التنشئة عندما تصبح فرص التعليم متاحة للجميع وتصبح المؤسسات التعليمية المختلفة بما فيها المدرسة والجامعة هى المدخل الطبيعى لكسب الرزق. وهذا ما يحدث الآن فى أغلب المجتمعات المعاصرة فى البلدان المختلفة، وخاصة تلك التى تخطط لنفسها لتتطور من مجتمعات نامية لمجتمعات متقدمة، ولتتحول من مجتمعات زراعية لمجتمعات صناعية وتكنولوجية. من أجل هذا يتسع مجال التنشئة الاجتماعية ليجاوز الأسرة إلى المدرسة.

وقد زاد أثر المدرسة فى التنشئة الاجتماعية أيضا بعد أن اضمحل أثر الوراثة فى تحديد المكانة الاجتماعية[1]، وأصبحت المكانة الاجتماعية تكتسب عن طريق التعليم. وبذلك أصبح **الفرق الأول** بين الأسرة والمدرسة فى التنشئة الاجتماعية هو أن الفرد يكتسب مكانته فى الأسرة عن طريق السن والجنس، وصفاته الخاصة. لكنه يكتسب مكانته الاجتماعية فى المدرسة عن طريق المنافسة والامتحانات التى تؤهله بعد ذلك للمهنة التى يعد نفسه لها فى المستقبل وما تتصف به هذه المهنة من مكانة اجتماعية مرموقة أو غير ذلك..

---

(1) Social Status — المكانة الاجتماعية

فالمدرسة بهذا المعنى عامل من أهم عـوامل الحراك الاجتماعى[1]، ونعنى بالحراك هنا الحركـة الاجتماعـية العليا التصـاعدية التى ترقى بالفرد إلى المسـتويات الاجتمـاعية والمهنية فى المجتمع المعاصر. فـهى لذلك تثير فى الأفراد حافز الإنجاز[2] وتنميه، وتمهد الطريق لتعديل نماذج طموح الفرد من تلك التى يتخذهـا قدوة يهتدى بها فى مسيرة نموه إلى نماذج من التخصـصات والأعمال والمهن التى يطمح لمارسـتها فى مستقـبل حياته. وتساير المدرسة الابتدائية هذا التحـول عند الطفل فى انتقاله من رعاية مدرس الفصل فى السنوات الأولى من تلك المدرسة إلى مدرس المادة فى السنوات النهائية.

والأطفال الذين لا يتخذون الأب ثم المدرس نمـوذجا يقتدون به ولا يتطورون إلى نماذج المهن والأعمال يتـحولون إلى نماذج جماعة النظائر وينحرفـون بسلوكهم عن جادة الطريق. وهؤلاء فى حاجة إلى رعاية وإرشاد حتى تستقيم مسالك نموهم الاجتماعى.

جـ - دور الجماعة المرجعية فى التنشئة الاجتماعية:

ترجع نشأة مفهوم الجماعة المرجعيه[3] إلى البحث الذى نشره هايمان[4]. Hyman سنة ١٩٤٢ عن سيكولوچية المكانة الاجتـماعية. ونعنى بالجماعة المرجعـية الجماعة التى ينسب إليها الفرد سلوكه الاجتماعى ويقيمـه فى إطار معاييرها وقيمها واتجاهاتها وأنماط سلوكها المختلفة.

وتتطور أنواع الجـماعات المرجـعية تبـعا لتـتابع وتطور مراحل نمو الـفرد، فتـبدأ بالأسرة التى تحـقق للطفل كل حاجاته البيـولوچية والنفسيـة الاجتماعـية ثم تتطور إلى الجماعات الثانوية الأخرى التى تؤثر فى حياة الإنسان كلما انتمى لكل منها.

ويختلف تأثير الجمـاعات المرجعية فى التنشئـة الاجتماعية للفرد تبـعا لأهمية كل جماعة من تلك الجماعات، وتختلف تلك الأهمية تبعا لمدى انتماء الفرد للجماعة. ولا شك أن أشد تلك الجماعات تأثيرا فى الفـرد وخاصة فى بدء طفولته هى الأسرة ثم يقل تأثيرهـا إلى حد ما تبـعا لاتسـاع دائرة التفاعـل الاجتمـاعى للفرد وتبـعا لمدى انتـمائه للجمـاعات الأخرى مـثل المدرسة وجمـاعة النظائر والنادى وغـير ذلك من الجمـاعات الأخرى. ويمكن أن نمثل انتمـاء الفرد للجماعات المختلفـة. والأثر النسبى لكل منها فى

---

(1) Social Moability — الحراك الاجتماعى

(2) Achievement motivation — حافز الإنجاز

(3) Reference group — الجماعة المرجعية

(4) Hyman H. H. The Psychology of Status. Arch. Psychol. Columbia. Columbia Univ. Press. 1942. No. 269.

تكوين سلوكه الاجتماعى بدوائر تضيق وتتسع وتقترب وتتباعد تبعا لمدى تأثيرها، بل وتبعا لزيادة أو نقصان شدة هذا التأثير. وهكذا تكتسب مثل هذه التبعية نوعا من الدينامية التى تحدد الحركة الاجتماعية للفرد فى إطار كل منها.

ولمكانة الفرد فى كل جماعة من تلك الجماعات التى ينتمى لها أثرها فى مسار سلوكه الاجتماعى، فقد يكون دور الفرد فى الجماعة دورا رئيسيا وذلك، مثلا، عندما يتزعمها أو يضحى من أجلها. وقد يكون دوره دورا ثانويا، أى مجرد انتماء. فعضوية الفرد فى أحد الأندية قد ترقى إلى رئاسة مجلس إدارتها أو عضوية هذا المجلس، أو قد تصبح مجرد مشاركة فى أنشطة ذلك النادى أو حتى مجرد قضاء بعض الوقت فى النادى بين الحين والآخر.

وقد يتأثر سلوك الفرد بجماعات لا ينتمى لها ولا يتصل بها اتصالا مباشرا، لكنه يسلك مسلك أعضائها ليقال عنه أنه منها، وما هو منها، ومن أمثلة ذلك فى مصر ارتداء بعض الشبان للقمصان الحمراء ومشايعتهم لفريق النادى الأهلى للكرة مع أنهم ليسوا أعضاء فى هذا النادى. وقد تمتد بهم المنافسة فى مناصرتهم لذلك الفريق ضد أنصار فرق الأندية الأخرى حتى إنه يمكن أن يتطور هذا الخلاف إلى خصام واعتداء بالأيدى والعصى.

(د) دور جماعة النظائر فى التنشئة الاجتماعية:

تسمى الجماعة التى تتكون من أصدقاء الطفل الذين يتقاربون فى أعمارهم وميولهم وهواياتهم جماعة النظائر[1]. والطفل الذى يختلف مع أبيه يجد فى مثل هذا التنظيم جماعة مرجعية ينسب إليها نشاطه الاجتماعى.

ويجد الطفل فى جماعة النظائر منطلقا لسلوكه العدوانى الذى ينشأ لديه نتيجة لصرامة الأب وعقابه وخاصة بين البنين كما تدل على ذلك أبحاث باندورا Bandura ووالترز Walters[2] التى نشراها سنة ١٩٦٠.

ولقد اكتشف الباحثان معاملا للارتباط مرتفعا بين مدى تقبل الجماعة للفرد أى شعبيته بينهم، وبين مدى تقبله هو لنفسه كما هى. ولا شك أن مثل تلك الشعبية تعتمد على ثقة الطفل بنفسه، والعكس ليس صحيحا.

وغالبا ما تتعارض القيم والاتجاهات السائدة بين جماعة النظائر مع قيم واتجاهات الوالدين والمدرسة، حتى شاع حديثا ما يسمى بثقافة المراهقين[3] التى توصف بأنها

---

(1) Perr group جماعة النظائر

(2) Bandura, A., and Walters, R. H. Adolescent Aggression. N. Y. Ronald. 1960.

(3) Adolescent culture ثقافة المراهقين

لاعقلية، ولا ترتبط أنماطها بقيم العمل والإنتاج وإنما ترتبط بالاستمتاع والاستهلاك، ولذا يحاربها لأنهم يعدونها تهديدا للقيم التى يحافظون عليها.

وقد استخدمت جماعة النظائر حديثا فى مجال العلاج النفسى فيما أصبح يسمى الآن إعادة التنشئة الاجتماعية[1]. وتعتمد هذه الوظيفة الجديدة لجماعة النظائر على الافتراض الذى يقرر أن الاختلال الوظيفى فى المهارات الاجتماعية ينشأ من انحراف مسار التنشئة الاجتماعية عن مسلكها السوى نتيجة للظروف غير السوية التى عانى منها الفرد فى نشأته فى أسرته، ويعانى منها الآن فى مواجهته لمشكلات المجتمع الذى ينتمى إليه. وتتطلب عملية تصحيح مسار نموه الاجتماعى وجوده لبعض الوقت فى بيئة جديدة تحميه من صراعات المجتمع الخارجى التى لم يعد يحتملها ويقوى على مواجهتها.

ويعيش الفرد مع أمثاله من المرضى تحت رعاية من يستطيعون أن يوجهوا سلوكه وسلوك زملائه الذين يؤلفون فيما بينهم جماعة النظائر العلاجية للمواجهة التدريجية لمشكلات المجتمع الواقعى، وذلك عن طريق إعادة التنشئة الاجتماعية وتصحيح المعايير والقيم وأنماط السلوك الاجتماعى[2].

(هـ) دور وسائل الإعلام فى التنشئة الاجتماعية:

تعددت الأبحاث التى تحاول اكتشاف أثر وسائل الإعلام فى التنشئة الاجتماعية. ومن أهم تلك الوسائل التى شملتها الأبحاث المعاصرة: الإذاعة، والتليفزيون، والأفلام السينمائية، والكتب والمجلات.

وقد دلت نتائج أغلب الأبحاث الحديثة على أن الأطفال يقلدون ما يشاهدون من عنف وعدوان فى القصص السينمائية والتليفزيونية. وأن مواقف القلق التى تعتمد عليها أحيانا بعض تلك القصص فى جذب انتباه المشاهدين تثير فى نفوس الأطفال أنواعا غريبة من القلق قد يتطور بعضها إلى القلق العصبى المرضى.

ومن الآثار الواضحة لوسائل الإعلام على التنشئة الاجتماعية للأطفال إشاعة سلوك اللامبالاة وتشويهها للقيم التى نعتمد عليها فى تربية جيل المستقبل، إذ كثيرا ما نشاهد أبطال القصص السينمائية والتليفزيونية يحتسون الخمر ويدمنون الشراب فى مواجهتهم للمواقف العصيبة التى تمر بها أحداث القصة أو يعتدون على غيرهم أو

---

(1) Resocialization إعادة التنشئة الاجتماعية

(2) Landy, D., and Wechsler, H. Rehabilitation, socialization and pathway organizations. In Biddle, B. J., and Thomas, E. J. Role Theory: N. Y. Wiley. 1966. pp. 367 - 382.

يقتلون الآخرين. وتلك نماذج شريرة وخطيرة نقدمها للناشئة في مواقف العاطفة المتأججة والشهوات المنطلقة من عقالها التي تعبث بكل ما يواجهها من قيم ومعايير وتقاليد ومثل عليا.

وهذا ولا شك أنه إذا أحسن توجيه وسائل الإعلام فإنها تستطيع أن تصبح أداة فعالة قوية في إرساء القواعد الخلقية والدينية لمجتمع فاضل. وتستطيع أيضا هذه الوسائل أن تسمو بالعقل لتخرج أحسن ما به من تفكير وابتكار وخيال خصب منتج.

وهي كما تدل تسميتها عليها مجرد وسائل تصبح خيرة إذا أحسن توجيهها، وشريرة إذا أسيء استخدامها.

رابعا - الملخص

تدل التنشئة الاجتماعية في معناها العام على العمليات التي تجعل الفرد يستجيب للمؤثرات الاجتماعية حتى يتعلم كيف يعيش مع الآخرين. وتدل في معناها الخاص على نتاج العمليات التي يتحول بها الفرد من كائن عضوي إلى شخص اجتماعي. وتبلغ أقصاها في الطفولة لكنها تمتد بامتداد الحياة. توصف أحيانا بأنها عملية الاندماج الاجتماعي.

والتنشئة الاجتماعية عملية قديمة قدم البشرية. لكن المصطلح العلمي لم ينشأ إلا في أواخر الثلاثينيات. وقد أسهم في نشأته علم النفس، وعلم الاجتماع، والأنثربولوچي.

وتصبح هذه التنشئة سوية عندما تتزن ضغوط الجماعة ومطالب الفرد، والإفراط في ضغوط الجماعة يؤدي إلى الجمود والمحافظة. والتراخي يؤدي إلى العصيان والعدوان.

وتتلخص أهم العمليات التي تعتمد عليها التنشئة الاجتماعية في عملية التعلم الاجتماعي التي تؤدي بالفرد إلى تأكيد مكانته، والحماية، والسيطرة والاستقلال والحب والراحة. وعملية تكوين الأنا أو الذات الاجتماعية، والأنا الأعلى أو الضمير. وعملية التوافق الاجتماعي التي تؤدي إلى اتباع العادات والتقاليد. وعملية التثقف التي تحافظ على استمرار مظاهر الثقافة من لغة ودين وخلق وعادات وتقاليد.

ويعد **التعلق والعدوان** من أهم مظاهر **التنشئة الاجتماعية**. ويعني **التعلق** السعي للتقرب والميل للمحافظة على الجوار عندما يتحقق. وهو يؤدي إلى الطمأنينة والأمن، ويظهر عند الطيور في سير أفراخ البط في خط وراء أمها، وعند الرئيسيات والإنسان في

التصاق صغار القردة بأمها، وكذلك حال الطفل مع أمه. ويسفر التعلق عن علاقات متبادلة فكما يتعلق الطفل بأمه تتعلق الأم بطفلها. ويتطور التعلق فى أربع مراحل تعد **الأولى** مجرد إرهاص للتعلق وتبدو فى التوجه العام للآخرين دون أى تمييز. **وفى الثانية** يظهر الطفل اهتمامه بمن حوله ويركز على أمه. **وفى الثالثة** ينشد الطفل جوار أمه، **وفى الرابعة** يكون علاقات اجتماعية مع الآخرين. وتتأثر شدة التعلق بدرجة إحساس الأم بمسئوليتها وبطول الزمن الذى يقضيه الكبار مع الطفل، وبمدى ملامسة جسم الطفل لجسم أمه. ويقاس التعلق عن طريق أهم أنماطه مثل ترحيب الطفل بأمه، واستجابته هو بترحيبها، وتجنبه الانفصال عنها، ونشاطه الاستكشافى فى ابتعاده عنها ثم فى عودته إليها.

والمظهر الثانى هو العدوان. ويعرف بأنه الاستجابة التى تعقب الإحباط ويراد بها إلحاق الأذى بفرد آخر أو حتى بالفرد نفسه. ومن أهم المظاهر الفسيولوچية للعدوان سرعة ضربات القلب وارتفاع ضغط الدم، وتوتر عضلات الأطراف لمقاومة التعب والإرهاق، وضعف الإدراك الحسى حتى إن الفرد لا يكاد يشعر بالألم. وينتج العدوان عن استثارة الغدة الهيبوسلامية. ونقيضه الخوف والهرب. وينتج الخوف فسيولوچيا عن الجسم الأميجدالى. واستئصاله عند الحيوانات المفترسة يحولها إلى أليفة. ويهدف العدوان إلى تأكيد المكانة وتحقيق السيادة فهو لذلك ضرورة من ضرورات البقاء. وتوصف علاقة العدوان بالتعلق بأنها علاقة عكسية، أى كلما زاد أحدهما نقص الآخر. ومن أهم العوامل التى تؤثر على العدوان التقليد، والبيئة العدوانية التى تؤدى بالفرد إلى الإحباط، والجنس، وذلك لأن العدوان يستثار عند الإناث عندما تتعرض أطفالها للخطر، وعند الذكور فى التنافس. والذكور أشد عدوانية من الإناث. وتؤدى العزلة إلى الإحباط ويؤدى الإحباط إلى العدوان. ويقاس العدوان بالطريقة الطولية، وقد ظهر ارتباط بين عدوان الطفولة وعدوان الرشد. ويفسر العدوان بأنه تعلم اجتماعى ينشأ عن الثواب والعقاب أو ينشأ عن تقليد النماذج العدوانية. ويفسر عند المشتغلين بالتحليل النفسى على أنه مظهر لغريزة الموت وعلى أنه أيضا مظهر للسطلة والسيطرة أو الرغبة فى التمايز والنزعة للارتقاء. وأقرب التفاسير إلى النواحى الكمية الموضوعية هو تفسير التحليل العاملى الذى يعد العدوان القطب الموجب فى عامل ثنائى القطبية، وقطبه السالب الخجل والحياء. وللتنشئة الاجتماعية دورها الرئيسى فى تهذيب وتطويع العدوان، وذلك فى تعليم الفرد المواقف التى يجب أن يثور فيها، والمواقف التى يجب أن يتجنبها، والمواقف التى يجب ألا يبدأ فيها سلوكه العدوانى. وفى تفريغ الطاقة العدوانية وذلك عن طريق الألعاب الرياضية أو التعود كما ينشأ القط مع الفأر على صداقة ووئام لا يشوبها عدوان.

وتتم التنشئة الاجتماعية عن طريق الأسرة، والمدرسة، والجماعة المرجعية، وجماعة النظائر، ووسائل الإعلام.

وعن طريق الأسرة يتعلم الطفل معايير الأسرة ذاتها، وعندما تصبح تلك المعايير جامدة يجنح الطفل إلى السلوك المرضى، وعندما تتعارض معايير الأسرة فى الموقف الواحد أو فى المواقف المتشابهة لا تتم عملية التنشئة الاجتماعية على الوجه الصحيح. ولنوع السيطرة فى الأسرة أثرها على التنشئة الاجتماعية. فالأب المسيطر يؤثر على الذكور من الأطفال فينحو بهم نحو النمط الذكرى الرجولى. والأم المسيطرة تؤدى بالذكور من الأطفال إلى السلوك المرضى. وتعارض سيطرة الأب مع سيطرة الأم يؤدى بالتنشئة إلى مسارها اللاسوى. وللمستوى الاقتصادى الاجتماعى أثره أيضا على التنشئة الاجتماعية، وغالبا ما يتعرض أطفال المستويات الدنيا للعقاب. ويؤدى بهم هذا العقاب إلى الطاعة. أما أطفال المستويات المتوسطة فيحافظون على العادات والتقاليد ويتصفون بضبط النفس. ويختلف دور المرأة فى المستويات العليا فيصبح دور الرجل أهم، ويتكافأ دور الرجل والمرأة فى المستويات المتوسطة. ويصبح دور المرأة أهم فى المستويات الدنيا. وللأسرة أيضا دورها الرئيسى فى تحقيق مطالب الطفل خلال تطورها من مرحلة ما قبل التعبير الفظى إلى مرحلة التعبير اللفظى إلى مرحلة الاقتناع والإقناع، وينقسم الآباء إلى أربع فئات بالنسبة لتحقيقهم لمطالب الطفل، فأما **الأولى** فتحقق للطفل مطالبه دون فرض مطالبها وهذا يؤدى بالطفل إلى الأنانية. وأما **الثانية** فتحقق مطالب الطفل وتطلب منه تحقيق مطالبها وهذا يؤدى بالطفل إلى تنشئة اجتماعية متزنة. وأما **الثالثة** فلا تحقق مطالب الطفل ولا تطلب منه تحقيق مطالبها وهذا يؤدى به إلى اللامبالاة. وأما **الرابعة** فلا تحقق للطفل مطالبه وتطلب منه تحقيق مطالبها وهذا يؤدى به إلى الخنوع. ويتأثر دور الأسرة فى التنشئة الاجتماعية تبعا لاختلاف جنس الطفل فلا تستجيب الأم بسرعة لصراخ وبكاء الذكور كما تستجيب بسرعة لصراخ وبكاء الإناث وذلك لأن الذكور أكثر عنادا، ولأن الأم أكثر حزما معهم. وتعتمد جميع هذه العلاقات التى تصدر عن الأسرة على التبادل فكما يتأثر الطفل بوالديه فإنه أيضا يؤثر فيهما.

وعندما تحولت المجتمعات إلى الصناعة ضعف أثر الأسرة وزادت تبعا لذلك أهمية المدرسة فأصبحت من أهم وسائل التنشئة الاجتماعية فى المجتمعات المتقدمة، وخاصة بعد أن أصبحت المكانة الاجتماعية تكتسب عن طريق التعلم، وبعد أن ظهرت أهمية المدرسة فى الحراك الاجتماعى الذى يساير مستويات طموح الأفراد ويحقق عن طريق التعليم والتدريب الأهداف التى يسعى لها الفرد.

وللجماعة المرجعية دورها أيضا فى التنشئة الاجتماعية. ونعنى بالجماعة المرجعية كل جماعة ينسب إليها الفرد سلوكه الاجتماعى ويقيمه فى إطار معاييرها وقيمها. وبذلك تصبح الأسرة والمدرسة وجماعة النظائر وجماعة النادى جماعات مرجعية فى إطار هذا المعنى.

وتعد جماعة النظائر من أهم الجماعات المرجعية التى تؤثر فى التنشئة الاجتماعية فى الطفولة المتأخرة وفى المراهقة حتى نشأت عنها ما أصبح يسمى بثقافة المراهقين. وتستخدم جماعة النظائر التى تعتمد فى تكوينها على أفراد جيل واحد من الأطفال أو المراهقين فى مجال العلاج النفسى فيما أصبح يسمى الآن بإعادة التنشئة الاجتماعية فتؤدى بالطفل إلى العنف والعدوان إذا أسىء استخدامها وتؤدى به إلى السلوك الاجتماعى الناضج السوى إذا أحسن استخدامها.

خامسا - المراجع العامة

(1) Ainsworth, M. D. Infancy in Uganda: Infant Care and the Growth of Love. Baltimore, Johns Hopkins, 1967.

(2) Bandura, A., and Walters, R. H. Adolescent Aggression. N. Y. Ronald, 1960.

(3) Becowitz, L. Aggression: A Social Psychological Analysis. N. Y. Mc Graw - Hill, 1962.

(4) Biehler & Snowman, Psychology applied to teaching, Houghten, 1993.

(5) Bowlby, J. Attachment, Harmondsworth, Penguin, 1978.

(6) Bowlby, J. Separation., Harmondsworth, Penguin, 1978.

(7) Booth, T. Growing Up in Society. London, Methuen, 1975.

(8) Danziger, K. Socialization., Harmondsworth, Penguin, 1971.

(9) Dollard, J., and others. Frustration and Aggression., London, Routledge and Kegan, 1944.

(10) Gerard, H. B. and Jones, E. E. Foundations of Social Psychology. N. Y. Wiley, 1967.

(11) Goslin, D. A. (Ed.) Handbook of Socialization: Theory and Research. Chicago, Rand Mc Nally, 1969.

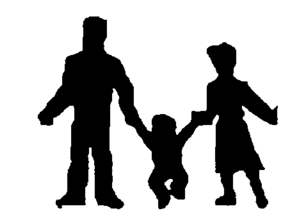
(12) Klausmeier, Educational Psycology Harper, 1989.

(13) Lorenz, K. on Aggression, London, Methuen, 1966.

(14) Schaffer, H. R. The Growth of Sociability, Harmondsworth, Penguin, 1976.

(15) Scott, J. P. Aggression. Chicago, Univ. of Chicago Press, 1958.

(16) Storr, A. Human Agression. Harmondsworth, Penguin, 1958.



الفصل الخامس

العلاقات الاجتماعية المتبادلة

أولا - العلاقات الاجتماعية والتفاعل.

ثانيا - مستويات علاقات التفاعل الاجتماعى.

ثالثا - أنواع العلاقات المتبادلة.

رابعا - حجم الجماعة وأثره فى العلاقات المتبادلة.

خامسا - أهم مظاهر العلاقات المتبادلة فى الجماعة الثنائية.

سادسا - أهم طرق بحث العلاقات المتبادلة فى الجماعة الثنائية.

سابعا - النماذج العلمية التى تفسر العلاقات المتبادلة.

ثامنا - الجماعة الثلاثية وعلاقاتها المتبادلة.

تاسعا - الملخص.

تعد العلاقات الاجتماعية المتبادلة أهم موضوعات علم النفس الاجتماعى المعاصر لأنها تكاد كلها تصدر عنه وتعود إليه وتدور فى فلكه، فهى كما بين روس منذ سنة ١٩٠٨ وما زالت المحور الرئيسى لكل مجالات الدارسات العلمية الجادة فى هذا العلم.

ولقد بينا فى الفصل السابق من هذا الباب نشأة وتطور هذه العلاقات فى حياة الفرد فى دراستنا للتنشئة الاجتماعية. وسنبين فى هذا الفصل كيف تؤدى تلك العلاقات إلى التفاعل الاجتماعى وكيف تنشأ منه، وكيف تتغير تبعا لما يطرأ على الإدراك الاجتماعى من تطور خلال ما يحدث من تفاعل.

وتعد العلاقات الاجتماعية المتبادلة أرقى أنواع علاقات التفاعل الاجتماعى التى تبدأ بالعلاقات اللاتبادلية وتتطور إلى علاقات الاتجاه الواحد فالعلاقات شبه التبادلية فالعلاقات المتوازية ثم تنتهى إلى المتبادلة غير المتناسقة وتصل أخيرا إلى المتبادلة.

ويتطور موضوع هذا الفصل بعد ذلك ليبين أثر حجم الجماعة فى عدد العلاقات الاجتماعية المتبادلة ونوعياتها. ويعالج بعد ذلك أهم العلاقات المتبادلة فى الجماعة الثنائية، وذلك لأن الجماعة الثنائية تعد بحق أصغر أنواع الجماعات والمدخل العلمى الأساسى لدراسة خصائص تلك العلاقات فى صياغة نماذج علمية لتفسير العلاقات المتبادلة وخاصة فى الجماعة الثنائية.

وينتهى هذا الفصل بدراسة خصائص العلاقات المتبادلة وخاصة فى الجماعة الثنائية والثلاثية وذلك تمهيدا لدراسة خصائص الجماعات الأكبر حجما والأكثر تعقيدا مثل الجماعة الرباعية وما تنطوى عليه تلك الجماعات من ديناميات تميز الجماعات الصغيرة عن غيرها من الجماعات الأخرى الكبيرة، والكبيرة جدا.

أولا: العلاقات الاجتماعية والتفاعل:

العلاقات والتفاعل[1]. مصطلحان يستخدمان بكثرة فى كتب علم النفس الاجتماعى المعاصر، وهما مرتبطان ويكاد لا يحدث أحدهما دون الآخر. فأما العلاقة فهى صلة بين شخصين أو أكثر، وأما التفاعل فهو التأثير المتبادل وما ينشأ عنه من تغير.

ويعتمد التفاعل على تحليل السلوك الذى يصدر عن الفرد فى الموقف الاجتماعى على أنه استجابة لمثير صدر عن شخص آخر، وهو يعد فى نفس الوقت مثيرا

العلاقات الاجتماعية (1) Interpersonal relation
التفاعل الاجتماعى Social interaction

للاستجابة المقبلة التى ستصدر عن الشخص الآخر. أى أن المثير يتحول إلى استجابة وتتحول الاستجابة إلى مثير، وتتناوب ردود الأفعال بطريقة متلاحقة تدل على التفاعل. فمثلا عندما ينقد محمد صديقه إسماعيل فإن ما يقوله محمد يثير فى نفس إسماعيل استجابة معينة فيغضب من محمد، ويؤدى غضب إسماعيل إلى اعتذار محمد. وعندما يعتذر محمد يبتسم إسماعيل. وهكذا يمضى السلوك على هذا النوع من التفاعل.

ويؤدى بنا مثل هذا التفاعل إلى تحليل الموقف الاجتماعى عن طريق دراسة التغيرات التى تطرأ على مظاهر السلوك فى تحولها من فرد لآخر ومن مثيرات إلى استجابات، ثم تحول الاستجابات نفسها إلى مثيرات جديدة.

ولذا يعرف التفاعل الاجتماعى بالتأثير المتبادل بين فردين بحيث يؤثر كل منهما فى الآخر ويتأثر به، وتصبح بذلك استجابة أحدهما مثيرا للآخر. ويتوالى التبادل بين المثير والاستجابة إلى أن ينتهى التفاعل القائم بينهما.

والأصل فى العلاقات التى تنشأ بين شخصين أو أكثر بالصلة المتبادلة التى تنشأ بينهما نتيجة لتأثير أحدهما فى الآخر وتأثره به.

ولذا يعد التفاعل الاجتماعى أساس العلاقات الاجتماعية التى تنشأ بين الأفراد. فعندما نقرر أن علاقة اجتماعية نشأت بين فردين، فإننا نقرر هذا بعد أن نكون قد شاهدنا مرارا ما يقوم بينهما من تفاعل، أى ما يصدر عن كل منهما من سلوك فى مواجهته للشخص الآخر، وما ينتج لكل منهما من حصيلة نتيجة لوجود الآخر، وما يقوم بينهما من تواصل.

وينطوى التفاعل على أمور متعددة ومختلفة، وذلك لأن لكل فرد رصيدا ضخما من أنماط السلوك التى يمكن أن تظهر فى علاقته بفرد آخر.

ثانيا: مستويات علاقات التفاعل الاجتماعى

الأساس فى علاقات التفاعل الاجتماعى تبادل التأثير والتأثر. وبيان ذلك أن (أ) يؤثر فى (ب) ويتأثر به. وكذلك الحال بالنسبة لـ (ب) فى أنه يؤثر فى (أ) ويتأثر به. ويعد التبادل بهذا المعنى أعلى أنواع علاقات التفاعل الاجتماعى.

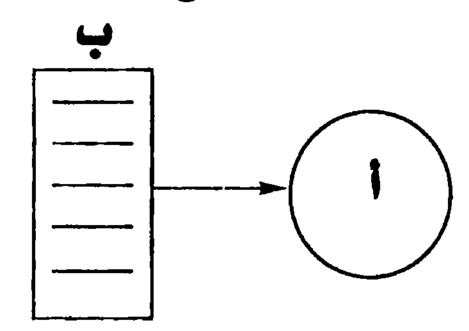
وتتطور العلاقات فى مستويات متتابعة. وسنبين فيما يلى أهم مستويات علاقات التفاعل الاجتماعى.

وسنرمز للفرد بدائرة وللعلاقة بخط، ولاتجاه العلاقة بسهم، وللفرد المقيد فى علاقاته بدائرة يحيط بها مرتفع، وذلك فى الأشكال المتعددة التى سنوضح بها المستويات المختلفة للعلاقات الاجتماعية. وأى رمز آخر خلا تلك الرموز سنوضحه فى موقعه الذى نستخدمه فيه.

(أ) المستوى الأول - العلاقات اللاتبادلية:

فى هذا النوع من العلاقات اللاتبادلية لا يتـزامن وجود الفرد (أ) مع وجود الفرد (ب). ولا يؤثر (أ) فى (ب) ولا يتأثر به، وكـذلك الحال بالنسبـة لـ(ب) . ومعنى هذا أن يوجد (أ) ويوجـد (ب) ولا يوجد بينهـما تفاعل اجـتماعـى حقيـقى. أو يوجد (أ) وتوجد بيانات عن (ب) ويطلب من (أ) أن يحكـم على سلوك (ب) من تلك البيانات. فكأن استجابات (أ) تتأثر فى أحكامها بمعلوماته عن (ب). ولقد كان ذلك هو الأسلوب الذى اتبعه الباحثون قديما فى دراسـاتهم لعملية الإدراك الاجتماعى. والغريب أن بعض الباحثين ما زالوا يسـتخدمون هذه الطريقة فى أبحاثهم المعـاصرة بالرغم من عجزها عن الإحاطة بأى جانب من جوانب التفاعل الاجتماعى التبادلى. وما زلنا نقرأ أبحاثا يعرض الباحث فيها على أفراد التجربة صورا لأفراد فى مـواقف اجتماعية مختلفة. ويطلب من كل منهم أن يسجل نوع إدراكه الاجتماعى لما يراه.. وهكذا.

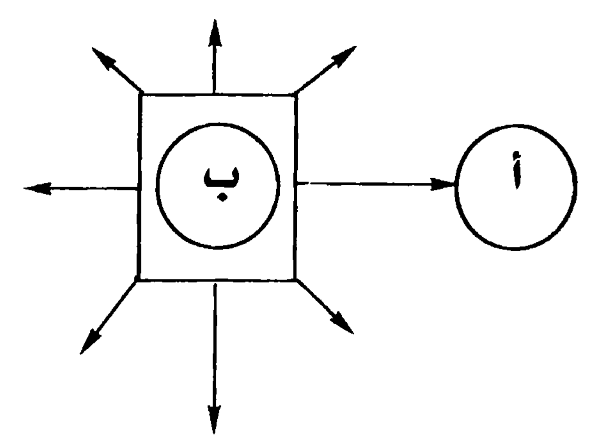
والشكل التـالى يبين هذه العلاقـات التبـادلية حـيث يدل المستطيل الأيسـر الذى يحتوى على الخطوط القـصيرة على حصيلة المعلومـات التى تخص (ب) والتى يزود بها (أ) ليحكم بها على سلوك (ب). وحيث تدل الدائرة ويدل الخط والسهم على الفرد (أ) والعلاقة واتجاهها كما سبق أن بينا ذلك فى شرح مستويات علاقات التفاعل الاجتماعى.



العلاقات اللاتبادلية التى تدل على تأثر (أ)
بالبيانات الخاصة بالفرد (ب)

(ب) المستوى الثانى - علاقات الاتجاه الواحد:

فى هذا النوع من علاقـات الاتجاه لواحد لا يتزامن وجـود (أ) مع وجود (ب) ويتأثر (أ) فى سلوكه بسلوك (ب) ولا يتأثر (ب) بسلوك (أ) وذلك عندما يكون سلوك (ب) نمطيا لا يسـتهدف بطبيعـته التأثير ولا يتـصل به اتصالا مباشـرا. ومثال ذلك أن يشاهد (أ) برنامـجا فى التليفزيون يعـده ويقدمه (ب) فيـتأثرا (أ) بسلوك (ب) لكنه لا يؤثر فيه ولا يحدث بينهما تفاعل حقيقى.

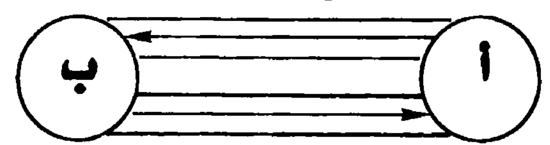


علاقات الاتجاه الواحد التى تدل على تأثر (أ) وغيره
بـ (ب) وعدم تأثر (ب) بـ (أ)

والشكل السابق يوضح تعدد تأثيرات (ب) كما تمثلها الخطوط الصادرة عن الدائرة التى تدل على الشخص (ب) والتى يحـيط بها المربع الذى يدل على أن العلاقـة ليست مباشـرة ولا تبادلية بل مقيـدة ومحدودة. وتدل كثرة الخـطوط الصادرة عن (ب) وتعدد اتجاهاتها على تأثر (أ) بأحدها وغيره من الأفراد بالخطوط الأخرى وعدم تأثر (ب) بالفرد (أ) ولا بالأفراد الآخرين.

(جـ) المستوى الثالث - العلاقات شبه التبادلية:

فى هذا النوع من العـلاقات يتزامن وجـود (أ) مع وجود (ب)، وتتم العـلاقات بينهما وفق خطة مرسومة أو حوار مكتوب. ومـثال ذلك الاستعراضات العسكرية حيث يواجه الفرد (أ) الفـرد (ب) ولكن يتخذ سلوك (أ) مسلكا معـينا محددا من (ب) وذلك وفق نظام دقيق لا يحـيد فيه أى فـرد منهما عنه. وكـذلك الحال بالنسبة لممـثلى المسرح حيث يقوم كل ممثل بدوره فى مواجهـة الآخر، ولكن كل شىء يقوم به قد حدد له من قبل فهو عندما يغضب على الممثل الذى يواجهه أو يعطف عليه أو يحاوره فإنه يبدو أمام الناس على أنه يتفاعل معه، لكنه فى الحقيقة يؤدى دوره وفق خطة مرسومة ووفق حوار مكتوب وتبعـا لتوجيهات مـخرج يترجم الحوار إلى واقع. والشكل التـالى يبين التفاعل وتبادل التأثير بخطين يمتد أحدهما من (أ) إلى (ب) ويمتد الآخر من (ب) إلى (أ)، وفى



الخطوط التى تبين العلاقات شبه التبادلية وتحيط بها خطوط أخرى تدل على القيود التى تخضع لها خطوط التأثير

نهاية كل منهما سهم يبين اتجاه التأثير ويحاط كل خط بخطين آخرين، أى بحدين يدلان على أن التأثير يمتد وفق نظام دقيق لا يحيد عنه.

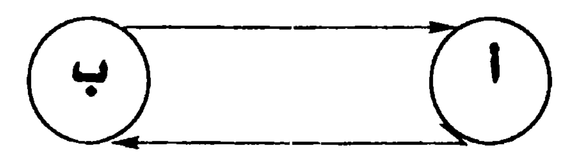
(د) المستوى الرابع - العلاقات المتوازية:

يتزامن فى هذا النوع من العلاقات وجود (أ) مع وجود (ب)، ويجمعهما موقف واحد. ويتحدث (أ) إلى (ب) ولا ينصت (ب) إليه، وكذلك الحال بالنسبة لـ (ب) فإنه أيضا يتحدث إلى (أ) ولا ينصت (أ) إليه.

ومثال ذلك ما يحدث أحيانا بين الأمهات حيث تستغرق كل منهما فى حديثها عن طفلها ولا تنتبه إلى حديث الأخرى لأنها إنما تجد متعتها فى حديثها عن طفلها لا فى حديث الأم الأخرى.

ويحدث مثل هذا التوازى أيضا فى حديث مرضى الشيزوفرانيا حيث يتحدث كل منهما إلى الآخر دون أن يعى ما يقوله الآخر أو يتأثر به، وإنما هو يتحدث عن عالمه هو الذى يصوره له مرضه ويظن أنه عالم واقعى وهو عالم غير واقعى، وكذلك حال الشخص الآخر.

والشكل التالى يوضح فكرة توازى العلاقات بخطين أحدهما يمتد من (أ) إلى (ب) وثانيهما يمتد من (ب) إلى (أ). ويتجه كل خط يمثل علاقة إلى الدائرة المقابلة ولا يلتقى بها بل يجاوزها إلى ما بعدها.



العلاقات المتوازية كما تدل عليها الخطوط الممتدة بينهما

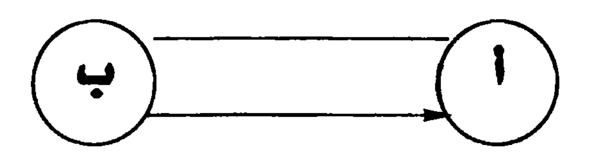
(هـ) المستوى الخامس - العلاقات المتبادلة غير المتناسقة:

يتزامن وجود (أ) مع وجود (ب) وتعتمد استجابات (أ) على سلوك (ب) ولا تعتمد استجابات (ب) على سلوك (أ).

ومثال ذلك ما يحدث فى اختبارات المقابلة وخاصة عندما تكون الأسئلة معدة من قبل ومحددة. وعندما يسأل الباحث (ب) الفرد (أ) فإن استجابات (أ) تتأثر بأسئلة (ب)، لكن أسئلة (ب) لا تتأثر باستجابات (أ)، اللهم إلا إذا كانت المقابلة لا تسير وفق قائمة محددة من الأسئلة، وعند ئذ تتحول العلاقات إلى شبه متبادلة لأن أسئلة (أ) قد تتأثر إلى حد ما باستجابات (ب)، وذلك فى إطار خطة أعم من التحديد السابق.

ومثال ذلك أيضا العلاقات التى تنشأ بين المعلم وتلميذه فى سؤال المعلم لتلميذه، وكذلك بين الطبيب والمريض. وبين المعـالج النفسى والمريض أيضا، فجميعـها علاقات غير متناسقة قد تتحول إلى شبـه متبادلة إذا تأثرت أسئلة المعلم والطبيب والمعالج النفسى بالاستجابات التى تصدر عن الفرد الآخر.

ويبين الشكل التالى هذا النوع من العلاقـات حيث يدل الخط الذى يمتد من (ب) إلى (أ) على اتجاه التأثير لوجود السهم، أما الخط الآخر فرسم بدون سهم ليدل على أن (أ) لا يؤثر فى (ب).



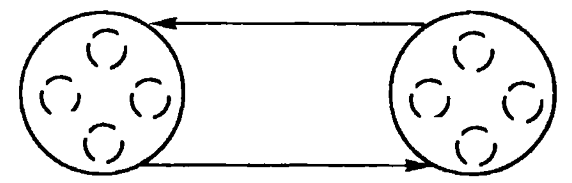
العلاقات غير المتناسقة، ويدل على ذلك خط فى نهايته سهم وخط دون سهم

والمستوى السادس ـ العلاقات المتبادلة:

تصل علاقـات التفاعل إلى صـورتها الاجتمـاعية الصـحيحـة عندما تصل إلى مستوى العلاقات المتبادلة.

وفى هذا النوع من العلاقات يتزامن وجود الفردين أو الأفراد أثناء عملية التفاعل الاجتماعى. ويعنى التبادل تحول اتجاه التأثير من فرد لآخر، فكما يؤثر فرد ما فى غيره فإنه أيضا يتأثر به، ويصبح الفرد بذلك مؤثرا ومستجيبا معا.

ويدل الشكل التالى على رسم توضيحى لهذا النوع من العلاقات، وسنرمز لهذا النوع بخطين فى نهاية كل خط سهم. ويتجـه كل سهم فى عكس اتجاه السهم الآخر. وسنرمز لمصدرى التأثير والتأثر بدائرة كبرى تدل على الفرد وذلك عندما لا تحتوى على دوائر صغرى أخرى. وتدل على الجماعة إن احتوت على دوائر صغرى. ولقد رسمت الدوائر بأقواس صغيرة منفصلة تبين احتمالات وجود الجماعة والفرد.



العلاقات المتبادلة كما تدل على اتجاهاتها الأسهم، وتدل الدوائر غير المتصلة على الجماعات والأفراد

ثالثا ـ أنواع العلاقات المتبادلة

العلاقات المتبادلة أهم أنواع علاقات التفاعل الاجتماعى. وعليها وبها يقوم صرح علم النفس الاجتماعى.

وتتلخص أهم أنواع العلاقات المتبادلة فى التى تنشأ بين فردين حيث يؤثر كل منهما فى الآخر ويتأثر به، وفى التى تنشأ بين فرد وجماعة وتقوم فى جوهرها على تبادل التأثير والتأثر أيضا، وفى التى تنشأ بين جماعة وجماعة أخرى وهى أيضا علاقات تأثير وتأثر.

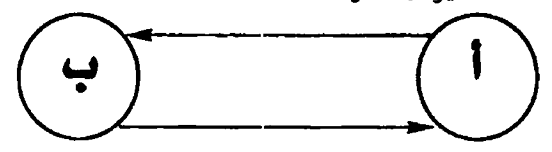
وسنبين فيما يلى كل نوع من هذه الأنواع بالتفصيل:

(أ) العلاقات المتبادلة بين فردين:

تعد العلاقات المتبادلة بين فردين وحدة التحليل فى علم النفس الاجتماعى، والموضوع الرئيسى الذى تشتق منه الموضوعات الأخرى كيانها وتبعيتها لهذا العلم.

ويحدث هذا النوع من العلاقات عندما يتزامن وجود فردين فى موقف تفاعل واحد، فيؤثر (أ) فى (ب) ويتأثر به، ومعنى هذا أيضا أن يؤثر (ب) فى (أ) ويتأثر به.

والشكل التالى يوضح هذا النوع من العلاقات حيث تدل الدوائر على الأفراد والأسهم على اتجاهات التأثير والتأثر.



العلاقات المتبادلة بين فردين

ومن أمثلة العلاقات المتبادلة بين فردين، ما ينشأ من علاقات متعددة الجوانب والمناحى والخصائص بين زوج وزوجته كما يدل على ذلك الحوار الذى يتصل بينهما، وبين الصديق وصاحبه، والعدو وخصيمه، والطالب وزميله فى الدراسة، وخاصة عندما يستذكران دروسهما معا فيتأثر كل منهما بمدى فهم الآخر لما يقرأ وبالحوار الذى ينشأ بينهما.

ويسمى العلماء الجماعة التى تنشأ من العلاقات المتبادلة بين فردين الجماعة الثنائية وتعد هذه الجماعة الأساس العلمى الحديث لدراسة الجماعات المختلفة أى الثلاثية والرباعية والخماسية[1]. وغيرها من الجماعات الصغيرة، بل والكبيرة أيضا.

---

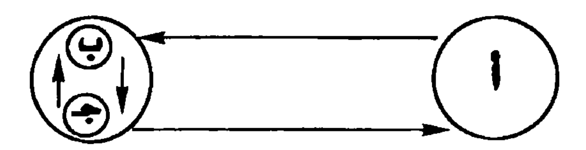
(1) Dyad الثنائية   Triad الثلاثية   Teriad الرباعية   Pentad الخماسية

ولقد بلغت أهمية هذا النوع من العلاقات أن تعـددت المحاولات العلمية لصياغة نماذج نظرية لتفسـير خصائصها. وقد يرقى بعـضها فى المستقبل القريـب أو البعيد لبناء نظرية تتوافر لهـا الشروط العلمية لنجاحهـا، كما سيأتى بيان ذلك بالتـفصيل فى دراسة الجماعة الثنائية.

وتستـخدم الجـماعـة الثنائية فى السـوسيـومترى لقـياس مـدى تماسك الجمـاعة وانحلالهـا. فإذا انقســمت جماعة مكونـة من عشرة أفراد إلى خـمس جماعـات ثنائية اعتبرت الجماعة منحلة، وأن هذا الانحلال وصل إلى نهايته العظمى. وإذا ظلت جماعة العشرة أفراد جماعة واحدة دون أى انقسام إلى جماعات ثنائية أو ثلاثية أو غير ذلك من الجماعات المختلفة، اعتبر التماسك قويا لأنه بذلك يكون قد وصل إلى نهايته العظمى.

(ب) العلاقات المتبادلة بين فرد وجماعة:

كما يؤثر فى فرد آخر ويتأثر به، فإنه أيضا يؤثر فى الجماعة ويتأثر بها. ويختلف دور الفرد فى تأثيـره فى الجماعـة وفى تأثره بها تبعـا لكونه عضوا بهـا والشكل التالى يوضح أبسط صور علاقة الفرد بالجماعة لأن الجماعة فى هذا الشكل التوضيحى جماعة ثنائية وهى بطبيعـة علاقاتها المتبادلة أبسط صور الجماعـة كما سبق أن بينا ذلك، وليس الفرد أيضـا عضوا بالجمـاعة ولذا لا يقيم بينه وبين كل فـرد من فردى الجماعـة الثنائية علاقات متبـادلة لأن معنى وجود مثل تلك العلاقات تكوين جمـاعات ثنائية أخرى بين (أ، ب) وبين (أ، جـ). وهذا يعنى عضوية الفرد (أ) فى الجمـاعة التى تصبح بعضويته جماعة ثلاثية.



علاقة الفرد بالجماعة عندما لا يكون عضوا فيها

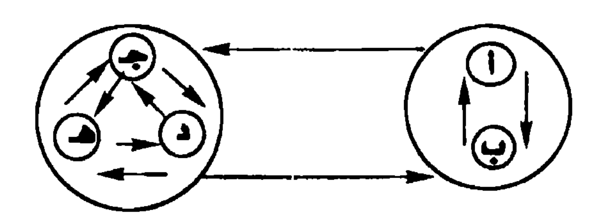
والدائرة الكبرى فى الشكل السـابق تمثل الجماعـة المكونة من ب، جـ وموقع (أ) خارج هذه الدائرة يمثل عدم عضويته فيـها، وبالتالى عدم تفاعله مع كل فرد من أفرادها على انفراد. ومثال ذلك علاقة الأب بزميلين من زملاء ابنه ونظرته إليهما كجماعة ثنائية وحواره معهما ليبتعدا عن ابنه لأنه لا يرضى عن صحبتهما له وخاصة إذا كان سلوكهما سلوكا لا سـويا، وكيف يقنعهمـا، والطريقة التى يقنعانه هو بهـا، وأن تدخله هذا يعد تسلطا وسيطرة ليـست فى صالح ابنه. وبهذا يؤثر الأب فـى تلك الجماعة ويتـأثر بها. ومثال ذلك أيضـا موقف الابن من أمه وأبيه وخاصـة عندما يتخذان منه موقفـا موحدا فيحـاول أن يؤثر فى وجهة نظرهما له ويـحاولان هما معا أن يؤثرا فى وجـهة نظره هو ويتطور التفاعل بينهما إلى تأثير وتأثر.

وغالبا مـا يجد الفرد مدخلا إلى أحد أفـراد الجماعة ثم إلى بقيـة الأفراد ويصبح بذلك عضـوا فى الجماعة. وذلك خلال تفـاعله معها. وهكـذا تتحول الجماعـة الثنائية والفـرد الذى يؤثر فيـها وتتـأثر به إلى جمـاعة ثلاثيـة ــ (أ ـ ب ـ جـ) ويصبـح عدد احتمالات تفاعل الفرد مع الجماعة ثلاثة احتمالات فإما أن يتفاعل (أ) مع (ب ـ جـ) أو يتفاعل (ب) مع (أ ـ جـ) أو يتفاعل جـ مع (أ ـ ب). ويمكن أن نستخدم الشكل السابق فى توضيح هذه الفكرة بحيث ترمز الدائرة الصغرى خارج الدائرة الكبرى مرة لـ (أ) فى تفاعله مع الجمـاعة الثنائية (ب ـ جـ)، ومرة لـ(ب) فى تفاعله مع الجمـاعة الثنائية (أ ـ جـ) ومرة لـ (جـ) فى تفاعله مع الجماعة الثنائية (أ ـ ب). ومثال ذلك ما يحدث لتفاعل الابن مع أمه وأبيه فى مثالنا السابق فتـميل الأم إلى موقف الابن وتقف معه فى مواجهة الأب، أو يميل الأب إلى موقف الابن ويقف معه فى مواجهة الأم.

وكثيرا مـا نلاحظ مثل هذا التحول الذى بيناه فى المثال السـابق فى حيـاتنا اليومية الواقعية فيصـبح تفاعل الفرد خارج الجماعة مع الجماعة تفـاعلا لفرد داخل الجماعة مع بقية أعضاء الجماعة. وسرعان ما تنعكس الصورة فيصبح تفاعل الفرد داخل الجماعة مع بقية أعـضاء الجماعة تفاعـلا لفرد خارج الجماعة مع بقـية أفراد الجماعة. ويسـتمر هذا التغير ليـسفر بذلك عن القوى التى تحرك الفـرد والجماعة، وتوجه التفـاعل الاجتماعى وجهته الدينامية.

(جـ) العلاقات المتبادلة بين جماعتين:

تؤثر الجماعة فى جمـاعة أخرى وتتأثر بها بطرق مختلفة. فـقد يكون تبادل التأثر والتأثير عن طريق الحـوار، وذلك مثلا عندما تنقسم الجمـاعة الخماسية إلى جـماعتين: ثلاثية تمـثل الأغلبية وثـنائية تمثل الأقليـة، ويكون هدف الحوار هو اتخـاذ قرار بالنسـبة لموضوع ما، وتحـاول كل جماعة أن تقنع الجمـاعة الأخرى بوجهة نظرها. وقـد يتحول موقف المعارضة إلى موافقـة وتعود الجماعة نتيجة لهذا إلى جماعة خـماسية مرة أخرى بالنسبة لوحدة اتجاهها ورأيها.



العلاقات المتبادلة بين جماعة ثنائية وأخرى ثلاثية

والشكل السابق يبين العلاقات المتبادلة بين جماعتين إحداهما ثنائية والأخرى ثلاثية.

وقد يكون تبادل التأثير والتأثر عن طريق المنافسة فى الإنتاج بشرط أن ترى الجماعة الأولى إنتاج الجماعة الثانية أولا بأول وتتأثر به، وترى الجماعة الثانية إنتاج الجماعة الأولى أيضا أولا بأول وتتأثر به. أى أن تتحقق عملية التغذية المرتدة لكل جماعة من الجماعتين. ومثال ذلك ما يحدث بين فريقى الكرة، أو الكرة الطائرة أو سباق الزوارق بين زورقين متنافسين وهكذا.

وقد يكون تبادل التأثير والتأثر عن طريق المنابذة والعدوان كما يحدث بين عائلتين فى خصامهما واعتداء العائلة الأولى على العائلة الثانية، ورد العائلة الثانية على الأولى، وتتابع هذه الأفعال وردود الأفعال بينهما. وغالبا ما تنشأ مثل هذه العلاقات المتبادلة العدوانية بين عصابات الأطفال وخاصة فى مرحلة الطفولة المتأخرة، وبين العائلات المتنازعة فى الريف على حد الأرض المشترك بين زراعتى حقلين متجاورين.

رابعا - حجم الجماعة وأثره فى العلاقات المتبادلة:

تتأثر العلاقات المتبادلة إلى حد كبير بعدد أفراد الجماعة. ويرتبط هذا العدد بوظيفة الجماعة وهدفها. فلكل نوع من أنواع الجماعات حجم خاص يناسب بناءها وتكوينها، فإذا ازداد عدد أفرادها زيادة كبيرة عن المدى الضرورى لها انقسمت الجماعة إلى عدة جماعات صغيرة.

وأصغر أنواع الجماعات هى الجماعة الثنائية، وهى التى تتكون من شخصين مثل الزوج وزوجته، أو الصديقين اللذين تجمعهما مناقشة ما تستمر لفترات متعاقبة.

وعندما يزداد أفراد الجماعة إلى ثلاثة تزداد تبعا لذلك العلاقات المتبادلة التى تنشأ بين فرد وآخر، وتظهر علاقات أخرى جديدة تربط الفرد بالجماعة، ومثال ذلك الأسرة التى تتكون من أب وأم وابن.

وسنبين فيما يلى شبكة العلاقات الاجتماعية المحتملة للجماعات: الثنائية لأنها وحدة التحليل فى دراسة العلاقات المتبادلة، والجماعة الثلاثية لأنها أول حالة من حالات دراسة علاقة الفرد بالجماعة، وبالجماعة الرباعية لأنها أول حالة من حالات دراسة علاقة الجماعة بجماعة أخرى.

ثم نتابع بعد ذلك تغير حجم الجماعة وعلاقاته المتبادلة خلال مراحل الحياة.

(أ) شبكة العلاقات المتبادلة المحتملة:

تمثل شبكة العلاقات المتبادلة المحتملة كل الحالات الممكنة لتبادل التأثير والتأثر بين الأفراد، وبين الأفـراد والجماعـات، وبين الجماعـات والجماعـات، وتزداد هذه الشبكة تعقيدا كلما زاد عدد أفراد الجماعة.

وتصبح هذه الشـبكة مقصـورة على الأفراد فقط فى الجمـاعة الثنائية، وينحـصر عددها فى عـلاقة متبـادلة واحدة يمكن أن نرمز لهـا بـ (أ ـ ب). وهو نفس الرمز الذى نستخدمه للجماعة الثنائية.

وتنقسم العلاقات المتبادلة فـى الجماعة الثلاثية إلى نوعين: **النوع الأول**: العلاقات المتبادلة بين كل فردين من أفراد الجماعة وعددها ثلاث علاقات تلخصها الرموز التالية:

أ ـــ ب، أ ـــ جـ، ب ـــ جـ.

ومثال ذلك فى الأسرة المكونة من ثلاثة أفـراد: أب، وأم، وابن: العلاقة المتبادلة بين الأب والأم، والعلاقة المتبادلة بين الأب والابن، والعلاقة المتبادلة بين الأم والابن.

النوع الثانى: العلاقات المتـبادلة بين كل فرد والجماعة الثـنائية المكونة من الفردين الآخرين وعددها ثلاث علاقات تلخصها الرموز التالية:

أ ـــ ب جـ، ب ـــ جـ أ، جـ ـــ أ ب.

ومثـال ذلك فى الأسرة السـابقة عـلاقة الأب بالجمـاعة الثنائيـة المكونة من الأم والابن، وعلاقة الأم بالجـماعة الثنائية المكونة من الابن والأب، وعلاقة الابن بـالجماعة الثنائية المكونة من الأب والأم.

وكلما ازداد عدد أفراد الجـماعة زيادة بسيطة صغيـرة، يزداد عدد العلاقات زيادة ضخمة كبيرة. فالعلاقات الاجتماعية فى الجماعة الرباعية تصل إلى ٢٥ علاقة مختلفة. فإذا رمزنا إلى أفراد الجماعـة بالرموز أ، ب، جـ، د أمكننا أن نوضح هذه العلاقات فى الجدول التـالى حيث يدل العـمود الأول على نوع الـعلاقات. ويبلغ عـدد هذه الأنواع أربعة. **النوع الأول** وهو علاقة الفرد بفرد آخر موجـود فى الجماعة الثنائية وفى الثلاثية أيضا لأنه أساس العلاقات الاجتماعية المتبادلة. **والنوع الثانى** وهو علاقة الفرد بالجماعة الثنائية مشترك بين الثلاثية والرباعية ويوجد أيضا فى ما هو أكبر من الرباعية.

شبكة العلاقات المتبادلة المحتملة فى الجماعة الرباعية

نوع العلاقات	توضيح رمزى للعلاقات	عدد العلاقات
فرد ـ فرد	أ.ب، أ.جـ، أ.د، ب.جـ، ب.د، جـ.د	٦
فرد ـ جماعة ثنائية	أ.ب جـ، أ.جـ د، أ.ب د، ب.جـ د، ب.د أ، ب.ج أ، جـ.د أ، ج.أ ب، جـ.ب د، د.أ ب، د.ب جـ، د.جـ أ	١٢
فرد ـ جماعة ثلاثية	أ ـ ب جـ د، ب.جـ د أ، جـ.د أ ب، د.أ ب جـ	٤
جماعة ثنائية ـ جماعة ثنائية	أ ب.جـ د، ب جـ.د أ، أ جـ.ب د	٣
المجموع		٢٥

والنوعان الباقيان وهما علاقة الفرد بالجماعة الثلاثية، وعلاقة الجماعة الثنائية بالجماعة الثنائية الأخرى يبدأ ظهوره فى الجماعة الرباعية ويوجد أيضا فيما هو أكثر منها. ويدل العمود الثانى على التوضيح الرمزى للعلاقات المختلفة، ويدل العمود الثالث والأخير على عدد علاقات كل نوع، والمجموع الكلى للعلاقات الاجتماعية فى الجماعية الرباعية.

(ب) تغير حجم وخصائص الجماعة خلال مراحل الحياة:

يتأثر عدد العلاقات الاجتماعية المحتملة تأثرا مباشرا بحجم الجماعة كما سبق أن بينا ذلك. وتؤثر تلك العلاقات بدورها فى حجم الجماعة فإذا ازداد عددها زيادة تحول بين الأفراد والتفاعل الاجتماعى المناسب لتجاوزها النهاية القصوى لقدرة الأفراد على إدراك بعضهم بعضا، انقسمت الجماعة إلى جماعات صغيرة.

ويتأثر حجم الجماعة بأعمار أفرادها وخاصة فى مراحل الطفولة، وذلك تبعا لنمو قدرة هؤلاء الأفراد على الإدراك الاجتماعى.

وتبدأ عملية تكوين الجماعات التى ينتظم فيها الطفل كعضو من أعضائها فى مرحلة الطفولة المبكرة التى تمتد من السنة الثانية إلى السنة السادسة، ويشعر الطفل فى مستهل هذه المرحلة فيما بين السنة الثانية بالضيق عندما تصبح علاقاته الاجتماعية مقصورة على الكبار فقط، ويزداد اهتمامه بالأطفال الآخرين وميله إلى صحبتهم، ويتهلل وجهه فرحا عندما يلقاهم. وبالرغم من أنه لا يشاركهم ألعابهم إلا أنه يهتم بوجودهم إلى جواره، ثم يتطور الأمر بالطفل بعد ذلك فيمارس ألعابه وحده ولا يجد غضاضة فى أن يمارس كل من الأطفال الآخرين ألعابه أيضا وحده على مرأى ومسمع من الآخرين وبذلك يصبح النشاط الاجتماعى لأطفال هذا الطور متوازيا لا يلتقى أو يتشابه، وإنما يتزامن فى مكان مشترك.

ويلى هذا الطور من أطوار التفاعل الاجتماعى طور الألعاب المتناظرة حيث يلعب الطفل لألعاب التى يمارسها كل طفل آخر دون أن يغير دوره ليوائم بين نشاطه ونشاط الآخرين.

وتتطور المشاركة الاجتماعية فيصبح الطفل عضوا فى الجماعة التى ينتمى لها ويقوم بدوره الذى قد يختلف إلى حد صغير أو كبير عن أدوار رفاقه، وبذلك يبدأ طور الفريق وخاصة فى السنة الرابعة من حياة الطفل، ويستمر هذا الطور إلى أن يمهد إلى جماعة العصابة التى تظهر بوضوح فى الطفولة المتأخرة التى تمتد من السادسة إلى الثانية عشرة.

وتبدأ العصابة بصداقة تقوم بين اثنين أو ثلاثة، وتجتذب هذه الجماعة الصغيرة أطفالا آخرين فيزداد عدد أفراد الجماعة. وقد تجتذب جماعات أخرى صغيرة. وهكذا تتكون العصابة ويزداد عدد أفرادها تبعا لزيادة أعمار هؤلاء الأفراد حتى تصل إلى أقصى حجم لها فى سن التاسعة أو العاشرة، ثم يتناقص حجمها بعد ذلك وتتحول إلى نوع آخر من الجماعات هى جماعات المراهقين.

ويبدو نشاط عصابات الأطفال فى اللعب الجماعى مثل كرة القدم أو سباق الدراجات أو العدو السريع أو غير ذلك من النشاط الذى يتطلب مشاركة جماعية إيجابية.

ولكل عصابة من هذه العصابات قوانينها ونظمها. وعلى الطفل الذى ينتمى للعصابة أن يخضع لتلك القوانين وأن يسير وفق نظامها. وهكذا يصل الأطفال فى النهاية إلى إنشاء مجتمع لهم يساير خصائصهم النفسية ويلبى مطالب نموهم وكأنهم بذلك ينشئون لأنفسهم دولة صغيرة ليحكموا أنفسهم، بعيدا عن عالم الكبار وأوامره ونواهيه.

وللعصابات مزاياها وعيوبها فهى إن استقامت على جادة الطريق أصبحت عاملا رئيسيا من العوامل التى تؤثر فى النمو الاجتماعى للطفل. وإن جنحت أصبحت خطرا يهدد نمو الطفل.

وتقوم فكرة العصابات على الفصل الحاد بين البنين والبنات. فلكل جنس عصاباته التى ينتمى لها. وبذلك نجد عصابات للبنين وعصابات للبنات.

ويختلف كل نوع من هذين النوعين الرئيسين تبعا لاختلاف طبيعة الذكور وطبيعة الإناث فى هذه المرحلة من مراحل الحياة. ولذلك نجد أن عصابات البنين أكثر عددا وأقوى تنظيما وأشد تماسكا من عصابات البنات.

ويدين الطفل ـ ذكرا كان أم أنثى ـ بالولاء لعصابة واحدة لا تنافسها عصابة أخرى. وعندما يصل النمو بالطفل إلى نهاية مرحلة الطفولة المتأخرة فإنه يتخفف كثيرا من ولائه لعصابته، وبذلك يتناقص عدد أفراد العصابة بالتدريج حتى تتلاشى تماما فى مرحلة المراهقة لتحل محلها عصابات أخرى تختلف فى تكوينها ونشاطها عن عصابات الطفولة التى كانت تهيمن على حياة الطفل وعلى سلوكه الاجتماعى. ولا يدين المراهق بالولاء لعصابة واحدة بل ينتمى إلى عصابات عدة حتى يحقق لنفسه المظاهر المختلفة لنموه. وذلك لأن النمو فى المراهقة نمو فارق تتعدد فيه الميادين والمجالات وتزداد الفروق الفردية بين المراهقين. وهكذا لا تحقق العصابة الواحدة جميع مطالب نمو المراهق فينتسب إلى جماعات عدة ليحقق تباين سلوكه وخصوبة نموه الاجتماعى.

وبذلك يكثر عدد الجماعات فى مرحلة المراهقة ويقل عدد أفرادها وينقص حجمها عما كانت عليه عصابات الطفولة المتأخرة، وذلك لأن المراهق يكون عندئذ قد تعلم كيف يختار أصدقاءه ومعارفه. وهكذا يسير نمو العصابات من العمومية إلى الخصوصية، كما يسير أى مظهر آخر من مظاهر النمو فى تطوره من الطفولة إلى المراهقة.

خامسا ـ أهم مظاهر العلاقات المتبادلة فى الجماعة الثنائية

العلاقات المتبادلة فى الجماعة الثنائية علاقات تنشأ بين فردين. وهى أبسط أنواع العلاقات الاجتماعية. ويهتم العلماء بفهم وتحليل هذا النوع البسيط من العلاقات لأنه يلقى الضوء على فهم وتحليل العلاقات الأكثر تعقيدا؛ وخاصة أن كثيرا من خصائص هذا النوع من العلاقات يظهر أيضا فى العلاقات المتبادلة للجماعة الثلاثية والجماعة الخماسية وغيرها من الجماعات الأخرى. لذلك تعد العلاقات المتبادلة فى الجماعة الثنائية اللبنة الأولى لدراسة العلاقات وما يصاحبها من تفاعل اجتماعى.

وتتخذ العلاقات المتبادلة صيغا مختلفة فى تحقيق التفاعل الاجتماعى الذى يمكن أن يقوم بين فردى الجماعة الثنائية. وقد يكون التفاعل لفظيا يقوم فى جوهره على الحوار

الذى ينشأ بين المتـفاعلين. وقد يكون غـير لفظى يقوم على تـعبيرات الوجـه وإشارات اليدين وإيماءات الرأس. وقد يجمع بين الصورتين فى موقف مشترك فيصبح لفظيا وغير لفظى.

وسنبين فيما يلى المظاهر اللفظيـة للعلاقات الاجتماعية ومـدى اختلاف العلاقات المتبـادلة عن التقليـد، ومسـتوياتهـا، واتزانها، ومدى صـحة التنبـؤ بمظاهر السلوك فى الجماعة الثنائية، ومحددات الصداقة، وتدعيم السلوك فى المواجهة الثنائية.

(أ) المظاهر اللفظية لعلاقات الجماعة الثنائية:

تتلخص أهم المظاهر اللفظية لعلاقـات الجماعة الثنائية فى صيـغة الحوار اللفظى، وفى محتواه، وفى توقيته.

وتختلف صيغـة الحوار اللفظى المتصل بين الفردين المتفاعلين فى الجـماعة الثنائية تبعا لمواقف كل منهما من الآخر سائلا أو مجيبا، وآمرا أو مطيعا، وهاديا أو مهتديا.

فعندما يسأل أحد الفردين سؤالا فإنه من المحتمل جدا أن يجيب الفرد الآخر على نفس ذلك السؤال. وعندما يكون السؤال مفتوحا فإنه من المحتمل جدا أن تكون الإجابة طويلة. وتعد هذه الطـريقة من أنجح الطرق التى تسـتخدم لحمل الشـخص الآخر على التكلم كثيرا.

وعندما يلقى أحد الفردين أمرا، أو يعطى تعليمات فإنه من المحتمل جدا أن ينفذ الفرد الآخر ذلك الأمـر أو تلك التعليمات. وإذا لم ينفذ ذلك الأمر أو تلك التـعليمات فعليه أن يبين سبب ذلك.

ويتغير محـتوى الحوار الذى ينشأ بين فردى الجماعة الثنائية تبعـا لتغير موقف كل منهمـا فى تفاعله مع الآخـر. فعندما يـعلق أحد الفردين على مـوضوع مـعين فإن من المحتمل جدا أن يعلق الفرد الآخـر على نفس ذلك الموضوع. وإذا لم يتحدث الشخص الثانى عن نفس الموضوع، ولم يفسر موقفه فى تجنبه لذلك الموضوع فإنه من المحتمل أن يتوقف التفاعل المتصل بين فردى الجماعة الثنائية إلى حين.

وتدل نتائج البحث الذى نشره بيلز[1] .Bales سنة ١٩٥٠ على أن نسـبة الفكاهة التى تصدر عن أحد الفردين، إلى الفكـاهة التى تصدر عن الفرد الآخر تصل إلى ٦٨٪ وأن نسـبة حـديث الفرد الأول عن التـماسـك والصلابة إلى حـديث الفرد الآخـر عن التماسك والصلابة أيضا تصل إلى ٢٨٪ وأن نسبة الآراء التى يدلى بها الفرد الثانى تصل

(1) Bales, R. F. Interaction Process Analysis. Cambridge. Mass, Addison Wesley, 1950.

إلى ١٩٪. وأن نسبة الإرشادات التى يقترحها الفرد الأول إلى الإرشادات التى يقترحها الفرد الثانى تصل إلى ٢٤٪. وأن نسبة الخلاف فى الرأى الذى يصدر عن الشخص الأول إلى الخلاف فى الرأى الذى يصدر عن الشخص الثانى تصل إلى ٢٤٪.

وللناس خصائص تميز طريقة حديث كل منهم مع الآخر من حيث سرعته وبطئه، وطوله وقصره، وانقطاعه واستمراره، فمثلا إذا تحدث أحد الفردين طويلا فإن الفرد الآخر يطيل هو الآخر فى حديثه. وإذا لم يتحدث أحدهما طويلا فإن الآخر يحذو حذوه فلا يطيل حديثه. وقد لوحظ أنه بالرغم من أن المعالج النفسى لا يتكلم إلا خمس أو سدس ما يتكلمه المريض إلا أنه عندما يضاعف من المدى المقرر لكلامه فإن المريض يحذو حذوه فيضاعف قوله.

والمقاطعة تميل بالمتحدث إلى التوقف ثم المقاطعة فمثلا عندما يقاطع أحد الفردين الآخر، فإن الفرد الآخر يقاطعه أيضا. ومن القواعد المتبعة أحيانا فى اختبارات المقابلة توقف السائل خلال بعض مراحل المقابلة لمدة تقرب من ١٥ ثانية قبل أن يتابع حديثه مع المسئول أو مقاطعته باستمرار وبطريقة دورية. وقد لوحظ أن المسئول كثيرا ما يصمت هو أيضا ثم يقاطع حديث الآخر ويحول دون استمراره.

(ب) المظاهر غير اللفظية لعلاقات الجماعة الثنائية:

تمكن كثير من الباحثين من دراسة سلسلة المثيرات والاستجابات غير اللفظية. ولقد لاحظوا أن ما يصدر عن أحد الأفراد من إيماءات وإشارات وحركات يثير فى الشخص الآخر نفس تلك الاستجابات غير اللفظية، فيومىء أو يشير أو يتحرك، حتى إن بعض العلماء سمى هذه الظاهره «الرقص الإيمائى»[١]. وقد قام كوندون Condon وأوجستون[٢] Ogston سنة ١٩٦٦ وسنة ١٩٦٧ بتحليل تفصيلى للأفلام التى سجلت المواقف العلاجية بين المعالج النفسى والمريض وتوصلا إلى ما يسمى بتزامن التفاعل بين المتحدث والمستمع بالنسبة لحركة الأيدى، والرأس، والعينين، وهكذا. وأن هذا التزامن يصاحب الجملة التى تقال وأحيانا الكلمة. ومن الطرق التى استخدمت بنجاح فى مثل هذا التحليل طريقة كندون[٣] Kendon التى نشرها سنة ١٩٦٨ وخلاصتها أنه سجل صور التفاعل القائم بين اثنين فى أحد الفنادق وذلك بمعدل ٢٤ صورة فى الثانية الواحدة ثم قام بتحليل لكل صورة من هذه الصور واكتشف الأنواع التالية:

---

(1) Arglye, M. Social Intraction. London, Methuen, 1976.

(2) Condon, W. S., and Ogston, W. D. Sound film analysis of normal and pathological behaviour patterns. J. Nerv. Ment. Dis. 1966 - 1967, 143, 388 - 347.

(3) Vide, Argyle, M.. Social Interaction. London, Methuen, 1976, p. 170.

ـ **انعكاسات المرآة**، أو التماثل الحركى، ولقد كان هذا النوع من الوضوح بحيث يمكن اكتشافه بالعين المجردة، وقوامه التقليد الحركى، ويقوم به المستمع فى تفاعله مع المتحدث.

ـ **السلوك الاستماعى**، وقوام هذا النوع ما يصدر عن المستمع من حركات تسفر عن متابعة للحديث مثل إيماء الرأس، أو تعبيرات الوجه التى تدل على الموافقة.

ـ **الحركات المشابهة للحديث**، وقوام هذا النوع ما يقوم به المستمع من تقليد حركى لمخارج نطق المتحدث دون أن ينطق هو بشىء ما، وأحيانا يبالغ فى حركته التى تماثل حركات المتحدث وهو ينطق ببعض الكلمات.

(جـ) المظاهر اللفظية ـ غير اللفظية لعلاقات الجماعة الثنائية:

يحدث أحيانا أن تثير الاستجابة غير اللفظية استجابة لفظية. فالاستجابة اللفظية لإيماء الرأس تكون عادة أطول من الاستجابة اللفظية لعبوس الوجه.

وغالبا ما تختلط الاستجابات اللفظية بالاستجابة غير اللفظية فى وحدات من السلوك متكاملة، وهذا مما يزيد من صعوبة تحليل مثل هذا النوع من الاستجابات.

وأحيانا يشتمل التفاعل الثنائى على أكثر من سلسلة من سلاسل الاستجابات وفى مثل هذه الحالات يكون لكل سلسلة سرعتها التى تختلف بها عن السلاسل الأخرى، وهذا أيضا مما يزيد من صعوبة تحليل تلك السلاسل. وغالبا ما تكون السلسلة الأسرع هى سلسلة التقليد، وتكون السلسلة الأبطأ هى سلسلة العلاقات المتبادلة.

(د) اختلاف العلاقات المتبادلة عن التقليد:

تختلف العلاقات المتبادلة فى الجماعة الثنائية عن التقليد كما تختلف ردود الأفعال المتماثلة عن ردود الأفعال المتكاملة أو المتجاوبة أو المتغايرة، حيث يدل التماثل على التقليد، ويدل التكامل أو التجاوب أو التغاير على التبادل.

وغالبا ما يتخذ التبادل مسالك مختلفة نلخص أهمها فيما يلى[1]:

ـ لا يشابه الفعل المتبادل الفعل الصادر عن الشخص الأول ولكن يعادله فى مستواه.

ـ لا يصدر الفعل المتبادل تلقائيا دون تفكير ولكن يصدر عن أناة وتؤدة، وبعد روية وتفكير.

---

(1) Arglye, M. Social Interaction. London, Methuen, 1976, 173.

ـ الإدراك الواعى لما يحدث يحول دون الفرد والتقليد ويؤدى به إلى السلوك المتبادل.

ـ تتضاءل نسبة التبادل تبعا لزيادة مستوى الشخص الآخر وعلو مكانته.

(هـ) مستويات العلاقات المتبادلة:

يمكن تصنيف العلاقات المتبادلة إلى ثلاثة مستويات كما تدل على ذلك الأبحاث التى قام بها علماء الأنثربولوجى فى المجتمعات البدائية وخاصة بحث ساهلينز[١] Sahlins. الذى نشره سنة ١٩٦٥ والذى انتهى منه إلى المستويات التالية:

ـ **المستوى الأول:** مستوى الإيثار العام، وفيه لا يتوقع (أ) من (ب) جزاء أو شكورا على ما يقدمه له، أو ما يقوله.

ـ **المستوى الثانى:** مستوى الاتزان الاقتصادى، وفيه يتعادل ما يقدمه (أ) لـ (ب) مع ما يقدمه (ب) لـ (أ).

ـ **المستوى الثالث:** مستوى التبادل السالب وفيه يحاول كل فرد من الفردين المتفاعلين أن يحصل على أكثر ما يمكن من الفرد الآخر دون أن يقدم له بديلا لما يأخذ.

(و) اتزان الجماعة الثنائية:

قد تستغرق العلاقات المتبادلة فى الجماعة الثنائية وقتا حتى تستقر وتصل إلى مرحلة الاتزان.

ومن أهم الأبحاث التى تصدت لدراسة اتزان الجماعة الثنائية دراسات لينارد[٢] Lennard. وبيرنشتين Brenstein سنة ١٩٦٠ حيث حلل الباحثان عددا كبيرا من أنماط التفاعل الذى يحدث بين المعالج النفسي والمريض. ولقد دلت نتائج هذا البحث على أن التفاعل يصل إلى مرحلة الاتزان بعد بضع جلسات يعدل المعالج النفسى فيها سلوكه ليتوافق مع سلوك المريض؛ كما يعدل المريض أيضا سلوكه ليتوافق مع سلوك المعالج النفسى. ومثال ذلك الاستقرار المدى الزمنى الذى يستغرقه المريض فى كلامه عن نفسه إلى الحد الذى لا يتذبذب فيه بين النقصان والزيادة. وعندما يقل هذا الزمن عن المدى الذى استقر عليه فإن الذى يحدث هو أن المعالج يصحح هذا الوضع تلقائيا بأن

(1) Sahlins, M. D. On the sociology of primitive exchange, in the relevance of models for Social Anthropology. ASA Monographs 1, London, Tavistock, 1965.

(2) Lernnard, H. L., and Bernstein. The Anatomy of Psychotherapy, Columbia U. P. 1960.

يعمل من جانبه على تخفيف حدة التوتر الذى يحول بين المريض وبين انطلاقة فى حديثه إلى أن يصل إلى المدى الذى استقر عليه من قبل.

وأجرى جاف[1] Jaffe. سنة ١٩٦٤ بحثا مماثلا للبحث السابق فحلل ٤٠٠٠٠ كلمة قيلت أثناء سلاسل من الجلسات العلاجية عدد كل منها تسع جلسات. وانتهى إلى اكتشاف تقارب مستمر بين كلام المعالج وكلام المريض حتى إن كلا منهما قد بدأ يستخدم ألفاظ ولغة الآخر. وأن الجمل التى يستخدمها كل فرد منهما كانت تتذبذب بين الطول والقصر تبعا لتذبذب جمل الشخص الآخر، فإذا أطال المعالج من جمله أطال المريض أيضا من جمله، وأن مدى هذا التذبذب بدأ يتناقص بالتدريج حتى وصل متوسط طول جمل المعالج إلى حوالى ٠,٨ من متوسط طول جمل المريض. وأن الضمائر الشخصية كثيرا ما تظهر فى صورة «أنا» عند المريض وكثيرا ما تظهر فى صورة «نحن» عند المعالج النفسى.

وخلاصة هذين البحثين أن التفاعل الثنائى يستقر بعد حين فى صورة متزنة. وتعد تلك الظاهرة من أهم خصائص الجماعات الثنائية والثلاثية وما بعد الثلاثية كما دلت على ذلك نتائج الأبحاث المختلفة.

وبين جوفمان[2] Goffman. سنة ١٩٥٥ أن أعضاء الجماعات الصغيرة، ومنها الثنائية، يحافظون على اتزانها عندما يهدد هذا الاتزان أحد أعضائها. وغالبا ما تهيىء الجماعة لمثل هذا الفرد الظروف المناسبة ليصحح مسار سلوكه حتى يعود الاتزان للجماعة. ومثال ذلك أن يعترف المخطىء بأنه أخطأ ولم يكن جادا فيما قال أو فعل، وإنما كان يمزح. وبذلك يعود مثل هذا الفرد للجماعة بعد أن يكون قد غير دوره واتخذ لنفسه دورا آخر لا يغضب رفيقه فى الجماعة الثنائية، أو الآخرين فى الجماعة المتعددة الأعضاء.

والجماعة وخاصة الثنائية لا تصل إلى اتزانها مباشرة منذ تكوينها، فغالبا ما يؤدى التفاعل القائم بين الفردين أو بين الأفراد إلى مزيد من التفاعل إلى أن تصل العلاقات إلى حد التشبع، وعندئذ تؤدى التغذية المرتدة إلى النفور الذى ما يلبث أن يتحول إلى الاتزان، فيستقر الأمر بالجماعة، وتظل فى اتزانها. ويعمل كل عضو من أعضائها على

---

(1) Jaffe, J. Verbal behavioral analysis in psychiatric interviews with the aide of digital computers (1964). Quoted from. Arglye, M. Social Interac
tion, London, Methuen, 1976, p. 203.
(2) Goffman, e. On face work. Psychiatry, 1955, 18, 213 - 231.

الحفاظ على هذا الاتزان واستمرار فعاليته. وقد يصل النفور إلى الحد الذى يهدد كيان الجماعة. ولذا فعلى أحد الفردين فى الجماعة الثنائية أن يغير مسلكه مع الشخص الآخر. والفرد الذى يغير مسلكه هو غالبا ما يكون أقرب الفردين نفعا من تلك الجماعة، وأكثرهم اعتمادا عليها، وأشدهم مرونة، وأخصبهم خبرة فى المهارات الاجتماعية.

(ز) التنبؤ بمظهر السلوك فى الجماعة الثنائية:

استعان الباحثون فى دراساتهم لإمكانية التنبؤ بمظاهر السلوك فى الجماعة الثنائية بدراسة خصائص شخصية كل عضو من عضوى الجماعة الثنائية، وذلك لأن نمط التفاعل يمكن أن يتكرر ظهوره بينهما يعتمد على خصائصهما الشخصية.

ويقوم مثل هذا التنبؤ على افتراض أن سلوك أحد الفردين وليكن (أ) يعتمد على الخصائص الثابتة لشخصية (ب) مثل الجنس، والعمر، وعلى الخصائص المتغيرة لشخصية (ب) مثل سماته المزاجية، ومدى توافقه مع الموقف الذى يعيش أحداثه. وأن لكل فرد شخصيات فرعية تنطوى كلها فى إطار شخصيته العامة وتختلف فيما بينها كما تختلف ألوان الطيف لتجتمع بعد ذلك فى الضوء الأبيض. والشكل التالى يبين الشخصية العامة لكل من (أ، (ب) والشخصيات الطيفية لكل منهما. وبذلك تصبح شخصية (أ) فى توزيعها الطيفى أ١، أ٢، أ٣. . . ، أن. وتصبح أيضا شخصية (ب) فى توزيعها الطيفى ب١، ب٢، ب٣، . . . ، بن . وقد تكون أ١ السيطرة فى (أ) وتكون ب٢ الخنوع فى ب، وتكون أ٣ التعاون فى أ وتكون ب٣ النفور فى ب، وهكذا، وبذلك قد يسير التفاعل الثنائى وفقا للتسلسل الذى يبينه الشكل الآخر) أى أن أ١ يتفاعل مع ب٢ ثم يتفاعل ب٢ مع أ٤ ويتفاعل أ٤ مع ب٧ ويتفاعل ب٧ مع أ٢ ويتفاعل أ٢ مع ب٥ وهكذا.

أ	ب
أ١	ب١
أ٢	ب٢
أ٣	ب٣
..	..
..	..
أن	ب ن

الشخصية العامة لكل من أ، ب والشخصيات الطيفية

يبين هذا الشكل تفاعل الشخصيات الطيفية بـ أ، ب

وبالرغم مما يبدو من صعوبة التنبؤ لتعدد شخصيات كل من أ، ب إلا أن بعض الظواهر أمكن فعلا التنبؤ بها مثل ظاهرة السيطرة والخنوع فى الجماعة الثنائية، وخاصة إذا أمكن قياس مثل تلك الصفة قبل التفاعل لكل فرد من فردى الجماعة الثنائية كما فعل برير[1]. Breer فى بحثه للدكتوراه فى جامعة هارفرد الذى انتهى منه سنة ١٩٦٠ عن السيطرة. وافترض فى بناء مقياسه المتدرج أن الذكور أكثر سيطرة من الإناث، وأن هذه السيطرة تظهر بوضوح أيضا عند الأكبر عمرا، والأكثر ذكاء، والأعلى فى المستوى الاجتماعى الاقتصادى.

واعتمد أيضا فى قياسه للسيطرة على استبيان أعد لذلك خصيصا. ولقد نجح برير فعلا فى التنبؤ بالسيطرة والخنوع.

وقد أضافت الأبحاث التى تلت ذلك البحث خصائص تنبؤية جديدة للسيطرة، حيث بينت أن المنبسط أكثر سيطرة من المنطوى، وأكدت أيضا أن الأكثر ذكاء أكثر سيطرة فى علاقاته الثنائية مع من هو أقل منه ذكاء.

ولا يعتمد التنبؤ فقط على الشخصيات الطيفية لـ أ، ب بل يعتمد أيضا على خصائص الموقف مثل طبيعة العمل المشترك الذى يقومان به، ونوع المناقشة التى يستغرق كل منهما فيها، وخصائص البيئة الطبيعية المحيطة بهما، ونوع المعايير العامة والأسرية التى تتحكم فى سلوك كل منهما.

وهذه، وما شابهها هى التى تعمل على نقصان أو زيادة انحراف سلوك كل منهما عن السلوك المتوقع، كما تنتهى إليها الدراسات التنبؤية القبلية.

وعندما تتقارب الصفات التى تحدد تمايز أحد أفراد الجماعة الثنائية أ ـ ب عن الآخر فإن ميزان القوى الذى يفاضل بين أحد الفردين يتعادل ويصعب عندئذ تحديد السيطرة وما تؤدى إليه من زعامة كما يقرر هير[2]. Hare فى كتابه الذى نشره سنة ١٩٦٢ واستعرض فيه أغلب الأبحاث التى تصدت لدراسة الجماعة الصغيرة. ويرى هير أن اختلاف الدور الذى يقوم به كل من فردى الجماعة أ ـ ب يجعل نشاطهما متكاملا فقد يكون دور أحدهما إيجابيا وأكثر مبادأة من قرينه، وبذلك يصبح دور الشخص الثانى أكثر سلبية مع احتفاظه بحق الاعتراض. وهكذا يمثل **أولهما** القوة المنطلقة، ويمثل **الثانى** القوة الضابطة. ولذا فالزعامة بينهما غير محددة. ويميل الفرد الذى يقوم بدور

(1) Breer, P. E. Predicting interpersonal behavior from personality and Role. Harvard PH. D. 1960. Quoted from Argyle, M. Social Interaction. London, Methuen, 1976, p. 206.

(2) Hare, A. P. Handbook of small Group Research. Glence, ILL., Free Press, 1962, 240.

الشخص الأقوى إلى أن يسأل؛ ويبدى رأيه، ويمتدح قرينه. ويميل الفرد الذى يقوم بدور الشخص الأضعف إلى أن يوافق، ويعترض، ويعاند.

ح. محددات الصداقة فى الجماعة الثنائية:

يميل الصديق إلى صديقه فى الجماعة الثنائية إذا حصل كل منهما على الجزء المناسب الذى يرتضيه لنفسه. ويحقق هذا الجزاء من طريقين: **أولهما إشباع الحوافز الاجتماعية خلال التفاعل، وثانيهما** وجود تعاون يحول بين التعارض الذى يمكن أن ينشأ بين الصديقين ويؤدى إلى النفور.

وتدل نتائج البحث الذى قامت به جينجز[1]. Jennings سنة ١٩٥٠ فى إصلاحية للبنات على أن أكثر البنات شعبية بين رفيقاتها هى التى تحقق لهن اكتفاء اجتماعيا مناسبا. فالبنت الأقدر على تكوين صداقات عدة هى التى تساعد الأخريات وتحميهن، وتشجعهن، وتحتفى بهن عند مقدمهن وتتحكم فى مشاعرها فلا تنقل إليهن القلق الذى يعتريها أحيانا أو الكآبة التى تلازمها.

والبنت الأقل شعبية والتى لا تنجح فى تكوين صداقات حميمة هى المسيطرة، العدوانية، المتعالية، والتى تفرض على الفتيات الأخريات الاهتمام بها، وأن يعملن من أجلها.

والصداقة التى تنشأ بين اثنتين لا تعتمد فقط على خصائص إحداهما لكنها تعتمد أيضا على العلاقة القائمة بينهما، وعلى نمط التفاعل الذى يمكن أن ترتضياه فى علاقاتهما المشتركة.

ولذا فالخصائص التى انتهت إليها نتائج بحث جينجز فى مدى الشعبية تعوزها نتائج قياس خصائص الفتيات اللاتى اخترن الأكثر شعبية. وعندما يتم هذا القياس تتضح أغلب الجوانب المجهولة فى مكونات الصداقة، ومدى اختلافها تبعا لاختلاف نوعها، فقد يصادق الفرد فردا آخر لأنه يشاركه هواياته ثم يصادق فردا ثانيا بحكم جواره فى مسكنه وكثرة تفاعله نتيجة لهذا الحوار، وفردا ثالثا لأنه يشاركه أسلوب تفكيره وهكذا.

وبذلك تختلف خصائص كل جماعة ثنائية من هذه الجماعات تبعا لاختلاف الهدف الذى تسعى إليه، وتبعا لاختلاف الوظيفة التى تحققها لكل فرد من أفرادها.

(1) Jennings, H. H. Leadership and Isolation. N. Y. longmans, 1950.

ط ـ تدعيم السلوك فى المواجهة الثنائية:

عندما يواجه فرد فردا آخر فى الجماعة الثنائية فإنه يستطيع أن يدعم سلوك الفرد الآخر وينتهى به إلى أداء السلوك الذى يريده منه. ومثال ذلك تدعيم الأب أو الأم لسلوك أحد أطفالهما. وتعزيز المعلم لسلوك أحد تلاميذه. وتشجيع المعالج النفسى لأحد مرضاه لينطلق فى حديثه عن ذاته ويكشف بذلك عن دخيلة نفسه.

وتتلخص أهم تلك الوسائل فى النواحى التالية[1]:

ـ التشجيع والإثابة غير اللفظية مثل الابتسام، والإيماء بالرأس علامة للرضا، والانحناء للأمام تجاه الشخص الآخر كدليل على الاهتمام، وقد دلت نتائج الأبحاث المختلفة على أن الوسائل غير اللفظية أجدى من الوسائل اللفظية مثل التقريظ، والاستحسان وما شابه ذلك.

ـ للمكانة الاجتماعية للموجه أهميتها فى تدعيم السلوك الذى يطلبه الفرد الآخر. ولذلك فمكانة الأب تيسر له طاعة الابن. ومكانة المعلم تؤدى إلى نجاح ما يطلبه من تلميذه، وهكذا.

ـ يختلف الأفراد فى مدى تنفيذهم للتعليمات وفى مدى طاعتهم تبعا لفروقهم الفردية، وأكثر الناس طواعية فى أداء ما يطلب منهم هم الذين يتطلعون إلى تشجيع الآخرين، والذين يعانون من القلق، والذين يسهل التأثير فيهم بالاستهواء.

ـ ينجح التدعيم مع الأفراد الذين عاشوا من قبل فى عزلة عن الآخرين أكثر مما ينجح مع الذين عاشوا مع الناس، ولم ينعزلوا عنهم.

سادسا ـ أهم طرق بحث العلاقات المتبادلة فى الجماعة الثنائية:

تطورت طرق بحث العلاقات المتبادلة فى الجماعة الثنائية من مجرد اختبار أو استبيان يعده الباحث ليكشف به عن رأى الفرد فى فرد آخر إلى ملاحظة ما يحدث فعلا من تفاعل اجتماعى وتسجيله وتحليله.

وتتلخص أهم طرق بحث التفاعل الاجتماعى فى الجماعة الثنائية فى طريقة أدنى التفاعل التى تعتمد على بحث تأثر الفرد عن بعد بفرد آخر، وطريقة تأثر فرد بفرد آخر عن قرب فى موقف ثنائى يجمع بينهما، وطريقة تأثر فرد بفرد آخر وتأثيره فيه، وبذلك يتم التفاعل الاجتماعى فى صورته الواقعية كما يحدث بين فردى الجماعة الثنائية،

---

(1) Argyle, M. Social Interaction. London, Methuen. 1976, 178 - 179.

وطريقة تحليل سلسلة الاستجابات التى تحدث خلال عينة زمنية قصيرة متتالية. ويتم التسجيل بطريقة مباشرة أو من وراء حجاب، أو عن طريق الدوائر التليفزيونية المغلقة.

(أ) أدنى التفاعل:

فى هذا النوع من التصميم التجريبى يؤثر كل فرد فى الفرد الآخر وهو بمعزل عنه ودون أن يدرى أنه يؤثر فيه.

ومثال ذلك أن يجلس الفرد الأول بمعزل عن الفرد الثانى لكن استجابات الفرد الثانى تصل إليه فيوافق عليها أو لا يوافق، وكذلك الحال بالنسبة للفرد الأول وبذلك يتتابع التفاعل من خلال علاقات الإثابة والعقاب.

(ب) أثر سلوك أحد الفردين على الآخر:

تعد هذه الطريقة من أكثر الطرق شيوعا. وعلى سبيل المثال يمكن أن تتم التجربة من خلال المقابلة التى تحدث بين الباحث والفرد موضوع التجربة بحيث يقوم الباحث بنقد أو بتشجيع بعض الاستجابات التى تصدر عن الشخص الآخر ثم دراسة ما يحدث من استجابات لاحقة نتيجة لذلك التدخل المثيب أو المعاقب.

وفى بعض التجارب الأخرى يقوم الباحث بمجرد التحديق أو إطالة النظر فيمن أمامه ويدرس أثر هذا السلوك على استجابة الشخص الآخر. ويستطيع الباحث أن يردد كلمة ما كلما استمع إلى فكرة أو جملة وذلك بدلا من مجرد التحديق مثل «غريب» أو «آه» أو غير ذلك من الكلمات المألوفة التى يرددها الناس وهم يستمعون لأحاديث غيرهم حتى أصبحت مثل تلك الكلمات لازمة عند بعض الأفراد.

ويعاب على هذه الطريقة أنها لا تدرس التفاعل بين فردين، وإنما تدرس مجرد أثر سلوك فرد على آخر، ولا تدرس رد الفعل الذى يحدث عند ذلك الشخص الآخر وأيا كان الرأى فى نقد هذه الطريقة فهى خطوة رئيسية لدراسة العلاقات الثنائية ثم تليها خطوات أخرى.

(جـ) تأثر فرد بفرد آخر وتأثيره فيه:

نجحت تصميمات تجريبية مختلفة فى بحث التفاعل الذى يحدث بين فردين ولم تقصر مجالها فقط على مجرد تأثير فرد فى فرد آخر بل امتد أيضا إلى بحث مدى تأثره بالفرد الآخر.

وفى مثل تلك التجارب يصبح المتغير المستقل هو العمل الذى يشترك شخصان فى أدائه، أو الدافع الذى تستثيره التعليمات فى شخصين وهكذا. ومن التصميمات التجريبية المستخدمة فى هذا النوع من التفاعل الثنائى القطبية دراسة المنافسة القائمة بين فردين أو ظاهرة السيطرة، وهكذا.

وعلى الباحث أن يحتاط فى تسجيله لنتائج متغيرات هذا النوع من التصميم التجريبى لأن المتغير التابع لن يكون مجرد أثر السيطرة أو أى استجابة أخرى بل قد يكون الموقف كله والعلاقات التى تنشأ فى إطار ذلك الموقف هى المتغير التابع.

(د) التحليل الإحصائى لسلسلة الاستجابات:

اعتمد بعض الباحثين فى تحليلهم الإحصائى لسلسلة الاستجابات على الدقائق الخمس الأولى التى يلتقى فيها فردان مثل المعالج النفسى والمريض. ويعتمد مثل هذا النوع من البحث على تحليل المحتوى اللفظى وغير اللفظى للتفاعل الاجتماعى وما يتطور إليه خلال مراحله وما ينتهى إليه.

واعتمد بعض الباحثين الآخرين على تسجيل ما يحدث عن طريق الدوائر التليفزيونية المغلقة ثم تحليل محتواه. وفى مثل هذه الحالة لا يتقيد الباحث بالدقائق الخمس الأولى بل يمتد بالمدى الزمنى للتسجيل إلى الحد الذى يصلح لتحليل ظاهرة ما بأكملها خلال امتدادها الزمنى.

ويستطيع الباحث أيضا أن يلاحظ ويسجل ما يحدث من أقوال وأفعال بين فردين فى تفاعلهما الثنائى. وتتم عملية الملاحظة من وراء حجاب بحيث يرى الباحث ما يحدث ولا يراه أفراد التجربة وذلك خوفا من أن تتحول العلاقات الثنائية إلى علاقات ثلاثية أو أكثر بين الباحث وأفراد التجربة.

سابعا - النماذج العلمية التى تفسر العلاقات المتبادلة

النماذج العلمية محاولات تمهيدية لتفسير الظواهر المختلفة. وعندما تؤيد الأبحاث والتجارب صحة هذه النماذج، وعندما يتسع مجال شمولها لجميع أو أغلب أبعاد الظاهرة تتحول النماذج إلى نظريات تصلح للفهم والتفسير، والتنبؤ، والتحكم.

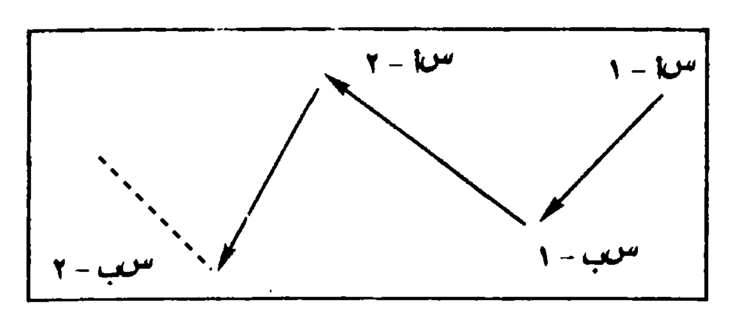
وتنقسم أهم النماذج التى تفسر العلاقات المتبادلة التى تنشأ بين أفراد الجماعة الثنائية إلى نوعين: **الأول** يفسر تلك العلاقات من وجهة نظر كل فرد من الفردين المتفاعلين حيث ينشئ بينه وبين الفرد الآخر علاقات مختلفة، ويتفاعل معه، ويحاول أن يؤثر فيه. ومن أمثلة النوع الأول نموذج الاستجابات المتتابعة، ونموذج المهارات الاجتماعية.

والثانى يمثل حصيلة التفاعل القائم بين الاثنين كتنظيم له خواصه ومميزاته ومن أمثلة النوع الثانى نموذج التكلفة والعائد.

أ ـ نموذج سلسلة الاستجابات:

عندما بدأت عملية تحليل العلاقات الثنائية، بدأت بنموذج سلسلة الاستجابات. وتدل هذه السلسلة على أن الفرد فى علاقاته المتبادلة يتفاعل مع الفرد الآخر فيستجيب لأحداث استجابة اجتماعية صدرت عن الشخص الآخر. والشكل التالى يبين تسلسل هذه الاستجابات. حيث يدل الرمز (أ) على الشخص الأول ويدل الرمز (ب) على الشخص الثانى. ويدل الرمز سأ ـ ١ على أحداث استجابات الشخص أ. وتصبح هذه الاستجابة مثيرا لاستجابة ب أى سب ـ ١ وتؤدى هذه الاستجابة إلى استجابة عند ب هى سأ ـ ٢ وتلك بدورها تؤدى إلى استجابة عند ب هى سب ـ ٢.

وهكذا تتتابع الاستجابات فى سلسلة بحيث يتلو بعضها بعضا وبذلك تصبح آخر استجابة لـ ب مثيرا يستجيب لها أ.



سلسلة الاستجابات

(ب) نموذج المهارات الاجتماعية:

من أهم الانتقادات التى وجهت إلى نموذج الاستجابات المتتابعة أن العلاقة الثنائية ليست مجرد استجابة تصدر عن أحد الفردين فتصبح مثيرا لاستجابة من الفرد الآخر، بل إن كل فرد من الفردين المتفاعلين فى الجماعة الثنائية يهدف من علاقاته بالفرد الآخر لتحقيق هدف معين، وهذا ما حدا بأرجيل[1] Argyle. وكندون Kendon سنة ١٩٦٧ إلى اقتراح نموذج المهارات الاجتماعية كبديل لنموذج الاستجابات المتتابعة.

والمهارة نظام متناسق من النشاط الذى يستهدف تحقيق هدف معين. وتصبح المهارة اجتماعية عندما يتفاعل فرد مع فرد آخر، ويقوم بنشاط اجتماعى يتطلب منه مهارة

(1) Argyle M., and Kendon, A. The experimental analysis of social peformance. Advances in Experimental Social Psychology, 1973, 55 - 98.

ليوائم بين مـا يقوم به الفرد الآخر وبين مـا يفعله هو، وليصـحح مسار نشاطه ليـحقق بذلك هذه المواءمة. فمثلا عندما يناقش أحد الأفـراد زميله فى موضوع ما فإنه قد يتوقع من زميـله أن يصمت ليـتكلم هو، أو يتكلم ليصـمت هو. وعليه ألا يكلم زمـيله إلا باللهجة التى يتوقعها منه، فلا ينفعل فى المواقف التى لا تتطلب انفعالا ولا يضحك فى المواقف التى تتطلب جدية واتزانا.

وغالبا ما تختلف المهارات الاجتماعية التى تظهر فى التفاعل الثنائى تبعا لاختلاف الموقف. فقد يتطلب الموقف بين صديقين تعاطفا واستعاطفا ومجاملة، أو سيطرة وخنوعا واستسلاما. ،قـد يتطلب الموقف بين رجلين من رجال الأعمال عقد صفـقة وما يتطلبه ذلك من تأكيـد أحدهما لمكانته وقـدرته على إقناع الآخر ومدى اقتناع الشـخص الآخر بوجهة نظره.

وهكذا تختلف تلك المهارات الاجتماعيـة من موقف لآخر، وتختلف معها أنماط السلوك اللفظى وغير اللفظى الذى يقوم بين المتفاعلين. ويخـتلف مسارها تبعا لاختلاف أهدافها أيضا.

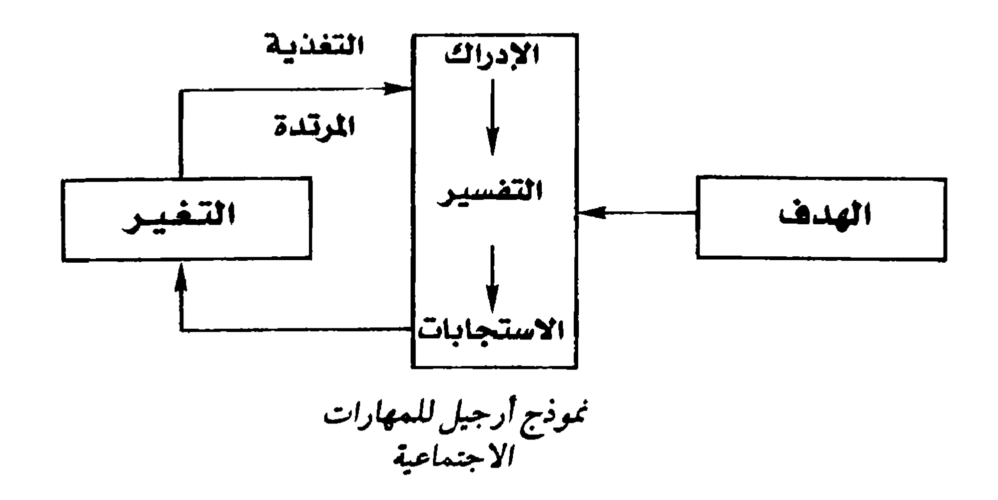
ويفسر نموذج المهارات الاجتماعيـة ما يحدث من تفاعل اجتماعى بين اثنين يواجه كل منهما الآخر ويقـيم معه علاقات مختلفـة على أساس أن كل فرد من هذين الفردين يعامل الآخر بالطريقة التى تحقق له هدفه، ويستعين بمهاراته الاجتماعية المختلفة فى بلوغ تلك الغاية.

ولا يعنى هذا بالضرورة أن يصبح أحد المتفاعلين مسـتفيدا والآخر خاسرا، بل قد يكون فى تحقيق هدف أحدهما خير للفرد الآخر، كالحوار الذى ينشأ بين المعالج النفسى والمريض، أو بين المعلم وأحد تلاميذه، أو بين الأب وابنه وهكذا.

والشكل التالى يمثل نموذج أرجـيل للمهارات الاجتماعـية كما تظهر فى الجـماعة الثنائيـة، ويبـدأ هذا الشكل التـوضـيحى بهـدف المهـارة. وقـد يكون الهـدف شرحـا للمعلومات كما فى التعلم والتعليم، أو الحصـول على بيانات كما فى المقابلة، أو تغيير الحالة الانفعالية كما فى الفكاهة أو العدوان، وهكذا.

ويؤدى الهدف إلى إدراك الموقف عن طريق البيانات السمـعية والبصرية التى تصل إلى الفرد من غيره أو من نفسه.

وتتحول هذه المدركـات إلى خطة عمل تحدد للفرد مسار نشـاطه، أى أنها تترجم إلى الاستجابات المتوقعة.



نموذج أرجيل للمهارات الاجتماعية

وتتحول الخطة إلى استجابات تتناسب ومقومات الموقف الذى يشتمل على الفردين.

ويؤدى نجاح الاستجابة أو فشلها إلى تغيير فى موقف الفرد الآخر.

وينتقل هذا التغيير إلى الفرد عن طريق التغذية المرتدة وتصحيح المسار.

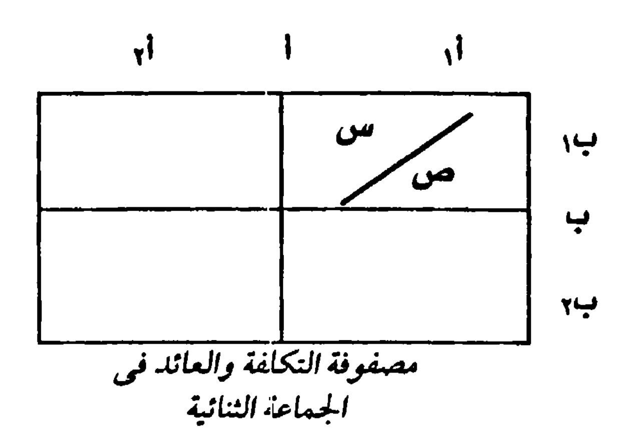
وتبدأ السلسلة من جديد عن طريق إعادة تقييم المدركات فى ضوء ما حدث، وهكذا يستمر التفاعل حتى يحقق الفرد هدفه.

(جـ) نموذج التكلفة والعائد:

عكف كثير من الباحثين منذ الخمسينيات من هذا القرن على تفسير نتائج دراساتهم على أساس العائد الذى يحصل عليه الفرد من تفاعله مع الفرد الآخر، والتكلفة التى يؤديها للفرد الآخر فى مقابل ذلك العائد.

ولقد تمكن ثيبوت[1]. Thibaut وكيللى Kelley سنة ١٩٥٩ من تحليل الموقف الاجتماعى الذى يشتمل على تفاعل فردين فى جماعة ثنائية عن طريق مصفوفة تمثل خلاياها الاحتمالات الممكنة للسلوك الاجتماعى لكل فرد فى مواجهة الفرد الآخر على أساس التكلفة والعائد. والشكل التالى يوضح هذه الفكرة، حيث يدل الرمز (س) على العائد الذى يحصل عليه (أ)، ويدل الرمز (ص) على العائد الذى يحصل عليه (ب)، كما تدل على ذلك الخلية أ١ ، ب٢.

(1) Thibaut, J. W., and Kelley, H. H, The Social Psychology of Groups. N. Y. Wiley, 1959.



مصفوفة التكافة والعائد فى الجماعة الثنائية

وبذلك يمكن عن طريق هذا النموذج دراسة عنصر من عناصر المواجهة الاجتماعية التى تحدث بين فردين. وعن طريق دراسة هذا العنصر يمكن دراسة بقية عناصر المواقف الاجتماعية المختلفة للجماعات الثنائية.

ويفترض ثيبوت وكيللى أن السلوك الاجتماعى للفرد يمكن التنبؤ به عن طريق العائد كما توضحه مصفوفته الذاتية. وغالبا ما يعد الباحث مصفوفة العائد الذاتى لأفراد تجربته، ثم يقارن نتائجه بالمستوى الذى يقدره كل فرد لنفسه.

وقد دلت نتائج بعض هذه الأبحاث على أن فردا ما قد يستمر فى تفاعله الاجتماعى مع فرد آخر بالرغم من أن العائد من ذلك التفاعل أقل مما يريد ويتوقع. وقد يرجع ذلك إلى أن العائد الذى يحصل عليه مثل ذلك الفرد هو أفضل عائد متاح له بالنسبة لظروفه الراهنة. ولذا فبالرغم من تبادل العائد فى الجماعة الثنائية إلا أن أحد الفردين قد يحصل على عائد أكبر من الفرد الآخر.

ثامنا: الجماعة الثلاثية وعلاقاتها المتبادلة

تصبح الجماعة ثلاثية عندما يتكرر تفاعل أفرادها الثلاثة فى مناسبات متكررة وبصفة دورية كما تدل على ذلك نتائج الملاحظات العلمية لتلك الظاهرة.

وقد يظن أن مجرد تكرار ظهور الأفراد الثلاثة معا، واختفائهم معا، يعد دليلا كافيا على وجود الجماعة الثلاثية. وقد تكون هذه الصفة إحدى صفات الجماعة الثلاثية لكنها ليست الصفة الفارقة فى تعريف الجماعة الثلاثية، وذلك لأن الصفة الضرورية هى لتفاعل الذى يجب أن يصل ما بين الثلاثة بعلاقات دينامية تجعل منهم جماعة ثلاثية[1].

(1) Thibaut, J. W., and Kelley, H. H. The Social Psychology of Groups. N. Y. Wiley, 1959, 191 - 192.

ومن أمثلة وجـود الثلاثة معـا دون وجود الجماعـة الثلاثية مـا يمكن أن يقوم من تفاعل بين أ، ب بمعزل عن جـ، وقد يتفاعل ب، جـ بمعزل عن أ، ويتفاعل أ، جـ عن ب. وعندما يتفاعل الثلاثة معا أ، ب، جـ تصبح الجماعة الثلاثية موجودة فعلا.

وسنبين فيما يلى أهم مظاهر الجماعة الثلاثية وعوامل استقرارها وانقسامها:

(أ) ـ أهم خصائص الجماعة الثلاثية:

تعـد الجمـاعـة الثلاثيـة أ ـ ب ـ جـ أبسط حـالة من حالات تـفاعل الفـرد مع الجماعة. وهى لذلك وحدة دراسة هذا النوع من التفاعل. وعن طريق مثل هذه الدراسة يمكن دراسة ظاهرة الأغلبية، والأقلية، حيث الأغلبية فى هذه الحالة هى الجماعة الثنائية وتصبح الأقلية هى الفرد الثالث[1].

وهى أيضا ميدان خصب لدراسة أسلوب فرق تسـد، وبحث الاحتمالات المتوقعة لسيطرة الشخص القوى على زمـيليه، أو أن يتفق زميلاه عليه. فمثـلا قد يقوم الشخص الثالث بين الفـردين الآخرين. أو يحافظ على اتزان القـوى. أو يهدد التمـاسك القوى القائم بين الـفردين الآخرين ولذلك قـد يؤدى الصراع الذى يقـوم بين الاثنين إلى خطر التمزق لوجود الشخص الثالث.

ب ـ عوامل استقرار الجماعة الثلاثية وانقسامها:

ما تلبث الجماعة الكبيرة المتعددة الأفـراد أن تنقسم إلى جماعات صغيرة ثنائية أو ثلاثية وذلك لأن الـفرد لا يجد مـجالا كافـيا فى الجـماعات ليـحقق لنفـسه التـفاعل الاجتماعى المناسب والكافى له. ولأنه يحس حتى عندما تتـخذ الجماعة قراراتها أنه لم يقم بدوره الذى يتناسب مع فكرته من مكانته فى اتخاذه لذلك القرار.

وحتى عندما تتكون الجماعـة الثلاثية فإنها كثيرا ما تتحـول إلى جماعات ثنائية، وهذا مما يشير إلى أن الجماعة الثنائية أكثر استقرار من الجماعة الثلاثية.

ويضعف اسـتقرار الجماعـة الثنائية أ، ب أو يقوى عندمـا يتفاعل معـها شخص ثالث. ونادرا جدا ما يـظل التفاعل كما هو بين فـردى الجماعة أ ب بعـد انضمام ذلك الشخص الثالث لهما.

وعندما يكون الشخص الثالث الجديد أقرب إلى أ مثل أَ أو أقرب إلى ب مثل بَ فإن العلاقات التى كانت تصل أ بقرينه ب تضعف[2] وبيان ذلك أن الجماعة الجديدة إما

---

(1) Mills, T. M. Power relation in three persons group. Am. Sociol. Rev. 1953, 18, 351 - 357.

(2) Heider, F. The Psychology of interpersonal Relations. N. Y. Wiley, 1958, 179.

أن تصبح أ أَ ب ومعنى هذا اتحاد أ أَ ضد ب لتقاربهما وإما أن تصبح أ ب بَ ومعنى هذا اتحاد ب بَ ضد أ لتقاربهما أيضا. ولكن عندما يختلف الشخص الثالث عن أ، ب فيصبح مثلا جـ فإن الجماعة الثلاثية أ ب جـ تقوى ولا تضعف لأنها تكوة وحدة جديدة ولا تنقسم على نفسها إلى جزأين كما حدث بالنسبة لـ أ أَ ب وبالنسبة لـ أ ب بَ.

وبذلك تبدأ الجماعة الثلاثية فى الانقسام إلى جماعة ثنائية وفرد عندما تتشابه صفات أى فردين من أفرادها إلى الحد الذى يجعلهما يتآلفان كجماعة فى مواجهة العضو الثالث. كما تدل على ذلك نتائج التجارب التى أجراها ميلز[1]. Mills سنة ١٩٥٣ حيث طلب من ٤٨ جماعة ثلاثية أن تؤلف كل منها قصة واحدة من بطاقات اختبار تفهم الموضوع T A T وقد وجد الباحث أن أغلب المناقشات التى تمت فى هذه الجماعات تمت بين أكثر الاثنين فعالية ونشاطا فى تلك الجماعات الثلاثية، وأن الشخص الثالث أصبح يحكم موقعه السلبى منهما منعزلا.

ولقد أعاد روبسون[٢]. Robson سنة ١٩٦٧ تجربة ميلز، وذلك بعد أن كون الجماعات الثلاثية من الجنسين بحيث استغرق كل الاحتمالات الممكنة للجنسين فى تكوينه لتلك الجماعات، ولقد وجد أن الجماعات المختلطة تنقسم إلى جماعات ثنائية مكونة من رجلين أو امرأتين وتعزل بذلك الشخص الثالث الذى يختلف عنهما جنسيا. وأن الجماعات التى تتكون من ثلاث نسوة أكثر استقرارا من الجماعات التى تتكون من ثلاثة رجال.

وتنشأ هذه الظاهرة كما تدل على ذلك نتائج الأبحاث المختلفة لأن جماعات النساء أكثر تعاطفا من جماعات الرجال وأقل تنافسا ولذا أصبحت جماعاتهن الثلاثية أكثر استقرارا من جماعات الرجال الثلاثية.

تاسعا - الملخص

تتطور موضوعات هذا الفصل من تعريف العلاقات الاجتماعية المتبادلة، والتفاعل، والإدراك الاجتماعى، إلى تحديد مستويات تلك العلاقات، وتخلص من ذلك إلى وصف أهم أنواعها، ومدى تأثرها بحجم الجماعة، ثم تحلل أهم مظاهرها كما

(1) Mills, T. M. Power relation in three persons groups. Amer. Soc. Rev. 1953, 18, 351 - 357.

(2) Robson, K. S. The effects of different group sex compsitions on support rates and coalition formation. Canada. Sociol. Anthrop. Assoc. 1967. Quoted from Argyle, M. Social Interaction. London, methuen, 1976, 238.

تتضح فى الجماعة الثنائية وطرق بحثها والنماذج التى تستهدف تفسيرها وتنتهى إلى خصائص العلاقات المتبادلة فى الجماعة الثلاثية كخطوة لفهم خصائصها فى الجماعات الأكثر عددا مثل الرباعية والخماسية.

وتدل العلاقة الاجتماعية على الصلة التى تقوم بين شخصين أو أكثر، ويدل التفاعل على التأثير المتبدل وما ينشأ عنه من تغيير. ويدل الإدراك الاجتماعى على ما يراه الفرد فى الفرد الآخر وما يسمعه منه، وعلى خصائص الموقف، وعلى نوع العلاقات، وعلى فكرة الفرد عن إدراك زميله له.

وتتطور مدارج علاقات التفاعل الاجتماعى فى ستة مستويات: **الأول**: مستوى العلاقات اللاتبادلية ويدل على تزامن وجود الفردين معا ولا يوجد بينهما تفاعل اجتماعى حقيقى أو يوجد أحد الفردين ويزود بمعلومات عن الفرد الآخر ويطلب منه أن يحكم عليه عن طريق تلك المعلومات. **والثانى**: مستوى علاقات الاتجاه الواحد وفيه لا يتزامن وجود الفردين معا ويتأثر أحدهما فقط بسلوك الآخر مثل تأثر المستمع بالمذيع التليفزيونى، وبذلك لا يحدث بين الفردين تفاعل من تبادل التأثير. **والثالث**: مستوى العلاقات شبه التبادلية ويدل على تزامن وجود الفردين ويتم التفاعل بطريقة نمطية وفق خطة مرسومة أو حوار مكتوب مثل ممثلى المسرح. **والرابع**: مستوى العلاقات المتوازية وفيه يتزامن وجود الفردين ويجمعهما موقف واحد ويتحدث كل منهما مع الآخر دون أن ينصت أحدهما للآخر. **والخامس**: مستوى العلاقات المتبادلة غير المتناسقة وفيه يتزامن وجود الفردين، وتعتمد استجابات أحدهما على الآخر مثل اختبارات المقابلة. **والسادس**: مستوى العلاقات المتبادلة وهو نهاية تلك المدارج وفيه يتزامن وجود الفرد ويتم التفاعل الاجتماعى نتيجة لتبادل التأثير ويصبح الفرد مؤثرا ومستجيبا.

وتنقسم العلاقات المتبادلة إلى ثلاثة أنواع: **الأول**: العلاقات المتبادلة بين فردين، ويعد هذا النوع بحق وحدة التحليل فى علم النفس الاجتماعى وفيه يتزامن وجود الفردين المتفاعلين فى موقف واحد ويؤثر كل منهما فى الآخر ويتأثر به، مثل الزوج وزوجته، والعدو خصيمه. **والثانى**: العلاقات المتبادلة بين فرد وجماعة، وفيه يختلف دور الفرد فى تأثيره فى الجماعة وفى تأثره بها تبعا لكونه عضوا فيها أو ليس عضوا بها مثل علاقة الأب بالجماعة المكونة من الأم والابن. **والثالث**: العلاقات المتبادلة بين جماعتين، وفيه تؤثر الجماعة فى جماعة أخرى وتتأثر بها بطرق مختلفة، وقد يكون تبادل التأثير عن طريق الحوار، وذلك عندما تنقسم الجماعة الخماسية إلى ثنائية وثلاثية، وتحاول كل منهما إقناع الأخرى بوجهة نظرها، وقد يكون تبادل التأثير عن طريق المنافسة

فى الإنتاج مثل ما يحدث من علاقـات بين فريقى كرة القدم أو فى الصناعة، وقد يكون تبادل التـأثير والتـأثر عن طريق المنابذة والعـدوان مثل ما يحـدث من علاقـات نتيـجة للخصومة القائمة بين عائلتين.

ولحجـم الجمـاعة أثره فى العـلاقات المتـبادلة، ويبـدو ذلك بوضوح فى شـبكة العلاقات المتبادلة المحتـملة ويتغير هذا الحجم نفسه وتتغير تبعـا لذلك خصائص الجماعة خلال مراحل النمو. وتمثل شـبكة العلاقات المتبادلة المحتملـة كل الحالات الممكنة لتبادل التأثيـر والتأثر بين الأفـراد، وبين الأفراد والجـماعـات، وبين الجماعـات والجمـاعات، وتصبح العلاقات المتبـادلة المحتملة علاقة واحدة فى الجماعة الثـنائية. وتنقسم العلاقات المتبادلة فى الجماعة الثلاثية إلى نوعين: **الأول**: العلاقات المتبادلة بين كل فردين، وعددها ثلاث علاقات، **والثانى**: العلاقـات المتبـادلة بين كل فرد والجـماعة الثنائيـة المكونة من الفردين الآخرين وعددها ثلاث علاقات، وتنقسم العلاقـات المتبادلة فى الجماعة الرباعية إلى أربعة أنوع: **الأول**: العلاقات المتبادلة بين كل فردين وعددها ست علاقات. **والثانى**: العلاقات المتبـادلة بين كل فردين والجماعة الثنائية وعددها اثنتـا عشرة علاقة، **والثالث**: العلاقات المتبـادلة بين الفرد والجماعة الثلاثيـة وعددها أربع علاقات، **والرابع**: العلاقات المتبادلة بين كل جماعتين وعددها ثلاث علاقـات. وبذلك يصبح مجموع عدد العلاقات المختلفة خمسا وعشرين علاقة.

وتنقسـم الجماعـة إلى جماعات أصغر عندما يزداد حجمـها إلى الحد الذى يعوق التفاعل الاجتـماعى المناسب. ويتأثر هذا التفاعل فى مداه بمراحل العـمر المختلفة. ولذا يتأثر حـجم الجماعـة بأعمار الأفـراد وخاصة فى مراحـل الطفولة وتبدأ عـملية تكوين الجماعات فى الطفولة المبكرة التى تمتد من الـسنة الثانية إلى السنة السادسة حيث يمارس كل طفل ألعابه وحـده على مرأى ومـسمع من الآخرين. ويصـبح النشاط الاجتـماعى متوازيا، لا يلتقى أو يتـشابه وإنما يتزامن فى مكان مشترك. ويتطور النشـاط الاجتماعى المتوازى إلى النشـاط الاجتماعى المتـناظر حيث يقوم الطفل بنفس النشـاط الذى يقوم به الآخرون دون أن يغـير دوره ليوائم بينه وبينهم. وتتطور المشـاركة الاجتمـاعية فيـصبح الطفل عـضوا فى الجمـاعة ويقـوم بدوره وبذلك يبدأ طور الفـريق. وتبدأ العـصابة فى الطفولة المتأخرة التى تمتد من السادسة إلى الثانية عشرة، وتقوم فى أساسها على الصداقة التى تجمع بين اثنين أو ثلاثة ثم تجتذب هذه الجماعة الصـغيرة أطفالا آخرين فيزداد عدد أفراد العصابة، وتصل إلى أقصى حجم لها فى التاسعة أو العاشرة، ثم يتناقص حجمها بعد ذلك وتتحول بعد ذلك إلى جماعات المراهقين. وتقوم فكرة العصابات على الفصل الحاد بين البنين والبنات. ويكثر عـدد الجماعات فى مرحلة المراهقـة، ويقل عدد أفرادها وينقص حجمها

وللعلاقات المتبادلة فى الجماعة الثنائية مظاهر مختلفة أهمها اللفظية وغير اللفظية، واللفظية ــ غير اللفظية ومدى اختلافها عن التقاليد ومستوياتها واتزانها ومدى التنبؤ بها ودورها فى محددات الصداقة وفى تدعيم السلوك.

فأما اللفظية فتبدو فى صيغة الحوار، وفى محتواه: وفى توقيته. وتختلف صيغة الحوار تبعا لموقف كل فرد من الآخر سائلا أو مجيبا، آمرا أو مطيعا، هاديا أو مهتديا. ويتغير محتوى الحوار تبعا لوجهة نظر كل فرد من الفردين المتفاعلين، فإذا علق أحدهما على موضوع فإن الآخر إما أن يعلق على نفس الموضوع أو يتوقف الموضوع أو يتوقف التفاعل. وللناس خصائص تميز طريقة حديث كل منهم مع الآخر من حيث سرعته وبطئه، وطوله وقصره، وانقطاعه واستمراره. ويميل كل فرد من فردى الجماعة الثنائية إلى أن يحذو حذو الآخر فى توقيته لحديثه. فإذا أسرع أحدهما أسرع الآخر. وإذا أطال أحدهما حديثه أطال الآخر أيضا.

وأما غير اللفظية فتتضح فى ما يصدر عن أحد الأفراد من إيماءات وإشارات وحركات. وغالبا ما يثير الشخص الآخر نفس تلك الاستجابات غير اللفظية. وقد دلت نتائج تحليل المواقف العلاجية بين المعالج النفسى والمريض على تزامن التفاعل بين المتحدث والمستمع بالنسبة لحركة الأيدى والرأس والعينين. وأهم أنواع المظاهر غير اللفظية هى انعكاسات المرآة أو التقليد الحركى، والسلوك الاستماعى أو الحركات التى تصدر عن المستمع ليشجع بها المتحدث على الاستمرار فى حديثه، والحركات المشابهة للحديث أى التقليد الحركى لمخارج نطق المتحدث دون النطق بها.

أما المظاهر اللفظية ــ غير اللفظية فسميت كذلك لأنه عندما تستثار الاستجابة غير اللفظية تستثار معها الاستجابة اللفظية، وقد يشتمل التفاعل الثنائى على سلسلتين إحداهما لفظية والأخرى غير لفظية.

ويختلف التبادل عن التقليد فى أن استجابة أحد الفردين تختلف عن المثير الذى يصدر عن الفرد الآخر وأن التبادل لا يصدر تلقائيا كالتقليد، وأنه ينطوى على الإدراك الواعى لما يحدث، وأن نسبته تتضاءل ويحل محلها تبعا لزيادة مكانة الشخص الآخر.

وتصنف مستويات العلاقات المتبادلة إلى ثلاثة مستويات: **الأول**: مستوى الإيثار العام حيث لا يتوقع أحد الفردين جزاء على ما يقدمه للفرد الآخر من عمل وقول. **والثانى**: مستوى الاتزان الاقتصادى حيث يتزن الأخذ والعطاء بين الفردين. **والثالث**: مستوى التبادل السالب حيث يحاول كل فرد أن يستغل الآخر دون أن يعطى بمقدار ما يأخذ.

ويعنى الاتزان التوافق الذى يتم بين الفردين المتفاعلين بعد تعديل كل منهما لسلوكه نتيجة للتفاعل القائم بينهما. ومن أمثلة الاتزان استقرار المدى الزمنى الذى يستغرقه كل فرد فى حديثه وخاصة ما يتم بين المعالج النفسى والمريض، والتقارب الذى يحدث بين لغة كل فرد من الفردين المتفاعلين. وتصل الجماعة إلى اتزانها خلال مراحل تبدأ بالتفاعل الاجتماعى الذى يؤدى إلى مزيد من التفاعل ثم تؤدى التغذية المرتدة إلى النفور الذى ما يلبث أن يتحول إلى الاتزان.

ويعتمد التنبؤ على الشخصيات الطيفية لكل فرد بما تنطوى عليه كل شخصية من خصائص ثابتة ومن خصائص متغيرة مثل تفاعل مظهر السيطرة عند أحد الفردين مع مظهر الخنوع عند الفرد الآخر. وتدل نتائج الأبحاث على أن الأكثر سيطرة هم الذكور، والأكبر عمرا والأكثر ذكاء، والأعلى فى المستوى الاجتماعى الاقتصادى، والأكثر انبساطا.

ويتضح دور الصداقة فى الجماعة الثنائية فى ميل الصديق إلى صديقه نتيجة لإشباع الحوافز الاجتماعية، ونتيجة للتعاون الذى يحول بين التعارض وبين ما يؤدى إلى النفور.

ويعتمد تدعيم السلوك فى الجماعة الثنائية على تشجيع أحد الفردين للآخر، وقد يتخذ مثل هذا التشجيع الإثابة غير اللفظية مثل الابتسام والإيماء بالرأس. ولعلو المكانة الاجتماعية لأحد الفردين أهميتها فى تدعيم سلوك الفرد الآخر.

وقد اتخذ البحث العلمى للعلاقات المتبادلة فى الجماعة الثنائية طرقا مختلفة أهمها طريقة أدنى التفاعل، وبحث أثر سلوك أحد الفردين على الفرد الآخر، ودراسة تأثر فرد بفرد آخر وتأثيره فيه، والتحليل الإحصائى لسلة الاستجابات.

فأما طريقة أدنى التفاعل فتبحث تأثير كل فرد فى الفرد الآخر وهو بمعزل عنه ودون أن يدرى أنه يؤثر فيه.

وأما طريقة أثر سلوك أحد الفردين على الآخر فإنها لا تدرس التفاعل الذى يحدث بين فردين وإنما تدرس مجرد أثر سلوك فرد على الآخر.

وتعتمد طريقة تأثر فرد بفرد آخر وتأثيره فيه على بحث التفاعل الحقيقى الذى يحدث بين فردى الجماعة الثنائية، ويصبح المتغير المستقل أو التجريبى فى هذه الطريقة هو العمل الذى يشترك فيه الفردان المتفاعلان أو الدافع مثل التنافس أو السيطرة. ويصبح المتغير التابع أثر العمل أو المنافسة على نوعية العلاقات التى تظهر.

ويعتمد التحليل الإحصائى لسلة الاستجابات على الدقائق الخمس الأولى وما يظهر خلالها من أفعال وأقوال. وقد يعتمد التحليل على الدوائر التليفزيونية المغلقة. وقد تتم عملية الملاحظة من وراء حجاب حيث يرى الباحث ما يحدث ولا يراه أفراد الجماعة الثنائية.

ولقد حاود العلماء تفسير هذه المظاهر عن طريق نماذج عملية تقترب من النظريات ولا ترقى إليها وأهم تلك النماذج سلسلة الاستجابات، أو نموذج المهارات الاجتماعية، ونموذج التكلفة والعائد.

ويفسر نموذج سلسلة الاستجابات التجاوب الذى يحدث بين فردى الجماعة الثنائية باستجابة أحد الفردين لأحداث استجابة اجتماعية تصدر عن الفرد الآخر وبتتابع تلك الاستجابات بحيث يتلو بعضها بعضا.

ويعتمد نموذج المهارات الاجتماعية فى تفسيره للعلاقات المتبادلة على أن المهارة نظام متناسق من النشاط يستهدف تحقيق هدف معين. وأن المهارة الاجتماعية هى النشاط الاجتماعى الذى يوائم به الفرد وبين ما يقوم به الفرد الآخر وما يفعله هو. وتختلف المهارة الاجتماعية تبعا لاختلاف الموقف. ويفسر نموذج المهارات الاجتماعية ما يحدث من تفاعل لتحقيق الهدف، وذلك بإدراك الموقف عن طريق البيانات السمعية والبصرية. وتتحول المدركات إلى خطة، وتتحول الخطة إلى استجابات، ويؤدى نجاح الاستجابة أو فشلها إلى تغيير موقف الفرد، وينتقل هذا التغيير إلى الفرد عن طريق التغذية المرتدة وتبدأ السلسلة من جديد.

ويحلل نموذج التكلفة والعائد تفاعل فردى الجماعة الثنائية عن طريق مصفوفة تمثل خلاياها الاحتمالات الممكنة للسلوك الاجتماعى على أساس التكلفة والعائد.

وتعد الجماعة الثلاثية أول خطوة لتعميم مظاهر ونماذج العلاقات المتبادلة فى الجماعة الثنائية. وتصبح الجماعة الثلاثية عندما يتكرر تفاعل أفرادها فى مناسبات متكررة وبصفة دورية، وهى أبسط حالة من حالات تفاعل الفرد مع الجماعة وتصلح لدراسة ظاهرة الأغلبية والأقلية وتعد مجالا خصبا لدراسة اتزان القوى والتماسك. والجماعة الثنائية أكثر استقرارا من الجماعة الثلاثية. ولذا فغالبا ما تنقسم الثلاثية ثنائية وفردا، وذلك عندما تتشابه صفات أى فردين من أعضائها.

المراجع العامة

1 - Argyle. M. Social Interaction. London, Methuen, 1976.

2 - Argyle, M. The Psychology of Interpersonal Behaviour. Harmondsworth, Penguin, 1973.

3 - Bieri, J. Changes in interpersonal perception following social interaction. J. Abnorm. Soc. Psychol. 1953. 48, 61 - 66.

4 - Bott, E. Family and Social Net work. London, Tavistock, 1957.

5 - Hare, A. P. Handbook of Small Group Research. Glence. I L L. Free Press. 1962.

6 - Heider, F. The Psychology of Interpersonal Relations. N. Y. Wiley. 1958.

7 - Laing, R. D. Self and Otheris. Harmondsworth, Penguin. 1977.

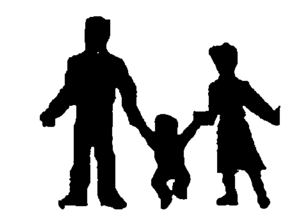
8 - Muber, M. Elements of the inter - human contact. Psychiatry, 1957, 20.

9 - Park, R. E., and Buurgess, E. W. Introduction to the Seince of Sociology. Chicago, Univ. of Chicago Press. 1921.

10 - Smith, H. C. Sensitivity to People. N. Y. Mv Graw - Hill. 1967.

11 - Tagiuri, R. Person perception In Liindzey, G. and Arnoson. E. (Eds.). Handbook of Social Psychology. Reading Mass. Addison Wesley. 1969. Vol.

12 - Thibaut, J. W. and Kelley. H. H. The Social Psychology of Group. N. Y. Wiley. 1959.





قياس العلاقات الاجتماعية

أولا ـ قياس العلاقات الاجتماعية بالطريقة السوسيومترية.

ثانيا ـ الاختبار السوسيومترى وطرق تسجيل نتائجه.

ثالثا ـ الشبكة الاجتماعية وعلاقاتها السوسيومترية.

رابعا ـ مصفوفات العلاقات السوسيومترية.

خامسا ـ المؤشرات الإحصائية للاستجابات السوسيومترية.

سادسا ـ المعاملات السوسيومترية.

سابعا ـ الملخص.

موضوع هذا الفصل هو قياس العلاقات الاجتماعية التى سبق أن بينا نموها فى الفصل الخاص بالتنشئة الاجتماعية، وأهم أنواعها وخاصة المتبادلة منها.

ويعتمد القياس على الطريقة السوسيومترية التى اهتدى إليها مورينو فى الثلث الأول من هذا القرن، ثم عكف بعد ذلك على تعميقها هو وطائفة ممن معه حتى أنشأوا لها دورية علمية خاصة بها. واتسعوا بميدانها حتى كاد أن يستغرق أغلب نواحى القياس فى علم النفس الاجتماعى وعلم الاجتماع.

وتتطور موضوعات هذا الفصل من شرح لمعنى الطريقة السوسيومترية كما تستخدم فى القياس الاجتماعى إلى أهم مجالات استخدامها إلى الصياغة المناسبة لأسئلة اختباراتها والشبكة الاجتماعية التى تستخدم فى تسجيل نتائجها ومصفوفات العلاقات الاجتماعية التى تترجم الشبكة إلى نماذج رياضية صالحة للدراسة والتحليل، والمؤشرات الإحصائية التى تحسب من هذه المصفوفات والمعاملات السوسيومترية التى تنتهى إليها نتائج القياس الاجتماعى للعلاقات فى صورتها السوسيومترية.

أولا: قياس العلاقات الاجتماعية بالطريقة السوسيومترية

(أ) معنى مصطلح السوسيومترية ونشأته:

يعنى السوسيومترى Sociometry القياس الاجتماعى. والمصطلح بهذه الصورة تعريب للمصطلح الإنجليزى الذى يعنى مقطعه الأول Socio اجتماعى، ويعنى مقطعه الثانى Metry القياس. وبذلك تصبح الترجمة العربية لهذا المصطلح هى القياس الاجتماعى. من أجل ذلك يصبح استخدام أى المصطلحين، المعرب أو المترجم، مكان الآخر وهذا هو ما سنتبعه فى هذا الفصل.

وقد ظهرت المحاولات الأولى لاستخدام الاختبار السوسيومترى سنة ١٩١٦ حيث كان يطلب إلى كل ممثل أن يختار زميله الذى يشترك معه فى الحوار الثنائى. وتطور هذا الاختبار سنة ١٩٢٣ إلى سؤال الأطفال أن يختاروا آباء غير آبائهم[1]. لكن النشأة الحديثة للقياس الاجتماعى أو السوسيومترى ترجع فى حقيقتها إلى الكتاب الذى نشره

---

(1) Nehenvajsa. J. Sociometry: decades of growth. In Moreno, J. L. (ed.) The Sociometry Reader. Glencoe, Illinois, The Free Press. 1960, pp. 707 - 753.

مورينو Moreno [1]. سنة ١٩٣٤ بعنوان «من الذى سيبقى؟» وإلى الأبحاث الرائدة التى طور بها مورينو طريقته السوسيومترية فى قياس العلاقات الاجتماعية حتى أصدر لها دورية علمية سنة ١٩٣٦.

وترجع سرعة انتشار طريقة السوسيومترى إلى بساطتها وخصوبة وعمق النتائج التى يحصل عليها الباحث.

وتعمد تلك الطريقة على طلب الباحث من كل فرد من أفراد الجماعة الصغيرة أن يختار فردا آخر بالنسبة لصفة ما. ثم يترجم الباحث نتائج هذا الاختيار إلى شبكة للعلاقات الاجتماعية يرمز فيها كل فرد بدائرة ولاتجاه الاختيار بسهم يتجه من الفرد الذى يختار إلى من يختاره. ويمكنه أيضا أن يسجل نتائجه فى مصفوفة تبين خلاياها ذلك الاختيار.

ومن أهم أهداف هذه الطريقة قياس مظاهر الألفة والنفور التى تنشط وتسفر عن نفسها فى اجتماع الناس بعضهم مع البعض الآخر. ويكاد يقتصر ميدانها على دراسة الجماعات الصغيرة التى يعرف كل فرد من أفرادها بقية أعضاء الجماعة معرفة واضحة أصيلة تمكنه من اختيار من يصاحبه ومن لا يصاحبه ومن يستعين به ومن لا يستعين به.

ومن أهم ما يميز القياس الاجتماعى أنه طريقة فى البحث أكثر منه نظرية فى العلم. ولقد أدت الطريقة السوسيومترية إلى اكتشاف حقائق علمية تصلح لتفسير بعض مظاهر الحياة النفسية فى آفاقها الاجتماعية. وأدت أيضا إلى دراسة حياتنا اليومية وإلى إمكان تنظيم هذه الحياة على أسس علمية قوية تقوم على التآلف والتآزر والتواد، وسعادة الفرد وتماسك الجماعة. فهى بذلك تحقق لعلم النفس الاجتماعى بعض أهدافه التى سعى وما زال يسعى لبلوغها.

وأهم ما تستخدم فيه الطريقة السوسيومترية، دراسة التفاعل الاجتماعى الذى يحدث بين أفراد أى جماعة صغيرة، وبين الجماعات الأصغر التى تشتمل عليها تلك الجماعة الصغيرة، وبين الأفراد والجماعات الأصغر.

وبذلك تصبح الطريقة السوسيومترية هى الوسيلة العملية لقياس العلاقات الاجتماعية المتبادلة بين فرد وفرد آخر، وبين فرد وجماعة أو بين جماعة وجماعة أخرى. ولقياس مكانة الفرد فى الجماعة، والزعامة، ومدى تماسك الجماعة وانحلالها، ومدى

---

(1) Moreno, J. L. Who Shall Survive? Washington. Nervous and Mental Disease Pub. Co., 1934.

استمرارها، وغير ذلك من الخصائص المختلفة للجماعة الصغيرة، ومدى تأثر الفرد بتلك الخصائص فى تفاعله معها أو مع غيره من الأفراد.

وتعتمد الطريقة السوسيومترية فى قياسها للتفاعل الاجتماعى على تسجيل وتحليل رغبة الأفراد فى صحبة الآخرين وفى رفقتهم وذلك عن طريق اختبار أو استبيان يعد لذلك ويجيب عليه الأفراد إجابة مكتوبة، أو عن طريق تسجيل الباحث لملاحظاته عما يحدث فعلا من تجمعات بين الأفراد فى تفاعلهم الاجتماعى وما ينشأ عن هذه التجمعات من علاقات ألفة ونفور.

(ب) أهم مجالات استخدام الطريقة السوسيومترية:

يستخدم السوسيومترى أو القياس الاجتماعى فى تحليل البنية الداخلية للجماعة الصغيرة، وذلك عن طريق الكشف عن مظاهر الألفة والنفور؛ والحب والكره، وغير ذلك من المظاهر النفسية الاجتماعية المختلفة التى تحدد نوع العلاقة بين كل فردين من أفراد الجماعة الصغيرة التى ينتمى لها الفرد.

ولذا تصاغ أسئلة السوسيومترى للكشف عن مثل تلك المظاهر وذلك بأن يطلب إلى كل فرد من أفراد الجماعة أن يذكر أسماء من يريد أن يصاحبوه ومن لا يريد أن يصاحبوه، ومن لا يريد أن يكونوا معه فى مخيم صيفى بأحد المصايف. وفى رفقاء العمل كأن يطلب إلى الفرد أن يحدد من يريد ومن لا يريد أن يزامله فى عمله على إحدى ماكينات النسيج إن كان عاملا. وفى الزعامة كأن يختار كل فرد من أفراد الجماعة من يصلح لتزعم تلك الجماعة.

والاختيار الاجتماعى الانفعالى الذى يتمثل فى الكشف عن من يريده الفرد معه فى الهوايات التى يمارسها، أو عن من يشاركه مقعده الذى يجلس عليه فى حجرة الدراسة يحقق إشباع الحاجة إلى التواد[1] أو الحب، والحاجات التى تنشأ من العلاقات الاجتماعية البينية المتبادلة.

واختيار رفقاء العمل يحقق الإنجاز ودوافعه[2]، ويكشف عن متطلبات العمل الجماعى، والوصول بهذا العمل إلى نتائجه المرجوة.

ويذهب مورينو إلى أن الاختبارات السوسيومترية وما تؤدى إليه من شبكة للعلاقات الاجتماعية البينية هى الوسيلة القوية التى تكشف عن مدى تنظيم الجماعة وتكوينها الداخلى. وهو لا يكتفى أحيانا بدراسة تلك الشبكة مرة واحدة بل يعيد

الحاجة إلى التواد (1) Affiliative need

دافع الإنجاز (2) Achievement motive

اختبـاره السوسيومتـرى على فترات زمنية متـعاقبة وعلى نفس الجمـاعة ليكتشف بذلك تطور البنية الداخلية للجماعة من التكويـن البسيط غير المتكامل حتى تصل إلى التكوين المتكامل المتشابك.

وقد أثبتت أبحاث الاختـبارات السوسيومترية نظرية الكمون الجنسى كـما صاغها فرويد. وتدل هذه الأبحاث على أن اختيـار الأطفال الذين تمتد أعمارهم من ٨ إلى ١٣ سنة يتجه نحو اختيار الجنس المماثل ويعزف عن اختيار الجنس المضاد. وأن اختيار الذين تزيد أعمارهم عن ١٣ سنة لا يتقيد بالفروق الجنسية القائمة.

وقام لندبرج Lundberg[1]. سنة ١٩٣٧ بدراسة واسـعة شـملت ٩٤٠ فردا من سكان إحدى القـرى الأمريكية، وسلـك فى دراسته تلك مـسلكا جديدا فبـحث درجة ارتباط الأنواع المختلفة للـعلاقات الاجتماعية الـسوسيومترية بأعمـار الأفراد، وبعيوبهم الجسمية، وبمستوياتهم الاقتصادية، وبطبيعة أعمالهـم، وبمكانتهم الاجتماعية، وبغير ذلك من الفروق القائمة. واستطاع الباحث بذلك تفسير أنواع التجمعات المختلفة بالنسبة لتلك الأسس. وأدت به دراستـه إلى تعريف الجـماعة على أنهـا طاقة مـرتبة منتظمـة بطريقة محددة، تفـيض فى مسالك متـشابكة متداخلة، وتشـتمل على الفرد ومجـاله النفسى، وتنفذ إلى أعماق الشـخصيات بدرجات مختلفـة، وتتباين فى سعتها وشـدتها واتجاهها ومداها الزمنى.

واهتم بعض العلمـاء بدراسـة البنيـة الداخلية للـجمـاعة. فـرصـدوا العلاقـات الاجتماعيـة السوسيومترية فى تفاعلها المباشـر. وتتلخص هذه الطريقة فى تسجيل تلك العلاقـات تسجـيلا لا يعتـمد فى جـوهره على سؤال الأفراد، بل يعـتمـد على دراسة شخص آخر، لا ينتمى إلى الجمـاعة، حيث يقوم بمراقبة تجمعـها وأحاديث أفرادها وما تنقسم إليه من جـماعات ثنائية وثلاثية وغيـر ذلك من التجمعات الجزئيـة، وكيف تنقاد لأحد أفـرادها وتجعله بـذلك زعيمـا لها فى نشـاطها الذى تمـارسه. والباحـث، وبهذه الطريقة، يرصد مـا يحدث فعلا من اختيـار ولا يعتمد على مجرد سـؤال كل فرد عمن يختار. هذا ويمكن أن نستطرد بهذا النوع من التجريب فنطلب فعلا من كل فرد أن يحدد اختياره للأفراد الآخرين. ونقارن نتائج ما يحدث فـعلا من علاقات سوسيومترية بنتائج ما نحصل عليه من استجابات الأفراد على تلك الأسئلة السوسيومترية.

---

(1) Lundberg, G. A. Social Attraction: Patterns in a rular village Sociometry. 1937. I, pp. 77 - 81.

واعتمد أيضا هوايت[1] .Whyte فى دراسته للعصابات على رصده لما يحدث بين أفرادها من علاقات اجتماعية دون أن يسأل أى فرد منها أن يختار من يريد أن يصاحبه ويزامله وذلك فى بحثه الذى نشره سنة ١٩٤٣ . واستخدم لوميس [2] .Loomis ودافيدسن Davidson نفس الطريقة فى بحثهما الذى نشراه سنة ١٩٣٩ عما ينشأ من علاقات اجتماعية بين سكان بعض القرى بأمريكا ، وتتلخص دراستهما فى استكشاف تكرار ونوع الزيارات العائلية المختلفة، ومدى التعاون فى الأعمال الزراعية، ومسار الثروة المحلية كالقروض المالية المتبادلة بين أفراد الأسر المختلفة.

واعتمدت أغلب الدراسات التجريبية للزعامة على طريقة القياس الاجتماعى. وأسفرت هذه الدراسات عن الأنواع المختلفة للزعامة. فاختيار الأفراد للزعيم الذى يكافح فى سبيل تحقيق مطالبهم الاقتصادية، يختلف عن اختيارهم للزعيم الذى ينظم مناقشاتهم. ويختلف أيضا عن ذلك الذى يتزعمهم فى هواياتهم. وهكذا يختلف الاختيار تبعا لاختلاف الوظيفة التي يقوم بها الزعيم.

وتؤكد جميع هذه الدراسات أهمية الجماعة فى نمو شخصية الفرد. فالجماعة فى تأثيرها على الفرد تسير به قدما نحو معرفته لنفسه ونحو معرفة الآخرين له. ولقد صدق يونج Jung فى فكرته التى تقرر أن الشخصية لا تكمل أبدا، بل تستمر فى إقامة دعائمها كلما تفاعلت مع الآخرين، وتظل فى مدارج التكامل ما بقى فى الفرد رمق من حياة.

(جـ) أهم خصائص الأنواع المختلفة للاختيار:

يتسم الاختيار فى بدء تكوين الجماعة بالعمومية، فيختار الفرد نفس الأفراد الآخرين لكل نوع من أنواع الأنشطة التى يبحث لها عن زميل يشاركه فيها. ومعنى هذا أن الفرد يختار نفس الأفراد لمشاركته فى هواياته، وفى عمله، وفى مقعده.

وعندما تزداد معرفة الفرد لأفراد جماعته الصغيرة التى ينتمى لها فإنه يصبح بعد ذلك قادرا على أن يميز بين من يصلح لمصاحبته فى هوايات أوقات الفراغ، ومن يصلح لتعاونه معه فى عمله، ومن يأنس لرفقته إذا شاركه مقعده الذي يجلس فيه فى حجرة الدراسة.

وقد دلت نتائج الأبحاث المختلفة على أن نسبة علاقات التبادل تصل إلى ٧٠٪ فى الاختيار الذى يستهدف تحديد رفقاء هوايات أوقات الفراغ، وأنها تهبط إلى ٣٥ ٪

---

(1) Whyte, W. F. Street Corner Society: The Social Structure of an Italian Slum. Chicago, Univ. of Chicago Press, 1943.

(2) Loomis. C. P. and Davidson, D. D. Sociometrics and the study of new rural communities Sociometry. 1939. 2. pp. 56 - 76.

فى الاختيار الذى يستهدف تحديد زملاء العمل. وأن التوزيع الإحصائى لاختيار رفقاء الهوايات يميل إلى الانتشار بانتظام بين جميع أفراد الجماعة(1).

وتكثر العلاقات المتبادلة أيضا بين اختيار المشاركة فى مقاعد الجلوس أكثر مما تشيع بين اختيار من يصلح لزعامة الجماعة(2).

ثانيا - الاختبار السوسيومترى وطرق تسجيل نتائجه:

(أ) الأسئلة السوسيومترية:

صيغت أسئلة الاختبار السوسيومترى منذ نشأته الأولى لتكشف عن خصائص الفرد والجماعة التى ينتمى لها من حيث العمل الذى تؤديه، والوظيفة التى تحققها، والنشاط الذى تمارسه.

وعلى سبيل المثال أصبحت الصيغة الشائعة للسؤال فى الدراسات السوسيومترية للفصل المدرسى هى «من تريد أن يجلس إلى جوارك». «ومن لا تريد أن يجلس إلى جوارك فى مقعدك».

وقد يتسع مجال السؤال فى الاختيار المتعدد ليكشف عن الإدراك الاجتماعى للفرد فيطلب من كل طالب أن يكتب أسماء من يظن أنهم يميلون إليه، وأسماء من يظن أنهم لا يميلون إليه(3).

وبذلك يمكن أن نلخص هذا النوع من الأسئلة فيما يلى:

- اذكر أسماء من تميل إليهم.
- اذكر أسماء من لا تميل إليهم.
- اذكر أسماء من تظن أنهم يميلون إليك.
- اذكر أسماء من تظن أنهم لا يميلون إليك.

وللفرد فى هذا النوع من الاختيار المتعدد أن يذكر أى عدد من الأسماء. ومن حق الباحث أن يحصر هذا العدد فى واحد أو اثنين أو ثلاثة أو ما يزيد على ذلك، إن أراد الحصول على بيانات أوفى وأشمل عن البنية الداخلية للجماعة وعن الإدراك الاجتماعى لكل فرد من أفرادها.

---

(1) Jennings, H. H. Leadership and Isolation. N. Y. Longmans, Green. 1950.

(2) Griswell, J. H. Sociometric methods in personnel administration Sociometry, 1949, 12, 287 - 300.

(3) Taguiri, R. Relational analysis; an extension of sociometric method with emphasis upon social perception. Sociometry 1952, X V, PP. 91 - 10.

(ب) شروط الاختبار السوسيومترى:

يحدد مورينو الشروط التى يجب مراعاتها عند استخدام الاختبار السوسيومترى فى النواحى التالية:

١ ـ أن يتم الاختبار فى جماعة صغيرة محددة (تحديد الجماعة).

٢ ـ أن يختار الفرد أو يرفض من يشاء من أفراد جماعته دون التقيد بعدد محدود، وإن كان المتبع والشائع الآن هو أن يكون عدد الأفراد المختارين أو المرفوضين من فرد واحد إلى ثلاثة، وقد يمتد هذا العدد فى بعض الحالات إلى خمسة (حرية الاختيار).

٣ ـ أن يكون الاختيار والرفض بالنسبة لصفة محددة مثل المشاركة فى رحلة أو فى عمل أو فى غير ذلك من الأنشطة المختلفة (تحديد الموقف).

٤ ـ أن نستخدم نتائج القياس الاجتماعى فى إعادة تنظيم الجماعة بما يحقق لأفرادها أعلى مستوى من التوافق (إعادة بناء الجماعة).

٥ ـ أن تتحقق سرية الاختيار لتتحقق بذلك حرية كل فرد فى إبداء رأيه وإصدار حكمه (سرية الإجابة).

٦ ـ أن يكون الموقف الذى يتم فيه الاختيار أو الرفض موقفا واقعيا (واقعية الموقف).

ثالثا ـ الشبكة الاجتماعية وعلاقاتها السوسيومترية:

(أ) الشبكة الاجتماعية:

المتبع فى الاختبار السوسيومترى أنه لا يقيد حرية الفرد فى اختياره لمن يشاء. والشائع أن يكون حد الاختيار ٣ وقد يمتد إلى ٥. لكن هذا لا يمنع مطلقا من تحديد الاختيار بفرد واحد وخاصة إذا كان الهدف هو تبسيط عملية الاختيار فى أول تطبيق للاختبار السوسيومترى على جماعة صغيرة حديثة التكوين لم يعرف أفرادها بعضهم البعض المعرفة الكافية. أو إذا كان الهدف هو شرح بعض خصائص الطريقة السوسيومترية كما هو الحال فى تحليلنا التالى لأنواع العلاقات السوسيومترية كما تتضح فى شبكة العلاقات الاجتماعية، والمصفوفة التى تلخص تلك العلاقات تلخيصا رقميا.

والمثال التالى يوضح العلاقات السوسيومترية لجماعة صغيرة مكونة من ١٥ طالبا من طلاب كلية التربية بجامعة عين شمس حيث طلب من كل طالب أن يختار أقرب الأصدقاء إلى نفسه من بين أفراد تلك الجماعة.

والجدول التالى يبين نتائج الاختيار حيث تدل بياناته العددية على أن الطالب رقم ١ اختار الطالب رقم ٨ وأن الطالب رقم ٥ اختار الطالب رقم ١٢ وهكذا تتابع بيانات هذا الجدول حتى تصل إلى نهايته عندما يختار الطالب رقم ١٥ الطالب رقم ١٠ .

رقم الطالب	الاختيار	رقم الطالب	الاختيار	رقم الطالب	الاختيار
١	٨	٦	٩	١١	١٣
٢	٥	٧	١٠	١٢	١٠
٣	٨	٨	١٠	١٣	٨
٤	٨	٩	٦	١٤	٨
٥	١٢	١٠	٢	١٥	١٠

اختيار كل طالب لأقرب الأصدقاء إلى نفسه

فإذا رمزنا لكل طالب بدائرة تحمل رقمه، ورمزنا للاختيار بخط يصل ما بين كل طالبين ورمزنا لاتجاه الاختيار بسهم فى نهاية كل خط ثم سجلنا هذه الرموز المختلفة تسجيلا يوضح تكوينها فإننا نصل بذلك إلى الشبكة الاجتماعية لجماعة الطلبة كما يبدو ذلك فى الشكل التالى.

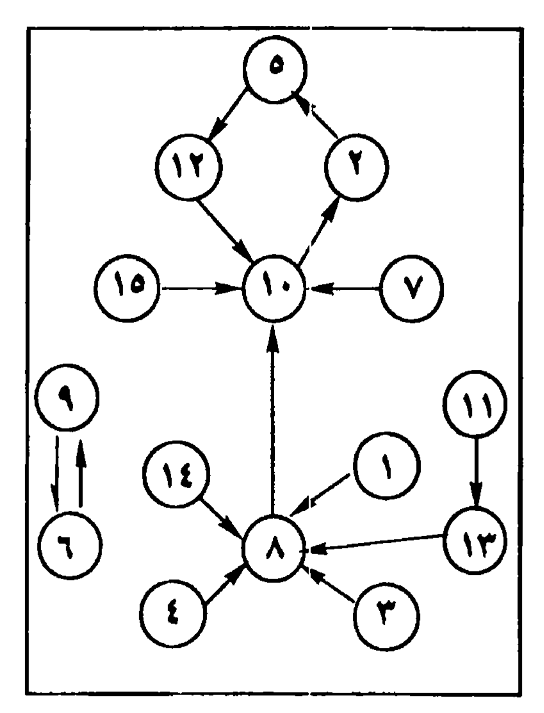
وتتكون هذه الشبكة من ذرات اجتماعية[١]، ويتوسط كل ذرة فرد يعد بمثابة نواة لها ويحيط به أفراد آخرون. ومن أمثلة هذه الذرات الاجتماعية الطالب رقم ٨ والأرقام التى تدور فى فلكه مؤثرة فيه أو متأثرة به. وهذا يعنى الأرقام ١ ، ١٣ ، ٣، ٤ ، ١٤ ، ١٠ . وتتصل كل ذرة بالذرات الأخرى اتصالا يؤلف منها تنظيما متناسقا يسمى الشبكة الاجتماعية[٢]. ويطلق على التكوين الكلى الذى يشتمل على الذرة بعلاقاتها المباشرة، وعلاقاتها البعيدة اسم حجم المعارف [٣]. ومن أمثلته فى هذه التجربة التنظيم الذى يشتمل على الذرة الاجتماعية للطالب رقم ٨ فى علاقاته المباشرة السابقة، وفى علاقته غير المباشرة بالطالب رقم ١١ الذى يرتبط به عن طريق الطالب رقم ١٣ .

---

(١) الذرة الاجتماعية — Social atom

(٢) الشبكة الاجتماعية — Social network

(٣) حجم المعارف — Acquai tance volume



الشبكة الاجتماعية لجماعة مؤلفة من ١٥ طالبا

(ب) أهم أنواع العلاقات السوسيومترية:

تكشف الشبكة الاجتماعية عن أهم أنواع العلاقات السوسيومترية. وسنبين فيما يلى خصائص تلك العلاقات وأنواعها الرئيسية التى تتلخص فى المتبادلة، والمركزية، والمتتابعة، والدائرية، والمنفردة.

١ - العلاقات المتبادلة (المزدوجة):

وتبدو فى تبادل التأثير والتأثر وتبادل الاختيار مثل العلاقة الممتدة بين ٩، ٦ ولقد رمزنا لهذا التبادل بخطين فى نهاية كل خط سهم يتجه مرة من ٩ إلى ٦ ويتجه مرة أخرى من ٦ إلى ٩ وقد سبق أن بينا هذا النوع من العلاقات بالتفصيل فى الفصل السابق وهو فصل العلاقات الاجتماعية المتبادلة.

وانتشار هذا النوع من العلاقات يؤدى إلى ضعف التماسك الداخلى للجماعة، ويصل مثل هذا التماسك إلى نهايته الصغرى عندما تنحلّ الجماعة كلها إلى جماعات ثنائية.

وتعد العلاقات الثنائية المتبادلة الركن الرئيسى فى دراسات علم النفس الاجتماعى لأنها وحدة التحليل، وأبسط وأصغر صور الجماعات.

٢ - العلاقات المركزية:

تبدو العلاقات المركزية فى اختيار الجماعة لفرد واحد منها، كمثل اتجاه علاقات ١، ١٣، ٣، ٤، ١٤ نحو ٨ واتجاه علاقات ٨، ٧، ١٢، ١٥ نحو ١٠. وتسفر هذه العلاقات عن زعامة ٨ وزعامة ١٠. وتسفر أيضا عن احتمال تفوق ٨ على ١٠ لأن العلاقات التى تتجه نحو ٨ تزيد على العلاقات التى تتجه نحو ١٠. لكن ٨ يتأثر بـ ١٠ ويبدو ذلك فى اختيار ٨ لـ ١٠. ولهذا فإن زعامة ٨ تستمد بعض قوتها من ١٠.

ولهذه العلاقات أهميتها البالغة فى معرفة التجمعات الداخلية للجماعة، واكتشاف أنواع الجماعات الفرعية التى تنقسم لها الجماعة، وذلك لأن ١، ١٣، ٣، ٤، ١٤ جماعة فرعية يتزعمها ٨. وقس على ذلك الجماعات الفرعية الأخرى.

٣ - العلاقات المتتابعة:

تبدو العلاقات المتتابعة فى تتابع اختيار الأفراد. ومثال ذلك ١١، ١٣، ٨، ١٠، ...، .. ويساعد هذا التتابع على انتشار الإشاعات بسرعة داخل الجماعة. ولذلك يصلح هذا النوع من العلاقات لدراسة الإشاعات دراسة علمية تسفر عن العوامل التى تساعد على الانتشار والعوامل التى تعوقه، وذلك لأن ١١ ينقل أخباره إلى ١٣ وهذا ينقلها بدوره إلى ٨ وهكذا يستمر سريان الإشاعة.

٤ - العلاقات الدائرية:

مثل العلاقات الدائرية كمثل العلاقات المتتابعة، تبدأ من فرد وتنتقل إلى فرد آخر، وتظل فى انتقالها، لكنها تختلف عن العلاقات المتتابعة فى أنها تعود ثانية لنفس الفرد الذى منه بدأت. ومثال ذلك ١٠، ٢، ٥، ١٢، ١٠.

ويساعد مثل هذا النوع من العلاقات على قياس نسبة المبالغات التى يضيفها كل فرد أثناء انتشار الإشاعة، وذلك لأن مصدر الإشاعة يصبح بعد انتشارها هدفا لها لأنها تعود إليه مرة أخرى بعد اكتمال دورتها.

٥ - العلاقات المنفردة:

يبدو هذا النوع من العلاقات فى فشل الفرد فى اجتذاب الأفراد الآخرين نحوه فى أية صورة كانت. ومثال ذلك ١، ٣، ٤، ٧، ١١ وهؤلاء الأفراد يعيشون على هامش الجماعة يختارون الآخرين ولا يختارهم أو يرغب فيهم أحد. وهم لذلك يسفرون عن قصور ونقص فى التكيف الاجتماعى وقد يؤدى هذا الفشل إلى السلوك اللاسوى.

رابعا ـ مصفوفات العلاقات السوسيومترية

بالرغم من بساطة الشبكة الاجتماعية وسهولة رصد نتائجها ووضوح علاقاتها، إلا أنها لا تصلح فى كثير من نواحيها للتحليل الإحصائى لنتائج الاستجابات السوسيومترية. من أجل ذلك ظهرت الحاجة لرصد النتائج السوسيومترية فى مصفوفة يبين عمودها الرأسى الأول أسماء الأفراد ويبين سطرها الأفقى الأول اختيار هؤلاء الأفراد، وتسجل خلاياها نوعية اختيار كل فرد من أفراد الجماعة لغيره من الأفراد الآخرين.

وسنبين فيما يلى أهم تلك المصفوفات وخصائص كل مصفوفة:

(أ) مصفوفة البهى:

يقترح **فؤاد البهى** طريقة جديدة فى القياس الاجتماعى تعتمد فى جوهرها على تسجيل اختيار الأفراد بعضهم لبعض فى مصفوفة توضح هذا الاختيار. وتتكون المصفوفة من أعمدة رأسية طولية وسطور أخرى أفقية مستعرضة. ويوضح العمود الرأسى الأول الأرقام التى تدل على الأفراد؛ ويوضح السطر الأفقى الأول أرقام الاختيار.

وتدل المربعات التى تتكون من تقاطع الأعمدة الرأسية والسطور الأفقية على توزيع الاختيار كما فى الشكل التالى. وتدل أرقام السطر الأفقى الأخير على مجموع الأفراد الذين اختاروا فردا ما.

وتمتاز هذه المصفوفة عن شبكة العلاقات الاجتماعية فى أنها:

ـ أسرع من الشبكة فى تسجيل العلاقات الاجتماعية.

ـ تلخص العلاقات فى صورة رياضية تصلح للتحليل الدقيق.

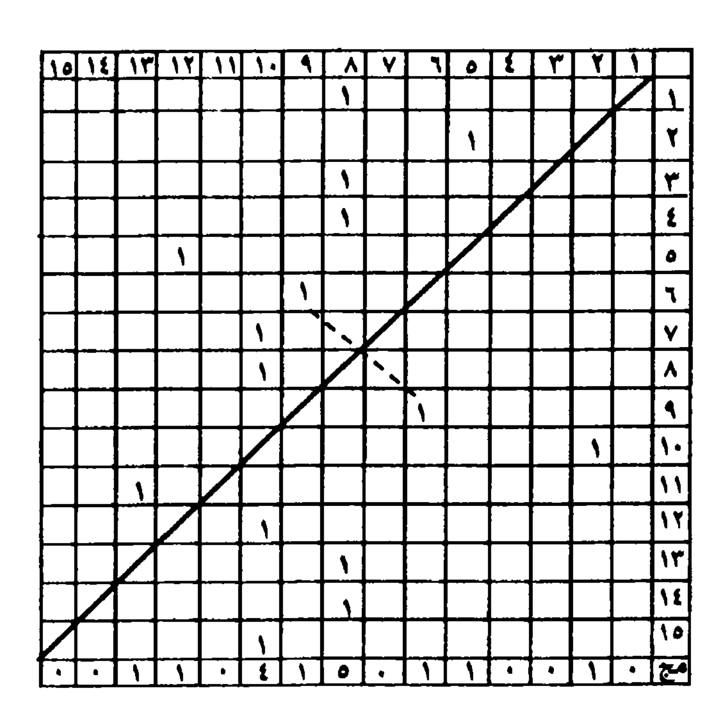
ـ تصلح لتسجيل استجابات الجماعات الكبيرة نسبيا.

وتمتاز أيضا عن طريقة كاتز Katz وطريقة فستنجر Festinger.[1] فى بساطتها ووضوحها وشمولها.

ويتكون البناء الداخلى لمصفوفة العلاقات الاجتماعية من مربعات شاغرة، ومربعات أخرى تحمل رقم١ . فأما الشاغرة فلا تدل على أية علاقة مباشرة. فالمربع

---

(١) سيأتى بيان هذه المصفوفات فيما بعد.



	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥
١								١							
٢					١										
٣								١							
٤								١							
٥												١			
٦									١						
٧										١					
٨										١					
٩						١									
١٠		١													
١١													١		
١٢										١					
١٣								١							
١٤								١							
١٥										١					
مج	٠	١	٠	٠	١	١	٠	٥	١	٤	٠	١	١	٠	٠

مصفوفة البهى للعلاقات السوسيومترية

الناشئ من تقاطع رقم ٢ رأسى ورقم ٤ أفقى لا يدل على علاقة مباشرة تحدد اختيار ٢ لـ ٤. وأما المربعات الداخلية التى تحمل رقم ١ فتدل على اختيار فرد لفرد آخر. فالمربع الناشئ من تقاطع رقم ٣ رأسى ورقم ٥ أفقى على اختيار ٢ لـ ٥.

وتدل مربعات قطر المصفوفة الذى يبدأ من ركنها العلوى الأيمن وينتهى عند ركنها السفلى الأيسر، على اختيار الفرد لنفسه، كمثل المربع الناشئ من تقاطع رقم ٢ رأسى ورقم ٢ أفقى. وتبقى هذه المربعات دائما شاغرة ما دامت لا تسمح للفرد باختيار نفسه.

(ب) مجالات استخدام مصفوفة البهى:

يمكن الإفادة من مصفوفة البهى فى دراسة بعض النواحى الهامة للعلاقات السوسيومترية وللبنية الداخلية للجماعة. وتتلخص أهم تلك المجالات فيما يلى:

- تحليل مجموع العلاقات كما يبدو ذلك فى السطر الأخير للمصفوفة.
- دراسة تناسق توزيع الاختيار حول قطر المصفوفة.
- دراسة العلاقات الموجبة والعلاقات السالبة.

وسنبين فيما يلى كل ناحية من هذه النواحى بالتفصيل.

١ ـ تحليل مجموع العلاقات:

تدل الدراسة الدقيقة للأرقام ١، ٣، ٤، ٧، ١١، ١٤، ١٥ على أنها تمثل علاقات متفرقة كما يتضح ذلك من شكل الشبكة الاجتماعية. أى أن أحدا لم يختر أى فرد من هؤلاء الأفراد. ولذلك أصبح مجموع العلاقات التى تتجه نحوها مساويا للصفر كما تدل على المصفوفة.

فإذا كان مجموع الاختيار مساويا للصفر دل ذلك على علاقة منفردة.

ويدل المجموع على أن أكبر اختيار يساوى ٥ ويقترن هذا العدد برقم ٨. أى أن عدد الأفراد الذين اختاروا رقم ٨ يساوى ٥. وأن مجموع الأفراد الذين اختاروا رقم ١٠ يساوى ٤. فزعامة ٨ تفوق زعامة ١٠. وبما أن ٨ اختار ١٠ كما يدل على ذلك الواحد الصحيح الموجود فى المربع الناشئ من تقاطع ١٠ الرأسى و٨ الأفقى. إذن فزعامة ٨ تعتمد على ١٠.

وهكذا تسفر المصفوفة بتكوينها هذا عن الزعامات المختلفة.

وهى تسفر أيضا عن تكوين الجماعات الفرعية الداخلية. فرقم ٨ يمثل جماعة فرعية تتكون منه ومن ١، ٣، ٤، ١٣، ١٤ كما تدل على ذلك المربعات الناشئة من تقاطع ٨ الرأسى مع الأرقام الأفقية السابقة.

ويؤدى بناء هذا التحليل إلى الجدول التالى الذى يبين مجموع العلاقات السوسيومترية فى المصفوفة ونوعها ومعناها.

مجموع علاقات	نوعها	معناها
صفر	منفردة	قد تؤدى إلى السلوك اللاسوى
١	اختيار فرد لفرد آخر	نقط ارتكاز التماسك الجماعى
٢	اختيار فردين لفرد ما	جماعة فرعية مكونة من فردين وزعيم
..	..	..
ن	اختيار ن من الأفراد لفرد واحد	جماعة فرعية مكونة من ن من الأفراد وزعيم

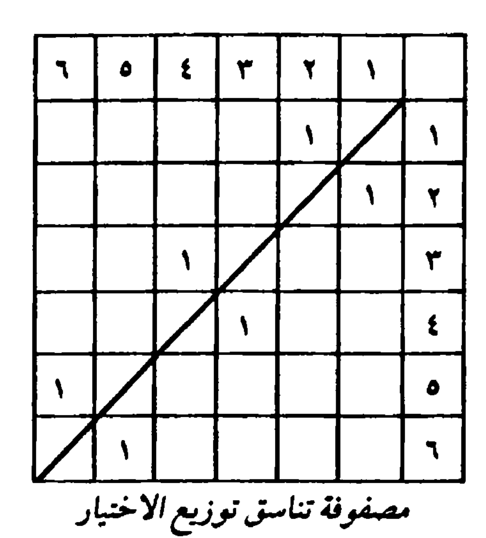
مجموع العلاقات السوسيومترية فى المصفوفة وأنواعها ومعناها

٢ـ تناسق توزيع الاختيار:

إذا رمزنا لأى فردين فى جماعة مـا بالرمزين (أ)، (ب) وإذا كان (ب) هو اختيار (أ) وكان (أ) هو اختـيار (ب) فإننا نحصل بذلك على عـلاقة متبـادلة. وإذا افترضنا أن جمـيع علاقات الجـماعة التى ندرسـها تدور كلها حـول هذا النوع من العلاقـات فإننا نحصل بذلك على مـصفوفـة متناسقـة بالنسبة للقطر. وبذلك يدل الـتناسق على تبادل العلاقـات، وترتبط درجة تناسق الجـماعـات بقلة أو بكثرة العـلاقات المتبـادلة. ويمكننا توضيح اكـتمال التناسق بالمصـفوفة المبينة فى الشكل التـالى. ويبدو تناسقـها فى انتظام توزيع الاخـتيار حـول القطر ويسمـى هذا النوع بالتناسق المزدوج لأنه يقوم علـى تبادل علاقات شكل فردين.

وتؤدى كثرة العلاقات المتبادلة إلى انحلال الجماعة. ذلك لأنها تدل دلالة واضحة على انعدام التماسك الجماعى العام.

وهكذا تستطرد بنا هذه الدراسة وتنمـو إلى تحليل مصفوفة العلاقات الاجتـماعية للبحث عن التناسق الدال على التبـادل. ويسفر هذا البحث عن وجود علاقـات متبادلة بين ٦، ٥ و١، ٢، ٣، ٤ والشكل التالى يؤكد صحة هذه النتيجة.



	١	٢	٣	٤	٥	٦
١		١				
٢	١					
٣				١		
٤			١			
٥						١
٦					١	

مصفوفة تناسق توزيع الاختيار

٣ـ العلاقات الموجبة والعلاقات السالبة:

تصلح مصـفوفات العـلاقات الاجتمـاعية لدراسـة النفور كـمـا صلحت لدراسة الألفة، وذلك بأن ترمـز لاختيار النفور بـ (- ١) كـما رمزنا لاختـيار الألفة بـ (+ ١) وهكذا يتغـير الواحد الصـحيح الموجب المنتـشر فى المربعات الداخليـة للمصفـوفة إلى الواحد الصحيح السـالب.

هذا وقد تجمع بين الناحيتين فى مصفوفة واحدة لنمهد بذلك لدراسة نواحى الألفة والنفور معا.

(جـ) مصفوفة فورسيث وكاتز:

يقترح فورسيث[1] Forsyth وكاتز Katz إعادة ترتيب أرقام الأفراد بحيث يسفر الترتيب الجديد عن الجماعات الفرعية التى يمكن أن تنقسم إليها الجماعة.

ويعتمد هذا الترتيب الجديد على محاولة تجميع المربعات الدالة على الاختيار حول قطر المصفوفة. وهذا يعنى، من الناحية الرياضية إعادة ترقيم وترتيب الأفراد لتصغير مربعات الانحرافات العمودية لتلك المربعات من قطر المصفوفة.

ويعيب هذه الطريقة المشقة والعناد والخطوات الرياضية المعقدة التى تستلزمها للوصول إلى نتائج لا تبلغ قيمتها الأهمية التى تضطر الباحث إلى تحمل تلك الصعوبات.

ولهذا نكتفى هنا بالإشارة إليها، وعلى الراغبين فى دراستها دراسة عميقة أن يرجعوا إلى بحث فورسيث وكاتز.

(د) مصفوفة فستنجر:

يعتمد فستنجر[2] Festinger فى مصفوفته السوسيومترية على تربيع المصفوفة، وتكعيبها، ورفعها إلى الأس الرابع والخامس وهكذا.

ويدل مربع المصفوفة على العلاقات المتتابعة الثنائية غير المباشرة. ومثال ذلك اختيار (أ) لـ (ب) ثم اختيار (ب) لـ (جـ). فعلاقة (أ) بـ (ب) علاقة متتابعة ثنائية غير مباشرة.

ويدل مكعب المصفوفة على العلاقات المتتابعة الثلاثية غير المباشرة. مثل اختيار (أ) لـ (ب) ثم اختيار (ب) لـ (جـ) ثم اختيار (جـ) لـ (د) فعلاقة (أ) بـ (ب) علاقة متتابعة ثلاثية.

ويستطرد بنا التحليل لنصل إلى أن رفع المصفوفة للأس الرابع يسفر عن العلاقات المتتابعة الخماسية غير المباشرة. وهكذا تستمر الدراسة حتى تصل إلى تحليل أبعد علاقة متتابعة موجودة.

(1) Forsyth, E., and Katz, L. A matrix approach to the analysis of sociometric data, preliminary report Sociometry, 1946, 9, pp. 240 - 347.
(2) Festinger, L. The analysis of sociograms using matrix algebra. Human Relations, 1949, 2, pp. 153 - 158.

وهكذا نرى أن أهمية هذه الطريقة تتلخص فى اكتشاف العلاقات المتابعة، وتلك بدورها تؤدى إلى دراسة مسار الإشاعات.

وباستخدام طريقة فستنجر فى دراسة نتائج التجربة التى أجريت على جماعة طلبة كلية التربية نحصل على مربع مصفوفة العلاقات الاجتماعية كما فى الشكل التالى:

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥
١										١					
٢												١			
٣										١					
٤										١					
٥										١					
٦						١									
٧		١													
٨		١													
٩									١						
١٠					١										
١١								١							
١٢		١													
١٣											١				
١٤											١				
١٥		١													
مج	٠	٤	٠	٠	١	١	٠	١	١	٦	٠	١	٠	٠	٠

مصفوفة فستنجر

وتدل دراسة هذه المصفوفة على أن رقم ١ رأسى لا يسفر عن أية علاقة متابعة غير مباشرة ثنائية تتجه نحوه. وأن رقم ٢ رأسى يسفر عن أربع علاقات ثنائية غير مباشرة تتجه إليه. فهو إذن يتصل اتصالا ثنائيا بالأرقام ٧، ٨، ١٢، ١٥ ويمكن التأكد من صحة هذه النتيجة بالرجوع إلى شبكة العلاقات السوسيومترية لجماعة طلبة كلية التربية كما يبدو ذلك فى الشكل السابق.

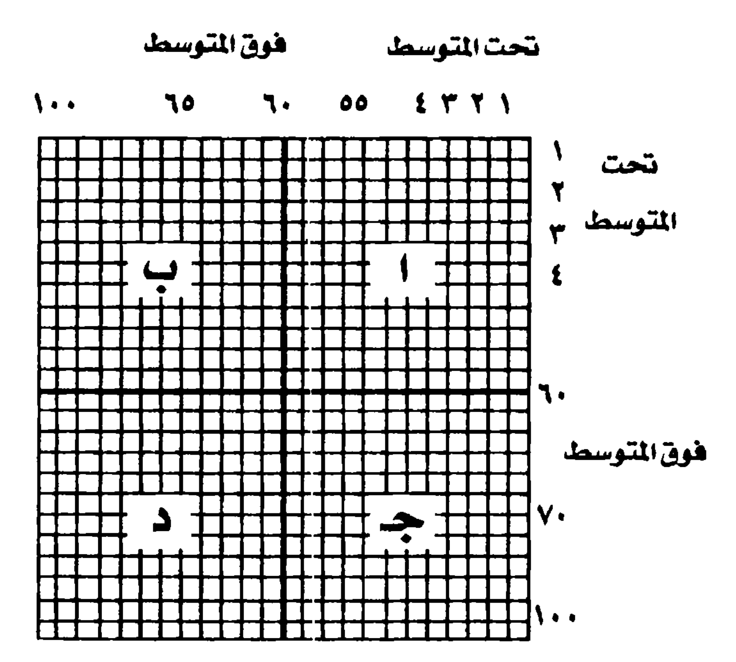
وهكذا يستطرد بنا التحليل حتى نكتشف كل العلاقات المتابعة كما تبدو فى مربع المصفوفة.

هذا ويجب أن يحترس الباحث من قطر مربع المصفوفة، فهو لم يعد شاغرا كما كان سابقا. فوجود الواحد الصحيح فى تقاطع ٦ رأسى مع أفقى لا يعنى علاقة ثنائية متابعة وإنما يعنى أن رقم ٦ يرتبط ارتباطا ازدواجيا تبادليا مع رقم آخر. ووجود الواحد فى تقاطع ٩ رأسى مع ٩ أفقى يدل على نفس الظاهرة. ولقد نشأت هذه الظاهرة من العلاقة المتبادلة بين ٦ - ٩ وذلك لأن ٦ يختار ٩ وهذا يعود بدوره ليختار ٦. ولهذا تبدو هذه العلاقة وكأنها ثنائية متابعة.

المصفوفة السوسيومترية ذات المحك Criterion Socio matrix

اقترحت هذه المصفوفة فى دراسة سابقة (سعد عبد الرحمن سنة ١٩٦٣) وتختلف عن المصفوفات السابقة فى أنها تأخذ فى اعتبارها المتغيرات الشخصية، التى تؤدى إلى الاختيار السوسيومترى وذلك بالإضافة إلى اتجاه الاختبارات والبناء الداخلى للجماعة.

وتعتمد هذه المصفوفة على فكرة ترتيب أفراد الجماعة حسب درجاتهم فى (محك) معين مثل درجات الذكاء أو أى سمة من سمات الشخصية وذلك على قمة المصفوفة وعلى حافتها اليمنى بحيث نبدأ بالدرجة الأقل (رقم ١) وتنتهى بالدرجة الأعلى رقم (١٠٠) على سبيل المثال ثم تحسب الدرجة المتوسطة وتقسم المصفوفة إلى أربع مساحات كما يلى:



لنفرض أن الفرد رقم (٦٠) هو صاحب الدرجة المتوسطة وذلك بوضع خط أفقى وآخر رأسى بعد هذا الفرد.

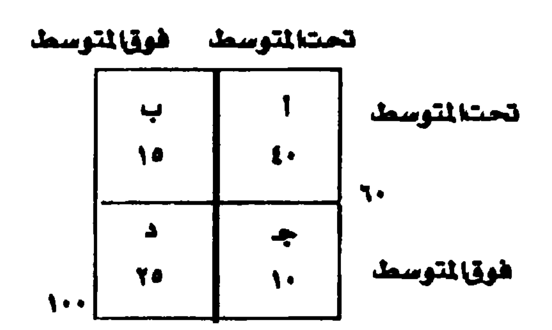
لاحظ أن الجماعة على الحافة اليمنى للمصفوفة حيث يعطون الاختيارت وهم أنفسهم أى الجماعة على قمة المصفوفة حيث يتلقون الاختيارات. فلو أن هناك نقطة فى المربع المحصور بين الفرد (١) على اليمين والفرد (٤) على قمة المصفوفة فإن هذا يعنى أن الفرد (١) اختار الفرد (٤) وكلاهما تحت المتوسط فى المحك أو المعيار.

ولو كانت هناك نقطة فى المربـع المحصور بين الفرد رقم (٣) على اليـمين والفرد رقم (٦٥) على قمة المصـفوفة فإن هذا يعنى أن الفرد رقم (٣) تحت المتوسـط قد اختار الفرد رقم (٦٥) فوق المتوسط، ولو كـانت هناك نقطة فى المربع المحصور بين الفرد رقم (٧٠) على اليمين والفرد رقم (٥٥) عـلى قمة المصفوفـة بهذا يعنى أن الفرد رقم (٧٠) فوق المتوسط قد اختار الفرد رقم (٥٥) تحت المتوسط.

ولو كانت هناك نقطة فى المربع المحصـور بين الفرد رقم (٧٥) على اليمين والفرد رقم (٨٥) على قمة المصـفوفة فإن هذا يعنى أن الفرد (٧٥) قد اخـتار الفرد رقـم (٨٥) وكلاهما فوق المتوسط.

وبهذا تكون المنطقـة (أ) حيث يختار الأفـراد تحت المتوسط فيمـا بينهم، والمنطقة (ب) حيث يختـار الأفراد دون المتوسط من الأفراد فوق المتـوسط، والمنطقة (جـ) حيث يختار الأفراد فـوق المتوسط من الأفراد دون المتوسط، والمنطقة (د) حـيث يختار الأفراد فوق المتوسط فيما بينهم.

ولتحليلل نتائج هذه المصفوفة تحسب تكرارات الاختيارات كما فى المثال التالى:



	تحت المتوسط	فوق المتوسط	
تحت المتوسط	أ ٤٠	ب ١٥	
			٦٠
فوق المتوسط	جـ ١٠	د ٢٥	١٠٠

ثم نستخدم إحصاء (كا٢)

ولحساب التكرارات المتوقعة فى المنطقة أ = $\frac{ن_١^٢}{ن}$

حيث ن١ = عدد الأفراد دون المتوسط = ٦٠

ن عدد الجماعة الكلية = ١٠٠

∴ $\frac{٦٠ \times ٦٠}{١٠٠}$ = ٣٦ (التكرارات الملاحظة هى ٤٠).

والتكرارات المتوقعة فى المساحة ب= $\frac{ن_١ \times ن_٢}{ن}$

حيث $ن_٢$ = عدد الأفراد فوق المتوسط = ٤٠

$$\therefore \frac{٦٠ \times ٤٠}{١٠٠} = ٢٤$$ (التكرارات الملاحظة هى ١٥)

وعليه يصبح $كا^٢$ كما يلى:

$$كا^٢ = \frac{(٣٦ - ٤٠)^٢}{٣٦} + \frac{(٢٤ - ١٥)^٢}{٢٤} = ٣,٨١$$

هذا بالنسبة لفئة دون المتوسط.

ونعود ونحسب الآن $كا^٢$ لفئة فوق المتوسط كما يلى:

التكرارات المتوقعة فى المساحة (جـ) = $\frac{ن_١ \times ن_٢}{ن}$

$$= \frac{٤٠ \times ٦٠}{١٠٠}$$ ٢٤ (التكرارات الملاحظة هى ١٠)

التكرارات المتوقعة فى المساحة (د) = $\frac{ن_٢^٢}{ن}$

$$= \frac{٤٠ \times ٤٠}{١٠٠} = ١٦$$ (التكرارات الملاحظة هى ٢٥)

$$\therefore كا^٢ = \frac{(٢٤ - ١٠)^٢}{٢٤} + \frac{(١٦ - ٢٥)^٢}{١٦} = ١٣,٢٣$$

ومن هذه النتائج يتضح أن هناك علاقة أكيدة بين الاختيارات الاجتماعية (السوسيومترية) وبين المحك الذى تم ترتيب الجماعة بناء عليه (لاحظ الدلالة الإحصائية لمعامل $كا^٢$).

خامسا: المؤشرات الإحصائية للاستجابات السوسيومترية:

تعنى المؤشرات الإحصائية المقاييس التى تبين مدى صلاحية نتائج القياس للتحليل والدراسة. ومن أهم تلك المؤشرات الأوزان، ومدى اختلاف الاختيار المقصود عن الاختيار العشوائى وثبات الاستجابات السوسيومترية وصدقها.

وسنبين فيما يلى كل مؤشر من هذه المؤشرات وطريقة حسابه ومجالات استخدامه فى البحث العلمى السوسيومترى.

(أ) أوزان الاختيار المتعدد:

الاختيار المتعدد هو الاختيار الشائع فى الطريقة السوسيومترية. وتصاغ الأسئلة السوسيومترية لهذا النوع من الاختيار بحيث توضح ترتيب الاختيار، وذلك بأن يطلب

من كل فرد من أفراد الجماعة أن يكتب أكثر ثلاثة أفراد يميل إليهم وأن يبدأ بكتابة أقربهم إلى نفسه، ويعقب ذلك بمن يليه فى درجة الميل ثم ينتهى إلى أقلهم ميلا إليه.

والمتبع والشائع أن تحسب أوزان هذا الترتيب بحيث يصبح وزن الاختيار الأول ٣ ووزن الاختيار الثانى ٢ ووزن الاختيار الثالث ١.

لكن كامبل[1] Campblle ينتقد هذه الطريقة على أساس أن الفرق بين اللااختيار والاختيار الثالث يساوى الفرق بين الاختيار الثالث والثانى، وبين الثانى والأول، وأن هذا الافتراض خطأ لأن الأوزان هنا حسبت بطريقة الانتخاب، والأصح أن تحسب هذه الأوزان بنسبتها للمنحنى الاعتدالى المعيارى حتى يصبح الفرق بين اللااختيار والاختيار معنى له دلالته الإحصائية. ولذلك يفترض كامبل أن توزيع الصفة التى يختار الفرد على أساسها زملاءه توزيعا اعتداليا. وينتهى إلى القيم الوزنية التالية للاختيار.

- اللااختيار = صفر
- الاختيار الثالث = ٥
- الاختيار الثانى = ٧
- الاختيار الأول = ١٠

كما تدل على ذلك مصفوفة الاختيار المتعدد المبينة فى الشكل التالى وتلخص هذه المصفوفة نتائج اختيار ١٠ أفراد من المشتركين بأحد مراكز الشباب بالقاهرة سنة ١٩٧١ وكانت أعمارهم تمتد من ١٢ سنة إلى ١٥ سنة.

ويدل السطر الأول فى هذه المصفوفة على نتائج اختيار الفرد رقم ١ لبقية أفراد جماعته حيث كان الاختيار الأول للفرد رقم ٤ والاختيار الثانى للفرد رقم ٨ والاختيار الثالث للفرد رقم ٧. وتدل الأعمدة على ما حصل عليه كل فرد من اختيار زملائه له، فمثلا حصل الفرد رقم ١ على الاختيارات التالية:

- اختاره رقم ٤ اختيارا ثانيا.
- واختاره رقم ٧ اختيارا أولا.
- واختاره رقم ٨ اختيارا ثانيا.

وبذلك يصبح عدد الاختيار الأول له مساويا للواحد الصحيح كما يدل على ذلك السطر الخاص بالاختيار الأول وهو السطر الخامس من نهاية المصفوفة. ويصبح الاختيار الثانى له مساويا لـ ٢ كما يدل على ذلك السطر الخاص بالاختيار الثانى وهو السطر

(1) Campbell, D. T. A rational for weighing first, second and third sociometric choicea. In Moreno, J. L. The Sociomtry Reader, Glenco, Illinois, 960, pp. 137 - 138.

الرابع من نهاية المصفـوفة يصبح الاختيـار الثالث له مساويا للصفـر كما يدل على ذلك السطر الخاص بالاختيار الثالث، وهو السطر الثالث من نهاية المصفوفة. ويصبح مجموع الأفراد الذين اختاروا الفرد الأول ٣ أفراد، كـما يدل على ذلك السطر الخاص بالمجموع وهو السطر الثانى من نهاية المصفوفة. وبما أن أوزان الاختبار هى ١٠ للأول، ٧ للثانى، ٥ للثالث. إذن المجموع الوزنى لما حصل عليـه الفرد الأول من اختيار زملائه له هو (١ × ١٠) + (٢ × ٧) + (صفر × ٥) = ٢٤

كـما يدل على ذلك السـطر الخاص بالمجـموع الوزنـى، وهو السطر الأخيـر فى المصفوفة.

الفرد الذى	الفـرد المختـار									
يختار	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١				١			٣	٢		
٢				٢	٣					١
٣		١				٢			٣	
٤	٢					٣		١		
٥				٣		١		٢		
٦				١	٢		٦			
٧	١	٣	٢							
٨	٢			١	٣					
٩			٢		٣					١
١٠			٢		٣				١	
الاختيار الأول	١	١	-	٣	-	١	-	١	١	٢
الاختيار الثانى	٢	-	٣	١	١	١	-	٢	-	-
الاختيار الثالث	-	١	-	١	٤	١	٢	-	١	-
المجموع	٣	٢	٣	٥	٥	٣	٢	٣	٢	٢
المجموع الوزنى	٢٤	١٥	٢١	٤٢	٢٧	٢٢	١٠	٢٤	١٥	٢٠

(مصفوفة الاختيار المتعدد)

(ب) الاختيار المقصود والاختيار العشوائى:

قام مورينو[1] .Moreno وجننجز Jennings بتجربة طريقة تهـدف إلى تبيان الفرق بين الاختيار المقصود والاختيار العشوائى، فطلب الباحثان من كل فتاة فى جماعة مؤلفة من ٢١ فتاة أن تختار كل واحدة منهن ثلاث فتيـات يلازمنها كرفيقات لها على المائدة. ثم أعيـدت نفس التجربة على ٦ جمـاعات مماثلة للجمـاعة الأولى. ثم رصد الباحـثان متوسط اختـيار أفراد الجماعات السبع بالترتيب التـالى: صفر، ١، ٢، .. بحيث يدل الصفر على فـشل الفتاة فى استـثارة رفيقاتهـا لاختيارها، ويدل الواحـد الصحيح على الفتيات اللائى اخترن مرة واحدة، وهكذا.

ثم أعيدت التـجربة بعد ذلك على نفس الفتيـات وطلب من كل منهن أن تختار زميلاتها بطريقة عشوائية، وذلك بأن تختـار ثلاث بطاقات من مجموعة البطاقات المقفلة المطلوبة حيث تدل كل بطاقة من تلك البطاقات على فتاة من فتيات الجماعة.

ولقد وضعت هذه البطاقة فى حقيبة خاصة بطريقة عشوائية، وحذفت بطاقة الفتاة التى تختار رفيقاتها. ثم رصدت نتائج هذه التجربة بنفس طريقة المتوسطات التى رصدت بها التجربة السابقة. والجدول التالى يوضح بعض نتائج هذه التجربة.

نوع العلاقات الفردية	الاختيار المقصود	الاختيار العشوائى
منفردة	٥	١,٤
متبادلة	١٣,٤	٤,٣
متتابعة	٢,٣	٠,٩
دائرية	١	صفر
مركزية	٦,٦	٤,٧

الفرق بين الاختيار المقصود والاختيار العشوائى

(1) Moreno, J. I., and Jennings, H. H. Statistics of social configurations. Sociometry. 1983. 1. pp. 342 - 347.

وهكذا تدل نتائج هذه التجربة علي أن الاختيار المقصود ليس اختيارا عشوائيا. هذا ويمكن أيضا حساب الاختيار العشوائي بطريقة إحصائية وذلك عن طريق الاحتمالات ثم مقارنة الاختيار المقصود بالاختيار العشوائي.

(جـ) العوامل التي تؤثر في ثبات الاستجابات السوسيومترية:

عكف موتون[1] Mouton. وبليك Blake وفروشتر Fruchter على تحليل نتائج ٥٣ بحثا سوسيومتريا للكشف عن العوامل التي تؤثر في ثبات الاستجابات السوسيومترية، وذلك باعتبار أن الثبات، يقاس بمدى تقارب نتائج الاختيار إذا طبق الاختبار السوسيومتري مرتين على نفس جماعة الأفراد، وتحت نفس الظروف والشروط التي طبق بها في المرة الأولى. ويحسب الثبات عن طريق معامل ارتباط نتائج القياس الأول بنتائج القياس الثاني.

وقد انتهى الباحثون إلى تلخيص أهم نتائج تحليلهم فيما يلي:

١ ـ كلما زاد طول الفترة الزمنية بين التطبيق الأول للاختيار، والتطبيق الثاني نقصت تبعا لذلك القيمة العددية لمعامل الثبات.

٢ ـ كلما اقتربت أعمار أفراد الجماعة من سن الرشد، أي من ٢١ سنة، زادت تبعا لذلك القيمة العددية لمعامل الثبات.

٣ ـ كلما طالت معرفة أفراد التجربة بعضهم للبعض الآخر قبل تطبيق الاختبار السوسيومتري زادت تبعا لذلك القيمة العددية لمعامل الثبات.

٤ ـ كلما زادت صلة موضوع الاختيار بما تمارسه الجماعة من نشاط، وما تقوم به من أفعال وأعمال زاد تبعا لذلك معامل الثبات.

٥ ـ يزداد معامل الثبات تبعا لزيادة دقة أسلوب التمييز. فمثلا المقارنة الازدواجية أكثر دقة في الاختيار من مجرد الترتيب. وتتطلب عملية المقارنة الازدواجية إعداد قوائم بجميع أسماء أفراد الجماعة بحيث يشتمل كل سطر من سطور هذه القوائم على اسمين من أسماء أفراد الجماعة، وتشتمل قائمة أي فرد على اسمه. ويطلب من كل فرد أن يفاضل بين كل اثنين فيختار أحبهما إليه أو من يريد أن يصاحب منهما، وغير ذلك من أسس الاختيار. ثم يحسب ترتيب اختيار الفرد للأفراد الآخرين من تلك المقارنة الازدواجية.

---

(1) Mouton, J. S., Blake, R. R., and Fruchter, B. The reliability of sociometric measures. Sociometrv. 1955, 1, 6 - 48.

٦ ــ كلما زاد عدد أفراد الجماعة زاد تبعا لذلك معامل الثبات.

٧ ــ الاختيار الأول أكثر ثباتا من الاختيـار الثانى، والاختيار الثانى أكثر ثباتا من الاختيار الثالث.

٨ ــ كلما زاد اعتماد الاختيار على الخصائص النفسية الاجتماعية للسلوك زاد تبعا لذلك معامل الثبات.

(د) مدى صدق نتائج الاستجابات السوسيومترية:

تقاس درجة الصدق بمقدار ما يقيسه الاختبار من الصفة التى صمم لقياسها. فالمتر صادق فى قياسه للأطوال وغير صادق فى قياسه للأوزان.

والطريقة الإحـصائية المتبـعة فى قياس صـدق الاختبار بالنسـبة لصفة مـعينة هى حساب معامل ارتباط نتائج ذلك الاختبار بنتائج اختبار آخر يقيس تلك الصفة. فإذا كان الارتباط مرتفعا كان الصدق مرتفعا والعكس صحيح.

وبما أن الاختبـار السوسيومـترى يقيس ما يمكن أن يتصل بـين الناس من علاقات ويحدث بينهم من تفاعل، إذن تصبح عملية قياس الصدق واضحة وذلك عندما نستطيع أن نسجل ما يحدث فعلا من تجمعـات بين الأفراد وعلاقات وتفاعل، وأن تسجل أيضا استجـابات نفس هؤلاء الأفراد فى ميلهم لأصدقـائهم واختيارهم لزمـلائهم. ثم نقارن نتائج الاخـتيار الســوسيومـترى بالتجـمعات التى تحـدث وما تنطوى عليه من عـلاقات وتفاعل. وتنتـهى مثل تلك المقـارنة إلى حساب الارتبـاط بين الألفة كمـا يريدها الفرد والألفة كما تحدث فعلا، فإذا كان الارتباط مرتفعا كان الصدق عاليا والعكس صحيح.

وتعد التجربة التى أجراها بيرد[1]. Byrd سنة ١٩٤٦ من أهم التجارب الرائدة التى بينت بوضوح مدى ثبات الاستـجابات السوسيومترية ومدى صدقـها. ولقد قام الباحث بتطبيق اختبـار سوسيومترى على أطفال تبلغ أعمـارهم ٩ سنوات وسألهم سؤالا واحدا هو بالتـحديد «مع من تحب أن تلعب؟» وقـد طلب الباحث بعـد ذلك من كل طفل أن يلعب فعلا مع من يحب ويميل إليه. وقد سجل البـاحث تجمعات الأطفال فى ألعابهم، ثم عاد وطبق الاخـتبار السوسـيومترى بعـد ذلك على نفس الأطفال بعد مضى ثمـانية أسابيع. وقد حسب بيرد بعد ذلك معامل ارتباط نتائج الاختبار السوسيومترى الأول مع نتائج ملاحظاته التى سجلها عن تجمعات الأطفال أثناء لعبهم فحصل بذلك على معامل ارتباط يساوى ٧٦, ٠ وهذا الارتباط يدل عـلى مدى صدق الاستجابات السوسـيومترية وهو صدق مرتفع جدا فعلا.

---

(1) Byrd, E. A study of validity and constancy of choices in a sociometric test Sociometry. 1946. IX, No. 2 - 3, 21.

وحسب أيضا معامل ارتباط نتائج الاختبار الثانى السوسيومترى مع نتائج ملاحظاته التى سجلها عن تجمعات الأطفال أثناء لعبها فحصل بذلك على ارتباط يساوى ٠,٨٠ ويدل هذا الارتباط على صدق الاستجابات السوسيومترية أيضا وهو ارتباط مرتفع أيضا، وحسب الباحث أيضا معامل ارتباط نتائج الاختبار السوسيومترى الأول مع نتائج الاختبار السوسيومترى الثانى فوجد أنه يساوى ٠,٨٩ وهذا يدل على مدى ثبات نتائج الاستجابات السوسيومترية، وهو ثبات مرتفع أيضا.

وتواترت بعد ذلك نتائج الأبحاث السوسيومترية المتعددة والمختلفة لتؤكد صدق نتائج الاستجابات السوسيومترية فى المدى القريب والمدى البعيد. وأصبح لهذا الصدق أهميته فى التنبؤ بأهم المظاهر النفسية الاجتماعية للجماعة الصغيرة مثل مستوى الإنتاج، والروح المعنوية، والزعامة، والتماسك الجماعى.

طريقة جاردنر وتومسون فى القياس السوسيومترى:

أشرنا بالتفصيل فيما سبق إلى طريقة مورينو ومعاونيه فى القياس السوسيومترى، والآن نستعرض طريقة أخرى تعتبر أكثر دقة وقربا إلى المعايير السوسيومترية والإحصائية.

لقد وصف جاردنر وتومسون هذه الطريقة سنة ١٩٥٦ وقد مهدا لها فى كتاب صدر لهما فى نفس السنة انتقدا فيها طريقة مورينو وما ترتب عليها من بحوث ودراسات.

يقول الباحثان إن الدرجات السوسيومترية التى نحصل عليها من طريقة مورينو لا تكون موزعة توزيعا اعتداليا يقود إلى المعالجة الإحصائية الصحيحة. وهذا أمر طبيعى إذ أنه من المتوقع أن يحصل البعض على درجات سوسيومترية عالية، والبعض الآخر على درجات أقل. ولكن فكرة الباحثين فيها الكثير من الصواب، وخاصة بعد وصف هذه الطريقة الجديدة.

ويقول الباحثان أيضا أن معامل ثبات الدرجات السوسيومترية. المشتقة من طريقة مورينو معامل قليل إذ يتراوح من ٠,٣٧ : ٠,٣٩ والحقيقة أن هذه هى طبيعة الاختبار السوسيومترى حيث إن الاختبارات تتغير من موقف إلى آخر شأنها فى ذلك شأن مقاييس الاتجاهات، ويقول الباحثان أيضا أن طريقة مورينو لا تصلح للجماعات الصغيرة حيث تصبح الاختيارات فى هذه الحالة متراكمة مما يؤدى إلى الشك فى صحتها.

ويلخص جاردنر وتومسون آراءهما بالنسبة لهذه الطريقة كما يلى:

١ ـ لابد أن يكون هناك إطار مرجعي يحدد الفرد عضو الجماعة اختياراته بالرجوع إليه. وهذا فى الحقيقة أمر صحيح لا يتوافر فى طريقة مورينو.

٢ ـ يجب أن يتعلق الإطار المرجعي. بحاجة نفسية للفرد لا يمكن إشباعها إلا فى موقف من مواقف التفاعل الاجتماعى وبمعنى آخر يجب أن يكون موقف الاختيار أو الرفض محددا من الناحية النفسية بحيث تكون استجابة الفرد ذات دلالة فعلية.

٣ ـ يجب أن يكون مدى الاختيار محددا فى بدايته ونهايته بالنسبة لمجموعة أكبر من المجموعة التى ينتمى إليها الفرد بشرط أن تكون المجموعة الكبيرة (المجموعة المرجعية) تتشابه فى خصائصها مع المجموعة الصغيرة التى يختار منها الفرد.

٤ ـ يجب أن يختار كل عضو من أعضاء الجماعة الصغيرة أفرادا من الجماعة المرجعية لكى تحدد معاييره من الاختيار قبل أن يبدأ بالاختيار الفعلى من جماعته الصغيرة.

وللتخليص فإن جاردنر وتومسون يعتقدان أن الطريقة المثلى لقياس سوسيومترية الجماعات الصغيرة هى استخدام جماعة مرجعية كبيرة لصناعة المقياس السوسيومترى التى يتم به الاختيار فى الجماعة الصغيرة.

ويمكن إجراء طريقة جاردنر وتومسون كما يلى:

(أ) يعرض الباحث على الفحوص (غالبا ما يكون ذلك فى مقابلة شخصية رسما بيانيا يوضح المنحنى الاعتدالى، ويشرح له بالتبسيط معنى هذا المنحنى حيث يكون طرفا الظاهرة عند نهايتى المنحنى ومتوسطها عند قمته.

(ب) يطلب الفاحص من المفحوص أن يحدد اسم الشخص الذى يحب أن يختاره كرفيق فى رحلة علمية على سبيل المثال على أن يكون هذا الشخص من بين جميع الناس الذين قابلهم فى حياته سواء فى جماعته الصغيرة هذه أو فى جماعة أخرى، ويقوم بكتابة اسمه فى أقصى اليمين من خط مستقيم يمثل المقياس المفروض عمله وليكن الفرد (أ) ثم يطلب الفاحص من الفحوص أن يحدد اسم الشخص الذى لا يحب إطلاقا أن يصاحبه فى تلك الرحلة ،على أن يكون ذلك الشخص من بين أى جماعة قابلها فى حياته وليكن (ب) ويكتب اسمه عند أقصى اليسار.

وعلى نفس المنوال يطلب الفاحص تحديد اسم الفرد الذى يتوسط أ، ب وليكن (جـ) ثم الشخص الذى يأتى بين أ، جـ وليكن (س) وكذلك اسم الفرد الذى يأتى بين جـ، ب وليكن (ص).

بهذا يعتقد جاردنر وتومسون أن المقياس السوسيومترى قد تم بناؤه فعلا وعلى ذلك يقوم الباحث بأن يطلب من المفحوص أن يضع أسماء جماعته الصغيرة فى الأمكنة المناسبة على هذا المقياس. ويرى الباحثان أن الدرجات السوسيومترية المشتقة تكون أكثر دقة من تلك المشتقة من طريقة مورينو، إذ أن هذه الدرجات تحسب من المنحنى الاعتدالى بطرق إحصائية متقدمة.

تعديل طريقة جاردنر وتومسون:

هناك ما يمنع هذه الطريقة من أن تكون مثالية:

ـ فهى تعتمد على أسلوب المقابلة الشخصية وهذا يستهلك الكثير من الوقت والجهد لأن أسلوبها فردى فى حين أن طريقة مورينو طريقة جمعية سهلة التطبيق.

ـ تعليمات هذه الطريقة معقدة وصعبة بالنسبة للمفحوص العادى، إذ إنه ليس من المفروض أن يكون على درجة من الخبرة تمكنه من فهم خصائص المنحنى الاعتدالى.

ـ الدرجات المشتقة من هذه الطريقة دقيقة إحصائيا ولكنها تحتاج فى حسابها إلى جهد رياضى خاص قد لا يكون فى متناول الباحث العادى.

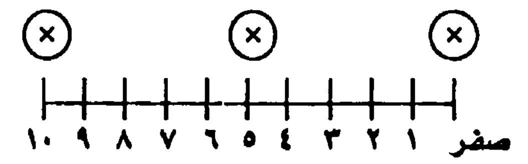
وعلى ذلك تم تعديل هذه الطريقة (سعد عبد الرحمن ١٩٦٤) ويتلخص التعديل فيما يلى:

١ ـ استغنى نهائيا عن المنحنى الاعتدالى وموضوع المقابلة الشخصية، وبذلك أمكن إجراء الطريقة المعدلة لصورة جماعية دون جهد يذكر.

٢ ـ بناء على ذلك تعدلت التعليمات، فأصبح الاختبار السوسيومترى كما يلى:

أمامك خط مستقيم مقسم من صفر إلى ١٠ وعليك أن تتذكر اسم الشخص الذى قابلته فى حياتك كلها وفى أى مكان والذى لا تحب أن تتعاون معه إطلاقا. اكتب اسمه عند الرقم (صفر). ثم تذكر اسم الشخص الذى قابله فى حياتك كلها وفى أى مكان وتحب جدا أن تتعاون معه واكتب اسمه عند الرقم (١٠) وبنفس الطريقة اكتب اسم الشخص الذى يتوسط هذين الفردين عند الرقم (٥).

بعد ذلك اكتب اختياراتك من جماعتك الصغيرة فى المكان المناسب على نفس المقياس.



ثم يتم حساب الدرجة السوسيومترية لكل فرد على أساس أخذ الرتبة المتوسطة التى حصل عليها، ثم تحويلها إلى نسبة مئوية معيارية، ثم إلى درجة على مقياس عشرى (جداول Hull) [1].

سادسا ـ المعاملات السوسيومترية

تلخص المعاملات السوسيومترية نتائج قياس علاقة الفرد بالجماعة، وعلاقة الجماعة بالفرد، وما ينشأ بين الأفراد فى الجماعة الصغيرة من تفاعل نفسى اجتماعى.

وتحسب تلك المعاملات من المصفوفات السوسيومترية. وقد يتطلب حساب بعض تلك المعاملات إعداد مصفوفات ذات خواص معينة، مثل مصفوفة العلاقات الموجبة، والعلاقات السالبة، والعلاقات المحايدة.

وسنبين فيما يلى أهم تلك المعاملات كما تتلخص فى: معامل انتشار العلاقات الاجتماعية، ومعامل استمرار الجماعة؛ ومعامل التماسك الداخلى، ومعامل توافق الفرد مع الجماعة ومعامل توافق الجماعة مع الفرد ومعامل جاذبية الجماعة.

(أ) معامل انتشار العلاقات الاجتماعية:

كلما ازداد عدد العلاقات الاجتماعية المنتشرة داخل الجماعة، ازداد تبعا لذلك اتصال الأفراد بعضهم بالبعض الآخر، وازدادات دينامية التفاعل. ولذلك يمكن أن يستخدم معامل انتشار العلاقات الاجتماعية للكشف عن مدى خصوبة التفاعل النفسى الاجتماعى.

فإذا طلب من كل فرد من أفراد الجماعة أن يختار من يشاء من زملائه دون أن يتقيد بعدد ما فى اختياره هذا، أمكننا أن نعرف بطريقة إحصائية النسبة المئوية للانتشار وذلك بقسمة مجموع العلاقات الواقعية على النهاية العظمى لتلك العلاقات ثم ضرب الناتج فى مائة.

وتختلف النهاية العظمى للعلاقات تبعا لاختلاف عدد أفراد الجماعة. فالنهاية العظمى لمجموع علاقات الجماعة المؤلفة من فردين تساوى علاقتين فرديتين. والنهاية العظمى لمجموع العلاقات الفردية للجماعة المؤلفة من ٣ أفراد تساوى ٦ علاقات. والنهاية العظمى لمجموع العلاقات الفردية للجماعة المؤلفة من ٤ أفراد تساوى ١٢ علاقة. وهكذا يستطرد بنا هذا التحليل إلى أن نصل إلى أن النهاية العظمى لمجموع العلاقات الفردية فى الجماعة المؤلفة من ن من الأفراد تساوى [ن (ن - ١)] علاقة.

إذن فمعامل انتشار العلاقات الاجتماعية = $\frac{\text{مجموع العلاقات الواقعية}}{\text{ن (ن - ١)}} \times ١٠٠$

(١) سعد عبد الرحمن القياس النفسى: النظرية والتطبيق، دار الفكر العربى ١٩٩٨.

فإذا دلت النتائج على أن المجموع الواقعى للعلاقات الفردية فى جماعة رباعية هو ٩ علاقات فإن:

معامل انتشار العلاقات الاجتماعية = $\frac{٩}{٤ (٤ - ١)}$ × ١٠٠ = ٧٥٪

ولهذا المعامل أهميته وفائدته فى مقارنة الجماعات على أساس التفاعل النفسى الاجتماعى.

(أ) معامل استمرار الجماعة:

يقاس استمرار الجماعة باستمرار عضوية أفرادها، فكلما كثر تغيير أعضائها، واستبدل بالأفراد القدامى أفراد جدد، ضعف استمرار الجماعة.

ويقترح هارتشون[1]. Hartshorne معادلة للاستمرار تقوم على معرفة عدد أفراد الجماعة قبيل التغيير وبعده، وعدد الأفراد الذين قاوموا هذا التغيير.

فإذا رمزنا لعدد الأفراد قبل التغيير بالرمز (ق).

ورمزنا لعدد الأفراد بعد التغيير بالرمز (ب).

ورمزنا لعدد الأفراد الذين قاوموا التغيير بالرمز (س).

إذن فمعامل استمرار الجماعة = $\frac{٢س}{ق + ب}$ × ١٠٠

فإذا كان عدد الأفراد قبل التغيير ق = ٦

ثم فقدت الجماعة = ٢ من أفرادها.

فأصبح الباقى الذى قاوم التغيير س = ٤

ثم انضم للجماعة = ٦ أفراد

فأصبح عدد أفراد الجماعة ب = ١٠

إذن فمعامل استمرار هذه الجماعة = $\frac{٢ × ٤}{٦ + ١٠}$ × ١٠٠ = ٥٠ ٪

وعندما تتغير الجماعة تغيرا تاما فلا يبقى فرد واحد من أفرادها القدماء، فإن معامل استمرار الجماعة يصبح مساويا للصفر لأن س تساوى صفرا.

---

(1) Hartshorne, E. Y. Metabolisn and the annexation of Austria: A note on method. Amer. J. Social., 1940, 45, pp. 899 - 947.

(جـ) معامل التماسك الداخلى:

تنقسم الجماعات بالنسبة لتماسكها الداخلى[1] إلى نوعين: جماعة داخلية، وجماعة خارجية. فكلما ازدادات العلاقات الموجبة التى تدور فى المحيط الداخلى للجماعة، ازداد التماسك الداخلى للجماعة. وكلما تشتتت هذه العلاقات واتجهت نحو الجماعة الخارجية ضعف التماسك الداخلى. وكلما كثرت العلاقات الموجبة التى تصدر من أفراد الجماعة الخارجية وتتجه صوب أفراد الجماعة الداخلية، ازدادت سعة هذا التماسك[2].

فهناك، إذن، ثلاثة أنواع من العلاقات الموجبة التى تؤثر تأثيرا مباشرا فى تماسك الجماعة: داخلية ــ داخلية، داخلية ــ خارجية، خارجية ــ داخلية.

فإذا رمزنا للعلاقات الداخلية بالرمز (د).

وللعلاقات الداخلية ــ الخارجية بالرمز (هـ).

وللعلاقات الخارجية ــ الداخلية بالرمز (ل).

ولعدد أفراد الجماعة الداخلية بالرمز (ن).

ولأفراد الجماعة الخارجية الذين يستأثرون بالعلاقات الداخلية ــ الخارجية بالرمز م.

إذن معامل التماسك الداخلى = $\dfrac{\dfrac{د + ل}{ن}}{\dfrac{هـ}{م}} = \dfrac{م\,(د + ل)}{ن\ هـ}$

فإذا كان عدد أفراد الجماعة الخارجية	م = ١
وعدد العلاقات الداخلية ــ الداخلية	د = ١٧
وعدد العلاقات الخارجية ــ الداخلية	ل = ١٢
وعدد أفراد الجماعة الداخلية	ن = ٦

التماسك الداخلى (1) Internal Cohesion

(2) Moreno, J. L., and Jennings, H. H. Statisties of Social configurations, Sociometry, 1938. pp. 367 - 374.

وعدد العلاقات الداخلية ـ الخارجية   هـ = ٦

$$\text{إذن معامل التماسك الداخلى} = \frac{١ (١٧ + ١٢)}{٦ \times ٦} = \frac{٢٩}{٣٦} = ٠,٨$$

وتدل القيمة العددية لهذا المعامل على تماسك ضعيف لأن قيمته العددية تقل عن الواحد الصحيح. وتدل أيضا على أن الفرد الخارجى الذى تتجه نحوه العلاقات الداخلية ـ الخارجية قد يصبح بوضعه هذا منطقة قوية داخل المجال.

ويمكن أن نستطرد بهذا التحليل حتى نصل إلى الحدود العامة للجماعة، وإلى مناطق الجذب القوية، داخلية كانت أم خارجية، فى ضوء هذه الدراسة.

(د) معامل توافق الفرد مع الجماعة:

يدل معامل توافق الفرد مع بقية أفراد الجماعة على مدى إقباله عليهم أو نفوره منهم أو موقفه منهم موقفه الحياد. وتتطلب عملية حساب مثل هذا المعامل إعادة صياغة أسئلة الاختبار السوسيومترى لتسجيل إيجابية الألفة بـ + ١ وسلبية النفور بـ - ١ والحياد بصفر[١].

وتلخص نتائج تلك الأسئلة فى مصفوفة تبين أسطرها اختيار الفرد لبقية أفراد الجماعة إيجابا وسلبا وحيادا صفريا. وتبين أعمدة مثل تلك المصفوفة اختيار أفراد الجماعة لكل فرد منها إيجابا وسلبا وحيادا صفريا.

والمصفوفة التى يبينها الشكل التالى تدل على نتائج إجراء مثل تلك التجربة على جماعة مؤلفة من خمسة أفراد. وقد طلب إلى كل فرد من أفراد تلك الجماعة أن يكتب أمام أسماء الأفراد الآخرين نوع علاقته بهم: ألفة أو نفورا أو حيادا.

وتدل الأسطر الأفقية على اتجاه علاقات الفرد نحو بقية أفراد الجماعة ألفة موجبة، ونفورا سالبا، وحيادا صفريا.

وتدل الأعمدة الرأسية على اتجاه علاقات أفراد الجماعة نحو فرد منها ألفة موجبة ونفورا سالبا، وحيادا صفريا أيضا.

ولحساب معامل توافق أى فرد من الجماعة مع بقية الأفراد الآخرين نقسم المجموع الجبرى لعلاقات السطر الدال على من يختارهم الفرد على بقية عدد أفراد الجماعة.

(1) Zeleny, L. D. Measurement of social status. Amer. J. Sociology, 1940, 45, 576 - 582.

الفرد الذى يختار						المجموع
	١	٢	٣	٤	٥	
١	-	١ +	١ -	١ +	١ +	٢
٢	١ +	-	١ +	صفر	١ -	١
٣	صفر	١ +	-	١ +	١ +	٣
٤	١ -	١ +	١ +	-	١ +	٢
٥	١ +	١ +	١ +	١ +		٤
المجموع	١	٤	٢	٣	٢	١٢

مصفوفة تبين اتجاه علاقة كل فرد ببقية أفراد
الجماعة إيجابا وسلبا وحيادا صفريا

فإذا رمزنا لعـدد أفراد الجماعة بالرمـز ن. فإن عدد الخلايا الدال على بقـية أفراد الجمـاعة يصبح مسـاويا لـ ن - ١. وبذلك يحسب معـامل توافق الفرد مع بقيـة أفراد الجماعة باستخدام المعادلة التالية:

معامل توافق الفرد مع بقية أفراد الجماعة =

$$\frac{\text{المجموع الجبرى لعلاقات السطر الدال على الفرد}}{\text{ن - ١}}$$

وبذلك يصبح معامل توافق الفرد رقم ٤ مع بقية أفراد الجماعة = $\frac{٢}{٥ - ١}$

= ٠,٥ أى ٥٠٪ إذا حولناه لنسبة مئوية بضرب الناتج فى مائة.

(هـ) معامل توافق الجماعة مع الفرد:

يدل توافق الجماعة مع الفرد على مدى تقـبل أو نفور الجماعة من أحد أفرادها أو موقفها الحيادى منه كما سبق أن بينا ذلك من قبل.

ويحسـب هذا المعامل باسـتخدام أعـمدة المصـفوفـة السابقـة بدلا من اسـتخدام سطورها، وذلك لأن كل فرد من أفـراد الجماعة نحـو أى فرد من أفرادها. فمـثلا يدل العمود الرابع على موقف كل فرد من أفراد الجماعة نحوه، فمثلا يألفه الفرد رقم واحد كما يدل على ذلك رمز الخلية الأولى + ١ ويحايده الفرد رقم ٢ ورمز خليته هو الصفر، ويألفه الفرد رقم ٣ ورمز خليته + ١ ويألفه الفرد رقم ٥ ورمز خليته + ١.

وبذلك يحسب معامل توافق أفراد الجماعة مع الفرد رقم ٤ بالطريقة التالية:

$$\text{معامل توافق أفراد الجماعة مع الفرد رقم ٤} = \frac{٣}{٥ - ١} = \frac{٣}{٤} = ٠,٧٥$$

أى ٧٥٪ إذا حولناه لنسبة مئوية بضرب الناتج فى مائة.

معامل التأثير:

ويستخدم هذا المعامل فى مقارنة أفراد الجماعة سوسيومتريا حيث يمكن معرفة تأثير كل فرد من أفرادها فى الجماعة، ويمكن حساب هذا المعامل على النحو التالى:

$$\text{معامل التأثير} = \frac{ن}{ن - ١}$$

حيث نَ هى عدد الاختيارات التى حصل عليها الفرد

ن عدد أفراد الجماعة.

وتتراوح قيمة هذا المعامل بين الصفر والوحدة حيث إنه إذا لم يتلق الفرد أى اختيار أصبح المعامل $= \frac{\text{صفر}}{ن - ١} = \text{صفر}$

وإذا حصل على اختيارات بقية أفراد الجماعة أصبح المعامل $= \frac{ن - ١}{ن - ١} = ١$

معامل جاذبية الجماعة[1]:

ويحدد هذا المعامل مدى جاذبية الجماعة لأعضائها أو لأعضاء جماعة خارجية ويمكن حسابها كما يلى:

$$\text{معامل الجاذبية} = \frac{ن\,صَ + ص\,نَ}{ن\,نَ}$$

حيث ص هو عدد الاختيارات داخل الجماعة

ن عدد أعضاء الجماعة الداخلية (لاحظ أن الاختيار المسموح به للفرد هو ١)

صَ عدد الاختيارات الآتية من الجماعة الخارجية إلى الجماعة الداخلية.

نَ عدد أعضاء الجماعة الخارجية (لاحظ أن الاختيار المسموح به للفرد هو ١).

سابعا ـ الملخص

موضوع هذا الفصل هو قياس العلاقات الاجتماعية التى سبق أن بينا نموها فى الفصل الرابع الخاص بالتنشئة الاجتماعية، وأهم أنواعها فى الفصل الخامس وخاصة المتبادلة منها.

ويعتمد القياس على الطريقة السوسيومترية وما تتطلبه من اختبارات تعد أسئلتها بطريقة خاصة وما تنتهى إليه نتائج تلك الاختبارات من شبكة اجتماعية تعاد صياغتها فى

---

(١) سعد عبد الرحمن القياس النفسى: دار الفكر العربى ١٩٩٨.

صورة مصفوفة سوسيومترية تصلح لدراسة المؤشرات الإحصائية للعلاقات الاجتماعية وتؤدى إلى معاملات سوسيومترية لها أهميتها فى دراسة الجماعات الصغيرة.

ويعنى السوسيومترى القياس الاجتماعى لأن المقطع الأول يعنى اجتماعى والمقطع الثانى يعنى قياس. والبدء والحقيقى للسوسيومترى كان فى سنة ١٩٣٤ على يد مورينو. وتعتمد الطريقة السوسيومترية على اختيار الفرد فى الجماعة الصغيرة لفرد آخر بالنسبة لصفة محددة وتسجل نتائج الاختبار فى شبكة للعلاقات أو فى مصفوفة. وتستخدم الطريقة السوسيومترية لتحليل البنية الداخلية للجماعة الصغيرة والكشف عن مظاهر الألفة والنفور وخصائص تجمعات الأفراد ودراسة مظاهر الزعامة.

والصورة الشائعة للأسئلة السوسيومترية التى تصلح لقياس الإدراك الاجتماعى هى التى تتطلب من الفرد ذكر أسماء من يميل إليهم، ومن لا يميل إليهم ومن يظن أنهم يميلون إليه ومن يظن أنهم لا يميلون إليه.

ويحدد مورينو شروط الاختبار السوسيومترى فى صغر حجم الجماعة، وإطلاق حرية الفرد فى اختيار من يميل إليه ومن لا يميل إليه، وقصر الاختيار على صفة واحدة، واستخدام نتائج للقياس فى إعادة تنظيم الجماعة لتحقيق أعلى مستوى من التوافق.

كما أشرنا أيضا إلى طريقة أخرى فى القياس السوسيومترى هى طريقة جاردنر وتومسون.

وتسجل الشبكة الاجتماعية اتجاه اختيار الأفراد بعضهم لبعض، وتتكون الشبكة من ذرات اجتماعية ويتوسط كل ذرة فرد يعد نواتها ويحيط به أفراد آخرون. وتنقسم علاقات الشبكة إلى أنواع أهمها المتبادلة وهى تعنى اختيار فرد ما لفرد آخر واختيار الفرد الآخر له، والمتتابعة وتبدو فى تتابع اختيار الفرد لفرد آخر، واختيار الآخر لآخر وهكذا. والدائرية وهى نوع من المتتابعة لكنها تعود من حيث بدأت، والمنفردة وتتمثل فى الأفراد الذين يختارون غيرهم ولا يختارهم أحد.

وغالبا ما تحول الشبكة الاجتماعية إلى مصفوفة بحيث يبين العمود الأول أسماء الأفراد الذين يختارون ويبين السطر الأول اختيارهم. وأهم المصفوفات المستخدمة فى التحليل السوسيومترى مصفوفة البهى، ومصفوفة فورسيث وكاتز، ومصفوفة فستنجر والمصفوفة ذات المحك، وتتميز مصفوفة البهى بأنها أسرع من الشبكة فى تسجيل العلاقات الاجتماعية، وتلخص العلاقات فى صورة رياضية تصلح للتحليل وتصلح أيضل لتسجيل استجابات الجماعات الكبيرة نسبيا، وأنها أبسط من المصفوفات الأخرى. ويرمز للاختيار بالرقم ١ فى الخلايا التى تدل على الفرد ومن يختار، أما الخلايا الشاغرة فتنقسم إلى نوعين: اختيار الفرد لنفسه وهذه ستبقى شاغرة، وأخرى شاغرة لا تدل على علاقة مباشرة تحدد الاختيار. وتستخدم مصفوفة البهى لتحليل مجموع العلاقات

ولدراسة تناسق توزيع الاختيار ولدراسة العلاقات الموجبة والسالبة. وتعتمد مصفوفة فورسيث وكاتز على إعادة ترقيم الأفراد ليسفر الترتيب الجديد عن الجماعات الفرعية. ويؤدى الترتيب الجديد إلى تجميع المربعات الدالة على الاختيار حول قطر المصفوفة. وتتلخص فكرة مصفوفة فستنجر فى تربيع المصفوفة للكشف عن العلاقات المتتابعة الثنائية غير المباشرة. ويؤدى التكعيب إلى الكشف عن العلاقات المتتابعة الثلاثية وهكذا.

وتتلخص أهم الموشرات الإحصائية للاستجابات السوسيومترية فى الأوزان، والاختيار المقصود ومدى اختلافه عن الاختيار العشوائى، والثبات، والصدق.

والقيمة العددية لوزن الاختيار الأول ١٠، ولوزن الاختبار الثانى ٧، ولوزن الاختيار الثالث ٥، ويصبح الصفر هو القيمة الفردية لوزن اللاختيار.

أما عن الاختيار المقصود والاختيار العشوائى فقد برهن مورينو بطريقة تجريبية على أن الاختيار السوسيومترى ليس اختيارا عشوائيا.

وتتلخص أهم العوامل التى تؤثر فى ثبات الاستجابات السوسيومترية فى الفترة الزمنية التى تمضى بين التطبيق الأول للاختبار والتطبيق الثانى، فإنها كلما طالت نقص تبعا لذلك الثبات، ويزيد الثبات تبعا لمدى اقتراب أعمار الأفراد من سن الرشد، وتبعا لطول الفترة الزمنية التى يعرف أفراد الجماعة بعضهم بعضا، وتبعا لزيادة صلة موضوع الاختيار بما تمارسه الجماعة من نشاط، وتبعا لزيادة دقة أسلوب التمييز، وتبعا لزيادة عدد أفراد الجماعة. وتدل نتائج التجارب على أن الاختيار الأول أكثر ثباتا من الاختيار الثانى وهكذا.

ويقاس الصدق بمقدار ما يقيسه الاختبار من الصفة التى صمم لقياسها ويحسب عن طريق معامل ارتباط الاختبار بنتائج اختبار آخر يقيس تلك الصفة. وتعقد عملية قياس صدق الاستجابات السوسيومترية على تسجيل ما يحدث فعلا من تجمعات بين الأفراد ومقارنة تلك التجمعات بنتائج استجابات الاختبار السوسيومترية.

وينتهى تحليل المصفوفة إلى معاملات سوسيومترية تكشف عن البنية الداخلية للجماعة الصغيرة وتبين أهم خصائصها. ومن أهم تلك المعاملات معامل انتشار العلاقات الاجتماعية. ويحسب هذا المعامل بقسمة مجموع العلاقات الواقعية على النهاية العظمى لتلك العلاقات ثم ضرب الناتج فى مائة. ولهذا المعامل أهميته وفائدته فى مقارنة الجماعات على أساس التفاعل النفسى الاجتماعى.

ومعامل استمرار الجماعة. ويقاس باستمرار عضوية أفرادها. ولذا تعتمد معادلة حساب هذا المعامل على قسمة ضعف عدد الأفراد الذين يقاومون التغيير على مجموع الأفراد قبل التغيير وبعده وضرب الناتج فى مائة.

ومعـامل التماسك الداخلى بنسـبة العلاقات الداخلـية، والخارجيـة الداخلية إلى الداخلية الخارجية.

ومعامل توافق الفرد مع الجـماعة وهو يدل على مدى إقبال الفـرد على بقية أفراد الجماعة أو نفوره منهم أو موقفه منهم مـوقف الحياد. ولحساب معامل توافق أى فرد من الجماعة مع بقـية الأفراد الآخرين نقسم المجموع الجـبرى لعلاقات السطر الدال على من يختـارهم الفرد على بقية عـدد أفراد الجمـاعة، وذلك باعتبـار أن الرمز + ١ يدل على الألفة والرمز - ١ يدل على النفور، والرمز صفر يدل على الحياد.

دل معامل توافق الجماعة مع الفرد على تقبل أو نفور الجماعة من أحد أفرادها أو موقفها الحيادى منه. ويحسب هذا المعامل بقسمة المجموع الجبرى لعلاقات العمود الدال على موقف كل فرد من أفراد الجـماعة مع الفرد الذى نحسب توافقهم مـعه، على بقية أفراد الجماعة ومعامل التأثير ومعامل حادية الجماعة.

ثامنا ـ المراجع العامة

1 - Arglye. M. Social Interaction. London, Tavistock, Melhuen, 1976.

2 - Criswell. J. H The measurment of group integration. Sociometry, 1947, 10. 259 - 267.

3 - Festinger. L. The analysis of sociograms using matrix algebra. Human Relations. 1949. 2, 153 - 158.

4 - Forsyth. E., and Katz, L. A matrix approach to the analysis of socio-metric data: preliminary report. sociometry, 1946, 9, 340 - 347.

5 - Gardener & Thompson, Sociometry of small groups, Harper, 1956.

6 - Gronlund, N. E Sociometric status and sociometric perception, 1955, 2, 122 - 128.

7 - Gronlund. N. E. Sociometry in the classroom N. Y. Harper. 1959.

8 - Jennings. H. H. Leadrship and Isolation, N. Y. Longmans, Green and company, 1943.

9 - Jennings, H. H. Sociometry in Group Relations. Washington. D. C. American Council on Education, 1959.

10 - Katz, L. On the matric analysis of sociometric data. Sociometry, 1974, 10, 233 - 241.

11 - Mouton, J. S., Blake, R. R., and Fruchter, B. The reliability of sociometric measures. Sociometry, 1955, 1, 7 - 48.

12 - Mouton, J. S., Blake, R. R., and Fruchter, B. The validity of sociometric responses. Sociometry, 1955, 3, 181 - 206.

13 - Northway, M. L. A Primer of Sociometry. Toronto, Univ. of Toronto Press, 1952.

14 - Northway, M. L., and Weld L. Sociometric Testing. Toronto, Univ. of Toronto Press, 1957.

15 - Pepinsky, P. N. The meaning of validity and reliability as applied to sociometric tests. Educational and Psychological Measurement, 1949, IX, 39 - 49.

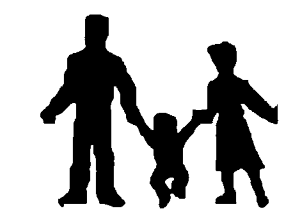
16 - Tagiuri, R. Relational analysis: an extension of sociometric method with emphasis upon social perception. Sociometry. 1952, X V, 91 - 104.

17 - Zeleny, L. D. Sociometry in the classroom. Sociometry, 1940, 3, 102 - 104.

المراجع العربية

١ ـ سعد عبد الرحمن : السلوك الإنساني: تحليل وقياس المتغيرات ط ١٩٨٣م.

٢ ـ سعد عبد الرحمن: القياس النفسي النظرية والتطبيق، دار الفكر العربي ١٩٩٨م.



الفصل السابع

الإدراك الاجتماعى Social Perception

- فهم عملية الإدراك الاجتماعى - مفهوم عملية الإدراك الاجتماعى.
- دقة عملية الإدراك الاجتماعى.
- حساب درجات الإدراك الاجتماعى.
- تفسير درجات الإدراك الاجتماعى.
- دليل الإدراك الاجتماعى.
- عملية الإدراك الاجتماعى ومتغيرات أخرى.
- إنتاجية الجماعة - صورة الذات.
- المتغيرات السوسيومترية.

كما سبق وقدمنا فى هذا الكتاب نقول إن الفـرد يعيش فى جماعة لأنه اجتماعى بطبعه ولأنه يبحث عن إشباع حاجته إلى الأمن والطمأنينة والانتماء.

والفـرد الإنسان يدرك الأشـياء والماديات بمسـاعدة حـواسه الظاهرة مـثل البـصر والسمع والشم واللمس والتذوق، ولكنه يدرك الإنسان الآخر بأكثر من هذه الحواس وبما هو أبعد منها.

الإنسان الآخـر يشترك مع الإنســان المدرك (الذى يدركه) فى كـثير من الصـفات والخصائص ويـتشابه معه بل ويتـماثل معه أحـيانا. . ومن هنا كان من الصعـوبة إيجاد نظرية واحدة متكاملة تفسر عملية الإدراك الاجتماعى.

بدأت الدراسة فى هذا المجال فى نهاية النصف الأول من هذا القرن حيث يناقش كانتريل Cantrill معنى الإدراك الاجتماعى فيمـيز بين الإدراك الاجتماعى والإدراك غير الاجتـماعى، ويقـول إن إدراك القلم الرصاص عمـلية إدراك غيـر اجتمـاعى ذلك لأننا نستطيع أن نفعل كل شىء وأى شىء بالقلم الرصاص بينما لا يستطيع القلم الرصاص أن يفعل بنا شيئا ما.

وبناء على هذه الملاحظة نقـول إن عمليـة إدراك الفرد الآخـر أو عملـية الإدراك الاجتماعى تدخل فيها عوامل جديدة تختلف من حيث النوع والدرجة عن تلك العوامل التى تضبط عملية الإدراك الحسى البصرى أو غير ذلك.

ولكن يمكن أن نقول شيئا ما إضافة إلى ما سبق حيث إن بعض الأشياء والماديات مثل الكتاب مثلا يمكن أن يدركـها الفرد إدراكا اجتماعيا عندما يعطيهـا الفرد صفة الحياة والحركة، ويتخيل أنه يمكن أن يكون هناك تفاعل بينه وبين هذا الكتاب.

وبذلك فإن هذا الرأى يعـتمد على مـعنى الفعالية الوظـيفية أو النشـاط الوظيفى للمدركات (مثل الكتاب) بغض النظر عن الطبيعة البنائية لهذه المدركات.

ونستطرد فنقول إن عملية الإدراك الحسى للألوان تعـتمد على طبيعة بناء اللون أو تركيبه وكـذلك الروائح وما إلى ذلك، أما إدراك بعض الأشياء إدراكا اجتمـاعيا فإنه لا يعتمد على طبيعتها وجوهرها بقدر ما يعتمد على موقف الفرد الذى يقوم بعملية الإدراك من هذه المدركات.

وقد آمن بهـذه الفكرة كثير من المشـتغلين بعلم النفس الاجتمـاعى، ولكن كانت هناك قلة قامت بعمليـات بحث وتجريب فى هذا المجال حيث ظهر الكثيـر من المتغيرات التى أدت بنا إلى فهم عمله الإدراك الاجتماعى من منظور آخر.

كما أن هناك مجموعة من **الحقائق تساعدنا على فهم عملية الإدراك عامة وعملية الإدراك الاجتماعى** على وجه الخصوص، ونستعرضها فيما يلى:

١ ـ عملية الإدراك تساعد على تكامل الخبرة عند الفرد:

نحن نعلم أن عملية الإدراك تتكون من عمليتين متتاليتين مترابطتين هما الإحساس والتفسير. ونجد أن عملية الإحساس تبـدأ بالمثيرات والمواقف التى تنتشر فى البيئة المحيطة بالفرد حيث يؤثر المثير على عضو الإحساس الخاص مثل الصوت عندما يؤثر على الأذن والضوء عندما يؤثر على العين ثم ينتقل الإحساس إلى المنطقة المناظرة فى المخ حيث تبدأ العملية الثانية وهى عملية التفسير أو التعرف على طبيعة المثير وتسميته وبذلك تتم عملية الإدراك.

وواضح أيضا أن عملية التفسير تعتمد على الخبرة السابقة للفرد أو الإطار المرجعى Frame of reference وبذلك تنمو خبرة الفرد وتتكامل نتيـجة إدراكه لمثيرات وعناصر جديدة.

٢ ـ عملية الإدراك والإطار المرجعى:

الفرد يدرك ما تعرف عليه من مثيرات لأنه سـبق أن تعرف عليها واعتادها وألفها فالفـرد يدرك أن هذا طائر لأنه سبق أن رأى هذا الطائر أو ما يشـبهه، وعليـه فإن هناك عملية مقارنة ضمنية بين ما يراه وما يحسه الفرد الآن وبين المدرك الذى سبق له أن كونه فى خبرته الماضية.

ولهذا فإن إدراك الفرد لمثير جديد يعـتمد على عملية المقارنة هذه بين ما يحس به الآن وبين أقرب المدركات شبها بذلك المثير مستخدما إياه كإطار مرجعى .

٣ ـ عملية الإدراك الاجتماعى تحتاج الى إطار مرجعى من نوع خاص:

وهنا نقـول إن عملية الإدراك الاجـتمـاعى هى عملية الإدراك الـتى تحدث تحت ظروف ومتغيـرات اجتماعية تؤثر فـيها. وللتوضيح فإننا نعـود ونقول إن عملية الإدراك الاجتماعى هى عـملية الإدراك التى يتخذ فيها الفرد من نفـسه أو صورة ذاتية ـ أو من ذات أخرى مماثلـة ـ إطارا مرجعـيا يقـارن به تلك المدركات أو المثـيرات الاجتـماعـية

الأخرى. وبذلك فإن عملية إدراك الفرد لفرد آخر هى عملية إدراك تحتاج إلى إطار مرجعى من نوع خاص أى أن يكون هذا الإطار هو ذات الفرد المدرك أو ذات أخرى مماثلة.

مفهوم عملية الإدراك الاجتماعى:

من المعروف أنه لا يمكن الوصول إلى مفهوم العمليات السلوكية إلا بعد دراسة واستعراض الآراء والمفاهيم التى يمكن أن تقربنا إلى تحديد مفهوم صحيح لهذه العملية أو تلك ــ وعملية الإدراك الاجتماعى عملية سلوكية، ومن المعروف أيضا أن الدراسات التى أجريت بهدف استكشاف طبيعة عملية الإدراك بدأت فى وقت متأخر نوعا ما بالنسبة لدراسات علم النفس الاجتماعى الأخرى.

فقد كان هناك تمهيد بدراستين متتاليتين (دايموند ٤٨ ، ٤٩). حيث ناقش الباحث العلاقة بين البصيرة وقدرة الفرد على أن يشعر بإحساسات الآخرين فى المواقف الاجتماعية (الاستشفاف الوجدانى Empathic ablity).

وقد توصل الباحث إلى عدة استنتاجات أنارت الطريق أمام الدارسين الذين أتوا من بعده، وأهم هذه الاستنتاجات هى:

١ ــ يتكون مفهوم العلاقة بين الفرد والآخرين بناء على قدرته على الإحساس بشعور هؤلاء الآخرين فى المواقف الاجتماعية المختلفة.

٢ ــ تعتمد بصيرة الفرد فى علاقته بالآخرين على مدى قدرته على الإحساس بإحساساتهم.

٣ ــ القدرة على الإحساس بشعور الآخرين تنمو وتتطور من خلال العلاقات الاجتماعية التى يتعرض لها الطفل فى السنوات الأولى من حياته.

والحقيقة أن مثل هذه النقاط وغيرها قد أدخل عاملا جديدا فى عملية الإدراك الاجتماعى وهو عامل الاستشفاف الوجدانى أو القدرة على الإحساس بشعور الآخرين Empathic ability وهذا ما يؤكد **ذاتية الإطار المرجعى فى عملية الإدراك الاجتماعى**. وهذا ما أشرنا إليه سابقا (أن يتخذ الفرد من ذاته إطارا مرجعيا).

وفى دراسات أخرى (بيتون ٤٩ / ٥٠) ناقش الباحث العوامل التى تؤدى إلى عدم سواء عملية الإدراك الاجتماعى وأجرى تجاربه على مجموعة من شباب الجامعة حيث تعرضوا للمواقف التالية:

ـ موقف الصداقة ــــــــــــــ العدواة

ـ موقف الصداقة ــــــــــــــ الحياد

ـ موقف الصداقة ــــــــــــــ التسلط

وسميت هذه المواقف بمواقف الإثارة، وقام الباحث بتحليل سلوك الأفراد فى كل موقف من هذه المواقف معتمدا فى تحليله على مفهوم علاقة الإدراك الاجتماعى كعملية ذات علاقة بسلوك الفرد، وانتهى الباحث إلى وجود علاقة مؤكدة بين نوعية الموقف أو المثير ودرجة عدم السواء التى تصيب عملية الإدراك الاجتماعى.

وبعد ذلك بدأت الدراسات الرائدة والأصيلة فى مجال الإدراك الاجتماعى حيث قام فيدلر ومعاونوه (٥٢ / ٥٦) بدراسة أثر الاتجاهات اللاشعورية على الاختيارات الاجتماعية وقام بدراسته على مجموعة من الشباب حيث طلب من كل منهم أن يعين أحب الأفراد إلى نفسه، وذلك من بين أعضاء الجماعة التى ينتمى إليها كما طلب من كل منهم أيضا أن يعين أبغض الأفراد إليه.

بعد ذلك طلب الباحث من كل عضو من أعضاء الجماعة أن يصف صورة الذات المثلى الذى يحب أن يكون إياها ثم طلب من كل عضو أيضا أن يتنبأ بوصف الفردين الآخرين (الأحب والأبغض) لهذه الذات المثلى.

وبهذا تمكن الباحث من أن يحصل على مجموعة من البيانات عن عملية الإدراك الاجتماعى حيث يقول إن هذه العملية هى نتاج فهم الناس لذواتهم وفهمهم لذوات الآخرين. **كما أشار أيضا إلى ما يلى:**

١ ــ يدرك الفرد الآخرين ممن يحبهم ويفضلهم كما لو كانوا أكثر شبها به وبصورة ذاته والعكس صحيح. ذلك لأن الفرد يميل دائما إلى إعطاء صورة ذاته أبعادا مشتقة من الذات المثلى التى يحبها ويعجب بها، وكذلك فإنه يعطى نفس الأبعاد تقريبا للفرد الذى يدركه حيث يحبه ويفضله.

٢ ــ يدرك الفرد الآخرين ممن يحبهم ويفضلهم كما لو كانوا أكثر شبها بذاته المثالية أو كما يحب هو أن يكون والعكس صحيح بالنسبة لمن لا يفضلهم.

٣ ــ ليس هناك دليل على أن الخصائص الشخصية للأفراد تتشابه مع الخصائص الشخصية لمن يختارونهم ويفضلونهم وليس هناك دليل على العكس. وهذا يقودنا إلى القول بأن هناك فرقا بين التشابه الحقيقى وبين الخصائص الشخصية للأفراد وبين التشابه غير الحقيقى بين هذه الخصائص وقد سماه فيدلر التشابه المفترض.

٤ ــ ليس هناك دليل على أن الأشخاص المفضلين يدركون الآخرين بطريقة تختلف عن إدراك الأشخاص الذين يرفضهم الآخرون.

بعد ذلك عاود فيدلر دراساته إذ أنه أول من اقترح مسمى (التشابه المفترض Assumed Similarity وأراد أن يبحث في علاقة هذا التشابه المفترض بإنتاجية الجماعات حيث يقول إن إنتاجية أى جماعة هى دالة عملية الإدراك الاجتماعى وقام بحساب معاملات الارتباط بين نتائج عدة مقاييس صممت من أجل تقدير هذه المتغيرات:

أ ــ وصف الفرد لذاته.

ب ــ تنبؤ الفرد بوصف أفضل معاونيه لذاته.

جـ ـ تنبؤ الفرد بوصف أبعد معاونيه لذاته.

وأثبت فيدلر صحة ما ذهب إليه من علاقة التشابه المفترض كمتعلق من متعلقات الإدراك الاجتماعى بإنتاجية جماعات رياضية هى فرق كرة السلة فى مدينة إلينوى الأمريكية.

بعد ذلك درس داڤيتز ١٩٥٥ العلاقة بين عملية الإدراك الاجتماعى عند الأطفال وبين اختياراتهم السوسيومترية حيث يصل إلى عدة نقاط هى:

١ ــ الطفل يميل إلى أن يدرك من يفضلهم سوسيومتريا كما لو كانوا أكثر شبها بذاته والعكس صحيح.

٢ ــ الطفل يميل إلى أن يدرك من يفضلهم سوسيومتريا أكثر شبها بصورة ذاته مما هم فى الحقيقة فعلا.

وقام لاندى ١٩٥٥ بدراسة مشابهة من حيث الهدف والطريقة ووصل إلى عدة استنتاجات هى:

١ ــ يميل الفرد إلى أن يدرك أصدقاءه أكثر شبها بالصورة المثلى لذاته وأقل شبها بالذات غير المرغوبة.

٢ ــ يميل الفرد إلى أن يدرك غير الأصدقاء أكثر شبها بالذات غير المرغوبة وأقل شبها بصفات الذات المثلى.

ويقول نيو كمب ١٩٥٦ أن إدراك التشابه أو الاختلاف بين الفرد والفرد الآخر هو أساس عملية الإدراك الاجتماعى، ورفض مسمى (التشابه المفترض) واقترح مسمى آخر هو التشابه المدرك Perceived Similarity.

وحاول روجرز ١٩٥٩ اكتشاف العلاقة بين التشابه الحقيقى أى حقيقة التشابه أو الاختلاف بين شخصية فرد وشخصية فرد آخر، وبين التشابه المفترض أى ذلك التشابه الذى يفترضه أحد الأفراد بينه وبين فرد آخر يدركه.

ولخص الباحث هذه العلاقة فى أن الأفراد الذين لهم خصائص شخصية مشتركة مع فرد آخر يحتل مكانة واضحة فى التنظيم السوسيومترى للجماعة يميلون إلى افتراض الشبه بينهم وبينه فى حين أن الأفراد الذين ليس لهم هذه الخصائص المشتركة ــ رغم إعجابهم بهذا الفرد ــ لا يميلون إلى افتراض مثل هذا التشابه أى أن العامل الأساسى فى تحديد عملية افتراض الشبه هو وجود العوامل أو الخصائص المشتركة بين الأفراد.

وحاول روزويل بعد روجرز ١٩٦٠ محاولة مشابهة حيث أراد أن يختبر أثر لون البشرة أو العنصر (العرق) كعوامل مشتركة على التشابه المفترض بين مجموعات من البيض والزنوج ولكنه وصل إلى ما وصل إليه روجرز.

وبناء على ذلك يمكن أن نقول إن هذين المتغيرين (التشابه الحقيقى والمفترض) مستقلان عن بعضهما البعض ومن المحتمل وجود متغير ثالث يربط بينهما.

وعاد فيدلر ١٩٦١ من جديد ليدرس أثر العمر الزمنى والفروق الجنسية على عملية الإدراك الاجتماعى ووجد ما يلى:

١ ــ تتأثر عملية الإدراك الاجتماعى بالاختلافات الجنسية فى حين أن العمر الزمنى يؤثر فقط على إدراك صورة الذات.

٢ ــ تزيد دقة الإدراك الاجتماعى بزيادة العمر الزمنى.

٣ ــ تميل الإناث إلى إدراك الآخرين بصورة أفضل مما هم عليه فعلا، بينما الذكور يميلون إلى عكس ذلك.

وبناء على كل ما سبق أن عرضناه من دراسات نقول إن تحديد مفهوم عملية الإدراك الاجتماعى يتطلب بالضرورة دراسة التشابه والاختلاف بين الأفراد سواء كان هذا التشابه حقيقيا أو مفترضا أو مدركا، وذلك لأن هذا التشابه أو الاختلاف هو أساس عملية المقارنة التى تتم على أساسها عملية الإدراك الاجتماعى.

ولهذا سوف نبدأ من البداية ونناقش معنى التشابه وما تواتر فيه من آراء، وهذا سوف يساعدنا على تحديد مفهوم عملية الإدراك الاجتماعى.

التشابه الحقيقى Actual Similarity بين فردين هو الفرق بين صورة الذات عند كل من الفردين فى موقف ما. وللدقة فإننا نعرف التشابه الحقيقى على أنه دالة المسافة بين وصف الفرد (أ) لنفسه وبين وصف الفرد (ب) لنفسه.

وواضح أنه كلما زادت هذه المسافة أو الفرق؛ قل التشـابه الحقيقى بين الفردين. وكلما قلت المسافة زاد التشابه الحقيقى بينهما.

أما التشابه المفترض Assumed أو التشابه المدرك Percieved أو التشابه الوصفى فهى جميعا تقترب من بعضها البعض كمسميات إذ أنه (أى منها) دالة المسافة بين صورة الذات عند الفرد ومفهومه عن ذات فرد آخر.

وكان فيدلر أول من اسـتخدم لفظ التشابه المفترض، وتيوكـمب أول من استخدم لفظ التشابه المدرك أما لفظ التشابه الوصفى فقد اسـتخدمه سعد عبد الرحمن (١٩٦٣ - ١٩٧٨) للدلالة على المسافة بين وصف الفرد لذاته ووصفه لذات الفرد الآخر.

ومن المفـيد أن نعـرض بعض الملاحظات على الدراسـات السابق الإشـارة إليهـا وهى:

١ ــ حاولت هذه الدراسات اكتشاف العلاقة بين التشابه المفترض أو التشابه المدرك وبين بعض المتغيرات الاجتماعية أو السوسيـومترية دون أن تعطى الأهمية الكافية لتفسير معنى ومفهوم هذا التشابه.

٢ ــ اعتمدت هذه الدراسات على وصف الفرد لنفـسه ووصفه لغيره ومن الفرق بينهما تمكنت هذه الدراسات من الحصول بطريقة أو بأخرى على درجة تدل على التشابه أو الفرق بينهما.

وحيث إن وصف الفرد لنفـسه يعتمد على مفـهومه عن ذاته ومفهومـه عن غيره ومثل هذا المـفهوم قـد يكون له علاقـة بالحقـيقة والواقـع ولكنه من المسلم به لا يطابق الحقيقـة والواقع تماما وهذا يؤكد ذاتية الفرد عند بنائه لصـورة ذاته أو تكوينه لمفهوم عن ذات غيره. ومن هنا تصـبح موضوعية الدرجة المـشتقة لتدل على التشـابه أو الاختلاف موضع شك واحتمالات متباينة.

٣ ــ نحن نعلم كـما سبق أن أشـرنا أن حساب درجـة التشابه المدرك أو التـشابه المفترض يـعتمد على أن يقـوم الفرد بوصف نفسه ثم التنبـؤ بوصف الغير لنفـيسه وهذا التشابه أو هذا الاختلاف قد يكون مصدره إحدى هذه النقاط الآتية:

أ ــ عملية التوحـد حيث يقوم الفرد بوصف نفسه بناء على مفـهومه لصورة ذات فرد آخر يحبه ويعجب به (ڤروم ١٩٦١ Vroom).

ب ــ عملية الإسقاط أى أن يقوم الفـرد بوصف غيره أو التنبؤ بوصف هذا الغير لنفسه مستخدما فى ذلك صورة ذاته وبمعنى آخر يسقط الفرد صفاته الطيبة وأنماط سلوكه

الحسنة على شخص آخر يحبه ويعجب به أو أن يسقط صفاته غير الطيبة وأنماط سلوكه غير الحسنة على فرد آخر لا يحبه.

جـ ـ عامل الميل إلى المعايير الاجتماعية وهذه تبدو عندما يقوم الفرد بوصف صورة ذاته التى كونها عند تفاعله مع المجتمع بقيمه ومعاييره وضغوطه فهو إذ يصف صورة ذاته هذه فإنما يميل إلى أن يرضى ما هو قائم من معايير وقيم وبذلك نجد أن صورة ذات الفرد كما يصفها هو تقترب كثيرا من هذه المعايير.

وعندما يقوم الفرد بوصف صورة ذات فرد آخر يحبه ويعجب به فإنه يصف هذه الصورة كأقرب ما تكون إلى تلك القيم والمعايير ومن هنا نلاحظ التشابه بين صورة ذات الفرد وصورة ذات الفرد الآخر. والعكس صحيح فى حالة فرد ليس موضع حب أو إعجاب.

د ـ طريقة استخلاص درجة الإدراك الاجتماعى تتلخص فى إيجاد الفرق بين وصف الفرد لنفسه وبين تنبؤه بوصف الفرد الآخر لنفسه وهنا نقول: لنفرض أن فى الموقف فردين هما (أ)، (ب):

الفرد (أ) يعتقد أن الفرد (ب) شخصية غير مسئولة أى أن قدرة (ب) على تحمل المسئولية قليلة، والفرد (أ) يعلم فى نفس الوقت أن الفرد (ب) يعتقد فى نفسه أنه على قدر عال من تحمل المسئولية لذلك إذا قام الفرد (أ) بوصف الفرد (ب) من وجهة نظره هو أى من وجهة نظر (أ) فإن النتيجة سوف تختلف تماما عما إذا قام (أ) بالتنبؤ بوصف (ب) لنفسه.

ومن هنا فإن درجة التشابه المفترض أو المدرك تعتمد ـ من ناحية صدقها ـ على التعليمات التى تعطى للمفحوص: هل سوف يصف فردا آخر أم أنه سوف يتنبأ بوصف هذا الفرد الآخر لنفسه.

لذلك وبناء على الملاحظات السابقة نقترح كما ورد فى مجموعة من الدراسات بين ١٩٦٣ ـ ١٩٨٠ [١] تحديد عملية الإدراك الاجتماعى على النحو التالى:

(١) عملية الإدراك الاجتماعى عملية تتم فى موقف يتألف من ثلاثة أفراد على الأقل (أ، ب، جـ) حتى يتوافر كلا الاحتمالين: استخدام الفرد صورة ذاته أو مفهومه عن ذات غيره كإطار مرجعى فى عملية الإدراك الاجتماعى. وليس بالضرورة أن يكون الفرد الثالث حقيقيا ففى بعض الأحيان يكون افتراضيا.

---

(١) سعد عبد الرحمن: دراسات فى الإدراك الاجتماعى.

(٢) فى هذه العملية يقوم الفرد بوصف ذاته هو (أ أو ب أو جـ).

(٣) يقوم الفرد (أ، ب، جـ) بوصف الفرد الآخـر من وجهة نظره هو لا أن يتنبأ بوصف هذا الفرد الآخر لنفسه.

وعندما نبـدأ من الفرد (أ) بحـيث يكون (ب) أقرب الاختـيارات إلى (أ)، (جـ) أبعد الاختيارات عنه فإن محددات عملية الإدراك الاجتماعى تصبح كما يلى:

١ ـ البعد الحـقيقى أ / ب وهو دالة المسافة بين وصف الفـرد (أ) لنفسه ووصف الفرد (ب) لنفسه: (التشابه الحقيقى).

٢ ـ البعد الحقيقى أ / جـ وهو دالة المـسافة بين وصف الفرد (أ) لنفسه ووصف الفرد (جـ) لنفسه: (التشابه الحقيقى).

٣ ـ البـعد الوصفى أ / ب وهـو دالة المسافة بين وصـف الفرد (أ) لنفـسه وبين وصف الفرد (أ) للفرد (ب) (التشابه الوصفى).

٤ ـ البـعد الوصفى أ / جـ وهـو دالة المسافة بـين وصف الفرد (أ) لنفـسه وبين وصف الفرد (أ) للفرد (جـ) (التشابه الوصفى).

٥ ـ البعـد التراسلى أ / ب وهو دالة المســافة بين وصف الفـرد (أ) للفرد (ب) ووصف الفرد (ب) لنفسه (التراسل).

٦ ـ البعـد التراسلى أ / جـ وهو دالة المســافة بين وصف الفـرد (أ) للفرد (جـ) ووصف الفرد (جـ) لنفسه (التراسل).

٧ ـ البعد المقارن: وهو دالة المسافة بين وصف (أ) للفرد (ب) ووصف (أ) للفرد (جـ) (الفرق المقارن).

وعلى ذلك فإن عـملية الإدراك الاجتماعى ليـست عملية بسيطة الأبـعاد وليست عملية مـسطحة ولكنها عمليـة مركبة ذات بعد ثالث وأبسط تصـور لها هو ذلك الموقف الذى يتألف من أ، ب، جـ وتكون نقطة البداية عند (أ)، كما يمكن أيضا أن تكون نقطة البداية عند (ب) أو (جـ).

وواضح أيضا أنه ستكون هناك ٧ درجات هى:

درجة التشابه الحقيقى أ / ب   درجة التشابه الحقيقى أ / جـ.

درجة التشابه الوصفى أ / ب   ودرجة التشابه الوصفى أ / جـ.

ودرجة التراسل أ / ب　　　　　　ودرجة التراسل أ / جـ.

ودرجة البعد المقارن.

دقة الإدراك الاجتماعى:

تم اقتراح معامل لتحديد دقة الإدراك الاجتماعى (سعد عبد الرحمن ١٩٨٦) واستخدم فيما بعد فى دراسات عديدة (ثناء النجيحى ١٩٩١) حيث كان خلفية جيدة لمقارنة الأطفال بعضهم ببعض فى مجموعات عمرية متتابعة. ويأتى هذا المعامل بعد التأكد من صحة درجات الإدراك الاجتماعى.

وتعتمد فكرة هذا المعامل على المقارنة بين درجة البعد المقارن للفرد (أ) والبعد الحقيقى ب / جـ (أى الفرق بين وصف (ب) لنفسه ووصف (جـ) لنفسه. أى أن

معامل دقة الإدراك الاجتماعى للفرد (أ) =

$$= \frac{\text{البعد المقارن (أ)}}{\text{وصف (ب) لنفسه - وصف (جـ) لنفسه}} = \frac{\text{البعد المقارن (أ)}}{\text{البعد الحقيقى ب / جـ}}$$

فإن درجة الفرق المقارن تدل على قدرة الفرد (أ) على التمييز بين خصائص كل من الفردين (ب)، (جـ)، كما أن الفرق بين وصف كل من (ب) لنفسه، (جـ) لنفسه يعتبر بعدا يدل على الفرق بين صورة ذات كل منهما.

وعند حساب هذا المعامل واقتربت قيمته من الواحد الصحيح أى تساوى البسط والمقام دل ذلك على أن الفرد (أ) استطاع أن يصف (ب) وصفا يقترب من وصف الفرد (ب) لنفسه وكذلك بالنسبة للفرد (جـ) أو بمعنى آخر استطاع الفرد (أ) أن يكون دقيقا فى تحديد الفرق بين كل من (ب)، (جـ) كما يرى كل منهما نفسه.

وإذا زادت قيمة المعامل عن الواحد الصحيح أو قلت فإن ذلك يشير إلى قلة دقة درجة الإدراك الاجتماعى للفرد (أ).

حساب درجات الإدراك الاجتماعى:

تعتمد فكرة حساب درجات الإدراك الاجتماعى على أساس المقارنة واستخدام الفروق، وقد سبق أن أشرنا إلى سبعة أبعاد مختلفة وهذا يعنى أننا سوف نحسب سبع درجات اثنتان منهما: درجتا البعد الحقيقى عبارة عن تقدير لصورة الذات والخمس الباقية تحسب بطريقة الفروق التى سوف نوضحها فيما يلى:

وتعطى المثال التالى: (استفتاء قياس المسئولية الاجتماعية):

ضع علامة (✓) تحت الرقم الذى يناسب مدى موافقتك: الرقم (٤) يدل على الموافقة الكاملة، (صفر) يدل على الرفض العام المحتوى العبارة:

١ ـ أحب أن أكمل عملى إلى النهاية ١ ٢ ٣ ٤

٢ ـ أحب أن أحمل كل المسئولية دون معونة

٣ ـ لا أحب التعاون مع الآخرين

٤ ـ أشعر بالضيق إذا جلست بمفردى

٥ ـ أميل دائما إلى احترام القانون

٦ ـ أشعر برغبة دائمة فى العزلة

٧ ـ يمكننى أن أكسب ثقة الناس بسهولة

٨ ـ لابد من وجود حدود لحرية الفرد

٩ ـ أفضل العمل السهل دائما

١٠ ـ العمل الجماعى أكثر إنتاجا من العمل الفردى

وهنا يطلب من الفرد أن يصف نفسه على هذا المقياس المكون من (١٠) بنود ثم يطلب منه أن يصف الفرد الآخر (ب أو جـ) على نفس المقياس ولنفرض أن النتيجة كانت كما يلى:

درجة العبارة	وصف الفرد لنفسه (أ)	وصف الفرد لفرد آخر (ب أو جـ)
١	٤	٢
٢	٣	١
٣	١	٣
٤	٤	٣
٥	٣	صفر
٦	٢	٢
٧	١	٤
٨	٣	٢
٩	٣	٣
١٠	٤	١

بعـد الحصـول على هذه النتائج يـكون أمامنا ثلاث طرق لحـساب درجـة البعـد الوصفى أ / ب أو أ / جـ:

الطريقة الأولى: طريقة الفرق البسيط:

وتتلخص هذه الطريقة فى حـساب الفرق بين الدرجة المعطاة للعـبارة عند وصف الفرد لنفـسه والدرجـة المعطاة لنفس العبـارة عند وصف الفرد للفـرد الآخر. وذلك مع إهمـال الإشارة الجـبرية (+ أو -) عند إيجـاد هذا الفرق. وبذلك تكون درجـة البـعد الوصفى فى مـثالنا هذا هى (١٧) وهى مجمـوع الفروق البسيطة بين درجـتى العبارات بغض النظر عن اتجاه الفرق.

الطريقة الثانية: طريقة معامل الارتباط

وفى هذه الطريقة يحسب معامل التوافق المشـتق من كا٢ باعتبار أن هناك درجات فوق المتوسط ودرجات دون المتوسط حيث نجد أن كـا٢ = ٣,٤ تقريبا ومعامل التوافق = ٠,٥ وذلك فى مثالنا السـابق كما يمكن أيضا حسـاب معامل ارتباط الرتب (سبـيرمان) وذلك عن طريق ترتيب الدرجات فى الحالتين ثم حساب المعامل.

وهنا يدل معامل الارتباط (الرتب أو التوافق) على درجة البعد الوصفى وكلما زاد المعامل دل على زيادة أو قرب المسـافة بين الوصفين فى حين أنه فى حالة الفـرق البسيط يكون العكس صحيحا: أى كلما زاد الفرق قل البعد الوصفى أ / ب أو أ / جـ.

والطريقة الثالثة: طريقة الجذر التربيعى لمجموع مربع الفروق: $\sqrt{\text{مج ف}^2}$

وتعتبر هذه الطريقـة أفضل الطرق لحساب درجات الإدراك الاجتـماعى وأسلمها من الناحيـة الإحصائية ونحن نميل إلى اسـتخدامها دائمـا حيث أن فيدلر وكـرونباخ قد استخدما هذه الطريقة بعد مناقشة رياضيـة وإحصائية شاملة نوضح العيوب المحتملة فى الطريقتين السابقتين.

وسنلخص هذه الطريقة فى إيجاد الفرق بين درجات العبارات فى الحالتين (وصف الفرد لنفـسه ووصفـه لغيره) ثم تربيـع كل فرق ثم إيجاد الجـذر التربيعى لمجـموع هذه المربعات وذلك كما يلى:

العبارة	وصف الفرد لنفسه (أ)	وصف الفرد لغيره	الفرق	مربع الفرق
١	٤	٢	٢	٤
٢	٣	١	٢	٤
٣	١	٣	٢	٤
٤	٤	٣	١	١
٥	٣	صفر	٣	٩
٦	٢	٢	صفر	صفر
٧	١	٤	٣	٩
٨	٣	٢	١	١
٩	٣	٣	صفر	صفر
١٠	٤	١	٣	٩
				مج ٤١، $\sqrt{41}$ = ٦,٤

∴ درجة البعد الوصفى (التشابه الوصفى) = ٦,٤

ويجب أن نلاحظ أنه كلما زادت هذه الدرجة قل التشابه من حيث المعنى

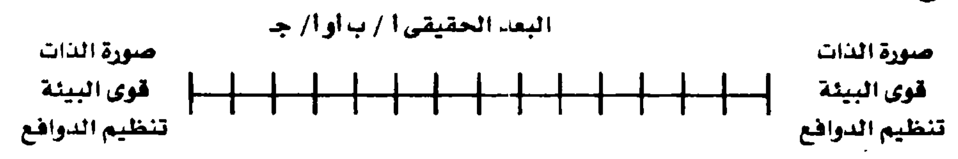
تفسير درجات الإدراك الاجتماعى:

من المناقشة السابقة أمكن لنا أن نكون مفهوما واضحا عن عملية الإدراك الاجتماعى فى إطار مجموعة الدراسة المتأخرة التى أجريت ومنها ظهرت هذه الأبعاد السبعة لهذه العملية وجاء الآن وقت تفسير هذه الدرجات المشتقة من هذه الأبعاد.

أ ـ تفسير درجات التشابه الحقيقى:

نحن دائما نفترض وجود ثلاثة أفراد فى الموقف الاجتماعى الذى تتم فيه عملية الإدراك: ونبدأ من الفرد (أ) وهو الذى يحدد أقرب الاختيارات إليه (ب) وأبعد الاختيارات عنه (جـ). ونعود ونقول إن درجة البعد الحقيقى ــ وهى الفرق بين صورتى الذات ــ إنما تدل على مدى التشابه الحقيقى بين الصورة التى يدركها (أ) عن نفسه وتلك الصورة التى يدركها (ب) عن نفسه، ولهذا فإنه كلما زادت هذه المسافة زادت الدرجة وكان الخلاف كبيرا بين كلا المدركين.

كما يمكن أن نقول إن درجات التشابه الحقيقى إنما تمثل بعدا نفسيا اجتماعيا يحكمه عند كلا طرفيه صورة الذات بما فيها من خصائص وسمات وقوى البنية وتنظيم الدوافع وطرق إشباعها أى أن:



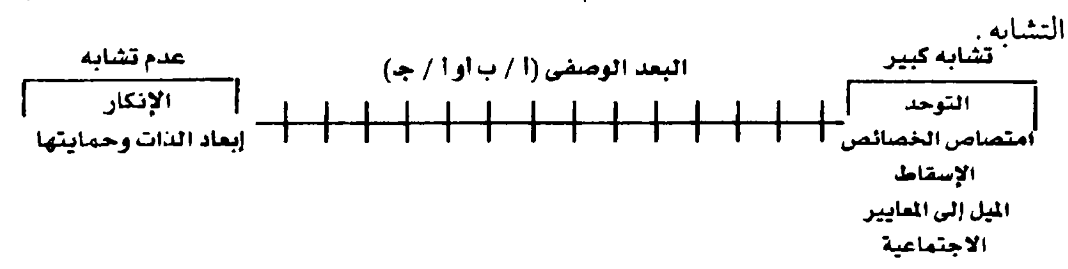
تفسير درجات التشابه الوصفى:

تدل درجة التشابه الوصفى على مدى تطابق فكرة الفرد عن نفسه وصورة ذاته مع فكرته عن أقرب الاختيارات إليه (أ / ب) أو مع فكرته عن أبعد الاختيارات عنه (أ / جـ).

وكلما قلت القيمة العددية لهذه الدرجة زاد التطابق بين الفكرتين فكرة (أ) عن نفسه وفكرة (أ) عن (ب) وزاد بذلك التشابه الوصفى بين الفردين والعكس صحيح.

ولو عدنا إلى ما سبق أن قلناه حول تأصيل معنى التشابه الوصفى حيث تعرضنا للتوحد والإسقاط والميل إلى المعايير الاجتماعية كأسباب محتملة لإنتاج هذا التشابه وكذلك لعملية الإنكار كسبب محتمل لعدم التشابه.

لو عدنا إلى ذلك لأمكن لنا أن نقول إن درجة التشابه الوصفى أ / ب أو أ / جـ إنما تدل على بعد نفسى اجتماعى من نوع خاص يحكم إحدى نهايتيه العمليات المحتملة التى تؤدى إلى ظهور التشابه بينما تحكم النهاية الأخرى العمليات التى تؤدى إلى عدم التشابه.



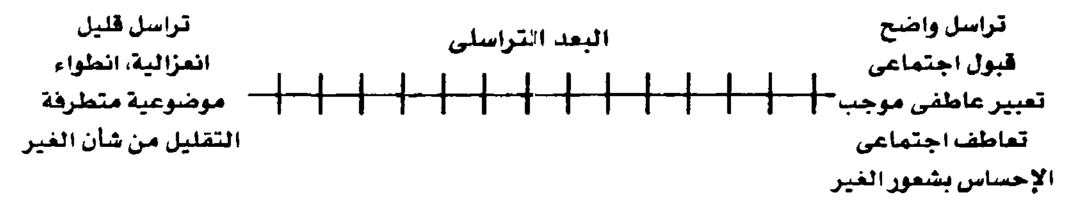
تفسير درجات التراسل:

التراسل Correspondence هو مدى تطابق وصف (أ) للفرد (ب) ووصف الفرد (ب) لنفسه وبمعنى آخر كلما قلت درجة التراسل هذه زاد التطابق بين هذين الوصفين.

هذا التطابق يؤدى ضمن عوامل أخرى إلى النجاح الاجتماعى من خلال التفاعل الإيجابى بين الأفراد ويبدو ذلك فى التنظيم السوسيومترى للجماعة.

وللتوضيح نقول إن درجة التراسل هذه تمثل نقطة على مقياس نفسى اجتماعى أو بمعنى آخر يصبح البعد التراسلى دالا على بعد نفسى اجتماعى يحكم إحدى نهايتيه القبول الاجتماعى Social acceptance والقدرة على التعبير العاطفى الموجب بينما تحكم النهاية الأخرى الانعزالية والانطواء وعدم الأمن والطمأنينة الاجتماعية. أو بصورة أخرى تكون النهاية الأولى للمقياس هى التعاطف الاجتماعى والإحساس بشعور الآخرين بينما تكون النهاية الأخرى هى التسلط والسيطرة الاجتماعية أو الموضوعية المتطرفة. وبذلك

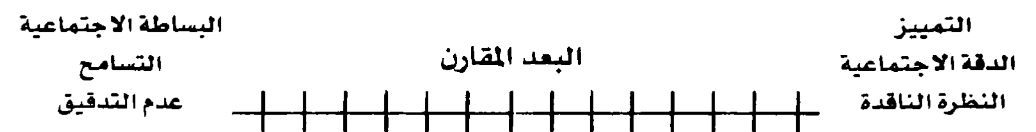
يكون البعد التراسلى كما يلى:



تفسير درجات الفرق المقارن:

تدل هذه الدرجات على قـدرة الفرد على التميـيز بين خصائص فردين مـختلفين يقعان فى متسعه النفسى الاجتماعى، وعليه فإن هذا البعد يمثل مسافة نفسـية اجتماعية تبدأ من التمييز والدقة الاجتماعية والنظرة النـاقدة وتنتهى بالبساطة الاجتماعية والتسامح وعدم التدقيق فى عملية الاختيار السوسيومترى.

ويمكن تمثيل هذا البعد كما يلى



وللتلخيص فإنه يمكن القول إن عمليـة الإدراك الاجتماعى تتألف من هذه الأبعاد السبعة: و التشابه الحقيقى أ / ب، أ / جـ. التشابه الوصفى أ / ب، أ / جـ، التراسل أ / ب، أ / جـ والفرق المقارن.

دليل الإدراك الاجتماعى Index of Social Perception:

فى كثير من دراسة ديناميات الجماعـات يدخل الإدراك الاجتماعى كمتغير خاص مع متغـيرات أخرى مثل إنتاجـية الجماعة أو البناء والتـنظيم السوسيومتـرى لها ويهدف الباحث إلى مقارنة جماعة بجماعـة أخرى، وهنا يمكن اقتراح معامل خاص يسمى دليل الإدراك الاجتمـاعى يمثل رقما مع الأرقام الأخرى التى تكون مـوضع الدراسة والتحليل الإحصائى.

ويعتـمد فكرة هذا المعـامل على حسـاب درجات الإدراك الاجـتماعـى ثم إيجاد العلاقة بين متوسط هذه الدرجات وبين عدد أفراد الجماعة وذلك من القانون التالى:

$$I.S.P = \frac{\text{مجـ (س - م)}^{2}}{\text{٧ (ن - ١)}}$$

حيث (س) هى مـجموع درجـات كل فرد (العمـود الرأسى)، (م) هى المتوسط العام (ن) عدد أفراد الجماعة.

ولنأخذ المثال التالى:

لنفرض أن عدد المجمـوعة = (١٠) وحسبت درجات الإدراك الاجتمـاعى السبعة لكل أفرادها وتحصل بذلك على الجدول التالى:

أبعاد الإدراك الأصلى	الأفــــراد									
	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
التشابه الحقيقى ١/ ب	٠	٠	١	٠	١	٤	١	١	٢	٣
التشابه الحقيقى ١/ جـ	٧	٤	٤	٥	٤	٢	٢	٦	٢	٣
التشابه الوصفى ١/ ب	٧	٤	٣	٣	٤	٢	١	٦	٢	٤
التشابه الوصفى ١/ جـ	٤	٣	٢	٢	٢	١	١	٥	٤	٢
التراسل ١/ ب	٢	١	١	٣	٣	٣	٢	٣	٣	٢
التراسل ١/ جـ	٣	٤	١	١	٢	٣	٤	٢	١	٢
الفرق المقارن	٤	٢	٢	١	٥	٢	١	١	٢	٥
	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-
س	٢٧	١٨	١٤	١٥	٢١	١٧	١٢	٢٤	١٦	٢١

س ٢٧ ١٨ ١٤ ١٥ ٢١ ١٧ ١٢ ٢٤ ١٦ ٢١

$$م = \frac{مج\ س}{ن} = ١٨,٥$$

$(س-م)^2$ $(٨,٥)^2$ $(,٥)^2$ $(٤,٥)^2$ $(٣,٥)^2$ $(٢,٥)^2$ $(١,٥)^2$ $(٦,٥)^2$ $(٥,٥)^2$ $(٢,٥)^2$ $(٢,٥)^2$

٧٢,٢٥ ,٢٥ ٢٠,٢٥ ١٢,٢٥ ٦,٢٥ ٢,٢٥ ٤٢,٢٥ ٣٠,٢٥ ٦,٢٥ ٦,٢٥

$مج\ (س - م)^2 = ١٩٨,٥$

وبتطبيق القانون السابق $ISP = \frac{١٩٨,٥}{٩ \times ٧} = ٣,١٥$

ويجب أن نشير هنا إلى أنه عند مقارنة الجماعات باستخدام هذا الدليل يجب أن نأخذ فى الاعتبار الطبيعة الرقمية لهذه الدرجات وتفسيرها كما سبق وأسلفنا.

عملية الإدراك الاجتماعى ومتغيرات أخرى

(١) الإدراك الاجتماعى وإنتاجية الجماعة:

إنتاجية الجماعة Group Productivity هى قدرة الجماعة ـ أى جماعة ـ بشرط أن تكون منظمة متمايزة التركيب على تحقيق الهدف من قيامها وتكوينها سواء كانت هذه الأهداف مادية أو اجتماعية.

وكما هو واضح فإن من السهل تقدير وقياس الإنتاجية المادية للجماعة فعلى سبيل المثال لو قامت جماعة وتكونت من أجل إنتاج نوع معين من الأقمشة فإنه يمكن القول بأن الجماعة عندما تنتج ألف متر من هذا القماش تكون أكثر إنتاجية من جماعة أخرى أنتجت خمسمائة متر من نفس هذا النوع من القماش.

ومعنى ذلك أن الإنتاج المادى يمكن قياسه وتحديد عناصره والعوامل المادية التى تؤثر فى هذا النوع من الإنتاجية.

ولكن هل يمكن لنا أن ننقل هذا القياس وهذه المقارنة إلى الإنتاجية الاجتماعية.

بداية نقول إن عملية قياس الإنتاجية الاجتماعية عملية يتدخل فيها مجموعة من العوامل مثل حجم المجموعة ونوعية التفاعل القائم بين أفرادها، ونسق القيم السائد فى هذه الجماعة وطبيعة شبكة العلاقات الاجتماعية بها ووجود جماعات خارجية ضاغطة. . . الخ.

كما نقول أيضا إننا فى حاجة إلى تعريف للإنتاجية الاجتماعية حتى نستطيع أن نستطرد فى المناقشة حولها كمفهوم من مفاهيم نمو الجماعة.

«الإنتاجية الاجتماعية هى درجة التغير فى القيم السائدة فى هذه الجماعة بناء على أداء وتوقعات أفراد الجماعة» وكذلك يمكن أن نضيف أنها أيضا درجة التغيير فى الأداء والتوقعات من حيث النوعية.

وبناء على هذا التعريف نرى أن أى تغيير فى عملية إدراك الفرد لبقية أعضاء الجماعة (إدراكا اجتماعيا) يُحدث تغييرا فيما يتوقعه هذا الفرد من الآخرين وبالتالى يحدث تغييرا فى القيم القائمة على هذا التوقع.

ولتوضيح ذلك نفرض أن جماعة مؤلفة من عدد من الأفراد يناقشون موضوعا أو قضية من القضايا فلو أن الفرد (أ) تغير إدراكه لبقية أفراد المجموعة بمعنى أن كان يدركهم

على أنهم موضوعيـون ولكن تغير هذا الإدراك إلى أنهم ذاتيون متحـاملون وبالتالى فهو أى الفرد (أ) لا يتوقع منهم الموضوعـية فى المناقشة والحكم ومن ثم تتغير قـيمة التعاون وتقدير الرأى المعارض وهى القيمة التى كانت قائمة على توقعه الأول من أفراد الجماعة.

وهناك عامل آخر يتـصل بإنتاجية الجماعـة ـ غير عامل مدى التغيـر فى توقعات الأفراد ـ وهو عامل تكامل الجماعة Group Integration ومعنى هذا التكامل كما نعرفه هو عبارة عن **مدى مقـاومة بناء الجماعة وتنظيمـها للضغوط الخارجـية التى تهدف إلى تحطيم هذا البناء وهذا التنظيم**.

وهناك كذلك عامل ثالث يتداخل مع العامل السابق ويتصل بإنتاجية الجماعة ذلك هو عامل **الروح المعنوية** ويمكن تعريفها على أنها درجة الطلاقة أو الحرية التى تتحرك بها الجماعة نحو أهدافها فى وجود العوائق والعوامل المعطلة لحركتها.

وواضح أن هذه العوامل الثلاثة إنما تعـتمد فى أصولها على عـملية تكوين الفرد لمدرك ذاته أو صـورة ذاته وإدراكـه لذوات الآخـرين، وعليـه تصـبح عـمليـة الإدراك الاجتماعى هى المتغير المستقل فى هذه المنظومة من المتغيرات.

أجرى دارلى ومارتن فى الخمسـينيات دراسة للتمييز بين إنتاجيـة الجماعة ونشاط الجماعة حيث وجدا أن معامل الارتباط بين معـدل نشاط الجماعة وإنتاجية الجماعة (فى بعض الجماعات) لا يزيـد عن ٢ , ٠ حيث كانت وحدات **نشاط الجماعة** هى وحدات التفـاعل العام خارج المواقف الإنتـاجية، وذلك مـثل الأنشطة الاجتماعـية والترويحـية المختلفة.

فى حين أن وحـدات **إنتاجيـة الجماعة** كانت هى وحـدات إنتاج الجمـاعات فى المعامل العلمية مثل معامل الكيمياء التطبيـقية والورش الهندسية والتى يحتاج العمل فيها إلى جماعات صغيرة بالإضافة إلى وحدات التكامل الاجتماعى الذى لاحظه الباحثان فى تفاعل الجماعة أثناء الموقف الإنتاجى.

ودراسة أخرى أجراها هورسـفول وأرنزبرج على مجموعة من العـمال فى مصنع من مصانع الأحذية.

وخرج الباحـثان من هذه الدراسة أنه لا توجد علاقـة بين كمية ومعـدل التفاعل الاجتماعى بين أعضاء الجماعات وبين الطاقة الإنتاجية لهذه الجماعات.

ولكن فى دراسة لاحقة قام بها هيمفيل أثـبت أن نشاط الجماعة وتفاعل أعضائها مع بعضهم البعض ممثلا فى اشتراكهم فى حل بعض المشاكل له علاقة موجبة بإنتاجيتها.

وفى دراسة أخرى قام بهـا لودج وآخرون وجد أن الطاقة الإنتاجية للمـجموعات الكبيرة تفوق نظيرتها فى المجموعات الصغيرة، وذلك فى معالجة المشاكل التجريدية، أما فى حالة مشكلات العمل والأداء فإن الجماعات الصغـيرة تتفوق على الجماعات الكبيرة وهذا تأكيد على علاقة حجم المجموعة بإنتاجيتها.

يؤكد ماريوت ٥٣، ٥٤، ١٩٦١ على أن إنتاجية بعـض الجماعات الصناعية تقل كلما زاد عدد العـمال، كما أن كفاءة الجمـاعة وإنتاجيتهـا لا تعتمد فقط على حـجمها ولكنها تعتمد كذلك على نوع وطبيعة المشكلة التى تواجهها الجماعة.

يقرر فرنس فى بعض دراساته المتأخرة ١٩٦١ أن هـناك تناسبا طرديا (موجبا) بين تنظيم الجماعات وطاقتها الإنتاجية سواء من الناحية المادية أو من الناحية الاجتماعية.

ويقول سـميث وهول بناء على مجـموعة من التـجارب التى قامـا بها ١٩٦٧ أن إنتاجيـة الجماعة تزيد كلما اتضح دور كل فـرد فيها نتيـجة لتمايز الأوضاع النسـبية بين الأفراد وتقل كلما كان تركيب الجماعة بسيطا.

وهذه الإشارة تحـمل فى ثناياها أن إنتاجيـة الجماعة دالـة مباشرة لعـملية الإدراك الاجتماعى حيث إن هذه العملية تقوم على وضوح دور كل فرد فى الجماعة (١٩٧١).

ويقترح بنبسكى وبافليك نظرية لتفسـير دوافع الإنتاج فى الجماعة على أساس أن كل أداء له بعدان رئيسان:

(١) بعد يعتمد على القيمة النظرية التى يهدف الأداء إلى تحقيقها.

(٢) بعد يعتمد على عملية الأداء من حيث المهارة والتطبيق.

يقـرر فيـدلر وكر ونبـاخ (١٩٧٢) أن هناك عـلاقة مـباشـرة بين عمليـة الإدراك الاجتماعى كمتغير مستقل وإنتاجية الجماعة كمتغير تابع.

ففى دراسات بدأت منذ ١٩٦٠ على بعض الفرق فى البـحرية الأمريكية وكذلك بعض النوادى الرياضية وخاصة نوادى كرة السلة أجاب فريق البحث على سؤالين:

أولهما: إلى أى مدى تختلف الجـماعات المنتجـة عن الجماعات غيـر المنتجة من حيث كونها جماعات نفسية؟.

وثانيهما: أى الخصائص الزعامية والمرقفية تساعد الجماعة لتكون جماعة منتجة؟.

ويعتقد فـيدلر وكرو نباخ أن إنتاجية الجمـاعة هى المحك الذى يمكن على أساسه قياس قـدرة القائد على توجيه أعـضاء الجماعـة. وبمعنى آخر لا يعتبر الزعـيم أو القائد ناجحا إذا عجزت جماعته عن تحقيق الهدف، من قيامها وتكوينها.

ووجد الباحثان أن قادة **الفرق المنتجة** يجب أن يتميزوا بالخصائص التالية:

(١) المكانة السوسيومترية العالية التى تجعل القائد دائما فى بؤرة اهتمام واختيارات أفراد الجماعة وهدفا شعوريا لهم أثناء تفاعلهم مع بعضهم البعض.

(٢) القدرة على الاحتفاظ ببعد نفسى اجتماعى مناسب بين الذات وبين المعاونين حتى يضمن القائد استمرار انتقال التعليمات من مستوى إلى مستوى آخر وحتى يمكنه أن يغير فى الأوضاع النسبية للمعاونين كلما دعت ظروف التفاعل الاجتماعى داخل الجماعة.

(٣) القدرة الواضحة على تقدير الفرق بين سمات شخصية أقرب المعاونين إليهم وأبعد المعاونين عنهم.

كما وجد الباحثان أن عملية الإدراك الاجتماعى فى الجماعات المنتجة تختلف عنها فى الجماعات غير المنتجة حيث افترض الباحثان أنه يمكن قياس عملية الإدراك الاجتماعى عن طريقين هما:

١ ـ درجات المكانة السوسيومترية.

٢ ـ درجات التشابه المفترض بين الأفراد.

والحقيقة أن هذين البعدين لا يمثلان كل عملية الإدراك الاجتماعى وهذا نقد يمكن أن يوجه إلى هذه الدراسات الرائدة فى مجال الإنتاجية الاجتماعية.

وهنا نستعرض إحدى الدراسات التى أجريت فى إطار نظرية الإدراك الاجتماعى التى سبق الإشارة إليها وتحدثنا فيها عن الأبعاد السبعة لهذه العملية [1]:

أجريت هذه الدراسة فى أحد معسكرات العمل فى الفترة ما بين ١٩٦٤ - ١٩٦٦ وكان الهدف منها هو إيجاد العلاقة بين أبعاد عملية الإدراك الاجتماعى وبين إنتاجية الجماعات الصغيرة.

وكانت الأعمال الرئيسية التى يقوم بها أفراد المعسكر هى أعمال الرى وغرس الأشجار والزراعة ورصف وتعبيد الطرق، وكما هو واضح من وصف هذه الأعمال فإنها جميعا تحتاج إلى روح الفريق وجهد التعاون بين أعضاء جماعات صغيرة نسبيا لا يزيد حجمها عن سبعة أفراد.

---

(١) سعد عبد الرحمن: الإدراك الاجتماعى وإنتاجه الجماعات الصغيرة ١٩٦٩ م.

وكانت عينة الدراسة ٣٣ مجموعة تتألف كل مجموعة من ٧ أفراد فى المتوسط بالإضافة إلى رائد سبق تدريبه على كثير من المهارات الاجتماعية وخاصة مهارة القيادة والتعاون والتوجيه.

وكان جميع أفراد الجماعة يقضون كل الوقت متلازمين سواء فى العمل اليومى أو فى النوم فى خيام المعسكر، وبذلك يمكن القول بأن عملية التفاعل الاجتماعى المباشر بين أعضاء الجماعة كانت تتم وتستمر بدرجة كافية تسمح بقياسها وتقديرها من الناحية السوسيومترية.

وللتلخيص فإن النشاط اليومى لكل جماعة من هذه الجماعات الثلاثة والثلاثين يتألف من ثلاثة أنواع من المواقف يمكن على أساسها تقدير إنتاجية كل جماعة، وهذه **الأنواع الثلاثة هى:**

١ ــ مواقف العمل والأداء وتشمل النشاط الفعلى فى ميادين العمل مثل غرس الأشجار والشتلات والرى وتعبيد الطرق، وفى هذا النوع من المواقف يمكن استخدام عدد الوحدات العملية كمؤشر ودليل للإنتاجية المادية للجماعة (عدد الأشجار . . .).

٢ ــ مواقف التفاعل الحر التى تشمل تفاعل الأفراد أثناء فترات الرياضة: المباريات الودية، وفترة الراحة وحفلات السمر.

وهذا النوع من المواقف يعتبر حجر الزاوية فى بناء التنظيم السوسيومترى للجماعة

٣ ــ مواقف الحوار والمناقشة وهذه تتمثل فى الحلقات الدراسية التى كانت تعقد لمناقشة بعض المشكلات الاجتماعية وتعقدها كل جماعة على حدة وهذه الحلقات يمكن أن تكون أساسا لحساب إنتاجية الجماعة من الناحية الاجتماعية.

هذا وقد اعتبر الإنتاج فى كل جماعة مكونا من نوعيز هما:

(أ) الإنتاج المادى ويقدر بعدد الوحدات التى تم إنجازها مثل عدد الأشجار أو مسافات تعبيد الطرق. . . الخ.

(ب) الإنتاج الاجتماعى وهو حصيلة التفوق فى التحليل اليومى لمحتوى تفاعل المجموعة أو بمعنى آخر مقدار التغير اليومى فى قيم التفاعل.

وبناء على ما سبق تم تقسيم المجموعات كلها إلى ثلاثة أنواع:

١ ـ مجموعات فائقة الإنتاج.

٢ ـ مجموعات متوسطة الإنتاج.

٣ ـ مجموعات دون المتوسط فى الإنتاج.

وقد توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

١ ـ عند مقارنة الجماعات فائقة الإنتاج بالجماعات دون المتوسط إنتاجيا وجد أن عدد الروابط السوسيومترية المزدوجة والأفراد الذين لم يوجه لهم أى اختيار والأفراد المنعزلين يرتبط بقلة الإنتاج فى حين أن العلاقات المتسلسلة والمركزية وكثافة الاختيار السوسيومترى ترتبط بالمعدل الأعلى للإنتاج.

٢ ـ فى حالة الجماعات فائقة الإنتاج نجد أن عدد مراكز الاختيار الاجتماعى (الزعامات السوسيومترية) وكذلك مراكز الرفض السوسيومترى أقل بصورة واضحة عن نظيرتها فى الجماعات قليلة الإنتاج، ويمكن تعليل ذلك بأن التفاعل الناجح يقود إلى زعامة يتفق عليها بقية أفراد الجماعة والعكس فى حالة التفاعل الفاشل الذى يؤدى إلى زعامات كثيرة متنازعة أو زعامات ضعيفة متناثرة.

٣ ـ فى الجماعات فائقة الإنتاج تقل المسافة بين صورة الذات عند الفرد وبين فكرته عن أقرب معاونيه إذا قورنت بنفس المسافة فى حالة الجماعات قليلة الإنتاج، وكذلك يكون متوسط درجات التشابه الوصفى أ / جـ (بين الفرد وأبعد المعاونين عنه) فى حالة الجماعات فائقة الإنتاج أعلى بصورة إحصائية واضحة عن المتوسط المناظر فى حالة الجماعات قليلة الإنتاج.

٤ ـ فى حالة الجماعات فائقة الإنتاج يكون متوسط درجات الفرق المقارن أعلى بصورة إحصائية واضحة عن المتوسط المناظر فى حالة الجماعات قليلة الإنتاج.

٥ ـ فى الجماعات فائقة الإنتاج يكون متوسط درجات التراسل **أقل** بصورة إحصائية واضحة عن المتوسط المقابل فى حالة الجماعات قليلة الإنتاج.

٦ ـ الحالة المثلى للإدراك الاجتماعى التى ترتبط بأعلى درجات الإنتاجية الاجتماعية يمكن وصفها كما يلى:

ـ درجة التشابه الحقيقى أ / ب تقترب من درجة التشابه الوصفى أ / ب يقترب من درجة التراسل ب / أ.

ـ تكون درجة الفرق المقارن أعلى ما يمكن.

ـ تكون درجة التراسل بين أ، ب **أقل ما يمكن** بمعنى أن التراسل أو التطابق هو أعلى ما يمكن.

وللتلخيص فقد أمكن تحقيق ما يلى:

١ ـ التنظيم السوسيومترى الأمثل يميز الجماعات فائقة الإنتاج.

٢ ـ المركزية فى البناء السوسيومترى تساعد على رفع إنتاجية الجماعة.

٣ ـ كثافة الاشتراك السوسيومترى تساعد على رفع إنتاجية الجماعة.

٤ ـ هناك علاقة موجبة بين التراسل والإنتاجية.

٥ ـ هناك تناسب طردى بين درجات الفرق المقارن والإنتاجية.

٦ ـ هناك حالة مثلى لدرجات الإدراك الاجتماعى تبلغ إنتاجية الجماعة عندها أقصى حالاتها.

(٢) الإدراك الاجتماعى وصورة الذات (ووصف الذات):

ما نقصده بوصف الذات هنا أو وصف صورة الذات هو وصف الفرد لنفسه وصفا موضوعيا ما أمكن ذلك لأن هناك عامل الميل إلى المعايير الاجتماعية (إدوادز) So-cial Desirability الذى يؤثر على وصف الإنسان لنفسه.

أما الإدراك الاجتماعى كما سبق وصفه فهو عملية مؤلفة من سبعة أبعاد منها الحقيقى والوصفى والتراسلى والفرق المقارن.

هناك دراستان رائدتان فى هذا المجال تم أجراؤها بين ١٩٦٣، ١٩٦٧، ١٩٧٥ ويمكن تلخيصهما كما يلى [١]:

تم إجراء اختبار سوسيومترى على المجموعات المطلوب دراستها حيث يطلب من المفحوص أن يعين أفضل الأفراد الذى يحب أن يتعامل معه، كما يطلب منه أيضا أن يعين الفرد الذى لا يجب أن يتعامل معه ثم طبق اختبار فى الشخصية يقيس أربعة أبعاد هى الميل إلى التسلط والسيطرة، الثبات الانفعالى، القدرة على تحمل المسئولية والقدرة الاجتماعية، وذلك على نفس المجموعات التى طبق عليها الاختبار السوسيومترى.

بعد ذلك حسبت درجة الفرد (الحقيقية) فى كل بعد من هذه الأبعاد الأربعة وهذه الدرجة عبارة عن الدرجة التى يعطيها الاختبار مباشرة. ثم كانت الخطوة التالية هى حساب درجات الإدراك الاجتماعى الخمسة (الوصفى أ / ب، أ / جـ، التراسلى أ / جـ، الفرق المقارن) بالنسبة لكل بعد من أبعاد الشخصية الأربعة.

ويصبح بذلك أمامنا مجموعة الدرجات التى تقيس صورة الذات وهى الدرجات التى يعطيها الاختبار مباشرة ودرجات الإدراك الاجتماعى التى حسبت بطريقة الجذر

---

(١) سعد عبد الرحمن الإدراك الاجتماعى والبناء السوسيومترى للجماعات.

التربيعى لمجموع مربع الفروق ثم حسبت معاملات الارتباطات بين هاتين المجموعتين من الدرجات وكانت النتائج كما يلى:

١ ــ كلما زاد أو ارتفع مـفهوم الذات عند الـفرد زاد التشابـه الوصفى بينه وبين وصفه لذات أقرب المعاونين إليه. (معاملات الارتباط دالة عند مستوى ١ ٠, ٠).

٢ ــ الأفراد الذين لديهم فكرة عـالية أو رفيـعه عن صورة ذواتهم يصفـون أبعد المعاونين عنهم أقل شبها بهم. (معاملات الارتباط دالة عن ٠٥ ,٠ ، ٠١ ,٠).

٣ ــ الترابـط بين درجات التراسل وصـورة الذات ترابط (موجب) أى أن ارتفاع صورة الذات يؤدى إلى تراسل **أقل** وبذلك نقول إن الفرد الذى يحمل صورة عالية لذاته أقل قدرة على وصـف أقرب معـاونيه كمـا يصف هذا المعاون نفـسه والعكس صـحيح بالنسبة للفرد الذى **لا** يحمل هذه الصورة الرفيعه لذاته.

٤ ــ هناك ارتباط إيجابى بين صورة الذات وبين القدرة على التفرقة بين خصائص وسمات أقرب المعاونين إلى الفرد وأبعدهم عنه.

(٣) عملية الإدراك الاجتماعى وبعض المتغيرات السوسيومترية:

كانـت الدراسات فى مـجال العـلاقة بين عـملية الإدراك الاجـتمـاعى والبناء السوسيـومترى للجماعات قـليلة نوعا، ولكن كانت هناك مجمـوعة من الدرسات التى أجريت فى بيـئات عربية وأجنبـية محتلـفة أوضحت مجـموعة من النتائج ذات أهمـية خاصة:

متغير المكانة السوسيومترية:

أ- البعد الوصفى أ / ب والمكان السوسيومترية:

تمت مقارنة ثلاثة مكانات سـوسيومترية مخـتلفة هى الزعامات السوسيـومترية أو بؤرة الاختيار السوسيومترى، واللامشتركون فى التنظيم السوسيومترى أى لم يوجه إليهم أى اختيار والمرفوضون أو بؤرة الرفض السوسيومترى، بعد المقارنة حصلنا على:

ــ هناك فرق ذو دلالة إحصائية (٠١ , ٠) بين درجات الـتشابه الوصفى للزعامات السوسيومترية، ودرجات بؤرة الرفض السوسيـومترى حيث كان متوسط درجات التشابه الوصـفـى للأفـراد الذين يمثلـون بؤرة الرفض **أقل** بكثـيـر من درجـات الزعـامـات السوسيـومترية، وهذا يعنى أن الشخص المرفـوض سوسيومتـريا يميل إلى وصف أقرب معـاونيـه كأقـرب ما يكون شـبهـا بذاته وذلك أكثـر من ميل الفـرد الذى يمثل زعـامة سوسيومترية.

ب ـ البعد الوصفى أ / جـ والمكانة السوسيومترية:

عند مقارنة متوسط درجات الأفراد الذين يمثلون بؤرة الاختيار (الزعامات السوسيومترية) بمتوسط درجات الأفراد الذين يمثلون عدم الاشتراك السوسيومترى أو أفراد بؤرة الرفض نجد دائما أن متوسط درجات أفراد بؤرة الاختيار أعلى بصورة ذات دلالة إحصائية (٠,٠١) من متوسط النوعين الآخرين ومعنى هذا أن الفرد الذى يمثل بؤرة الاختيار السوسيومترى لا يميل إلى وصف أبعد معاونيه بسمات أو صفات تقترب من صورة ذاته بينما العكس قد يكون صحيحا فى الحالتين الأخريين.

جـ ـ البعد التراسلى أ / ب والمكانة السوسيومترية:

أشارت النتائج فى هذه الحالة إلى أن الأفراد الذين يمثلون بؤرة الاختيار السوسيومترى يصفون أقرب معاونيهم بطريقة تقترب من تلك التى يحب هؤلاء الآخرون وصف أنفسهم بها، وذلك عند مقارنتهم بالأفراد غير المشتركين فى التنظيم السوسيومترى أو هؤلاء الذين يمثلون بؤرة الرفض.

د ـ البعد التراسلى أ / جـ والمكانة السوسيومترية:

لم تكتمل الصورة فى هذه الفقرة والنتائج لم تشر إلى شىء ما. وهذه نقطة تحتاج إلى دراسات أخرى لتوضيحها.

هـ ـ الفرق المقارن والمكانة السوسيومترية:

وقد أشارت النتائج هنا إلى أن الأفراد الذين يمثلون بؤرة الرفض وكذلك الذين لم يوجه إليهم أى اختيار هم **أقدر** على التمييز بين أقرب المعاونين وأبعدهم.

متغير الروابط السوسيومترية:

أ ـ التشابه الوصفى والروابط السوسيومترية:

يجب أن يكون واضحا أن المقارنة هنا سوف تعقد بين (كم) الرابطة السوسيومترية وليس (نوع) هذه الرابطة. لذلك سوف نقارن بين الرابطة المزدوجة التى تدل على الاختيار المتبادل، بين الرابطة المزدوجة التى تدل على الرفض المتبادل أى بين خ ⇄ خ، ر ⇄ ر. وذلك من ناحية (كم) درجات التشابه الوصفى كبعد من أبعاد عملية الإدراك الاجتماعى.

لذلك سوف نقارن بين درجات التشابه الوصفى أ / ب بدرجات التشابه الوصفى أ / جـ من أجل الإجابة على هذا السؤال أيهما أقوى؛ رابطة الاختيار أم رابطة الرفض؟.

عند المقارنة حصلنا على النتائج التالية: متوسط الفرق

درجة التشابه الوصفى أ / ب(خ ⇄ خ) ٣,٤

درجة التشابه الوصفى أ / جـ (ر ⇄ ر) ٢,١

ت = ٢,٢١ دالة عن مستوى ٠,٠٥

من هنا ترى أن متوسط الفرق فى رابطة الاختيار أكبر صورة دالة إحصائيا من متوسط الفرق فى رابطة الرفض، وبمعنى آخر نقول إن رابطة الرفض **أقوى** من الناحية الكمية من رابطة الاختيار وذلك أن أخذنا فى حسابنا طبيعة درجات التشابه الوصفى.

ولهذا فإننا نلاحظ أن رابطة الاختيار قابلة للتغير أسرع من رابطة الرفض.

ب ـ درجات التراسل والرابطة السوسيومترية:

تمت المقارنة كما سبق وكانت النتائج كما يلى:

م

التراسل أ / ب (خ ⇄ خ) ١,٩

التراسل أ / جـ (ر ⇄ ر) ٣,٥

ت = ٢,١٧ دالة مستوى ٠,٠٥

يتضح أن فى رابطة الاختيار المتبادل يكون التراسل بين الرفيقين أكبر (لاحظ طبيعة الدرجات) بصورة دالة إحصائيا من التراسل الموجود بين الشريكين فى رابطة الرفض.

جـ ـ درجات الفرق المقارن والرابطة السوسيومترية:

كانت نتيجة المقارنة كما يلى:

م

الفرق المقارن (خ ⇄ خ) ١,٣

الفرق المقارن (ر ⇄ ر) ٣,٢

ت = ٢,٨٤ دالة إحصائيا عند ٠,٠١

ومن هنا نستدل على أن الاتفاق بين الرفيقين فى رابطة الاختيار على التمييز بين خصائص وسمات أقرب وأبعد المعاونين **أكثر** من الاتفاق بين الشريكين فى رابطة الرفض.

المــــراجع

المراجع الأجنبية:

1 - Abdel Rahman, S, Personality traits and Sociometic Choices, Ph. D Th. London Univ. 1963.

2 - - Abdel Rahman, S, Group Socioometic Structure. J. mod. Educ. 1970.

3 - Abdel Rahman, S, the Sociometic Correlates of Social Perception Scores, 1972. Jn of Hum. Studies.

4 - Toch H, Smith R, Social Perception 1986. Van Nostrand.

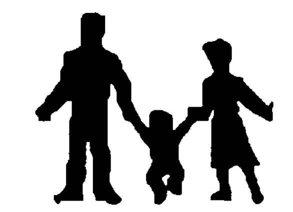
المراجع العربية:

٥ ـ سعـد عبـد الرحمن: أسس القـياس النفـسى الاجتـماعى القاهـرة الجديدة ١٩٦٧.

٦ ـ سعد عبد الرحمن: خطائص الشخصية وأبعاد الإدراك الاجتماعى ١٩٦٦.

٧ ـ سعد عبد الرحمن: الإدراك الاجتماعى وإنتاجية الجماعات الصغيرة صحيفة التربية ١٩٦٧.

٨ ـ سعد عبد الرحمن: السلوك الإنسانى تحليل وقياس المتغيرات طـ ٣ ١٩٨٣.



الفصل الثامن

الاتجاهات النفسية

- معنى الاتجاه النفسى . مكونات الاتجاه النفسى.
- طبيعة الاتجاه النفسى . الاتجاه النفسى والعقيدة.
- الاتجاه النفسى والرأى . الاتجاه النفسى والقيمة.
- أنواع الاتجاهات النفسية . تفسير الاتجاهات النفسية
- تغيير الاتجاهات النفسية . قياس الاتجاهات النفسية.
- وجهة نظر أخرى فى قياس الاتجاهات.

لم ينل موضوع من موضوعات علم النفس الاجتماعى ذلك الاهتمام والدراسة والبحث الذى ناله موضوع الاتجاهات النفسية لدرجة أن كثيرا من المشتغلين فى ميدان علم النفس رأوا أن المحور الأساسى لعلم النفسى الاجتماعى هو الاتجاهات النفسية.

وبذلك كان ــ وما زال ــ الاتجاه النفسى مجالا خصبا للدراسات والبحوث على جميع المستويات ذلك لأن هذا الموضوع له من الأهمية التطبيقية ماله من الأهمية الأكاديمية البحتة.

وعند النظر إلى سلوك الفرد فى محاولة للدراسة والتحليل فإننا نجد العلاقة الصريحة بين اتجاهات الفرد نحو الأحداث التى تكون عناصر البيئة وبين سلوكه فى أى موقف من المواقف التى يتعرض لها فى حياته اليومية، بل لنذهب أبعد من هذا ونقول إنه عند قياس شخصية الفرد مستخدمين فى ذلك أى أداة من أدوات القياس لتقدير سمة الثبات الانفعالى أو التسلط والسيطرة على سبيل المثال فإننا فى الحقيقة نقيس اتجاه الفرد نحو المواقف التى تتضمنها أداة القياس والتى تمثل سمة الثبات الانفعالى أو السيطرة. وهناك وجهة نظر أخرى تزعم بأن الاتجاه النفسى هو الدافعية وهو القيمة إذ أنه المحرك الأصلى للإنسان نحو الهدف أو الغرض وكذلك تزعم وجهة النظر هذه بأن الاتجاه النفسى هو المحك الذى يستخدمه الفرد فى الحكم على مفردات تفاعله مع الآخرين.

ولكن لنا تعليق على وجهة النظر هذه وهى أن هناك بناء على الدراسات الحديثة فى العلوم السلوكية ــ إمكانية أكبر لوضع حدود فاصلة بين الاتجاهات والدوافع والقيم وبقية المتغيرات الأخرى.

وهناك وجهة نظر أخرى ترى أن الاتجاه النفسى هو الأساس الحركى للجماعات إذ بدونه لا يمكن أن تحدث عمليات الاتصال والتواصل بين الأفراد لتكوين جماعات أو بين الجماعات لإحداث نسق القيم والمعايير والنماذج الثقافية المختلفة.

ووجهة النظر هذه فيها الكثير من الإيجابية والوضوح والتوافق مع متطلبات معنى الاتجاه النفسى كما ستعرض له فى الفقرات التالية:

معنى الاتجاه النفسى:

بداية نقول إن الاتجاه النفسى تركيب عقلى نفسى أحدثته الخبرة الحادة المتكررة، وهو تركيب يتميز بالثبات والاستقرار النسبى ويوجه سلوك الأفراد قريبا من أو بعيدا عن

عنصر من عناصر البيئة، ومن أمثلة الاتجاه النفسى حب شعب لشعب آخر أو كراهية شعب لشعب أو حب فرد لجماعة ما أو كراهيته لجماعة أخرى وهكذا.

بهذا المعنى يصبح الاتجاه النفسى حالة عقلية نفسية لها مقومات وخصائص تميزها عن الحالات العقلية والنفسية الأخرى التى يمر بها الفرد أثناء تفاعله مع أعضاء الجماعة التى ينتمى إليها.

وهذه الحالة هى حالة (مع) أو (ضد)، حالة حب أو كراهية.

يقول ثرستون « أن الاتجاه النفسى هو تعميم لاستجابات الفرد تعميما يدفع بسلوكه بعيدا أو قريبا من مدرك معين».

وهنا نجد أن ثرستون أكد أولوية الدافعية على الاتجاهات، أو بمعنى آخر أصبحت الاتجاهات حصيلة التعميم الموجب أو السالب لاستجابات الفرد، وهى التى تتحكم فيها إلى حد كبير قوى الدافعية بدرجاتها المختلفة.

ثم نجد أيضا أن الاتجاه النفسى من وجهة نظر بوجاردس هو محصلة ضغوط البيئة الاجتماعية والمادية والبشرية على الفرد وذلك من خلال المعايير والعادات والتقاليد التى تمثل هذه القوى وهذه الضغوط.

ثم يصف ألبورت الاتجاه النفسى بأنه حالة من التهيؤ والتأهب العقلى العصبى التى تنظمها الخبرة وتوجه استجابات الفرد نحو عناصر البيئة.

وواضح أيضا أن حالة التأهب هذه قد تكون قصيرة المدى أى لحظية أو قد تكون بعيدة المدى أى تستمر لزمن طويل.

ويرى نيوكمب أن مفهوم الاتجاه النفسى يبنى على عنصرين هما:

أ ـ الاتجاه النفسى يمثل (قنطرة إدراكية) بين الحالة النفسية للفرد وبين سلوكه وتفاعله مع عناصر البيئة.

ب ـ يمكن التعرف على ماهية الاتجاه النفسى للفرد من خلال أنماط سلوكه وردود أفعاله.

ويفرق نيوكمب بين الاتجاهات النفسية والدوافع فيقول أنه يمكن ملاحظة أثر الدوافع فى الحالات التى ينشط فيها الفرد ويسعى إلى إشباع حاجاته، بينما يمكن ملاحظة أثر الاتجاهات فى حالات النشاط السلوكية وفى الحالات الأخرى التى لا يكون الفرد فى حالة نشاط ساعيا إلى هدف ما وبمعنى آخر الدافعية تتعلق بنشاط الفرد ومرتبطة به بينما الاتجاه له صفة الاستمرارية.

كما أن الاتجاهات أكثـر شمولا وعمومية من الدوافع حيـث إن هذه الأخيرة أكثر تخصصا ونوعية.

وهناك إشارة يجب أن تؤخذ فى الاعتبار وهـى أن الدوافع التى لها صفة الشمول يكون من الصعب تمييزها عن الاتجاهات.

ولنا تعليق أخـير فنقول إن الاتجـاهات حصيلة تأثر الفـرد بالمثيـرات العديدة التى ينجم عن اتصاله بأنماط ونماذج الثـقافة السائدة والتراث الحضـارى الموروث عن الأجيال السابقة وبهـذا تخلص إلى أن الاتجاهات مكتسبة وليـست موروثة، وإذا كان هناك شىء من (الوراثة) فهو عملية التلقين والتعلم الاجتماعى التى يمارسها الآباء مع أبنائهم.

ومما يؤكد هـذا الزعم التجربة التـى أجراها (كو) فى الثلث الأول مـن هذا القرن ١٩٣٠ حيث عالجت موضوع الوراثة والاكتساب فى الاتجاهات النفسية.

وقد أخذ (كو) فى تجربته التطرف الواضح فـى الرمز الأبدى (للاتجاهات النفسية) بين القط والفأر وهى التى يشار إليها كمثل ذى دلالة فى اتجاهات الكراهية.

استخـدم الباحث فى تجربته (٦٠) قطة صغـيرة حديثة الولادة حيث قسـمها إلى مجموعتين كل مجموعة (٣٠) قطة.

المجمـوعة الأولى: أطعـمت منذ البـداية اللحـم واللبن والسـمك المخلوط بالأرز وربيت على هذا النوع من الطعام.

والمجموعة الثانية: عاشت نبـاتية أى أطعمت اللبن والخضـراوات منذ البداية ولـم تتذوق اللحم أو السمك على الإطلاق.

ثم ثم عاد (كو) وقسم القطط جميعـها إلى ثلاثة أقسام فى كل قسم عشرون قطة صغيرة منها عشر أكلة لحوم وعشر نباتية وربى الأقسام الثلاثة تحت ظروف مختلفة.

(أ) القسم الأول: عاش منعزلا تماما عن الفئران والقطط الأخرى.

(ب) القسم الثانى: عاش مع أمهاتهن لتراها وهى تفترس الفئران.

(جـ) القسم الثالث: عاش بعد الولادة بأسبوع مع الفئران فى قفص واحد دون أن نرى أى قطط أخرى.

وبعد فترة زمنية كـافية قام الباحث باختبار العلاقة بين القط والفـأر ولخصها كما يلى:

(أ) فى حالة الانعزالية الكاملة ٤٥٪ تقتل الفئران.

(ب) فى حالة الحياة الطبيعية مع الأم ٨٦ ٪ تقتل الفئران.

(جـ) عاشت مع الفئران ١٧٪ تقتل الفئران.

ورغم ما فى هذه التجـربة من طرافة علمية فـإن ظلال الشك تدور حولها إذ أن السؤال القـائم هل للقطط اتجاه نفسى!!! أم أن هذا السلوك سلوك (فطرى)... ولكن فى جميع الحالات تؤكد هذه التجربة أن التعلم الاجـتماعى والتقليد والمحاكاة والتدريب المسبق جميعها تؤدى إلى تكوين ما نسميه بالاتجاه النفسى عند الكائن الحى.

مكونات الاتجاه النفسى:

نقول إن الاتجاه النفسى يتكون من أربعة عناصر أساسية تتفاعل مع بعضها البعض لتعطى الشكل العام للاتجاه النفسى، ونحن نفترض وجود هذه العناصر من أجل توضيح مكونات الاتجاه وخـاصة عند مـحاولة قيـاسه وتقديره كـما أنها ـ أى هـذه العناصر ـ توضح أيضا الفرق بين الاتجاه النفسى وبين متغـيرات أخرى مثل العقيدة والرأى وما إلى ذلك وسوف نشير إلى هذه المكونات فيما يلى:

١ ـ المكون الإدراكى Perceptual Component:

وهو عبارة عن مجموعة المثيرات التى تساعد الفرد على إدراك الموقف الاجتماعى أو بمعنى آخر الصيغة الإدراكية التى يحدد الفرد رد فعله فى هذا الموقف أو ذاك.

وقد يكون الإدراك حسيا عندمـا تتكون الاتجاهات نحو الماديات أو ما هو ملموس (مثل رائحة طعام ما) وقد يكون الإدراك اجتماعيا ـ وهو الصيغة الغالبة ـ عندما تتكون الاتجاهات نحو المثيرات الاجتماعية والأمور المعنوية الأخرى (مثل إدراك الفرد الآخر فى موقف صـداقة أو غـير ذلك) ولذلك وبناء على مـفاهيم الإدراك الاجـتماعـى تتداخل مجموعة كـبيرة من المتغيرات فى هذا المكون الإدراكى مثل صـورة الذات ومفهوم الفرد عن الآخرين وأبعاد التشابه والتطابق والتمييز.

والمكون الإدراكى بهـذه الـصـورة من أهم مكونات الاتجـاه النفـسى إذ أنه يمثل الأساس العام لبقية المكونات.

٢ ـ المكون المعرفى Cognitive Comp.:

وهو عبارة عن مجموعة المعلومات والخبرات والمعارف التى تتصل بموضوع الاتجاه والتى انتقلت إلى الفرد عن طريق التلقين أو عن طريق الممارسة المباشرة، ذلك بالإضافة إلى رصيد المعـتقدات والتوقعات. وعلى ذلك فـإن قنوات التواصل الثقافيـة والحضارية

تكون مصدرا رئيسيا فى تحديد هذا المكون المعـرفى بجانب مصدر هام آخر هو مؤسسات التربية والتنشئـة التى يتعرض من خلالها الفرد للخبرات المبـاشرة (ومثال ذلك المعلومات التى يتلقاها الفرد عن خصائص شعب من الشعوب).

٣ ـ المكون الانفعالى Emotional Comp:

المكون الانفعالى للاتجاه النفسى هو الصفة المميزة له والتى تفرق بينه وبين الرأى. إذ أن شحنة الانفعال المصاحبة للاتجاه هى ذلك اللون الذى بناء على عمقه ودرجة كثافته يتميز الاتجـاه القوى عن الاتجاه الضعيف كمـا يتميز الاتجاه عمومـا عن المفاهيم الأخرى مثل الرأى والعقيدة والميل والاهتمام.

٤ ـ المكون السلوكى Behavioural Comp:

وهو عبارة عن مجموعة التعبيـرات والاستجابات الواضحة التى يقدمها الفرد فى موقف ما بعد إدراكه ومعرفته وانفعاله فى هذا الموقف. إذ عندما تتكامل جوانب الإدراك بالإضافة إلى رصيد الخبرة والمعرفة التى تساعد على تكوين الانفعال وتوجيهه يقوم الفرد بتقديم الاستجابة التى تتناسب مع هذا الانفعال وهذه الخبرة وهذا الإدراك.

طبيعة الاتجاه النفسى:

كانـت طبيـعة الاتجـاه النفسى مـثار جـدل بين الباحـثين فى مجـال علم النفس الاجتماعى، وخاصة فيما يتصل بقطبـية الاتجاه النفسى. وللتوضيح فإن هناك فريقا من الباحثين يرى أن الاتجاه النفسى ثنائى القطبية شأنه فى ذلـك شأن السمات الشخصية مثل الانبساط ـ الانطواء، الثبات الانفعالى والتوتر والقلق وما إلى ذلك.

وقد دافع عن وجهـة النظر هذه كل من تشارلى جاد وجـيمس كوليك (١٩٨٠) حيث قاما بمجموعة من الدراسات الميدانية ثم تحليلها ليثبت الباحثان أن الفرد يتعامل مع اتجاهه على أنه ثنـائى القطبية بمعنى مع أو ضـد، ثم عضد هذا المعنى أيـضا براتكانيس ١٩٨٩، ١٩٩٢.

وتبلور هذا المنحى عن نظرية أساسية فى الاتجاهات النفسية تؤكد قطبية هذا الاتجاه وهى نظرية الحكم الاجتماعى Social Judgment theory والتى نادى بها مظفر شريف ١٩٦٥ وتستطرد هذه النظرية وتقول إن استجـابات الفرد والتى تؤلف اتجاهه النفسى إنما ينقسم إلى ثلاثة أنواع: هى القبول والرفض وعدم التقيـد أو الاهتمام، واستجابة القبول تقع فى منطقة العـقيدة المقبولة عـلى متصل Continuum، واسـتـجابة الرفض تقع فى منطقة العقيـدة المرفوضة، واستجابة عدم التـقيد أو الاهتمام تقع فى منطقة العـقائد غير

المقبولة وغير المرفوضة ولكن هل معنى هذا أن كل اتجاه (مع) يكون قطبه الآخر (ضد) أو أن كل اتجاه موجب يكون قطب الآخر اتجاه سالب؟؟.

هذا السؤال هو الذى دعا فريقا آخر من الباحثين إلى أن يزعموا أن الاتجاه النفسى ليس قطبيا وبمعنى آخر الاتجاه ليس نقطة على متصل بدايته الإيجابية الكاملة ونهايته السلبية التامة.

وقد بدأ كيلرنجر بتحدى هذه النظرية فى بحوثه التى ناقش فيها ثنائية قطبية الاتجاه (١٩٨٤) فقال إنه على سبيل المثال لا يمكن تمثيل الاتجاه التحررى Liberalism والاتجاه المحافظ Conservatism على بعد واحد بل يجب أن يمثل كل اتجاه من هذين الاتجاهين على بعد مستقل عن البعد Dimension الآخر. فيكون البعد الأول على سبيل المثال هو عبارة عن تدرج لاتجاه التحرر بينما يكون البعد الثانى تدريجا لاتجاه المحافظة، ويعزز الباحث وجهة نظره ـ لرفض فكرة ثنائية القطبية ـ فيقول إن من يوافق على عبارة فى نهاية مقياس يكون عادة غير مهتم بعبارة فى بداية هذا المقياس.

ويقول كذلك إن المتحررين (التقدميين) لا يرفضون كثيرا من قيم المحافظين والعكس صحيح كذلك.

وخلاصة القول أن الاتجاهات النفسية التى اعتبرت أحادية البعد Unidimeneinal ثنائية القطبية Bipolar هى فى حقيقة الأمر ـ من وجهة نظر كيلرنجر ثنائية البعد Bidi-mensional أحادية القطبية Unipolar. وأيد هذا بدراسات عاملية ـ استخدم فيها منهج التحليل العاملى ـ ليحصل على تنظيم ثنائى العاملية Two - Factor مع وجود معامل ارتباط سالب بسيط بين العوامل.

وهناك فريق ثالث يرى أن طبيعة الاتجاهات يمكن أن تمثل مجموعة من النماذج المقترحة والتى ما زالت تحت الدراسة والتمحيص مثل نموذج الشبكة المترابطة وهو نموذج معرفى، ونموذج العقيدة والاتجاه وهو نموذج معرفى انفعالى.

الاتجاه النفسى والعقيدة:

العقيدة اتجاه نفسى يغلب على تكوينه العناصر المعرفية والفكرية والتى تسمى أحيانا (أيدولوچيات) بالإضافة بطبيعة الحال إلى المكون الانفعالى أو العاطفى الذى يميز الاتجاه النفسى، ولكنه يتخذ صورة أكثر عمقا ولونا أكثر كثافة، إذ أن الانفعال المرتبط بفكر العقيدة يعطى نمطا سلوكيا قد يصل إلى التطرف أو الدوجماتيه فى بعض الأحيان، وعليه فإن الإنسان عندما يعتقد فى نظرية سياسية أو اجتماعية فإنه يدعم اتجاهه نحو هذه

النظرية بمزيد من الفكر والمعرفة والمعلومات؛والعقيدة تمثل خلفية صالحة لتكوين مجموعة من الاتجاهات النفسية فعقيدة فرد فى حزب سياسى من نوع ما سوف تكون لديه مجموعة من الاتجاهات المضادة نحو فرد آخر يعتنق مبادئ حزب سياسى مضاد، كما تكون لديه مجموعة من الاتجاهات الموجبة نحو فرد آخر يعتنق مبادئ حزبه السياسى.

كما يجب أن نشير كذلك إلى أن هناك مجموعة من الآراء الحديثة تفسر العلاقة بين الاتجاه والعقيدة ولكنها لا تخرج كثيرا عما ذهبنا إليه فى الفقرات السابقة، بل تعطى بعض النماذج التى يحسن أن نعرض لتوضيحها:

نموذج قيم التوقع **Expectancy - Value** (ايجلى ١٩٩٣).

يدور هذا النموذج حول محور واحد، وهو أن الاتجاه النفسى للفرد دالة عقيدته عندما تمثل هذه العقيدة على أنها مجموع القيم المتوقعة أو المنتظرة حول موضوع هذا الاتجاه ،وعليه فإنه يمكن تمثيل الاتجاه النفسى على النحو التالى:

الاتجاه = مجموع التوقعات × القيم

وهذا ما يجعلنا نقول إنه يمكن التنبؤ بالاتجاه النفسى من العقيدة.

(نموذج تكامل المعلومات) (أندرسون ١٩٩١)؛

يدور هذا النموذج حول عملية استدخال المعلومات والأفكار أو بمعنى آخر المكون المعرفى للاتجاه ــ من أجل تكوين العقيدة وتمر عملية الاستدخال هذه على مرحلتين: **مرحلة الدرجة** أى اعطاء درجة على مقياس افتراضى لبيان أهمية المعلومة أو الفكرة ثم تأتى **المرحلة الثانية** وهى إعطاء وزن لهذه المعلومة، وبالتالى يؤدى ذلك إلى تكامل المعرفة أو بمعنى آخر تناسقها مع مجموعة المعارف والمعلومات السابقة.

بقى أن نقول إن عمليتى الدرجة والوزن يشار إليهما بعملية التقييم بينما عملية التناسق أو الاتساق يشار إليها بعملية التكامل.

ومن ثم يمكن تمثيل استجابة الفرد المبنية على العقيدة على النحو التالى:

الاستجابة = الدرجة١ × الوزن١ + الدرجة٢ × الوزن٢ + ... الدرجةن × الوزنن

حيث ١، ٢، ... ن هى عناصر المعرفة أو وحدات المعلومات.

هذا فيما يختص بالعقيدة والاتجاه.. وماذا إذن عن **الإيمان** وهو الركيزة الأساسية التى تقوم عليها العاطفة الإنسانية ويميزه عن كثير من خلق الله تعالى.

نقول إن الإيمان اتجاه نفسى مركب يضاف إليه العقيدة العميقة المملوءة بالانفعال وغالبا ما يستخدم لفظ الإيمان للدلالة على عقيدة الفرد فى الغيب والروحانيات والمقدسات حيث نقول «إيمان الفرد بالصلاة» وليس اتجاهه نحو الصلاة.

الاتجاه النفسى والرأى:

الرأى هو تنظيم خاص للخبرة المعرفية الإدراكية فقط سواء كانت هذه الخبرة منقولة أو مباشرة، وواضح من هذا أن الرأى يخلو من المكون العاطفى أو الانفعالى الذى يميز الاتجاه النفسى ويعطيه خصائصه الأخرى.

سوف نشير أيضا إلى علاقة الاتجاه النفسى بالرأى العام فنقول إن هناك الكثير من المحاولات لتعريف ووصف الرأى العام وكان ذلك من خلال وظيفته كضغط اجتماعى. فالبعض يرى أن الرأى العام يعنى سيادة قوة المجتمع والتى بدونها لا يكتب قانون أو تقوم حكومة. والبعض الآخر يرى أن الرأى العام هو درجة من الاقتناع السائد فى جماعة ما ويكون من القوة بحيث يوجه سلوك أفرادها. ويمكن أن نقترح التعريف التالى وهو يوضح العلاقة بين الاتجاه والرأى العام:

الرأى العام هو المحصلة النهائية للاتجاهات النفسية الاجتماعية ذات الدرجة العالية ــ سالبة كانت أم موجبة ــ لأفراد جماعة منظمة متمايزة التركيب تجاه مشكلة محددة تمثل نقطة توتر وعدم اتزان فى المجال النفسى الاجتماعى للجماعة.

ومن هذا التعريف نستنتج أن الفرصة لتكوين رأى عام تزيد بزيادة شدة الاتجاهات النفسية (سالبة أم موجبة).

ومن هنا نرى العلاقة الوثيقة بين الرأى العام والاتجاه النفسى، ولابد أن نقول إن الرأى العام له خصائص محصلة لاتجاهات من النواحى الإدراكية والمعرفية والانفعالية والسلوكية.

الاتجاه النفسى والقيمة:

القيمة كما سبق وأشرنا هى عبارة عن تنظيم خاص لخبرة الفرد ينشأ هذا التنظيم فى مواقف المفاضلة والاختيار، ويتحول إلى وحدة عيارية على الضمير الاجتماعى للفرد. وهذا التنظيم أو هذه القيمة توجه سلوك الفرد فى مواقف حياته اليومية وتساعده على الحكم على الأشياء والمثيرات والعناصر المتفاعلة فى البيئة، وذلك أثناء سعى الفرد لتحقيق هدف ما.

وإذا نظرنا إلى الاتجاه فإنه أيضا تنظيم خاص لخبرة حادة ومتكررة وتوجه أيضا سلوك الفرد ولكن فى منطقة الهدف أو الغرض حيث تكون الأولوية للاتجاه سابقا فى ذلك القيمة التى كانت فعالة فى مرحلة البحث أو السعى لتحقيق الغرض أو الهدف.

أنواع الاتجاهات:

يمكن لنا أن نتعرف على عدة أنواع من الاتجاهات النفسية وذلك من الناحية الوصفية والوظيفية.

وهذا التصنيف يساعد الدارس على تحديد نوعية وشدة الاتجاه النفسى مع العلم بأن الاتجاه الواحد قد يقع فى أكثر من تصنيف وذلك من حيث صفته ومن حيث وظيفته.

ومن هذه الأنواع ما يلى:

١ ـ الاتجاه العام والاتجاه النوعى General and Specific:

الاتجاه العام هو ذلك الاتجاه الذى يشمل كلية الموضوع الذى يتناوله هذا الاتجاه وذلك بغض النظر عن كونه سالبا أو موجبا مثل اتجاه الفرد نحو بلد معين فهو يعبر عن اتجاهه السالب أو الموجب نحو شعب هذا البلد وطراز المساكن وجوها الطبيعى وطرق المواصلات ونوع الأطعمة السائدة، وبذلك يكون الاتجاه عاما نحو هذا البلد.

(لاحظ الفرق بين الاتجاه العام والرأى العام).

ويتميز هذا النوع من الاتجاهات بأنه أكثر ثباتا واستقرارا من غيره من أنواع الاتجاهات ويحتاج تغييره إلى تقنية علمية من نوع خاص.

أما الاتجاه النوعى فهو الاتجاه الذى ينصب على جزئية من الموضوع الذى يدور حوله الاتجاه مثل اتجاه الفرد نحو طعام شعب معين حيث يعجب على سبيل المثال بنوعية الطعام (اتجاه موجب) دون بقية جزيئات الموضوع وهو الشعب المعين، وبالتالى فإن سلوكه سوف يتأثر باتجاهه النوعى هذا. وهذا النوع من الاتجاهات يعتبر أقل ثباتا من الاتجاه العام فهو ـ أى الاتجاه النوعى ـ قد يضمحل ويتلاشى نتيجة تكوين اتجاهات نوعية أخرى تتنافر فيما بينها وتؤدى إلى ضعفه.

وقد يقوى الاتجاه النوعى وينمو ويشتد ويتفوق على بقية الاتجاهات النوعية الأخرى ـ إن وجدت ـ ويتحول تدريجيا إلى اتجاه عام له صفة الثبات والاستقرار النسبى.

٢ ـ الاتجاه الفردى والاتجاه الجمعى:

الاتجاه الفردى هو ذلك الاتجاه الذى يتبناه ويؤكده فرد واحد من أفراد الجماعة وهذا من حيث النوعية أو الدرجة، ومعنى ذلك أن الفرد إذا تكون لديه اتجاه خاص نحو مدرك يكون فى بؤرة اهتمامه هو؛ يسمى ذلك اتجاها فرديا، كذلك إذا كان هذا المدرك

فى مجال الجماعة وكون كل فرد من أفرادها اتجاها نحوه يختلف عن الفرد الآخر كان ذلك أيضا اتجاها فرديا، ويمكن أن نلاحظ مثل هذا الاتجاه بين أعضاء الأسرة الواحدة كجماعة اجتماعية حيث نجد اتجاهات فردية نحو أنواع الأطعمة المختلفة على سبيل المثال.

أما الاتجاه الجمعى فهو ذلك الاتجاه الذى يشترك فيه عدد كبير من أعضاء الجماعة مثل اتجاههم نحو نوع خاص من أنواع الرياضات أو نحو نجم اجتماعى مثل ممثل مشهور أو غير ذلك، ولكن من الوارد أيضا أن يختلف أفراد الجماعة فى اتجاههم هذا من حيث الدرجة أو الشدة.

وربما كان من المفيد هنا أن نميز بين الرأى العام والاتجاه الجمعى، والرأى العام يشترط لتكوينه حد أدنى من شدة الاتجاهات النفسية والتى لابد أن تتوافر عند جميع أعضاء الجماعة قبل أن يتكون الرأى العام.

ولكن هذا غير ضرورى بالنسبة للاتجاه الجمعى إذ أنه ليس هناك درجة دنيا من الشدة يجب أن يشترك فيها جميع أعضاء الجماعة حتى يصبح الاتجاه جمعيا.

الاتجاه العلنى والاتجاه السرى:

الاتجاه المعلن هو ذلك الاتجاه الذى يسلك الفرد بمقتضاه فى مواقف حياته اليومية دون حرج أو تحفظ وبهذا يمكن القول بأن مثل هذا الاتجاه غالبا ــ وليس دائما ــ يكون متفقا مع معايير الجماعة ونظمها وما يسودها من قيم وضغوط اجتماعية مختلفة، وهذا الاتجاه يكون غالبا ــ وليس دائما ــ متوسط الشدة لأنه ليس هناك من الضغوط الاجتماعية ما يحاول كبته وكفه وإيقافه ومنع الفرد من أن يعبر عنه سلوكيا.

أما الاتجاه السرى فهو ذلك الاتجاه الذى يحرص الفرد على إخفائه فى قرارة نفسه ويميل فى كثير من الأحيان إلى إنكاره ظاهريا ولا يسلك بما يمليه عليه هذا الاتجاه، وغالبا ما يكون هذا الاتجاه غير منسجم مع قوانين الجماعة وأعرافها وما يسودها من ضغوط ومعايير.

وهذا الاتجاه غالبا ما يكون عالى الشدة نتيجة المقاومة والممانعة بل والقمع الذى يواجهه من القوى الضاغطة فى الجماعة.

ويمكن القول كذلك بأن الاتجاه المعلن قد يكون قد نما وتطور نتيجة الاحتكاك المباشر بعناصر البيئة الخارجية، فى حين أن الاتجاه السرى ينمو ويتطور نتيجة الخبرة غير المباشرة، وخاصة الخبرة التى تبنى على عمليات التخيل والتفكير المجرد أو المثالية البعيدة عن الواقعية.

كمـا يجب أن نشير أيضـا إلى أن هناك الاتجاه الموجب والاتجاه السـالب والاتجاه القوى والاتجاه الضعيف.

تفسير الاتجاهات النفسية:

الاتجاه النفسى كل مركب، وهو تركيب عقلى نفسى تحدثه الخبرة الحادة المتكررة، وبذلك فهو مكتسب مشتق من تفاعل الفرد مع عناصر البيئة الخارجة، سواء كانت مادية أو معنوية أو بشرية، وبهذا فالاتجاه لابد وأن يتميز بالدينامية والتجدد رغم أنه يتميز أيضا بالثبات والاستقرار النسبى.

وفيما يلى بعض التـفسيرات التى يمكن أن تساعد على فهم طبيـعة ووظيفة الاتجاه النفسى:

التفسير الدينامى للاتجاهات:

يرى كرتش وكـرتشفيلد أن الاتجاه النفـسى ما هو إلا وسيط حركى يسـاعد على إتمام الرابطة أو التفاعل بين العمليات السـيكولوچية الأساسية وبين الفعل أو الأداء الذى يقوم به الفرد.

ومن وجهة النظر هذه يمكن القـول بأن الاتجاه يهدف إلى تنظيم الدوافع والإدراك وبقيـة العوامل النفسـية تنظيما مـتكاملا بحيث يؤدى هذا التنـظيم إلى نمط متكامل من سلوك الفرد فـى موقف ما، ويتناسب هذا النـمط مع قدر هذا التنظيم من حـيث درجة التوافق والإتقان.

كما يمكـن القول أيضا وفى إطار ما سـبق أن الاتجاه النفسى يعمل على تخـفيف حدة التـوتر وخاصة فى مـواقف الإحباط والفـشل، بل قد يساعد أيـضا على التكيف لمواقف التحدى والصراع.

ومن هنا يمكن أن نلخص وظيـفة الاتجـاه النفسى ــ من وجـهة النظر هذه ــ كـما يلى:

١ ــ تنظيم الإدراك عند الفرد أثناء تفاعله النشط مع البيئة.

٢ ــ إيجاد الوسيلة المناسبة لتواصل الفرد بمثيرات هذه البيئة.

٣ ــ مساعدة الفرد فى محاولاته لتحقيق أهدافه.

وبهذا المعنى تكون الاتجـاهات ذات طبيعة ديناميـة تدفع الفرد إلى تحقـيق أهدافه والتكيف مع مفردات وعناصر مواقف حياته اليومية.

التفسير الإدراكى للاتجاهات:

يقول كانتريل فى دراسته لعمق الاتجاهات وشدتها: أن الإدراك عملية هادفة غرضية ترمى إلى تحقيق بعض أهداف الكائن الحى، بمعنى أن الفرد يدرك الحدث الذى يتصل بأهدافه اتصالا مباشرا سواء كانت هذه الأهداف حالية قائمة أو مستقبلية ما زالت فى مرحلة المعالجة الذهنية، وبذلك يتفهم أو يدرك الفرد عناصر البيئة ومقوماتها فى ضوء أهدافه وما يرمى إليه وذلك من أجل أن يتكيف لها تكيفا صحيحا ويتفاعل معها بأسلوب سلوكى سوى.

وفى أثناء عملية التفهم هذه تتكون اتجاهات الفرد ثم تنمو وتتطور متأثرة بإدراك الفرد للأحداث.

وبهذا يمكن تفسير الاتجاه عن طريق عملية الإدراك.

التفسير البنائى للاتجاهات:

تشير معظم نتائج الدراسات التى أجريت من أجل قياس اتجاهات الشعوب على أن الاتجاه وحدة من وحدات بناء الشخصية الإنسانية كما تشير هذه النتائج إلى علاقة الاتجاه النفسى بالقيمة التى يكونها الفرد فى مواقف المفاضلة والاختيار، كما تشير هذه الدراسات أيضا إلى ارتباط الاتجاهات النفسية بحاجات الفرد ودوافعه سواء كانت أولية أساسية أو ثانوية.

وعلى ذلك يصبح الاتجاه وحدة بنائية فى الشخصية الإنسانية حضاريا وثقافيا وتصبح وظيفة الاتجاه النفسى هى:

١ ـ التكيف لعناصر البيئة ومكوناتها.

٢ ـ التكيف الاجتماعى داخل إطار الجماعة.

٣ ـ الدفاع عن (الأنا).

تغيير الاتجاهات النفسية:

تحدثنا عن تكوين الاتجاه ومكونات الاتجاه، ويأتى الآن دور الحديث عن تغيير هذه الاتجاهات.

قد يتغير الاتجاه من موجب إلى سالب أو العكس أى من سالب إلى موجب وقد يتغير من موجب ضعيف إلى موجب قوى أو العكس.

وقد يتغير من سالب قوى إلى سالب ضعيف أو العكس.

وفى جميع الحالات هناك أربع نظريات توضح عملية التغيير هذه:

١ ـ نظرية التنافر المعرفى: المعرفة الطاردة

وهذه نظرية تقوم على فكرة المعرفة الطاردة أو بمعنى آخر مجموعة من المعلومات تطرد مجموعة أخرى من المعلومات لتحل محلها، ومن المعروف أن المكون المعرفى هو أحد مكونات الاتجاه، فعندما يحدث تعديل فى هذا المكون المعرفى يبنى على ذلك تعديل فى المكون الانفعالى ثم السلوكى وهكذا.

ويعتبر هذا المدخل أساسا جيدا لعمليتى الدعاية والإعلام، وهما عمليتان هامتان فى التواصل بين الجماعات أو بين الأفراد داخل الجماعة.

فالدعاية تعرف على أنها عملية تعديل الاتجاهات من أجل تعديل السلوك وذلك فى ضوء مجموعة من الأساسيات والتى لابد أن نشير إليها وهى:

(١) يتأثر اتجاه الفرد بالمعلومة أو المعرفة التى تقود إلى إشباع حاجاته النفسية والاجتماعية وهذه صفة من صفات المعلومة الطاردة، إذ يجب أن تأخذ فى حسابها حاجات أفراد الجماعة وتطلعاتهم، وكلما كانت درجة إشباع الحاجات عاليه كانت المعلومة أشد قدرة على طرد المعلومة الموجودة أو الحالية لتحل محلها وتحدث التعديل المطلوب فى المكون المعرفى للاتجاهات.

(٢) يتأثر اتجاه الفرد بالمعرفة التى تتوافر لها صفات المنطقية والموضوعية ــ من حيث خصائص عمليات الإقناع ــ وبالتالى تكون المعرفة قادرة على الدخول إلى المكون المعرفى للاتجاه، ومن ثم تحدث التغيير المطلوب.

ولعلنا نلاحظ فى كثير من عمليات الدعاية ــ أو تعديل الاتجاهات ــ أن المثير الدعائى يعتمد على عدد من الحقائق العلمية أو التجريبية ليحدث الإبهار المطلوب عند الفرد ويتم إقناعه بعد تعديل اتجاهه وكذلك سلوكه.

(٣) يتأثر اتجاه الفرد بالمعرفة التى تقترب من القيم والمعايير التى يؤمن بها الفرد ومن العادات والتقاليد التى يمارسها.. فكلما كانت المعرفة أو المعلومة الطاردة أو الجديدة متناسبة مع نسق القيم والمعايير كانت أكثر تأثيرا فى دخول المكون المعرفى للاتجاه لتحل محل معرفة سابقة قد لا تكون لها هذه الصفة، فالمعرفة الدينية على سبيل المثال ــ أى المعرفة التى تعتمد على العقيدة ــ تكون أكثر قدرة على أن تحل محل معرفة أخرى فى المكون المعرفى للاتجاهات.

نظرية الإيحاء اللاشعورى:

وتقوم هذه النظرية على فكرة النشاط اللاشعورى عند الفرد وإمكانية استخدام هذا النشاط فى تعديل الاتجاه النفسى وخاصة من حيث المكون الانفعالى، وما يحدث فى هذه النظرية هو توجيه مجموعة من المثيرات (الهامشية) أى التى تدور من بعيد حول هدف التعديل المطلوب، وتتصف هذه المثيرات بإحداث درجة عالية من الانفعال عند الفرد ومن ثم يحدث تعديل فى المكون الانفعالى للفرد بالدرجة الأولى ويلى ذلك إحداث التعديل المطلوب فى الاتجاه النفسى للفرد.

نظرية القهر السلوكى:

وتقوم هذه النظرية على فكرة قهر سلوك الفرد وتعديله قسرا، بمعنى أن يتم التعديل أولا فى المكون السلوكى، للاتجاه وبالتالى يتم التعديل فى الاتجاه ذاته.

وقد استخدمت هذه النظرية أو بمعنى أصح كانت نتاج الممارسات اللا إنسانية فى معسكرات الاعتقال ومعسكرات أسرى الحرب.

النظرية الوظيفية:

تقوم هذه النظرية على تعديل المكونات الأربعة للاتجاه النفسى بطريقة متوازنة، بحيث تبدأ بتعديل المجال الإدراكى الذى يقع فيه موضوع الاتجاه ومن ثم تتعدل مدركات الفرد وإدراكاته نحو هذا الموضوع ويحدث ذلك بناء على مبدأين: **أولهما**: انتظام مجال الإدراك بمعنى الوجود المتوازن لعناصر المجال **وثانيهما**: تكامل المجال بمعنى تناسق الأوضاع بالنسبة لهذه العناصر، وفى ضوء ذلك يتم عرض موضوع الاتجاه بصورته الإدراكية المعدلة على الفرد، وبجانب ذلك يتم إدخال مجموعة المعارف والمعلومات التى تتناسب مع الصيغة الإدراكية الجديدة مع ملاحظة جميع الخصائص التى سبق الإشارة إليها فى نظرية التنافر المعرفى، كما يلاحظ أيضا إحداث درجة متناسبة من الانفعال تصاحب مجموعة المعلومات أو المعارف المقدمة، وعليه فإننا نتوقع تعديل سلوك الفرد نتيجة لما سبق.

وهذه النظرية لا تعتبر أساسية بالنسبة لتعديل الاتجاهات النفسية فقط، ولكن أيضا لتعديل العقائد والمذاهب كذلك. وواضح من المناقشة السابقة أن المحور الأساسى لهذه النظرية هو المكون الإدراكى للاتجاه النفسى أو بمعنى آخر المجال الذى يقع فيه موضوع الاتجاه.

قياس الاتجاهات النفسية:

قياس الاتجاه النفسى يعنى تحويله من صيغته الوصفية (مع) أو (ضد) إلى صيغة كمية يمكن على أساسها مقارنة الأفراد أو الجماعات ببعضهم البعض، وقبل أن نبدأ فى الحديث عن عملية القياس **هناك مجموعة من الحقائق يجب أن نشير إليها:**

١ ـ عملية قياس الاتجاهات النفسية تتطلب أمرين:

أ ـ إعداد المقياس.

ب ـ تحليل نتائج هذا المقياس بعد تطبيقه بطريقة علمية.

٢ ـ عملية قياس الاتجاه النفسى ليست فى عمومية قياس الذكاء أو القدرات بل هى أقرب إلى النوعية والخصوصية مثل مقاييس الشخصية، ومن ثم فإن إعداد المقياس يتطلب دراسة خصائص الجماعة التى سوف يطبق عليهم هذا المقياس لتقدير اتجاهاتهم نحو قضية معينة.

٣ ـ فى عملية القياس يجب على الأخصائى إعداد مجموعة كبيرة من البنود (بنك البنود) وذلك عن طريق جميع كل العبارات المتداولة بين أفراد الجماعة والصيغ اللفظية الشائعة والمفردات كثيرة التكرار لأن هذه هى المصادر الحقيقية لإعداد بنك البنود مع ملاحظة ضرورة وجود الشحنة الانفعالية العالية التى تميز البند أو العبارة.

٤ ـ يمكن الحكم على نجاح المقياس عن طريق دراسة وتحليل استجابات المجموعة، فمثلا عند كثرة استجابات (لا أدرى، لا أرى، لا أعرف) أو عند اقتراح أفراد المجموعة تعديل العبارات أو حذف بعضها أو إضافة عبارات أخرى فإن هذا يدل على الضعف البنائى لأداة القياس المقترحة.

٥ ـ من الطبيعى أن تكون وحدات المقياس أى بنوده حقيقية وليست افتراضية فإن المفحوص يبحث عن العبارة التى تعبر عن إحساسه الحقيقى، ومن ثم تكون استجابته أقرب إلى الصحة.

٦ ـ يجب أن يلاحظ الأخصائى بأنه قد يحدث أحيانا ما يسمى بنسق الاستجابة أى ميل المفحوص لاختيار نمط معين للاستجابة غالبا لا يكون له علاقة بموضوع الاتجاه. مثل اختيار استجابة (موافق) (أو غير موافق) على جميع بنود المقياس.

٧ ـ ينصح أيضا بأن يهتم الإخصائى بتجانس الاتجاه بمعنى أن يقيس المقياس بعدا واحدا فقط وتسمى هذه الخاصة (أحادية البعد) Unidimensionality وعلى الأخصائى أن يستعين بأدوات إحصائية مناسبة للتأكد من هذه الخاصية.

٨ ـ يجب أن يلاحظ الإخصائى خاصية (الخطية) Linearity بمعنى تساوى الوحدات أو الفئات وهذا يدل على أن المقياس يتمشى مع النموذج الخطى لتوزيع الوحدات.

٩ ـ على الإخصائى أن يعنى بدرجة خاصة بالمعنى السيكلوجى لكل عبارة من العبارات لأن ذلك سوف يساعده فى عملية تحليل نتائج المقياس وإعطائها المعنى السيكلوجى.

١٠ ـ وأخيرا على الأخصائى أن يتأكد من صدق وثبات المقياس المستخدم، ففى حالة الصدق نقول إن أفضل الطرق هى طريقة استطلاع آراء الحكام باستخدام قانون الوسيط لحساب درجة صدق كل عبارة (ق = ح + $\frac{٠,٥ - مج\ ن}{ن_ر}$ × ١)

ق = الدرجة المطلوبة

مج ن = مجموع النسب التى تسبق الفئة الوسيطيه.

$ن_ر$ = النسبة الوسيطة.

أما فى حالة الثبات فأقرب الطرق إلى الإخصائى هى طريقة حساب معامل ألفا (كرونباخ) $\alpha = \frac{ن}{ن - ١} \times \frac{ع^٢ ك - مج ع^٢ - ن}{ع^٢ ك}$

ن = عدد البنود.

$ع^٢$ ك = تباين المقياس

مج $ع^٢_{١ - ن}$ = مجموع تباينات البنود.

وفيما يلى سوف نستعرض بعض الطرق الممكنة لقياس الاتجاهات النفسية:

أولا ـ مقياس التباعد النفسى الاجتماعى Social distance Scale

وهو مقياس له قيمة تاريخية إذ أنه أول محاولة لقياس الاتجاهات حيث وصفها بوجاردس (١٩٢٥) وقد عدل هذا المقياس أكثر من مرة واستخدم فى دراسات عديدة.

والمثال التالى يوضح هذا المقياس:

تعليمات:

بناء على ما تشعر به وللوهلة الأولى صنف هذه المجموعات العنصرية بناء على واحدة أو أكثر من التصنيفات الموضحة أدناه (ضع دائرة حول الرقم الذى يعبر عن إحساسك).

	المصاهرة	صديق شخصى	جـــار	زميل عمل	مواطنة فى البلد	زيارة للبلد	طرد من البلد
الانجليز	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧
الفرنسيون	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧
الألمان	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧
الكنديون	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧
الهنود	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧
الصينيون	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧

ويتضح من هذا المقياس أنه يقيس اتجاه التـعصب العنصرى والتحامل العرقى وهو اتجاه نفـسى عالى الشدة ويتمـيز بمجال إدراكى (قد يـكون غير منتظم أو غيـر متكامل) وبمعرفة (قد تكون خاطئة) وشحنه انفعالية عالية الدرجة وسلوك قد يكون ظاهريا أو غير ذلك.

ويتضـح أيضا أن خصـائص هذا المقيـاس تتناسب مع النقـاط العشر التـى سبق الإشارة إليها بالإضافة إلى خاصية التراكم التى سوف نشير إليها عند الحديث عن مقياس جوتمان (L. Guitman) لاحظ أيضا أن الرقم (١) يدل علـى القرب الكامل والرقم (٧) يدل على البعد الكامل.

ثانيا ـ مقياس ثرستون:

كان الموضوع الذى عنى به ثرسـتون عنايه بالغة هو موضوع تسـاوى المسافات بين البنود أو عبارات مقياس الاتجاه، وقد كان اهتـمامه هذا مبنيا على التجارب التى أجريت فى مجال علم النـفس الفيزيائى Psychophsics من أجل إيجاد مـقاييس ذات وحدات متساوية لقيـاس خصائص الأفراد وخاصة الخصائص الفيـزيقية، مثل الطول والوزن وما إلى ذلك. وهنا يقـول أصحاب هذه الدراسـات إنه كلما كان الفـرق الحقـيقى بين طول شخـصين قليلا كان عـدد الأفراد الذين يميزون هذا الفـرق ضئيلا أيضـا، وإذا كان هذا الفرق الحقيقى كبيرا كان عدد من يميـز هذا الفرق كبيرا كذلك. وقد بنى ثرستون فكرته فى إعداد مـقياسـه للاتجاهات النفسـية على هذه المسلمة، فـبدأ محـاولته بأن طلب من

مجموعة من الأفراد المفحوصين أن يقوموا بالمقـارنة بين عبارات مقياس للاتجاه على هيئة أزواج حيث يقرر الفرد أى العبارتين أكثر إيجابيـة أو أكثر سلبية فى التعبير عن الاتجاه ــ وهذه الطريقة طريقة المقارنة الزوجية تصادف الكثير من الصعوبات عند التطبيق، ولو كان عدد العبارات (٢٠) فإن الفرد المفحوص سوف يقارن ١٩٠ زوجا من العبارات $\frac{ن (ن - ١)}{٢ \times ١}$

وبدلك طور ثرستون هذه الطريقـة إلى طريقة أخرى هى طريقة الفئـات المتساوية ظاهريا equal appearing .

وتتلخص هذه الطريقة فى جمع عدد كبـير من البنود التى تقيس اتجاها ما ثم يتم عرضـها على مجمـوعة من الحكام المدربين وفى نفس الوقت يمثلون الجمـاعة التى يريد الفاحص أن يقيس اتجاههم نحو هذا الموضوع المعين.

وتجهز العبارات بأن تكتب كل عبارة على بطاقة مستقلة وتكون التعليمات واضحة بالنسبة للحكام بمعنى أن هذه العبارات تقيس اتجاها نفـسيا محددا يتكون مقياسه من ١١ نقطة تبدأ من الاتفاق الكامل وتنتهى بالرفض الكامل مرورا بنقطة متوسطة محايدة.

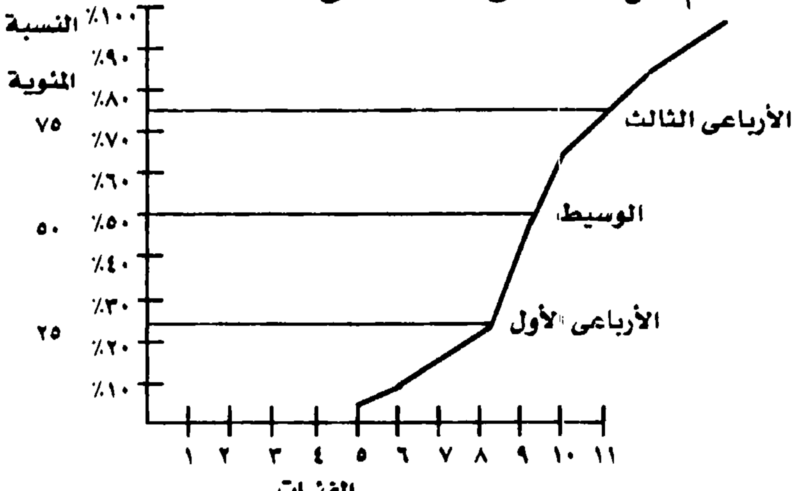
ويطلب من الحكام تصنيف هذه البطاقات فى الفئات من ١ - ١١ حيث (١) يمثل القـرب الكامل (الاتفـاق الكامل) و(١١) تمثل الرفض الكامل، أى يقـوم الحكم بقـراءة العبارة ثم وضـعها تحت الرقم المناسب بغض النظر عن الرأى الشخـصى له بالنسبة لكل بند ولكن يتم التـصنيف حسب مـحتوى الـعبارة ومـعناها وعلاقـتها بـالاتجاه الذى من المفروض أن تقيسه.

وعند تحليل استجابات الحكام لابد أن يؤخذ فى الاعتبار تشتت الاستجابات حول عبـارة ما بحيث إذا زاد هذا التـشتت دل ذلك على غمـوض العبارة وعـدم صلاحيتـها للمقيـاس. ويمكن الكشف عن هذا التشتت عن طريق التباين أو الانحـراف المعيارى أو المدى الأرباعى. ويمكن استنتاج الوسـيط والمدى الأرباعى من المنحنى التكرارى المتجمع وذلك على النحو التالى:

النسبة المئوية المتجمعة	النسبة المئوية	التكرار	الاستجابة (الدرجة)
		-	١
		-	٢
		-	٣
		-	٤
		-	٥
٤٪	٤٪	٢	٦
٨٪	٤٪	٢	٧
٢٨٪	٢٠٪	١٠	٨
٥٠٪	٢٢٪	١١	٩
٨٠٪	٣٠٪	١٥	١٠
١٠٠	٢٠٪	١٠	١١
	١٠٠٪	٥٠	

وتمثل ذلك بيانيا علـى النحو التالى:

توضح استجابات الحكام لكل بند كما فى الجدول التالى:



المنحنى التكرارى المتجمع لأحد البنود.

الانحراف الأرباعى (المدى الرباعى) = $\frac{١}{٢}$ (الأرباعى الثالث - الأرباعى الأول).

ثالثا : مقياس ليكرت Likert:

هذا المقياس نوع من أنواع التدريج إذ أنه يعتـمد على تدريج العبارة الواحدة بدلا من استخدام العبارات المتدرجة كما هو الحال فى المقياس السابق.

ويعتبـر تدريج ليكرت من المقاييس كثيرة الاسـتخدام فى مجال قـياس الاتجاهات النفسية ذلك لأن هذا المقـياس لا يستهلك الجهد والوقت الذى تستـهلكه طريقة ثرستون

وبالإضافة إلى ذلك فقد وجد فى كثير من الدراسات الميدانية أن هناك ارتباطا موجبا قويا بين مقياس ليكرت ومقياس ثرستون (٧, ٠ - ٨١, ٠) وبمعنى آخر فإننا سوف نحصل على نفس النتائج تقريبا عند استخدام كلا المقياسين ومن هنا كان مقياس ليكرت أكثر شيوعا واستخداما فى مجال قياس الاتجاهات.

وأول ما يميز مقياس ليكرت هو الاهتمام بأن جميع وحدات المقياس تقيس نفس الاتجاه، كما أن العبارات ليست فى حاجة إلى العرض على الحكام من أجل إجراء عملية التصنيف كما فى حالة مقياس ثرستون بل إن كل عبارة مدرجة ذاتيا تدريجا خماسيا ابتداء من الموافقة الكاملة إلى الرفض الكامل:

	أوافق جدا	أوافق	غير متأكد	أرفض	أرفض تماما
	٥	٤	٣	٢	١
أو	٤	٣	٢	١	٠
أو	٢	١	٠	١-	٢-

وعند إعداد مقياس ليكرت يمكن اتباع الخطوات التالية:

١ ـ يتم تحليل الاتجاه النفسى نحو قضية ما إلى عناصره ومكوناته لأن عملية التحليل هذه سوف تساعد على اختيار الوحدات أو البنود وذلك فى ضوء المعرفة الكاملة لخصائص الجماعة التى سوف يطبق عليهم هذا المقياس.

٢ ـ يجمع الإخصائى عددا مناسبا من العبارات تكون ذات علاقة بعناصر الاتجاه المراد قياسه، ويجب أن يكون الاختيار دقيقا بالنسبة لبناء كل عبارة إذ أن مهما كانت قدرة الباحث على التحليل الإحصائى فإنه سوف يفشل فى تحليل نتائج مقياس اتجاه لم يحسن اختيار وحداته.

يجب أن تكون العبارة تقريرية مثل «المكان الطبيعى للمرأة هو البيت» أو «الأب هو المسئول الوحيد عن تربية الأبناء» كما يجب أيضا أن تقبل العبارة التدريج أى تختلف الآراء حول معناها من الرفض الكامل إلى القبول الكامل.

كما يجب أيضا أن تمثل العبارة موقفا أو مثيرا يتحدى الفرد وينتزع منه الإجابة التى تدل على اتجاهه فعلا، وذلك عن طريق تكثيف اللون الانفعالى المصاحب للعبارة فمثلا لو أن العبارة الأولى المشار إليها أصبحت «المكان الطبيعى للمرأة هو المطبخ» لكانت أكثر إثارة وتحديا لمن يطبق عليه هذا المقياس.

٣ ـ يحسن أن يقوم الباحث بتجريب تمهيدى للتأكد من صلاحية بنود المقياس. وذلك باختيار عينة ليست صغيرة ـ أكثر من ٣٠ ـ ويطلب من كل فرد أن يعين الاحتمال الذى يناسبه من الاحتمالات الخمسة وليس فقط مجرد الموافقة أو عدم الموافقة.

يقوم الباحث بعد ذلك بإعطاء الأوزان للاستجابات آخذا فى حسابه اتجاه العبارة (موجبة أو سالبة) وذلك بالنسبة للموافقة الكاملة (٥ أو ١) والرفض الكامل (١ أو ٥).

٤ ـ يتم بناء على ما سبق (رقم ٣) تحليل بنود مقياس الاتجاه بمعنى حساب معامل الارتباط بين درجة كل بند على حدة وبين الدرجة الكلية للمقياس باستثناء درجة هذا البند ولنوضح ذلك بالمثال التالى:

الفرد	الدرجة الكلية	درجة الفرد على البند رقم (٣)	الدرجة الكلية ـ درجة البند (٣)
١	٤٥	٥	٤٠
٢	٤٢	٥	٣٧
٣	٣٥	٤	٣١
٤	٣٥	٤	٣١
٥	٢٠	١	١٩
٦	٣٩	٤	٣٥
٧	٣٣	٣	٣٠
٨	٤٠	٤	٣٦
٩	٢٢	١	٢١
١٠	٢٧	٢	٢٥

وبحساب هذا المعامل نجد أنه حوالى ٩٧, ٠ وهذا يدل على ارتباط واضح بين البند رقم (٣) والمقياس ككل، ولو كررت هذه العملية بالنسبة لبقية البنود وحصلنا على معاملات موجبة عالية دل ذلك على صدق مقياس الاتجاهات المستخدم.

أما فيما يختص بثبات درجات مقياس الاتجاه ـ لاحظ الطبيعة غير المستقرة والقابلة للتغير للاتجاه ـ فإن أفضل الطرق هى استخدام معامل α كرونباخ لحساب معامل التناسق الداخلى أو الثبات.

رابعا ـ مقياس جوتمان:

تأثر جوتمان Guttmann عند اقتراحه لهذا النوع من المقاييس بفكرة التدريج التراكمى أو التدرج المتجمع للاستجابات، بمعنى أنه يمكن لنا أن نعرف من خلال هذه الطريقة ــ وذلك فى حدود ١٠٪ من الخطأ ــ أى البنود أجاب عليها المفحوص.

ولتوضيح هذه الفكرة لنفرض أنه عند تحديد وزن قطعة من الحديد أشار الميزان إلى الرقم ٥٠ فهذا يعنى أن وزن هذه القطعة هو ٥٠ كيلو جرام وعند قراءة هذا الرقم نعرف أن وزن هذه القطعة تعدى الـ ٥٠ رقما ليصل إلى العلامة ٥٠، وكذلك قطعة الخشب التى طولها ٤٠ سم لابد وأن تكون قد تعدى طولها العلامات الأربعين الأولى ليصل إلى هذا الرقم.

وكذلك المريض الذى يعانى من مرض ما وظهرت عليه الأعراض رقم (٥) مثلا فمعنى ذلك أنه ولابد أن تكون قد ظهرت عليه الأعراض ١، ٢، ٣، ٤ قبل ذلك.

ويقوم السؤال: عندما نعرف درجة الفرد على مقياس الاتجاه هل نستطيع أن نحدد وضعه بالنسبة لموضوعه؟ أو بمعنى آخر هل يمكن أن نعرف أى العبارات التى أجاب عليها الفرد بالإيجاب وأيهما بالرفض؟ هذا ما حاول جوتمان الإجابة عليه باقتراح نموذجه الذى نتعرض له حاليا.

يقول جوتمان أن طريقة التحليل التراكمى المتدرج Scalogram analysis سوف تؤدى إلى الحصول على مجموعة من البنود ذات درجة عالية من خاصية التراكم Re-producibility وغالبا ما تكون حوالى ٠,٩ أو أعلى من ذلك.

ويمكن توضيح طريقة التحليل التراكمى المتدرج كما يلى:

لنفرض أننا قمنا بتطبيق أحد مقاييس الاتجاهات النسبية على مجموعة من (١٥) فردا مع العلم بأن المقياس مكون من (٨) عبارات ويمثل الجدول التالى استجابات الأفراد حيث وضعت علامة (✓) لتدل على موافقة الفرد على محتوى العبارة ويأخذ درجة واحدة والجدول التالى يمثل ذلك:

الأفراد	العبـــارات								الدرجة الكلية
	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	
١	√	√	√	√	√		√		٦
٢	√				√		√	√	٤
٣	√	√			√		√	√	٥
٤					√		√		٢
٥	√				√		√		٣
٦	√				√		√	√	٤
٧	√	√		√	√	√	√	√	٧
٨	√			√	√		√		٤
٩	√	√		√	√	√	√	√	٧
١٠	√	√		√	√		√	√	٦
١١								√	١
١٢						√			١
١٣	√	√		√	√		√	√	٦
١٤	√				√		√	√	٤
١٥	√				√		√		٣
	١٢	٦	١	٦	١٣	٣	١٣	٩	

لاحظ أن درجة الفرد الكلية هى الإجابات (موافق) على عبارات المقياس.

وسوف نقوم الآن بترتيب الأفراد بناء على هذه الدرجة الكلية وذلك كما فى الجدول التالى:

الفرد بالترتيب	العبـــارات								الدرجة الكلية
	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	
٧	√	√		√	√	√	√	√	٧
٩	√	√		√	√	√	√	√	٧
١٠	√	√		√	√		√	√	٦
١	√	√	√	√	√		√		٦
١٣	√	√		√	√		√	√	٦
٣	√	√			√		√	√	٥
٢	√				√		√	√	٤
٦	√				√		√	√	٤
٨	√			√	√		√		٤
١٤	√				√		√	√	٤
٥	√				√		√		٣
١٥	√				√		√		٣
٤					√		√		٢
١١								√	١
١٢						√			١
	١٢	٦	١	٦	١٣	٣	١٣	٩	

وتأتى بعد ذلك الخطوة التـالية، وهى ترتيب البنود أو العـبارات حسب مجـموع درجاتها، وذلك كما هو موضح فى الجدول التالى:

الأفراد بالترتيب	العبــــارات								الدرجة الكلية
	٧	٥	١	٨	٢	٤	٦	٣	
٧	√	√	√	√	√	√	√		٧
٩	√	√	√	√	√	√	√		٧
١٠	√	√	√	√	√	√			٦
١	√	√	√		√	√		√	٦
١٣	√	√	√	√	√	√			٦
٣	√	√	√	√	√				٥
٢	√	√	√	√					٤
٦	√	√	√	√					٤
٨	√	√	√			√			٤
١٤	√	√	√	√					٤
٥	√	√	√						٣
١٥	√	√	√						٣
٤	√	√							٢
١١				√					١
١٢							√		١
	١٣	١٣	١٢	٩	٦	٦	٣	١	

ومن هذا الجدول يمكن القول بأنه إذا كانت درجة الفرد = ٣ فهذا يعنى أنه أجاب بالموافقة على العبارات ٧، ٥، ١ (الفرد ٥، ١٥) وليس أى ثلاث عبارات أخرى من عبارات المقياس، كما أن الدرجة (٦) تعنى الإجابة بالموافقة على العبارات ٧، ٥، ١، ٨، ٢، ٤ وذلك واضح فى حالة الأفراد ١٠، ١، ١٣، وليس أى ست عبارات أخرى من عبارات المقياس.

وهنا نلاحظ خاصية التدريج التراكمى كما وضح جوتمان ولكن هناك بعض العبارات خرجت على هذا النمط مثل العبارات ٨، ٦، ٤، ٣ ويسمى هذه (الأخطاء).

ويمكن حساب معامل خاصية التدريج التراكمى من المعادلة التالية:

$$\text{المعامل} = 1 - \frac{\text{عدد الأخطاء}}{\text{عدد الاستجابات}}$$

حيث عدد الاستجابات هو حاصل ضرب عدد البنود × عدد الأفراد وفى هذه الحالة تصبح:

$$\text{المعامل} = 1 - \frac{4}{8 \times 15} = 0.97 \text{ تقريبا}$$

خامسا ـ وجهة نظر أخرى فى قياس الاتجاهات[1]:

تعديل لطريقة ليكرت

تقوم هذه الطريقة أساسا على مفهوم الاتجاه النفسى والخروج به من نطاق الأرقام إلى نطاق المعنى والمفهوم، وخاصة من الناحية السيكولوچية. فقد سبق أن أشرنا إلى أن الاتجاه هو حالة من الاستعداد والتهيؤ العقلى النفسى الذى تحدثه الخبرة الحادة المتكررة وهذا الاتجاه يوجه سلوك الفرد فى المواقف المختلفة سواء كان هذا الاتجاه موجبا أو سالبا. وعليه فإن هذا الاتجاه الموجب أو السالب سوف يعكس سلوك الفرد ولكن إذا كان الفرد لم يهتم بأى عنصر من عناصر البيئة أى أن استجاباته محايدة عديمة اللون فإننا فى هذه الحالة نقول إنه ليس لديه اتجاه نحو هذا المثير أو ذاك.

وإذا نظرنا الآن إلى التدريج الذى استخدمه ليكرت نجده إحدى الصور التالية:

	أرفض تماما	أرفض	غير متأكد	أوافق	أوافق تماما
	١	٢	٣	٤	٥
أو	--	١	٢	٣	٤
أو	-٢	-١	صفر	+١	+٢

ولنأخذ المثال التالى من أجل التوضيح والمناقشة:

لو كان المقياس مؤلفا من (٢٠) عبارة فإن أعلى درجة يحصل عليها الفرد (موافق تماما) هى ١٠٠ أى (٥ × ٢٠) وأقل درجة يحصل عليها (يرفض تماما) هى ٢٠ أى (١ × ٢٠) أما الفرد (غير المتأكد) الذى ليس لديه اتجاه فسوف يحصل على ٦٠ (٣ × ٢٠).

والذى نريد أن نقوله إن الفرد الذى ليس لديه اتجاه قد حصل على درجة أعلى من الفرد الذى لديه اتجاه نشط وفعال ولكنه سالب، وهذا يتعارض مع المفهوم الأساسى للاتجاه النفسى وخاصة من حيث القوة والفعالية، خاصة وأن درجة الفرد الكلية فى

---

(١) سعد عبد الرحمن: ١٩٩٧، ١٩٩٨.

مقياس الاتجاه سوف تستـخدم إما لتفسير سلوكه فى موقف ما أو كمتـغير من مجموعة أخرى من المتغيرات من أجل الحصول على استنتاج من نوع خاص.

لهذا كان لابد من إعادة النظر فى هذا التدريج ونقترح التدريج التالى:

غير متأكد (لا رأى) (لا اتجاه)	صفر
يرفض	١
موافق	٢
الرفض الكامل	٣
الموافقة الكاملة	٤

ولننظر الآن إلى المثال السابق (مقياس مؤلف من ٢٠ عبارة) خماسى التدريج:

غير متأكد	صفر	صفر × ٢٠
يرفض	٢٠	١ × ٢٠
موافق	٤٠	٢ × ٢٠
رفض كامل	٦	٣ × ٢٠
موافقة كاملة	٨٠	٤ × ٢٠

وهكذا فإن هذا التدريج المقترح يأخذ فى اعتباره شدة الاتجاه ونوعيته.

ويمكن أن نستطرد ونقول إن الدرجة (صفـر) فى التدريج المقترح تدل على تلاشى أو عدم وجود الاتجاه فى حين أن الدرجـة (صفر) فى تدريج ليكرت (١ ٢ ٣ ٤) تدل على الرفض التام وهو اتجاه نشط وفعـال وقوى ولكنه سالب. والدرجة (٢٠) تدل على اتجـاه الرفض وهو اتجاه سـالب والدرجة (٤٠) تدل على اتجـاه الموافقـة وهو اتجاه موجب والدرجة (٦٠) تشيـر إلى الرفض الكامل وهو اتجاه سالب نشط والدرجة (٨٠) تشير إلى الموافقة الكاملة وهو اتجاه موجب نشط وفعال.

المراجع

المراجع العربية:

١ ـ سعد عبد الرحمن: السلوك الإنسانى تحليل وقياس المتغيرات ط ٣ ١٩٨٣ .

٢ ـ سعد عبد الرحمن: القياس النفسى الطبعة الثانية مكتبة الفلاح ١٩٩٧ .

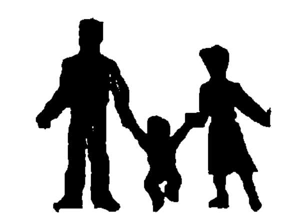
٣ ـ سعد عبد الرحمن: القياس النفسى النظرية والتطبيق ط ٣ دار الفكر العربى ١٩٩٨ .

المراجع الأجنبية:

4 - Bogardus E., Measuring Social distance, 1925.

5 - Kuo, The Genesis of the Cat's respones to the rat, 1930.

6 - Eagly A., The Psychology of attitudes, Harcourt, 1995.



الفصل التاسع

ظاهرة الزعامة أو القيادة

- تعريفات القيادة . دراسات فى القيادة
- اكتشاف القادة
- العلاقة بين عناصر الموقف الزعامى.

عندما نتحدث عن الزعـامة والقيادة ينصرف ذهن القارىء مبـاشرة إلى الزعامات السياسية والقـيادات العسكرية، ولكن الزعامة ليست فى مجال الـسياسة فقط ولكن فى مجالات أخـرى مثل العلوم والفنون، وكذلك القيـادة فإنها ليست فى الفـرق العسكرية فقط ولكنها أيضا فى مجموعات العمل المشترك مثل الفرق الرياضية وما إلى ذلك.

ولم يعرف علم النفس الاجتماعى ظاهرة تتابعت عليها الدراسات والبحوث بعمق وغزارة مثل ظاهرة القيـادة،ولذلك فإنه يصبح من غير السهل أن يـضيف الباحث جديدا فى هذا المجال.

فقد اهتـمت البحوث بدراسة الزعـامة كظاهرة اجتمـاعية من حيث التـعريف بها والعمليات والديناميات المتعلقة بها ولكنها لم تهتم كثيرا بمحتوى عملية القيادة أو الزعامة كعملـية سيكولوچية إلا فى الثلث الأخـير من هذا القرن: إذ أن هناك ديناميـة فى القيم والاتجاهات وتوقعات أفراد الجماعة وكذلك معدل التفاعل بينهم.

وقد كان الاهتمام كـبيرا حول دراسة العلاقة بين الزعامة كظاهرة اجـتماعية وبين بعض المتغيرات السيكولوچية مثل خصائص الشخصية معرفية كانت أم مزاجية، كما دار الاهتمام أيضا حول علاقة هذه المتغيرات (الشخصية والفعلية والسلوكية) ببعضها البعض فى المواقف الزعـامية: وربما كـان هذا هو المدخل الصحـيح لدراسة ظاهرة الزعـامة من الناحية السيكولوچية.

كذلك فإنه يصبح من المفيد أن تهتـم الدراسات والبحوث بطرق اكتشاف وتدريب القادة فى جميع المجالات كما سبق أن قلنا علمية أو فنية أو عملية تطبيقية.

تعريفات القيادة أو الزعامة:

يرى جينكز أن الزعـامة هى ذلك العمل الذى عن طريقه يمكن توجـيه سلوك فرد أو أكثر.

أما هوركس فيـقول: إن الزعيم هو ذلك الفرد الذى يسـتطيع أن يحدث أثرا فى الآخرين ويختلف عنهم فى درجـة التأثير التى يحدثها وعـدد الأفراد الذين يتأثرون به، وعدد المواقف التى يسيطر فيها والمدة التى تستمر فيها سيطرته على الموقف.

ويقول بيجورس Piogors إن الزعامة مفهوم يطلق على الشخصية الإنسانية بحيث يكون لهذه الشخصية من العزيمة والبصيرة ما يمكنها توجيه الآخرين.

ويرى بارتريدج Partridge أن الزعيم فرد له من القدرة والإمكانية ما يمكنه من أن يوحى للآخرين بحيث يتصرفون ويفكرون بالطريقة التى يراها.

من هذه التعريفات يتضح ما يلى:

١ ـ هناك تأكيد على أن الزعيم فرد يؤثر ويوجه ويتحكم فى بقية أعضاء الجسم.

٢ ـ لم يكن هناك الاهتمام الكافى بعملية التفاعل الاجتماعى ودينامية الجماعة.

وهناك نوع آخر من التعريفات:

يقول تيد Tead إن الزعامة نشاط يؤثر فى الآخرين ليجعلهم يتعاونون من أجل تحقيق هدف يرغبون فى تحقيقه.

وأما ستوجديل Stogdill فيرى الزعامة على أنها عملية التأثير فى نشاط جماعة منظمة من أجل تحديد الهدف والوصول إليه.

ويرى بيل وهول Bell & Hall أن الزعيم يمتلك بصيرة اجتماعية تمكنه من توقع حاجات الجماعة ويعمل على إشباع أكبر قدر ممكن من هذه الحاجات.

ويتضح مما سبق أن عملية التأثير والتوجيه ما زالت تميز هذه التعريفات إلا أنها أعطت هامشا لا بأس به لتفاعل وتعاون الجماعة وكذلك حاجاتها.

وهناك نوع ثالث من التعريفات:

يقول يونج Jung إن الزعامة وجه من أوجه التنظيم الكلى للشخصية الإنسانية كوحدة متكاملة وليست سمة أو قدرة خاصة.

ويرى جيب Gibb أن الزعامة ليست خاصية فردية ولكنها صفة من صفات دور الفرد فى نظام اجتماعى محدد يتمثل فى مواقف التفاعل التى تمر بها الجماعة، وكذلك هى أى الزعامة عملية قوامها التأثير والتأثر، أى التفاعل الاجتماعى الذى يتم من خلاله تكوين نسق القيم والاتجاهات والمثل والمبادىء.

ويرى ستوجديل Stogdill أن الزعامة علاقة حية دائمة بين أعضاء الجماعة والتى تؤدى إلى ظهور أحد أفرادها كقائد نتيجة اشتراكه الفعال وتعاونه الواضح مع بقية أفراد الجماعة.

ويصف زيلينى Zeleny القائد بأنه الفرد الذى تكون لديه القدرة على انتزاع الاتجاهات الموجبة من أعضاء الجماعة نتيجة تفوقه فى تحقيق أهداف الجماعة وإشباع حاجات أفرادها.

وهكذا يمكن أن نقول إن هذه التعريفات اتفقت جميعها على أهمية عملية التفاعل الاجتماعى فى إحداث ظاهرة الزعامة أو القيادة، كما نقول أيضا أن هناك اعترافا بأهمية الموقف الاجتماعى الذى تتم فيه عملية التفاعل هذه.

ولكن مازالت جميع هذه التعريفات تؤمن بفكرة (الثنائية) أى قائد أو زعيم يقود ومجموعة من التابعين. وبطبيعة الحال نحن نقول إن القيادة تختلف عن التبعية ولكنها ليست عكسها أى أن القيادة ليست ثنائية القطب بمعنى أنه لو كان هناك تدريج لقياس القيادة فإنه يبدأ من الصفر إلى أعلى ولكنه لا يجرى فى الاتجاه السالب.

ومن هنا يمكن أن نعرف الزعيم أو القائد على أنه عضو الجماعة الذى يستطيع أن يقدم أنماطا محددة من السلوك ناتجة عن خصائصه الشخصية والعقلية والمعرفية بالإضافة إلى عوامل الجماعة والموقف، وذلك من أجل تحقيق أهداف الجماعة.

دراسات فى القيادة:

قسم جينكز دراسات الزعامة إلى عدة أنواع:

أ ـ دراسات تختص باختيار القادة فى مجال الإدارة والإشراف.

ب ـ دراسات تختص باختيار القادة الفنيين والمهنيين.

جـ ـ دراسات تختص بأطفال ما قبل المدرسة أو المواقف المدرسية عموما.

د ـ دراسات تختص بالزعامة الحربية أو العسكرية.

وكانت أهم الطرق المستخدمة فى هذه الدراسات لتحديد القائد أو الزعيم هى:

أ ـ طريقة الملاحظة الشاملة حيث يتم تسجيل تفاعل الفرد مع الجماعة ثم يتم تحليل التسجيل استنادا إلى دليل معين سبق إعداده.

ب ـ طريقه الاختيار (الانتخاب) حيث يقوم أفراد الجماعة بطريقة أو بأخرى باختيار زعيم أو قائد للمجموعة.

جـ ـ طريقة إجراء الاختبارات الخاصة والموقفية للكشف عن القائد.

والطريقة الأولى طريقة الملاحظة سواء كانت شاملة Comprehesive أو رتيبة Systematic فإنها تصلح فى الجماعات الصغيرة التى لا يتعدى عدد أفرادها ٧ ـ ١٠.

وكذلك لابد من إعداد دليل للملاحظة ليتم التسجيل بناء عليه، ومن ثم تتم عملية التحليل. وكلما كان هذا الدليل دقيقا واضحا كان التسجيل والتحليل أقرب ما يكون إلى الحقيقة.

أما الطريقة الثانية ــ طريقة الاختيار أو الانتخاب ــ يمكن أن تستخدم فى الجماعات كبيرة الحجم نوعا أى تلك التى يتعدى عدد أفرادها ٣٠ ـ ٤٠ وتعتبر هذه الطريقة من أسهل الطرق فى اكتشاف القادة، ومن أقل الطرق حاجة إلى مجهود من ناحية الباحث.

أما الطريقة الثالثة وهى طريقة الاختبارات الخاصة وبهذا يعنى أنه لابد أن يكون هناك مقياس أو اختبار لاكتشاف القائد أو الزعيم وهذا أمر يحتاج إلى مناقشة وتدقيق لأن صلاحية مثل هذا المقياس تحتمل الكثير من الشك.

ويقول جينكز أيضا أن الدراسات التى استعرضها تجمع على أن القائد يتفوق على بقية أفراد المجموعة فى البناء الفيزيكى، والذكاء، والاتزان الانفعالى، والقدرة على التعبير، والجرأة.

ثم قام ستوجديل Stogdill بمناقشة أخرى لمجموعة كبيرة من البحوث والدراسات خرج منها **مجموعة ملاحظات هى:**

١ ــ يتميز الزعيم عن بقية أفراد الجماعة بالذكاء والإنجاز والقدرة على تحمل المسئولية والنشاط والمشاركة الاجتماعية.

٢ ــ يتميز الزعيم أيضا بالمثابرة والميل الاجتماعى وتحديد الهدف والثقة فى النفس، والبصيرة الاجتماعية، والتعاون، والشعبية والقدرة على التكيف والطلاقة اللفظية، والأصالة والإبداع.

٣ ــ كانت أنجح الدراسات فى مجال الزعامة تلك التى استخدمت أسلوب الملاحظة ثم التسجيل ثم التحليل بناء على دليل سابق الإعداد ثم قام (مان) Mann بعد ذلك باستعراض دراسات العلاقة بين بعض العوامل الشخصية وبين ظاهرة الزعامة **وخلص إلى ما يلى:**

١ ــ هناك علاقة بين الذكاء والزعامة فى ١٩٦ دراسة، ١٧٣ منها أى ٨٨٪ من هذه الدراسات كان معامل الارتباط بين الزعامة والذكاء حوالى ٠,٥.

ولكن هناك دليل على أن الذكاء اللغوى أكثر ارتباطا بالزعامة من الذكاء غير اللغوى كالذاكرة والقدرة العددية.

٢ ــ ٩٦٪ من الدراسات تؤكد أن هناك علاقة موجبة بين الانضباط Adjustment والزعامة وأن معامل الارتباط حوالى ٠,٥٣.

٣ ــ وجد ٢٢ باحثا فى العلاقة بين الانبساط الاجتماعى وبين القيادة علاقة موجبة بين المتغيرين حيث كان معامل الارتباط حوالى ٠,٥٠.

٤ ـ هناك علاقة بين الميل إلى التسلط والسيطرة وبين السلوك الزعامى أو القيادى وكان معامل الارتباط حوالى ٤, ٠ (يلاحظ هنا أن العلاقة بين هذين المتغيرين ليست علاقة خطية بمعنى طردية العلاقة ولكنها علاقة حيودية Gurvilinear بمعنى أنه إذا زاد معدل التسلط عند نقطة ما قل معدل السلوك الزعامى).

٥ ــ هناك دليل طفيف على العلاقة بين الذكورة / الأنوثة والسلوك الزعامى.

٦ ــ هناك ارتباط سالب بين الميل إلى المحافظة Conservatism والزعامة بمعنى أن الزعيم يكون أكثر ميلا إلى التحرر الفكرى والتقدمية فى الآراء.

٧ ــ هناك علاقة موجبة بين الحساسية الاجتماعية والقيادة بمعنى أن القائد أكثر حساسية للمشكلات الاجتماعية التى تعترض حياة الجماعة من بقية الأفراد.

والآن لنا عدة ملاحظات على هذه الدراسات سواء التى استعرضها جنكيز أو ستوجديل أو مان نوردها فيما يلى:

١ ــ هناك مشكلة المصطلحات العلمية التى فرضت نفسها على معظم هذه الدراسات والبحوث، فما يسمى القدرة الاجتماعية فى دراسة ما يسمى شيئا آخر مثل الميل الاجتماعى أو الانبساط فى دراسة أخرى، وهذا ما يدعو إلى الحذر عند الأخذ بأى من نتائج هذه الدراسات أو تعميماتها.

ولهذا نتفق مع ما قاله آرجايل (M. Argyl) بأنه قبل الوصول إلى تعميم بالنسبة لظاهرة الزعامة لابد من دراسة مجموعات مختلفة من الأفراد مستخدمين أسسا معيارية واحدة لاختيار القادة وكذلك اختبارات موحدة مقننة فى سمات وخصائص الشخصية.

٢ ــ هناك مشكلة أخرى وهى أن الكثير من البحوث التى أجريت فى مجال الزعامة كانت تسير فى خطوط متوازية وليست متتابعة، ومن ثم فقدت صيغة التراكم، فكانت تبدأ دائما من نقطة واحدة وتنتهى إلى إيجاد نوع من العلاقة بين بعض المتغيرات وبين ظاهرة الزعامة.

وربما يفسر ذلك لماذا بقيت هذه المساحة مفتوحة للبحث والدراسة رغم كثرة الإسهامات فى هذا الميدان.

٣ ــ كثير من هذه الدراسات اهتم بإيجاد العلاقة بين الزعامة وبين بعض المتغيرات الأخرى مثل الذكاء والثبات الانفعالى والقدرة اللغوية وما إلى ذلك ولكن القليل منها اهتم بالعلاقة من هذه المتغيرات (تفاعل الذكاء واللغة والثبات الانفعالى... الخ) ببعضها البعض فى الموقف الزعامى أو القيادى.

وبمعنى آخر كان من المتوقع أن تتضح العلاقة بين الخصائص الشخصية والعوامل الموقفية فى حالة ظهور القادة والزعماء. أو كيف يتم التفاعل بين الخصائص الشخصية والعوامل الموقفية.

اكتشاف القادة:

ربما كانت الطريقة المناسبة لاكتشاف القادة كما سبق وأشرنا هى طريقة الملاحظة العلمية المنظمة مع تسجيل تفاعل أفراد الجماعة ثم تحليل هذا التسجيل وتفسيره لمعرفة القائد أو الزعيم.

والملاحظة ـ أيضا ـ هى المشاهدة المقصودة التى تعتمد على عدة افتراضات سابقة ويقوم بها الملاحظ فى أى موقف من المواقف ـ ليجمع فى تسجيل شامل دقائق ذلك الموقف ومكوناته.

أما عن المواقف التى يحتمل فيها ظهور القائد أو الزعيم فهى نوعان:

١ ـ **النوع الأول:** المواقف العملية Work task Situations.

٢ ـ **النوع الثانى:** مواقف الحوار أو المناقشة Discussion Situations.

وهناك عدة شروط يجب أن تتوافر فى عملية الملاحظة ونقصد بالذات من يقوم بالملاحظة فى مواقف الكشف عن القائد.

١ ـ يجب أن يكون الملاحظ من الشخصيات المعروفة لدى الجماعة، بمعنى أن يكون من المشتركين معهم فى حياتهم اليومية حتى يألفه أعضاء الجماعة ولا يقومون بما يخفى سلوكهم الحقيقى وانفعالاتهم تجاه المثيرات التى تحدث فى البيئة.

٢ ـ يقوم الملاحظ بفترة من الملاحظة التمهيدية قبل إجراء الملاحظة الحقيقية وذلك ليتعرف عن قرب على أنواع السلوك التى يمارسها الأعضاء وبناء على هذه الملاحظة التمهيدية يمكنه إعداد دليل الملاحظة.

٣ ـ يستخدم الملاحظ أدوات مناسبة لتدوين ملاحظات وتسجيلها بحيث لا يلفت نظر أعضاء الجماعة حتى لا يتحرجون من تسجيل ردود أفعال تصدر عنهم فى هذا الموقف أو ذاك.

٤ ـ يجب أن تستمر الملاحظة فترة زمنية كافية حتى يمكن ملاحظة تكرار أنواع السلوك وأنماطه المختلفة.

٥ ـ من المستحسن أن يشارك الملاحظ الجماعة أنشطتهم المختلفة مثل الأنشطة الرياضية أو الرحلات أو غير ذلك: وقد قام مظفر شريف بدور حارس فى أحد معسكرات العمل أثناء ملاحظة لمجموعة من الشاب فى مواقف اكتشاف القادة.

وكمـا سبق أن أوضـحنا هناك نوعـان من المواقف هما مـواقف العمل ومـواقف الحوار. **وفى النوع الأول**: يتركز الاهتمام حول التفاعل الأدائى Performance Interac-tion بما فيه من عناصر ومكونات أما فى **النوع الثانى**: فيدور الاهتمام حول فنية أسلوب الحوار والمناقشة.

وكما أسـلفنا فإن لكل موقف من هذين الموقفـين لابد وأن يكون له دليل لتحليل محتويات التسجيل.

وسوف نلقى الضوء على ذلك:

أولا: مواقف العمل أو المواقف العملية Work Task Situations:

حاول كارتر ونـيكسون ١٩٥٩ وضع دليل لتحليل محـتوى الملاحظة فى المواقف العملية لاكتشاف القادة

وقام الباحثان بتـسجيل التفاعل العملى واللفظى بين أعضـاء الجماعة فى مواقف حل المشكلات العقلية (الألغاز) وهى التى تحتاج إلى مهارة معينة وكذلك مواقف الإدارة والمواقف الميكانيكية وخاصة مواقف الحل والتركيب.

ثم قام الباحثان بتحليل التسجيل بناء على الدليل التالى:

عمل هام Major Performance ٢ درجة.

عمل مساعد Minor Performance ١ درجة.

اقتراح هام Major Suggestion ٢ درجة

اقتراع عادى Minor Suggestion ١ درحة

ثم جمعت أوزان كل نوع من الأنواع الأربعة على حدة كنسب مئوية من مجموع التفاعل الكلى وحولت بعد ذلك إلى مقياس مئوى يبدأ من الصفر وينتهى عند المائة.

وقد وصل الباحـثان إلى القول بأن الزعامة فى مواقف المشـاكل العقلية والإدارية تتشابه أو تتقارب معا فى حين أن القيـادة فى المواقف العملية والميكانيكية تبدو بعيدة عن النوعين السابقين من حيث العناصر والمقومات.

وهنا تبدو مشكلة ضيق مدى دليل التحليل حيث إنه لا يغطى جميع أنماط السلوك بل أنه، أى هذا الدليل، قد حصر جميع الأنماط السلوكية فى أربعة أصناف ما بين عمل واقتراح هام أو مساعد.

وتبدو مشكلة أخرى هى مشكلة إعطاء أوزان قريبة من بعضها البعض لعناصر هذا الدليل.

نستعرض بعد ذلك دليلا آخر اقترح سنة ١٩٦١ ويمكن تلخيصه فيما يلى:

(١) يظهر القائد أو الزعيم نشاطا يفوق النشاط العادى فى محاولة حل المشاكل التى يتضمنها الموقف وذلك عن طريق إظهار أنماط التفاعل الآتية:

أ - الأداء الابتكارى Original Performance:

أى الأداء الأصيل الذى يقود مباشرة إلى حل المشكلة الموقفية بدرجة تبهر توقعات بقية أفراد الجماعة. وذلك مثل إعادة تنظيم الموقف وترتيب عناصر مجال التفاعل أو إنشاء تركيب جديد يؤدى إلى الحل الأمثل لمواجهة المشكلة.

ب - الاقتراح الابتكارى Original Suggestion:

وهو الفكرة الأصيلة التى تقود بالضرورة إلى تغيير الأوضاع النسبية لعناصر الموقف وبمعنى آخر هو عملية إعادة الصياغة Redifinition التى تعتبر إحدى مكونات التفكير الابتكارى.

جـ - تنظيم الجماعة Organizing the Group :

بمعنى تقسيم العمل بين أفرادها بما يتفق وإمكانات كل منهم.

د - إرشاد أعضاء الجماعة Group Guidance:

بمعنى إرشاد الآخرين إلى كيفية القيام بعمل معين فى الموقف الأدائى. ويكون هذا الإرشاد أو التوجيه إما عمليا عن طريق التوضيح الفعلى أو لفظيا عن طريق الشرح والتوضيح.

هـ - مراجعة تقدم الجماعة على الخطة الموضوعة

Checking Group Progress :

ويقصد بهذا بأن يقوم القائد أو الزعيم بمطابقة معدل إنتاجية الجماعة فى لحظة معينة على خطة العمل الموضوع وبهذا يمكن تحديد سرعة حركة الجماعة نحو هدفها.

(٢) يقوم القائد بأداء الجزء الأكبر من محاولة حل المشاكل:

التى يتضمنها الموقف وذلك عن طريق إظهار أنماط التفاعل الآتية:

أ ـ الأداء الفعال Major Performance:

وهو أداء نشط وفعال وإن كانت تنقصه الفكرة الإبداعية إلا أنه ضرورى لحل المشكلة التى تعترض الموقف ويحتاج إلى مهارة فنية معينة تكون على مستوى المشكلة.

ب ـ الاقتراح الفعال Major Suggestion:

اقتراح يقوم أساسا على الجرأة والإقدام وتنقصه كذلك الفكرة الأصيلة ولكنه يساعد على تعديل الأوضاع النسبية لعناصر الموقف.

وبمعنى آخر فإن الأداء الفعال والاقتراح الفعال نوعان من السلوك ينقصهما الإبداع والأصالة ويميزها الجرأة والإقدام.

جـ ـ المحاولة الهادفة Purposful attempt:

وهى المحاولة التى تهدف إلى غرض قد يؤدى إلى حل المشكلة الأساسية وذلك مثل محاولة التغيير أو الإضافة فى المجال العام للموقف بهدف اختبار أثر هذا التغيير أو الإضافة على محتوى المشكلة.

د ـ تقديم أفكار جديدة Offering new ideas:

وهى كل أداء أو اقتراح غير النوع الابتكارى الأصيل أو النوع الفعال مثل الأسئلة العديدة أو الأعمال المساعدة الجانبية أو تسهيل حركة أعضاء الجماعة.

(٣) يحاول القائد أن يوجه أعضاء الجماعة ليعملوا كما يرغب وذلك عن طريق إظهار أنماط التفاعل الآتية:

أ ـ يوضح للجماعة عمليا أن فكرته أو اقتراحه هو الأفضل والأنسب.

ب ـ يقنع أفراد الجماعة نظريا أن فكرته أو اقتراحه هو الأفضل والأنسب.

جـ ـ يقوم بإعادة أعمال الآخرين موضحا نوعا خاصا من المهارة والدقة.

د ـ يوجه النقد إلى المقترحات التى لا تتفق مع وجهة نظره.

هـ ـ يوجه التشجيع والتقدير إلى الآراء التى تتفق مع وجهه نظره.

و ـ إعطاء الأوامر وتقديم المعلومات.

مما سبق يتضح أن السلوك القيادى أو الزعامى فى أى موقف من المواقف العملية يمكن تحليله إلى ثلاثة أبعاد رئيسية هى:

(١) إظهار معدل من النشاط يفوق المعدل العادى بشكل ملحوظ ودرجة فائقة.

(٢) القيام بأداء أكبر قدر ممكن من النشاط الذى تبذله الجماعة.

(٣) محاولة (دفع) الآخرين للتفاعل فى الاتجاه الذى يرغبه القائد.

هذا بالنسبة للمواقف العملية أو مواقف الأداء، وماذا إذن عن النوع الآخر وهو مواقف الحوار أو المناقشة وهى مواقف ذات أهمية واضحة فى اكتشاف القادة لأن المهارة اللفظية والقدرة على التعبير بما فيها من عناصر عقلية ومنطقية وإمكانية الحوار والإقناع والتأثير وتوضيح الفكرة وصياغة الاقتراح وتقديم القرار كلها تمثل معيارا جيدا فى عملية الكشف عن القادة.

ومن أهم الدراسات التى أجريت لبناء دليل لتحليل محتوى تسجيل مواقف المناقشة كانت دراسة (باس) ١٩٥٤ حيث اقترح سبع نقاط يقوم عليها التحليل وهى:

١ ــ المبادأة.

٢ ــ القدرة التعبيرية المؤثرة.

٣ ــ القدرة على تحديد المشكلة.

٤ ــ إثارة الآخرين للاشتراك فى المناقشة.

٥ ــ التأثير على آراء الآخرين.

٦ ــ تقديم حلول إيجابية للمشكلة.

٧ ــ قيادة المناقشة.

تم عاد (باس Bass) وأعطى لكل نوع من أنواع السلوك السبعة خمسة أوزان أو درجات حسب تقدير الملاحظ وذلك كما يلى:

قدر واضح (من أى سلوك) ٤ درجات.

قدر كبير (من أى سلوك) ٣ درجات.

إلى حد ما (من أى سلوك) ٢ درجتان.

إلى حد قليل (من أى سلوك) ١ درجة واحدة.

لا شىء مع الإطلاق (من أى سلوك) صفر.

وهناك بعض الملاحظات حول حاجة هذه النقاط السبعة المقترحة إلى التوضيح والتحليل حتى يستطيع من يقوم بالملاحظة أن يجد السبيل سهلا فى عملية التسجيل، ومن ثم التقدير والتحليل. كذلك الأوزان المعطاة فهى أيضا تحتاج إلى معنى يقوم عليه التفسير.

وفى سنة ١٩٦١ اقترح دليل آخر لتحليل محتوى تسجيل مواقف الحوار والمناقشة تمكن تلخيصه مما يلى:

(١) يوثر القائد على الاتجاه العام للمناقشة وذلك عن طريق اظهار أنماط التفاعل الآتية:

أ ـ فتح بـاب المناقشة أى المبـادرة بالحديث وتهيئـة الجو للآخرين لـلدخول فى الحوار.

ب ـ تقديم الاقتراحات التى تغير من بعض بنود المناقشة بصورة واضحة بمعنى أن يتغير اتجاه المناقشة بعد تقديم أى اقتراح من هذا النوع.

جـ ـ موافقة القائد أو عدم موافقته تغير من اتجاه المناقشة.

(٢) يؤثر القائد على القرار النهائى للجماعة وذلك عن طريق إظهار أنماط التفاعل الآتية:

أ ـ تقديم اقتراح ينهى جزءا من المناقشة.

ب ـ تقديم القرار فى صورة اقتراح.

جـ ـ موافقة القائد أو رفضه تؤثر على الوصول إلى القرار النهائى.

(٣) يأخذ القائد دورا فعالا فى المناقشة وذلك عن طريق إظهار أنماط التفاعل الآتية:

أ ـ تقديم أفكار ومقترحات جديدة.

ب ـ الموافقة الإيجابية (الفعالة) أو الرفض الفعال لآراء الآخرين.

جـ التعليق على آراء الآخرين.

مما سبق يتضح أن دليل تحليل محتويات تسجيل التفاعل اللفظى يعتمد على أبعاد ثلاثة هى:

١ ـ توجيه الاتجاه العام للمناقشة.

٢ ـ التأثير على القرار النهائى للجماعة.

٣ ـ الإسهام الإيجابى فى المناقشة.

وهناك نوع ثالث من أنواع المواقف غـير مواقف الأداء والعـمل ومواقف الحـوار والمناقشة، وهذا النوع هو مواقف التفاعل الحر مثل الأنشطة المختلفة التى يمارسها الشباب سواء كان نشاطا رياضيا أو اجتماعيا أو غير ذلك.

وفى هذه المواقف تصبح وحدات تحليل محتوى تسجيل الملاحظة كما يلى:

١ ــ تكوين الجماعات الفرعية (الشلل).

٢ ــ المشاركة الاجتماعية.

٣ ــ سرعة الحركة والانتقال.

٤ ــ الاستقطاب الاجتماعى.

٥ ــ الانطواء والعزلة.

٦ ــ الممانعة الاجتماعية (مقاومة العلاقات).

٧ ـ المبادأة.

٨ ـ الحساسية الاجتماعية.

وكل نقطة من هذه النقاط تحتاج إلى شرح وتحليل ولكنها صالحة لأن تكون وحدات إرشادية للملاحظة فى مواقف التفاعل الحر.

وقد لاحظنا أنه فى الأدلة الثلاثة السابقة لم تعط أى أوزان بل يكتفى الباحث بحساب تكرارات كل نمط من أنماط السلوك. وفى واقع الأمر أن النظرية التى اعتمدت عليها هذه الأدلة تقول إن **الزعامة أو القيادة هى كل جهد يبذله أعضاء الجماعة لإضافة أو تعديل أو إبدال فى عناصر المجال الاجتماعى وذلك عن طريق حركتها نحو الهدف.**

العلاقة بين عناصر الموقف الزعامى:

سوف نستعرض فيما يلى دراسة اعتمدت على النظرية التى سبق الإشارة إليها وهى أن ظاهرة الزعامة أو القيادة كظاهرة سلوكية تعنى أنها تفاعل حر بين أفراد الجماعة بقصد إعادة ترتيب المجال للوصول إلى الهدف، وهذا يعنى أن كل فرد يمكن أن يقود وأن يشترك فى عملية القيادة بقدر ما تؤهله قدراته وإمكاناته ونستطرد ونقول إن **القائد الناجح هو تابع ناجح.**

فى هذه الدراسة تم قياس تسعة متغيرات بعضها شخصى وبعضها موقفي وكانت كما يلى:

١ ــ الذكاء أو القدرة الفطرية العامة.

٢ ــ القدرة اللغوية وخاصة السيولة اللفظية التعبيرية.

٣ ــ الثبات الانفعالى.

٤ ــ الميل إلى التسلط والسيطرة.

٥ ــ القدرة على اجتذاب حب الآخرين.

٦ ــ القدرة على تحمل المسئولية.

٧ ــ القدرة الاجتماعية (الميل الاجتماعى).

٨ ــ القدرة على التعاون مع الآخرين.

٩ ــ القدرة الفنية (التكنيكية).

ثم تمت ملاحظة أربعين مجموعة فى مواقف عملية وفى مواقف مناقشة لمدة عشرة أسابيع. وكانت المواقف العملية هى: أعمال النجارة ــ الحدادة ــ الطباعة ــ تجليد الكتب ــ السمكرة - فن تنسيق الحدائق.

(تمت الملاحظة فى إحدى المدارس الفنية فى بريطانيا).

وجميع هذه المواقف تحتاج إلى عمل جماعى، أما مواقف المناقشة فهى الاجتماعات الأسبوعية التى يعقدها كل فصل دراسى لمناقشة بعض المشاكل الاجتماعية والاستماع إلى عدد من التقارير.

ثم أجرى تحليل محتوى الملاحظة باستخدام الأدلة السابق الإشارة إليها وكانت نتائج الدراسة كما يلى:

١ - مقارنة القادة بغيرهم من حيث أنماط السلوك:

تفوق القادة على بقية أعضاء الجماعة فى الأنماط السلوكية التالية وذلك فى المواقف العملية:

١ ــ الأداء الابتكارى.

٢ ــ الأداء الفعال.

٣ ــ إعطاء الأوامر.

٤ ــ مراجعة تقدم الجماعة.

٥ ــ تنظيم الجماعة وتوزيع العمل.

٦ ــ إرشاد أعضاء الجماعة.

٧ ــ نقد أعمال الآخرين.

أما مواقف المناقشة تفوق القادة على غيرهم فى أنماط السلوك التالية:

١ ــ تقديم القرار فى صورة اقتراح.

٢ ــ فتح باب المناقشة.

٣ ــ تقديم مقترحات جديدة.

٤ ــ تقديم الاقتراح الذى ينهى المناقشة.

٥ ــ تقديم الاقتراح الذى يغير اتجاه المناقشة.

٢ ـ مقارنة القادة بغيرهم من حيث الخصائص التسعة:

تفوق القادة على غيرهم فى الخصائص التالية:

١ ــ الذكاء العام.

٢ ــ القدرة على التعاون.

٣ ــ القدرة على تحمل المسئولية.

٤ ــ القدرة الاجتماعية.

٥ ــ القدرة على اجتذاب الآخرين.

٦ ــ القدرة التكنيكية.

مما سبق نستطيع الحديث عن العلاقة بين عناصر الموقف الزعامى بحيث نقول إن هناك (٦) خصائص تميز القادة عن غيرهم وبذلك يمكن أن نستطرد ونقول إن التفاعل بين هذه العناصر الستة يؤدى إلى وضوح ظاهرة الزعامة فى موقف ما.

وهنا قامت الدراسة بتثبيت درجة الذكاء ودرست العلاقة بينها وبين الخصائص الخمسة الأخرى، ثم القدرة على التعاون وهكذا وكانت النتائج كما يلى:

١ ــ عند تثبيت درجة الذكاء (الفرق بين القادة وغيرهم صفر) تستطيع العناصر الخمسة الأخرى التمييز بين القادة وغير القادة.

٢ ــ عند تثبيت درجة القدرة على التعاون مع الآخرين نجد أن القدرة على تحمل المسئولية والقدرة التكنيكية هما الخاصتان الوحيدتان اللتان يمكن أن تميزا بين القادة وغيرهم.

٣ ــ عند تثبيت القدرة الاجتماعية نجد أن العناصر الدالة فى التمييز بين القادة وغيرهم هى: القدرة على التعاون ــ القدرة التكنيكية ــ القدرة على تحمل المسئولية.

٤ ــ عند تثبيت القدرة التكنيكية نجد أن عناصر التميز هى:

القدرة على التعاون مع الآخرين ــ القدرة الاجتماعية ــ القدرة على اجتذاب حب الآخرين.

٥ ــ عند تثبيت القدرة على اجتذاب حب الآخرين نجد أن عناصر التمييز هى: القدرة على التعاون ــ القدرة الاجتماعية ــ القدرة التكنيكية ــ القدرة على تحمل المسئولية.

٦ ــ عند تثبيت القدرة على تحمل المسئولية لم يظهر غير القدرة التكنيكية والقدرة على اجتذاب حب الآخرين كعناصر مميزة.

مما سبق نستنتج:

١ ــ القدرة على تحمل المسئولية والقدرة على التعاون مع الآخرين هما أكثر العناصر قابلية للتفاعل مع مكونات الموقف الاجتماعى لإظهار القائد وبذلك يمكن أن نسميها عناصر متفاعلة Reactant elements.

٢ ــ القدرة الاجتماعية والقدرة التكنيكية والقدرة على اجتذاب حب الآخرين تأتى فى المكان المتوسط بين العناصر المتفاعلة ,والعامل المساعد Catalytic Factor.

٣ ــ يعتبر الذكاء بصورة قاطعة عاملا مساعدا Catalytic Factor ضروريا لإتمام التفاعل بين العناصر السابقة ومكونات الموقف، لإتمام ظاهرة القيادة أو الزعامة.

المراجع

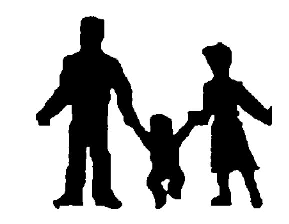
المراجع العربية:

سعد عبد الرحمن: أسس القياس النفسى الاجتماعى القاهرة ١٩٦٩.

المراجع الأجنبية:

2 - Gibb, c, Leadership in Hand book of social psychology 1958.

3 - Stogdill, S, Reiveau of Leadership reseach, 1952.



الفصل العاشر

مناهج البحث النفسى الاجتماعى، وطرقه، وأنواعه

أولا ـ صعوبات البحث فى علم النفس الاجتماعى.

ثانيا ـ مناهج البحث العلمى فى علم النفس الاجتماعى.

ثالثا ـ مفهوم الطريقة العلمية وأسس اختيارها.

رابعا ـ أهم طرق البحث المستخدمة فى علم النفس الاجتماعى.

خامسا ـ أهم تصنيفات الأبحاث النفسية الاجتماعية.

سادسا ـ الملخص.

يبدأ هذا الفصل بتحليل موجز للصعوبات التى تواجه البحث النفسى الاجتماعى والتى ينشأ أغلبها من خصائص وطبيعة الظواهر النفسية الاجتماعية.

ثم تتطور موضوعات هذا الفصل لتبين كيف أمكن التغلب على مثل تلك الصعوبات وذلك باتباع المنهج العلمى المناسب، وطرق البحث التى تتفق ونوع الدراسة والتى تلائم طبيعة الظاهرة التى يتصدى العلم لها.

ولذلك أصبح من الضرورى أن نبين الفروق الجوهرية القائمة بين المنهج والطريقة والنوع، حتى لا يختلط الأمر على الباحثين فى هذا العلم والدارسين له. وكثيرا ما يكتب بعض الباحثين عن منهج بحثهم وهم يعنون طريقته، وكثيرا ما يشرحون طريقته وهم فى الحقيقة يصفون نوعه.

أولا - صعوبات البحث فى علم النفس الاجتماعى

تواجه الباحث فى علم النفس الاجتماعى صعوبات مختلفة، ينشأ أغلبها من موضوع ومادة العلم: فالإنسان نفسه وهو بسلوكه الظاهر والباطن الذى هو موضوع علم النفس بجميع فروعه - إذا استثنينا علم النفس الحيوانى - مخلوق معقد حول قلب. ولعل ذلك سر مرونته وسر عظمته. ولقد أكسبته هذه المرونة عبقرية خاصة سمت به إلى المدارج العليا وأوشكت أن تحجب عنا صلته الوثيقة بباقى أنواع المملكة الحيوانية.

بهذا تحدى هذا المخلوق الغريب أساليب البحث العلمى بادىء ذى بدء، فانصرف الرواد الأول للنهضة العلمية بمجهوداتهم وأبحاثهم إلى الكون الطبيعى. ثم لانت قناته. ووضحت مسالكه ودروبه. فإذا العقل يبحث العقل، والإنسان يستشف أغوار الإنسان.

ولقد تطور البحث فى علم النفس من دراسة سلوك الفرد إلى دراسة سلوك الجماعة، وبذلك بدأت الأبحاث النفسية الاجتماعية تتخذ وجهتها العلمية الصحيحة. ولقد تحولت دراسة سلوك الجماعة إلى دراسة العلاقات الاجتماعية التى تنشأ بين الأفراد وما يتبعها من تفاعل ودينامية.

ولقد واجه البحث العلمى فى علم النفس الاجتماعى منذ نشأته الأولى صعوبات متعددة، نلخص أهمها فى كثرة عدد الظواهر الجديدة التى يمتد إليها مجال البحث عاما بعد آخر، وكثرة عدد المتغيرات التى قد تحول بين الباحث وبين الضبط التجريبى الصحيح، وتشابك العلاقات الاجتماعية التى تنشأ بين الأفراد إلى الحد الذى يجعلها

معقدة صعبة المراس، وتأثر الظواهر النفسية الاجتماعية بإجراءات البحث واحتمال تغيرها خلال تلك الإجراءات.

ومهما يكن من أمر هذه الصعوبات فلا يضير العلم أن يتصدى لبحثها مادامت الطريقة التى يعالج بها هذه الصعوبات طريقة علمية صحيحة، ومادامت نتائج هذه الطريقة نتائج علمية موضوعية.

وسنبين فيما يلى أهم هذه الصعوبات حتى يكون الدارس لهذا العلم على وعى بها فلا ينزلق فى دروبها الشاقة الوعرة.

(أ) كثرة عدد الظواهر الجديدة:

الظواهر التى يتصدى علم النفس الاجتماعى لدراستها ليست هى كل الظواهر التى يمكن أن يوصف بها السلوك النفسى الاجتماعى، وإنما هى بعض الظواهر التى أمكن تحديدها وقياسها، وذلك لحداثة العهد بعلم النفس الاجتماعى التجريبى[1]. إذ بلغ مدى متوسط الأبحاث التجريبية من ٠,٥ إلى ١,٥ حتى سنة ١٩٢٠. وبلغ مداه فيما بين سنة ١٩٢٠ وسنة ١٩٤٠ من ١١,٢ إلى ٢١ ثم امتد متوسطه إلى ٣١,٢ فيما بين سنة ١٩٤٠ وسنة ١٩٤٤ وإلى ٥٥,٢ فيما بين سنة ١٩٤٥ وسنة ١٩٤٩ وإلى ١٥٢,٥ فيما بين سنة ١٩٥٠ وسنة ١٩٥٣. وظلت النسبة فى اطراد زيادتها حتى امتد مجال علم النفس الاجتماعى إلى مسالك حياتنا اليومية الواقعية[2].

هذا وبالرغم من الزيادة المطردة، فما زال علم النفس الاجتماعى فى مشارف ميدانه الواسع الخصب، وما زالت إرهاصات المستقبل كامنة لم يشملها البحث بعد. وعندما يطور هذا العلم مناهج بحثه وطرق دراسته وأدوات قياسه، فإنه قد يستطيع أن يجلو غوامض كثير من الظواهر النفسية الاجتماعية التى ما زال الرأى فيها ضربا من ضروب الرجم بالغيب.

من أجل هذا اهتم هذا الفصل بدراسة الخطوات التفصيلية لطريقتى الملاحظة والتجريب ليواكب بذلك الزيادة المطردة فى عدد الظواهر التى يمتد إليها مجال علم النفس الاجتماعى المعاصر. وليهيىء المجال للبحث الميدانى إن كان ذلك يتفق وطبيعة تلك الظواهر الجديدة. أو البحث المعملى إن أمكن ضبط المتغيرات والتحكم فيها.

---

(1) Fraisse, P. and Piaget, J.: Traite de Psychologie Experimentale: IX. Psychologic Sociale. Paris Univ. de France. 1965. P. 1.

(2) Swingle. P. G. Social Psychology in Everyday Life. London. Penguin. 1973.

(ب) كثرة عدد المتغيرات:

كثرة عدد المتغيرات من أهم الصعوبات، التى تؤثر فى البحث النفسى الاجتماعى.

ولذا كان لزاما على الباحث أن يحصى تلك المتغيرات وأن يعالجها المعالجة العلمية المناسبة لها.

وتنشأ هذه الكثرة من أن السلوك النفسى الاجتماعى سلوك متبادل، ويحدث هذا التبادل بين الفرد ونفسه وبين الفرد وغيره، فكما أن ما يصدر عن الفرد يؤثر فى الشخص الآخر الذى يتفاعل معه، فإنه أيضا يؤثر فى الفرد نفسه فيصبح هو المثير وهو المستجيب، وتتحول الاستجابة التى تصدر عنه إلى مثير بالنسبة للاستجابة التى تليها. ولقد فطن أبو حيان التوحيدى[1]. فى القرن الرابع الهجرى إلى هذه البينونة بين الإنسان ونفسه حيث يقول «. . . إنى أجد الإنسان ونفسه كجارين متلاصقين يتلاقيان فيتحدثان، . . . وهذا يدل على بينونة بين الإنسان ونفسه. .».

ولا يقف الأمر عند هذا الحد فقد كشفت الأبحاث العلمية الخاصة بالعلاقات الثنائية التى تنشأ بين فردين، عن صورة متعددة لتلك العلاقة المتبادلة تزيد من عدد المتغيرات إلى الحد الذى تتطلب معه استخدام أساليب تحليل المتغيرات المتعددة. وهى أساليب معروفة فى البحث الارتباطى.

(جـ) تشابك العلاقات الاجتماعية وتعقيدها:

تصدر المؤثرات الاجتماعية عن فرد أو عن حشد من الأفراد يؤلفون فيما بينهم جماعة. والفرد والجماعة جزء من الموقف الدينامى المحيط به وبهم، والاستجابة النفسية الاجتماعية مظهر من مظاهر ذلك الموقف. وتتعدد الصلات القائمة بين المؤثرات والمؤثرات، وبين الاستجابات والاستجابات وبين المؤثرات والاستجابات.

وبالرغم من هذا الكل المعقد المتشابك، فإنه يمكن أن ترتبط الاستجابات بمثيراتها، وبالعوامل الأخرى المؤثرة فيها ارتباطا يخضع فى جوهره لوسائل البحث العلمى، ويهدف إلى اكتشاف العوامل والأسباب التى ينجم عنها ذلك السلوك تمهيدا لصياغة القوانين والنظريات التى تفسر الجوانب المختلفة للاستجابات الاجتماعية.

ولهذا فعلى الباحث أن يكتشف أنجح الطرق التى تمكنه من رصد تلك الاستجابات رصدا علميا موضوعيا دقيقا. وعليه أيضا أن يفصل الظاهرة التى يهدف إلى

---

(١) ـ حسن السندوبى ـ أبو حيان التوحيدى: حياته وآثاره ومروياته: القاهرة سنة ١٩٢٩ المقابلة ١٨ ص ١٦١.

دراستها عن غيرها من الظواهر التى لا تعنيه فى بحثه حتى لا يختلط عليه الأمر، وحتى لا يضل طريقه بين الظواهر المتشابكة المختلفة.

والظواهر النفسية الاجتماعية ليست ببساطة الظواهر الطبيعية والكيميائية فارتفاع الزئبق مثلا فى الترمومتر يرتبط ارتباطا مباشرا بارتفاع درجة الحرارة. لكن السلوك الاجتماعى لفرد ما فى استجابته لمثير ما يختلف يوما عن يوم تبعا لاختلاف الموقف العام المحيط به، والعوامل المؤثرة فيه.

ويستعين علم النفس الاجتماعى بدراسة الفرد فى استجاباته المختلفة على أنه جزء من الموقف والإطار العام الذى يحيط به. ولهذا يلجأ الباحثون إلى تحليل المجال الذى يهيمن على الفرد للوصول إلى الحقائق العلمية التى يهدفون إليها.

(د) تأثر الظواهر بعملية البحث:

من أهم مشكلات البحث أيضا فى علم النفس بصفة عامة، وعلم النفس الاجتماعى بصفة خاصة أن السلوك النفسى، والنفسى الاجتماعى يميل إلى أن يتأثر إلى حد ما بعملية البحث نفسها. فإذا عرف شخص ما مثلا، أنه فرد فى تجربة فإنه يميل إلى أن يسلك سلوكا مختلفا عن سلوكه العادى فى حياته اليومية. وقياس مدى تغير مثل هذا السلوك واختلافه عن السلوك العادى عملية شاقة عسيرة، لأن مثل هذا التغير يختلف تبعا لاختلاف خصائص الأفراد. فمنهم من يزداد نشاطه عندما يعلم أنه موضوع الملاحظة والتجريب، ومنهم من يرتبك ويتعثر، ومنهم من يسلك المسلك الذى يظن أن الباحث يتوقعه منه، أو ما يمكن أن يسلكه الإنسان العادى الطبيعى أو تعرض لنفس الظروف التى يتعرض لها، وهكذا.

ولذا تتأثر نتائج التجارب المعملية بالقياس القبلى الذى يقوم به الباحث للجماعات التجريبية والضابطة. وسنبين بعد ذلك فى دراستنا للتصميمات التجريبية كيف يمكن التغلب على هذه الصعوبة، وذلك عن طريق الاستعانة بأكثر من جماعة ضابطة لقياس أثر هذا القياس القبلى والتخلص منه.

ثانيا - مناهج البحث العلمى فى علم النفس الاجتماعى

تقتضى دراسة طرق البحث الشائعة فى علم النفس الاجتماعى معرفة المناهج التى تنتمى إليها تلك الطرق. ولذا سنبين فيما يلى معنى المنهج ونفرق بينه وبين الطريقة، وخاصة أن بعض الدارسين يجدون صعوبة فى هذه التفرقة. وبعد أن ننتهى من التحديد الدقيق لمعنى المنهج سنصف المناهج بالنسبة لأساسين رئيسيين هما أساس القبلية

والبعـدية، وذلك تبعـا لتوقيت حـدوث الظاهرة، وتطبيق الطريقـة، وأساس الخارجـية والداخلية تبـعا لنسبة الظاهرة إلى غيـرها أو إلى مكوناتها. ثم نوضح بعد ذلك مـعايير تقييم المنهج لطرق البحث.

(أ) معنى مناهج البحث:

منهج البحث فرع من فروع علم المنطق، وموضوع دراسته طرق البحث العلمى. أى أنه علم طرق البحث كما تدل على ذلك تسـميته الإنجليزية Methodology. ويدل المقطع الأول من المصطلح على الطريقة، ويدل المقطع الثانى على العلم.

وبذلك يعنى منهج البحث، أو علم طرق البحث، الدراسة المنطقية لقواعد وطرق البحث العلمى، وصياغتها صياغة إجرائية تيسر استخدامها.

وتعد أهم موضـوعات مناهج البحث دراسة الطرق فى ضوء مقـوماتها والأسس التى تبنى عليها ومدى نجاحها فى تحـقيق أهدافها. وهذا يتطلب إعداد نظام علمى دقيق لتقييمها.

(ب) أنواع المناهج:

تصنف مناهج البحث إلى قبلية وبعدية إذا كان أساس التقسيم هو توقيت حدوث الظاهرة وتوقيت طريقة البحث.

وتصنف إلى خارجية وداخلية إذا كان أساس التـقسيم هو نسبة الظاهرة لغيرها أو نسبتها لمكوناتها الداخلية.

وسنبين فيما يلى المناهج وطرقها التى تندرج تحت كل نوع منها:

١ ـ المناهج القبلية والبعدية:

يعتمد تصنيف المناهج إلى قبلية وبعدية على موقع طرق المنهج من توقيت حدوث الظواهر. فإذا سـبقت الطريقة الظواهر وخططـت لحدوثها لضبط قـياسهـا والتحكم فى أبعادها سمى مـنهج البحث منهجا قبلـيا. وإذا سبقت الظواهر طريقة الـبحث وسجلت الطريقة الـظاهرة كما حـدثت أو تحدث سـمى منهج البحث منهـجا بعديا. ومـن أمثلة الطرق التى تندرج تحت المنهج القبلى الطريقة التجريبـية لأنها تحدث التغير للكشف عن العوامل والأسباب، وتعـتمد على رصد ما يحدث من تغـير فى المتغيرات التابعـة نتيجة لإحداث تغير فى المـتغيرات المستقلة. ومن أمثـلة الطرق التى تندرج تحت المنهج البعدى طريقة الملاحظة لأنها تعتمد على تسجيل الظواهر كما تحدث.

٢ ـ المناهج الخارجية الأرسططالية، والداخلية الجاليلية:

تصنيف المناهج إلى خارجية وداخلية أهم من تصنيفها إلى قبلية وبعدية وأكثر شيوعا بين الباحثين. والمنهج الخارجي ينسب الظاهرة إلى غيرها من الظواهر الأخرى، والمنهج الداخلى ينسبها إلى مكوناتها الداخلية.

ويسمى المنهج الخارجى المنهج الأرسططالى، ويسمى المنهج الداخلى المنهج الجاليلى[1].

والمنهج الأرسططالى منهج فى البحث يؤكد العلاقات القائمة بين الجنس وأنواعه أو بين الفئة وأفرادها أو بين القاعدة والحالات التى تنتمى إليها.

وهو يستخدم التفكير الاستقرائى فى دراسته للظواهر بهدف الكشف عن العلاقات القائمة بينها، للوصول من تلك العلاقات إلى القضايا العامة أو القوانين والنظريات التى تكمن وراء الظاهرة. ولذا فهو يهتم بتعدد الظواهر التى يبحثها واختلافها ليصل من ذلك إلى التعميم المطلوب.

ويستخدم المنهج الأرسططالى التفكير الاستنباطى أيضا وذلك للكشف عن الظاهرة التى تنطوى تحت قانون عام، أو باستخدام القانون العام لبناء نظام معين من الوقائع والظواهر فى إطار ذلك القانون. فهو بهذا المعنى تفسير للوقائع والظواهر فى ضوء القواعد والقوانين.

والمنهج الجاليلى يفسر الظاهرة فى ضوء قوى المجال التى تؤثر فيها وتتأثر بها ولا يفسرها بنسبتها إلى الفئة التى تحتويها والجنس الذى تنطوى تحته كما يفعل المنهج الأرسططالى.

ويصل المنهج الجاليلى إلى عموميته بسبر أغوار الظاهرة التى يبحثها، فهو ينظر إليها على أنها كل متكامل تتفاعل قواه المؤثرة فيه، ويعد وجوده نتيجة لهذا التفاعل. فهو لذلك يبحث الظاهرة من حيث كونها محصلة مجموعة من القوى. أى أنه يبحث داخل الظاهرة عن التفاعل والدينامية التى تؤدى إليها وتكسبها خصائصها وصفاتها.

ويستخدم علم النفس الاجتماعى فى طرق بحثه المنهجين: الأرسططالى والجاليلى. فهو يستخدم المنهج الأرسططالى عندما يستخدم الطريقة التجريبية. وعندما يحلل التفاعل القائم بين أفراد الجماعة وما ينشأ عن هذا التفاعل من صفات تميز

(1) Aristotelian methodology — المنهج الارسططالى
Galilean methodology — المنهج الجاليلى

جماعة ما عن غيرها من الجماعات الأخرى من حيث تماسكها ونوع الزعامة التى تنشأ بين أفرادها وديناميات الجماعة فإنه يستخدم المنهج الجاليلى.

(جـ) معايير تقييم المنهج لطرق البحث:

بما أن المنهج هو علم الطرق كما سبق أن بينا ذلك، إذن فمن أهم مجالات المنهج العلمى تقييمه للطرق العلمية المستخدمة فى بحث الظواهر التى تتصدى لدراستها.

ولذا يهدف المنهج العلمى فى دراسته للطرق العلمية المستخدمة فى بحث الظواهر النفسية الاجتماعية إلى تقييمها بالنسبة لأهداف محددة، شأنه فى ذلك شأن تقييمه للطرق العلمية المستخدمة فى الميادين الأخرى للمعرفة.

وهو يعتمد فى تقييمه لتلك الطرق على قياس مدى نجاحها فى تحقيق التنبؤ، والفهم، والتحكم[1]. وسنبين فيما يلى أهمية كل هدف من تلك الأهداف فى تحقيق المعرفة العلمية، ومستوى تلك المعرفة، ومدى ارتباطه بالأهداف الأخرى.

١ - التنبؤ:

يعد التنبؤ بحدوث أى أمر هام وما يتصل به من أمور خطوة أساسية فى سبيل إحراز المعرفة العلمية، ومدخلا طبيعيا للفهم والتحكم. وقد يقف مستوى المعرفة عند التنبؤ، وقد يمتد إلى الفهم. لكن الفهم الذى لا يعتمد على التنبؤ أو يؤدى إليه لا يعتد به علميا ولا يندرج تحت إطار البحث العلمى.

وقديما تنبأ الإنسان بالظواهر المختلفة التى تعتمد على الجاذبية، وذلك قبل أن يفهم تلك الجاذبية. وقد بنى الإنسان تنبؤه بتلك الظواهر على ملاحظاته الدقيقة لما يحدث وعلى استنتاجه بأن ما حدث من قبل ويحدث الآن سيحدث فى المستقبل. ولم يفهم تلك الجاذبية حتى جاء نيوتن وصاغ قوانينه المشهورة عن الجاذبية. ولقد لاحظ الإنسان الخصائص السامة لبعض الأعشاب والخصائص العلاجية لأعشاب أخرى، وتنبأ بناء على هذه الملاحظات بآثارها، وذلك قبل أن يفهم تركيبها الكيميائى. ومهما يكن من أمر هذا الفهم فهو يعد مجرد إرهاصات علمية وليس علما صحيحا.

ويشترط لنجاح التنبؤ أمور مختلفة أهمها أن تكون الظاهرة التى نخضعها للتنبؤ واضحة محددة وليست غامضة عامة، وألا تكون جزئية صغيرة إلى الحد الذى يعزلها عن الظواهر الأخرى المرتبطة بها، ويجعل التنبؤ نفسه أمرا صغيرا تافها.

---

(١) التنبؤ Prediction، الفهم Understanding، التحكم Control.

وأن تكون متغيرات الظاهرة التى تتنبأ بها قابلة للقياس بحيث يمكن أن نحدد تنبؤنا تحديدا إجرائيا، ثم نرى مدى دقة هذا التنبؤ عندما تحدث الظاهرة فى المستقبل، ونقيس ما هو قائم وما كنا نتوقعه ومدى الفرق بين ما حدث وبين ما كنا نتوقع حدوثه.

ويرتبط التنبؤ ارتباطا أساسيا بمدى الثبات. والثبات صفة من صفات أدوات القياس. فإذا ضعف ثبات تلك الأدوات بحيث لا تعطى نفس النتائج إذا طبقت مرة أخرى على نفس متغيرات الظاهرة وتحت نفس الظروف السابقة؛ ضعف تبعا لذلك مستوى التنبؤ. ونحن نواجه هذه المشكلة فى دراستنا لمقاييس الاتجاهات ومدى ثباتها فى قدرتها على التنبؤ بما يحدث لتلك الاتجاهات من تغير نتيجة للتحكم فى بعض العوامل التى تؤثر فيها. ولذا فمن الأفضل فى الأبحاث التنبؤية أن تعتمد على مقاييس ذات ثبات مرتفع.

وقد أصبح للتنبؤ نفسه أدواته الإحصائية البسيطة والمركبة، ومن أمثلة هذه الأدوات معاملات الانحدار التى تستخدم فى التنبؤ مقياسا واحدا للتنبؤ بظاهرة ما، ومعاملات الانحدار المتعدد التى تستخدم فى التنبؤ مقاييس متعددة للتنبؤ بظاهرة ما. وهذا الانحدار مشتق من الارتباط، والارتباط يحسب من درجات المقياس. ولذا يعد القياس مدخلا رئيسيا للتنبؤ.

والتنبؤ بهذا المعنى، وبتلك الشروط من أهم خصائص النظرية العلمية، وكلما زادت القدرة التنبؤية للنظرية، وامتد شمولها للظواهر المتعددة، زادت تبعا لذلك أهميتها، وأصالتها العلمية.

ولذلك يعد التنبؤ معيارا من أهم المعايير التى يستعين بها المنهج العلمى فى تقييم الطريقة المستخدمة فى البحث. ويعد التنبؤ المستوى الأول والطريقة التى تقف بها عملياتها عند حد التنبؤ ولا ترقى إلى الفهم والتحكم تعد أقل من تلك التى تؤدى إلى الفهم أو إلى الفهم والتحكم.

٢ ـ الفهم:

يشتمل الفهم كهدف من أهداف البحث العلمى على معرفة الأسباب والعوامل المؤثرة فى حدوث الظاهرة، وعلى معرفة تكوينها الداخلى وعلاقاتها وتأثرها وتأثيرها فى الظواهر الأخرى. وعندئذ يمهد الفهم الطريق لصياغة النظرية العلمية.

وغالبا ما يسبق التنبؤ الفهم، وقل أن يسبق الفهم التنبؤ، وأحيانا يتعاقب الاثنان فيسبق التنبؤ ويؤدى إليه ثم يزداد الفهم بعد حدوث الظاهرة ويؤدى إلى تنبؤ أدق، يعقبه

فهم أعمق وهكذا، ولذا يرتبط مستوى الفهم بمستوى التنبؤ، وكلما زاد مستوى التنبؤ زاد تبعا لذلك مستوى الفهم، وبالتالى يزداد مستوى التنبؤ تبعا لزيادة مستوى الفهم. ويؤدى ذلك إلى الهدف الذى يلى الفهم وهو التحكم فى إحداث الظاهرة وتغييرها وتعديل مسارها وفقا لمستوى الفهم الذى توصل إليه العلم.

هذا وقد لا تتجاوز بعض العلوم مستوى الفهم ولا تستطيع أن تمتد إلى مستوى التحكم. ومن أمثلة ذلك علم الفلك. فأهدافه تنبؤ وفهم. ولا يضيره أن يقصر مباحثه على هدفين فقط من أهداف البحث العلمى مادام قادرا على أن يصوغ نظرياته فى ذلك الإطار. وقد كان هذا شأن علم النفس الاجتماعى فى نشأته العلمية الحديثة، لكنه استطاع فى بعض مباحثه الحديثة أن يتجاوز مستوى الفهم إلى مستوى التحكم.

٣- التحكم:

يعنى التحكم مدى قدرة العلم على تغيير الظاهرة عن طريق توجيه العوامل المؤثرة فيها. ويزداد فهمنا للظاهرة وقدرتنا على التنبؤ بها تبعا لزيادة قدرتنا على التحكم.

ودقة التنبؤ والفهم والتحكم عمليات نسبية، وتزداد دقة هذه العمليات فى العلوم الطبيعية عنها فى العلوم الإنسانية بما فى ذلك علم النفس، وعلم النفس الاجتماعى.

ويقتضى نجاح التحكم القدرة على توجيه العوامل المؤثرة فى الظاهرة، وتعد هذه العملية عملية شاقة عسيرة فى العلوم الإنسانية. وهناك من العوامل ما لا يستطيع العلم التحكم فيها أو توجيهها وخاصة ما قد يؤثر تأثيرا ضارا على الأفراد، فلا يصبح للعلم مثلا أن ينشئ جيلا جانحا من الأفراد ليبحث مقدار نجاح تحكمه فى إحداث ظاهرة ما، وهنا تبرز أهمية التجريب على الحيوانات. وقد نجح العلم إلى حد كبير فى إحداث حالات من الذعر والهلع الجماعى فى الحيوانات، ودراسة مدى فاعلية العوامل المؤدية إلى تلك الظاهرة ومدى التحكم فيها عن طريق العوامل المؤثرة فيها. وبذلك استطاع العلم فهم الهلع الذى ينتاب جماعات الأفراد نتيجة للكوارث الطبيعية التى يتعرضون لها.

ثالثا - مفهوم الطريقة العلمية وأسس اختيارها

سنمهد لشرح أهم طرق البحث المستخدمة فى علم النفس الاجتماعى ببيان موجز عن مفهوم الطريقة العلمية. ويشتمل هذا المفهوم على معناها وتعدد طرقها، وخطواتها العامة. ثم نلخص بعد ذلك الأسس العلمية التى تتبع فى اختيار طريقة البحث. ويتمثل الأساس الأول فى تحليل أبعاد موضوع البحث لمعرفة الطريقة التى تناسب كل بعد من تلك الأبعاد. ويتمثل الأساس الثانى فى تحديد خصائص الموقع

وخصـائص الظاهرة، فمـثلا بعض الظـواهر يتطلب بحثـا ميـدانيا يعـتمد على طـريقة الملاحظة، وبعض الظواهر الأخرى يتطلب بحثا معمليا يعتمد على طريقة التجربة.

أ ـ مفهوم الطريقة العلمية:

١ ـ معنى الطريقة العلمية:

تعنى الطريقة فى مـفهومها العام كل مـا يؤدى إلى النتائج: فهى وسيلة لتـحقيق الهدف وبلوغ الغاية.

وتعنى فى مـفهـومهـا العلمى الدقيـق القواعـد التى تتبع فى ترتيب الإجـراءات للتوصل إلى الإجابة على تساؤلات البحث، وذلك للحـصول على المعلومات والحقائق التى تكشف عن العلاقـات القائمة بين مـتغيـرات البحث، وما يتـبع ذلك من التوصل للقوانين والنظريات التى تؤدى إلى التـعميم الصحيح. أو للتـوصل إلى الحلول الناجحة للمشكلات القائمة التى يتصدى لها البحث.

٢ ـ تعدد طرق البحث العلمى:

لا توجد هنـاك طريقة علميـة واحدة للبـحث بل هى طرق علميـة تختلف تبـعا لاختلاف نوع البـحث وتبعا لاختـلاف مهارات الباحثين ومـدى ابتكارهم،ولذا تختلف أنواع البحوث تبعا لاختلاف تلك الطرق وما تتصف به من قصور أو شمول[١].

وبالرغم من تعـدد تلك الطرق واختـلاف مداخلهـا فإن هناك شـبه اتفـاق على الخطوات العامة للبحث. إلا أن الباحث لا يسـير عادة فى بحثه وفق تلك الخطوات فى ترتيب حاد جامد، بل قد تتداخل تلك الخطوات وغالبا ما يغير بعضها بعضا، وقد يعود الباحث إلى مرحلـة سابقة وهو يظن أنه انتهى من مرحلـة لاحقة ليعد لهـا فى ضوء ما انتهى إليه فى مرحلته الراهنة.

وعندما ينتهى الباحث من بحثه ويعد تقريره، فإنه غالبا ما يسير فى عرضه لبحثه وفق الترتيب العام للخطوات.

وبذلك قـد يختلف سـير البـحث وتطوره عن التقـرير الذى ينشره البـاحث عن بحثه.

٣ ـ الخطوات العامة لطرق البحث:

تتلخـص أهم خطوات طرق البـحـث فى: المشكلة أو الموضـــوع، والفـروض، والاختبار أو التجـريب، والنتائج،وتشتمل خطوة المشكلة على التعرف عليها وصـياغتها

(1) Travers, R. M. W. An Introdction to Educational Research, N. Y. Macmillan, 1971, p. 2.

وتحديدها وتحليلهـا وتوضيح أهميتهـا وأهدافها ثم تتطور الطريقة بـعد ذلك إلى تحديد وتعريف المفاهيم والمصطلحات، وغـالبا ما تنتهى هذه الخطوة بدراسة متعـمقة للأبحاث السابقة وما انتهى إليـه الباحثون أو عجزوا عن الوصول إليه حتى يحـدد الباحث موقفه تماما من مشكلة البحث الراهن.

وتستهدف الخطوة الثانية ــ وخاصة فى الطريقـة التجريبية ــ صياغة الفروض التى تستـغرق كل أبعاد البـحث، واستنباط مـا يمكن أن يترتب على قبـول كل منها، وذلك تمهيدا لاختيار الفروض المناسبة. وتلك عـملية فكرية تحتاج من الباحث إلى دراسة متأنية متعمقة تنطوى على تفكير جاد وابتكار أصيل مرن خصب.

ويلى ذلك الخطوة الثـالثة وتنتهى إلى وضـع التصمـيم العلمى المناسب لاختـبار الفروض وتجربتها، وما يتطلبه ذلك من إعداد أدوات القياس، واختيار عينة البحث.

وينتهى البحث فى خطوته الرابعة إلى تسجيل النتائج وتحليلها وتفسيرها.

ب ـ أسس اختيار طريقة البحث:

تعتمـد عملية اختـيار الطريقة المناسبـة لبحث الظواهر النفسـية الاجتماعـية على خصائص الموضوع وخصائص الموقع الذى يجرى فيه البحث.

فأما خصائص الموضوع فتتطلب تحليلا علميا لأبعاده للتوصل إلى الطريقة العلمية لبحثه، أو للطرق التى يلائم كل منها بعدا من أبعـاد الموضوع، وخاصة إذا كان موضوع البحث معقدا متعدد الأبعاد.

وأما خصـائص الموقع فتتطلب التفرقـة بين ما هو متصل بالموقع الذى يجـرى فيه البـحث أيا كان نوعـه، أى بين جـدران المعمل أو فى الميـدان، حـيث تتوافـر الظروف الطبيـعيـة التى توجد فى إطارها الظواهر المخـتلفة، وبين مـا هو متـصل بالظواهر التى تبحث مهما كان الموقع الذى توجد فيه تلك الظواهر.

وسنبين فيما يلى هاتين الوسيلتين فى اختيار طريقة البحث: تحليل أبعاد الموضوع، وخصائص الموقع وخصائص الظواهر.

١ ـ تحليل أبعاد موضوع البحث:

أغلب الموضوعات التى يتصدى البحث النفسى الاجتماعى لها موضوعات معقدة لأنها بطبيـعتها تمثل علاقـات بين عدد من الأفراد فلا يقتـصر مثلا بحثـها على كل فرد بمعزل عن الآخرين، وهذه العلاقات ذاتها تمثل تفاعلا قـوامه الدينامية والحركة والتغير. وبذلك لا يصـبح المطلوب نتـيجـة واحدة لموضـوع واحـد بسيط، بل نتـائج مـختلفـة

لموضوعات متعددة، ولذا يجب تحليل أبعاد الموضوع لمعرفة ما إذا كان يمكن بحثه بطريقة واحدة أم بطرق متعددة.

وعندما نتمكن من تحليل الموضوع إلى مكوناته البحثية أى إلى الموضوعات التى تنطوى تحته فإننا بذلك نستطيع بحث كل منها. هذا وقد تكون الموضوعات الفرعية التى يحلل إليها الموضوع الرئيسى مرتبطة فيما بينها، ولذا يجب أن ترتبط أيضا طرق بحثها بحيث تتكامل معا فى بحث الموضوع الرئيسى.

وتعد عملية تحليل الموضوع من أهم أركان البحث. وعندما يفشل الباحث فى هذا التحليل فإنه يتعذر عليه بحث الموضوع. والمعروف بين الباحثين أنه لا يوجد موضوع ـ فى الأغلب والأعم ـ يستعصى على البحث، ولكن يوجد موضوع لم يحلل التحليل المناسب لبحثه، أو يوجد موضوع يستعصى على التحليل.

٢ ـ خصائص الموقع وخصائص الظواهر:

على الباحث أن يبين فى مطلع بحثه الطريقة التى سيتبعها فى بحثه ونوع البحث الذى سيجريه، لأن النتائج ترتبط بالطريقة وبنوع البحث ارتباطا رئيسيا. وذلك لأن الاختلاف القائم بين ظاهرتين قد يرجع إلى طريقة بحثهما لا إلى فرق حقيقى بينهما، كأن تبحث الظاهرة فى المعمل بالطريقة التجريبية أو أن تبحث فى الميدان بطريقة الملاحظة أو بالطريقة الارتباطية.

وبذلك قد ترجع الفروق التى تنتهى إليها النتائج إلى الفرق بين الطرق المعملية والطرق الميدانية. أو قد ترجع الفروق إلى اختلافات رئيسية بين الظاهرتين، ولا ترجع إلى الفروق القائمة بين الظاهرتين.

ولذا فقد يلجأ الباحث إلى بحث نفس الظواهر التى يتصدى لدراستها فى المعمل، وفى الميدان، ليصنف النتائج إلى ما هو مشترك وإلى ما هو مختلف. فأما المشترك فيرجع إلى اختلاف الظواهر، وأما المختلف فيرجع إلى فروق قائمة بين طرق البحث.

رابعا ـ أهم طرق البحث المستخدمة فى علم النفس الاجتماعى

سنوضح فيما يلى أهم طريقتين من الطرق المستخدمة فى أغلب ميادين علم النفس الاجتماعى وهما الملاحظة والتجربة. كما أن هناك طرقا أخرى مثل الطرق المستخدمة فى قياس الاتجاهات فى دراستنا للاتجاهات النفسية. وطريقة القياس السوسيومترى فى دراستنا للعلاقات النفسية الاجتماعية وهكذا.

(أ) الملاحظة العلمية:

١ ـ معنى الملاحظة العلمية:

يعاب على علم النفس الحديث أنه أبعد كثيرا عن أمور حياتنا اليومية. وقد نشأت هذه الظاهرة نتيجة لمغالاة فى التصميمات التجريبية للأبحاث النفسية المختلفة التى تجرى فى المختبرات النفسية تحت ظروف مصطنعة مفتعلة لاختبار الفروض.

ولقد بدأ علماء النفس الاجتماعى فى السبعينيات من هذا القرن ينظرون بحذر إلى الطريقة التجريبية، وزاد عدد الذين يستخدمون طريقة الملاحظة العلمية للحصول على بيانات صحيحة عن مظاهر حياتنا اليومية كما نواجهها صباح مساء.

وتعنى الملاحظة العلمية المراقبة المقصودة لرصد ما يحدث وتسجيله كما هو. ويميل بعض المحدثين من العلماء إلى أن يمتد بمعنى الملاحظة حتى تشتمل على الطرق المستخدمة فى استثارة أنواع من السلوك الذى يهم الباحث معرفته ودراسته. لكن هذه الاستثارة تعد خروجا على المواقف الطبيعية المراد دراستها لأنها افتعال للأحداث وتدخل فى مجرى الحياة الطبيعية. وقد يكون لتدخل الباحث بهذه الصورة أثر فى اختفاء بعض الظواهر، وظهور ظواهر أخرى تبعد الموقف كله عن الموضوعية المطلوبة لنقاء الظاهرة وخلوها من الشوائب والتحيز.

ولا تعتمد الملاحظة العلمية على طريقة واحدة، بل تعتمد على طرق متعددة. وتختلف هذه الطرق تبعا لاختلاف موضوع الملاحظة فردا كان أم جماعة أم ظاهرة؛ وتبعا لاختلاف طريقة تسجيل الملاحظات والأدوات المستخدمة وهدف الملاحظة.

وتحدد كل طريقة من طرق الملاحظة العمليات والإجراءات التى يقوم بها الملاحظ فى مراقبته للظواهر المختلفة للحصول على بيانات أكثر شمولا ودقة من مجرد الملاحظة العابرة أو ما يمكن أن يسمى ملاحظة الصدفة.

وتشتمل هذه العمليات وتلك الإجراءات على المعينات التى يستخدمها الباحث فى تدقيق ملاحظته مثل الخرائط وقوائم الشطب، والقوائم التفصيلية لأنواع السلوك المتوقع، والدوائر التليفزيونية للحصول على بيانات صحيحة. ولذا تتطلب الملاحظة العلمية تدريب الباحثين على تلك العمليات والإجراءات وطرق استخدام المعينات حتى تتم الملاحظة بطريقة ميسورة سهلة موضوعية دقيقة.

٢ ـ أهم مجالات استخدام الملاحظة:

تستخدم الملاحظة فى الأبحاث الاستطلاعية والكشفية لتجميع البيانات التى يختبرها الباحث بعد ذلك بطرق البحث الأخرى. وفى المراحل الأولى لتجميع بيانات

الأبحاث التى تستهدف وصف الظاهرة وصفا دقيقا أو اختبار الفروض اختبارا تجريبيا. وتستخدم أيضا لتجميع البيانات التى تساعد على تفسير النتائج التى يحصل عليها الباحث بالطرق الأخرى.

وكما تستخدم الملاحظة فى مواقف الحياة الحقيقية اليومية فإنها تستخدم أيضا فى المعمل، وبذلك تمتد مرونة استخدامها من انتباه الباحث للمشكلة وملاحظته لها وإحساسه بها إلى ما تتطلبه صياغتها من بيانات مناسبة يجمعها ويسجلها بعد ملاحظته لما يحدث، إلى التفصيل الدقيق لما يحدث خلال التجربة من استخدام الأجهزة والأدوات ومدى نجاح أو فشل استخدامها وملاحظة أسباب النجاح ومسببات الفشل.

ويمتد مجال استخدامها فيما يقوم به الباحث نفسه من اشتراك فعلى مع الأفراد فيما يقومون به من نشاط فيلاحظ نفسه ويلاحظ الآخرين ويلاحظ تفاعل الآخرين معه، ويسجل خبرته الشخصية كما يسجل ما يحدث من الآخرين، وما يحدث لهم.

وقد يشترك الملاحظ أيضا بطريقة لا يعرفها من معه من الأفراد ولا ينتهون إلى أنه يلاحظ سلوكهم. وقد لا يشترك معهم، ويقف مما يحدث أمامه موقف المشاهد ليسجل بطريقة موضوعية ما يحدث دون أن ينغمس فى غمار الناس، وغمرة الأحداث التى يواجهها.

٣ ـ مزايا الملاحظة:

من أهم مزايا الملاحظة المباشرة أنها تيسر للباحث تسجيل السلوك كما يحدث فى مواقفه الطبيعية. ومثال ذلك دراسة العلاقات الاجتماعية التى تنشأ بين أفراد الطبقات الاجتماعية الاقتصادية المختلفة، وذلك عن طريق تسجيل إشارات وإيماءات وتعبيرات الوجه وأقوال أفراد تلك الطبقات حينما يجمعهم نشاط اجتماعى مشترك، وكيف يؤثر بعضهم فى البعض الآخر وكيف يتأثر به. ودراسة التنشئة الاجتماعية وذلك عن طريق سلوك الأمهات مع أطفالهن وما يقمن به من أفعال وما يتفوهن به من ألفاظ. وغير ذلك من أنماط السلوك التى لا يقتصر مظهرها الخارجى على مجرد ما يقوله أفراد التجربة أو ما يكتبونه.

وكثير من الباحثين لا يجدون مندوحة عن اللجوء إلى الملاحظة المباشرة؛ لأن طرق البحث الأخرى لا تصلح لدراسة الظاهرة التى يتصدون لها، ومثال ذلك ما يقوم به الأطفال الصغار والحيوانات من سلوك لا ينفع معه أى اتصال لفظى بين الباحث وأفراد التجربة؛ لأن هؤلاء الأفراد لا يتكلمون ولا يعبرون بذلك تعبيرا لفظيا عما يطلب منهم الباحث الإجابة عنه.

وتستخدم الملاحظة أيضا فى الحالات، التى يقاوم فيها الأفراد الباحث ولا يتعاونون معه لأنهم قد يخشون ألا يرقى سلوكهم إلى المستوى المتوقع منهم. أو يتوجسون خيفة من البيانات التى يجمعها الباحث منهم وعنهم.

ولذا يحاول أغلب الباحثين ملاحظة السلوك وتسجيله دون أن يشعر الأفراد بهذه الملاحظة حتى يتجنب أى شوائب مصطنعة تنأى بعيدا عن صورته العادية الطبيعية، وبذلك يحصل الباحث على قطاع حقيقى لما يحدث فى حياة الأفراد اليومية.

٤ ـ حدود الملاحظة:

من أهم مزايا الملاحظة تسجيل الظاهرة كما تحدث وأثناء حدوثها. وبالرغم من هذه المزية فإنها تعد حدا من الحدود التى تعوق سير البحث أحيانا. فبعض الظواهر لا تحدث فى الوقت الذى يتوقع فيه الباحث حدوثها. وبذلك قد لا يكون موجودا أثناء حدوثها فيفوته بذلك تسجيلها. ومن أمثلة ذلك ما يحدث للباحث الأنثروبولوچى عندما يدرس خصائص ثقافة بدائية معينة، ثم يهتم بدراسة طقوس الزواج فلا تحدث كما يتوقعها، وبذلك يتحول من الملاحظة إلى المقابلة فيسأل الناس بدل أن يسجل ما يرى وما يسمع، أو ينتظر ــ وقد يطول انتظاره ــ حتى يقام حفل زواج آخر.

وإذا أراد الباحث أن يسجل سلوك الأفراد فى مواجهة الكوارث والنكبات فإن عليه أن يحتمل ما يلاحظ من مآس. وقد تخونه شجاعته فلا يقوى على احتمال ما يحدث. وبذلك تصعب ملاحظة الظواهر التى تتجاوز فى حدتها قوة احتمال الباحث نفسه أو ترهقه من أمره عسرا.

وعندما تختلط الظاهرة التى يسجلها الباحث بظواهر أخرى أثناء حدوثها فإنها قد تحد من قدرة الباحث على تسجيلها فى صورتها النقية. ومثال ذلك ما يحدث للباحث الذى يهتم بتسجيل سلوك الأفراد وهم يمارسون لعبة من ألعابهم المفضلة. وقد يشتد الحماس ويتحول اللعب إلى شجار، وقد يصاب الباحث بأذى أثناء وجوده بين اللاعبين المتشاجرين.

ولا تصلح طريقة الملاحظة لتسجيل الظواهر التى تستغرق فى حدوثها مدة زمنية طويلة لأن معنى ذلك أن يصاحب الباحث الظاهرة طوال تلك المدة ليسجل ما يطرأ عليها من تحول وتغير. ولذا فعلى الباحث ــ فى مثل تلك المواقف ــ أن يختار المراحل الزمنية المناسبة له وللظاهرة، والمدى الذى يتفق مع توقيته لحدوث المظاهر المختلفة التى يستهدف تسجيلها. وذلك يعنى تحديد عينة زمنية دقيقة وممثلة للأحداث التى يهتم بدراستها.

ومن الحدود التى كثيـرا ما كان يثيرها نقاد هذه الطريقـة أن البيانات التى يحصل عليها الباحث لا تعـدو أن تكون بيانات وصفية ولا ترقى إلى مستوى البـيانات الكمية. لكن الحقيقة أن الملاحظ المتدرب يستطيع أن يسجل البيانات العددية إذا أعد مسبقا مقياسا مدرجا يناسب مـا يحدث من تغير كمى فى مظاهر الظاهـرة التى يلاحظها. وقد ترجع نشأة هذه الفكرة الناقدة إلى أن طريـقة الملاحظة استخدمت أول ما اسـتخدمت فى علم الأنثروبولوچيا، وكان اهتـمام الباحثين فى ذلك الوقت محصورا فى تسـجيل ما يحدث بطريقة وصفية.

٥ ـ خطة الملاحظة:

يعد الباحث خطة لما سـيلاحظ. وتبدأ هذه الخطة بإعداد قائمة يبين فـيها الباحث بوضوح حـدود كل سلوك سيـلاحظه. فالإنسان لا يلاحظ لمجـرد الملاحظة بل يلاحظ أشيـاء يتطلبهـا البحث الذى يقـوم به، وذلك لأن الأمور التـى يمكن أن تلاحظ كثـيرة ومتعددة،لكن بعضها يتصل بموضوع البحث والبعض الآخر لا يتصل به. وتعتمد عملية إعداد موضوعات قائمة الظواهر التى ستلاحظ على أمور متعددة. **أولها**: الإطار النظرى الذى يعتمد عليه البحث. **وثانيها**: الفروض التى يصوغهـا الباحث لاختبارها. **وثالثها**: ارتباط ما يلاحظ ارتباطا رئيـسيا بموضوع البحث. **ورابعها**: ارتباط كل موضوع يلاحظ ببعـضه البعض ارتبـاطا ضعيـفا حتى تمتـد الملاحظة لأوسع مدى من مجـالات مشكلة البحث، وذلك لأن اقتراب موضوعات قائمة الملاحظة وشدة ارتباطها يقصر مجالها على أبعاد قليلة من أبعـاد المشكلة ويحول بينها وبين شمـولها لجميع خـصائص الظاهرة التى تبحث. وغالبـا ما تسبق عملية قائمـة الموضوعات ملاحظات تمهيدية يقـوم بها الباحث ليجمع الظواهر التى سيقوم عليها بحثه والتفصيليات التى سيعتمد عليها فى بناء قائمته، وغالبا ما تكون هى أكثر الأمور تكرارا فيما يلاحظ ويشاهد ويراقب.

وتلى عملية إعداد قائمـة الموضوعات التى يمكن تعريفها وتصنيفها عـملية اختيار فئـات التصنيف حتى يمكن مـعالجة مـوضوعاتها مـعالجة علمـية وبسهـولة ويسر. ولذا يستحسن أن يكون ما يسجل تحت كل فئـة بسيطا ولا يتضمن أكثر من سلوك واحد وأن يسجل بطريقة إيجابية وفى صيغة الحاضر.

وتلى عمليـة اختيار الفئـات اختيار طريقـة تسجيل الملاحظات. ويشتـرط لنجاح التسجيل أن يكون بسيطا وسريعا وعمليا،وأن يقبل بسهولة ترجمته إلى مقادير كمية.

ومن الطرق الشائعة والناجحة فى التسجيل اخـتيار عينة من الأحداث، أو اختيار عينة زمنية. وتتطلب عـملية تسجيل الأحداث توفير المكان الخـاص بالعلامات التكرارية

فى قوائم التسجيل. وتساعد مثل تلك القوائم على تسجيل الأحداث التفصيلية المتعددة بطريقة سريعة وموضوعية. وقد استخدمها أندرسون Anderson وبرور[1] Brewer سنة ١٩٤٦. فى دراسة الزعامة من حيث السيطرة والتكامل. وقد سجل عدد من الملاحظين ما يقرب من ٦٠٠ حدث من أحداث الظاهرة واتفقوا فى أغلب ما سجلوه.

ومن هذه القوائم أيضا ما يسمى قوائم الشطب. وتتطلب عملية إعداد مثل تلك القوائم ملاحظة السلوك لمرات متعددة لاختيار المظاهر التى يتكرر ظهورها كثيرا فى المواقف المختلفة كما سبق أن أشرنا إلى ذلك. ومن أمثلة قوائم الشطب ما يلى:

السلوك	التكرار
- يسأل	. . . . . .
- يجيب على الأسئلة	. . . . . .
- يتحدث مع غيره	. . . . . .
- ينظر حوله	. . . . . .

وكما تصلح مثل هذه المفردات لقوائم الشطب فإنها تصلح أيضا لقوائم تسجيل تكرار السلوك، أى قوائم العلامات التكرارية.

وتتطلب عملية تسجيل المدى الزمنى تحديد بدء ونهاية كل نشاط يهتم به الباحث على خط ممتد يمثل وحدات الزمن. ويمكن أيضا تسجيل ما يحدث من نشاط يقوم به الفرد أو الأفراد خلال دقائق معدودة يحددها الباحث، كأن يسجل نوع العلاقات الاجتماعية التى تنشأ بين فردين خلال ٣ دقائق مثلا. ومثال ذلك الدراسة التى قام بها باركر[2] Barker سنة ١٩٤٣ فى ملاحظاته التى سجلها عن مظاهر الاتصال الاجتماعى بين أطفال ما قبل المدرسة. ويبدأ الباحث بإعداد قائمة لتسجيل ملاحظاته، ثم أعد ترتيبا مسبقا لملاحظة كل طفل من أطفال الجماعة التى يستهدف دراستها. وكان يغير هذا الترتيب كل يوم، فكان مثلا يلاحظ كل طفل من أطفال الجماعة لمدة ٥ دقائق بحيث ينتهى من ملاحظة الطفل الأول فى الدقائق الخمس الأولى ثم ينتقل بعدها إلى ملاحظة الطفل الثانى فى الدقائق الخمس التالية وهكذا.

(1) Anderson, H. H., and Brewer, J. E.: Studies of teachers' classroom personalities. Applied Psych. Monog. 1946, 8.

(2) Barker, R. B., others (eds.): Child Behaviour and Development. N. Y. McGraw - Hill. 1943.

وتدل نتائج الأبحاث على أن ملاحظة الفرد أو الظاهرة لفترات زمنية قصيرة ومتكررة خير من الملاحظة التى تمتد لزمن طويل،وذلك لأن تسجيل الفترات الزمنية القصيرة يتحرر إلى حد كبير من أخطاء التذكر والنسيان التى تعيب التسجيل فى نهاية فترة زمنية طويلة. والتوقيت الزمنى المناسب والشائع للتسجيل يمتد من ٥ دقائق إلى ١٥ دقيقة ولا يكاد يتجاوز هذا المدى إلا فى القليل النادر.

ويميل بعض الباحثين إلى اختيار رموز لتسجيل أنواع السلوك، ومن هذه الرموز الشائعة بين الباحثين، المربعات، والمثلثات، والدوائر، والنقط، والأسهم.

٦ ـ ملاحظة السلوك الجماعى:

تعد ملاحظة السلوك الجماعى الطريقة المباشرة لبحث بعض الظواهر النفسية الاجتماعية، ومثال ذلك ملاحظة التماسك الجماعى أثناء حدوثه، وما يسفر عنه هذا التماسك من تعاون وما يؤدى إليه هذا التعاون من العمل بروح الفريق، وما تنجزه الجماعة من أعمال. وتآزر أفراد الجماعة وتصديهم لأى عامل يهدد وحدتهم ويؤدى إلى انحلالها.

لكن ملاحظة السلوك الجماعى ليست عملية سهلة ميسورة مثل ملاحظة سلوك الفرد، وذلك لأن أفراد الجماعة غالبا ما ينفصلون عن بعضهم البعض ليقوم كل منهم بعمل قد يبدو أنه عمل فردى لكنه فى حقيقته نشاط جماعى. ومثال ذلك فريق كرة القدم حيث يقوم كل فرد بدوره وحده فى تعاونه مع الآخرين لينتصر فريقهم ويهزم الفريق الآخر. ويزيد من صعوبة الأمر آن أغلب الناس يستطيعون ملاحظة الأفراد أى كل فرد على حدة لكنهم بطبيعتهم لم يتعودوا على ملاحظة سلوك الجماعة كجماعة، وقد تحتاج مثل هذه الملاحظة إلى تدريب طويل وممارسة وخبرة حتى يمكن إجادة هذه المهارة.

والطريقة المباشرة للتغلب على صعوبة ملاحظة وتسجيل السلوك الجماعى تتلخص فى ملاحظة ما تقوم به الجماعة من إنجازات بدلا من ملاحظة وتسجيل ما يقوم به كل فرد من إنجازات. فإذا استهدفت الجماعة القيام بعمل يتطلب إنجازه عمل الجماعة ككل ولا يستطيع أى فرد منها إنجازه وحده مثل ما يحرزه فريق كرة القدم أو كرة السلة من نجاح فى انتصاره على الفريق الآخر. أو الغناء الجماعى أو القرار الذى تتخذه الجماعة فى اجتماع لها بعد المناقشة التى تسبق مثل هذا القرار. فالإنجاز فى هذه الحالات لا يعد عملا فرديا.

وبذلك يمكن ملاحظة هذه النتائج وتسجيلها وتقييمها كإنجازات بنفس الطريقة التى نلاحظ بها نتائج عمل الفرد.

وتعتمد الطريقة الثانية للتغلب على صعوبة ملاحظة السلوك الجماعى على تسجيل سلوك الأفراد بطريقة أو بأخرى بما فى ذلك التعبير اللفظى وغير اللفظى ثم تجميعها بطريقة كمية، ثم تحسب بعد ذلك مؤشرات النزعة المركزية والتشتت مثل متوسطات استجابات الأفراد وانحرافاتها المعيارية ونسبها المئوية.

وتدل هذه المؤشرات على خصائص الجماعة أكثر مما تدل على صفات أى فرد منها، وذلك لأن المقاييس الإحصائية مقاييس جماعية وليست مقاييس فردية. فهى بهذا المعنى نتائج ملاحظة السلوك الجماعى[1].

٧- ثبات الملاحظة:

يعرف الثبات بأنه تطابق نتائج القياس فى المرات المتعاقبة. وهذا يدل على مدى خلو المقياس من الأخطاء. ويقاس الثبات بتطبيق أداة القياس مرة ثم تطبيقها مرة أخرى تحت نفس الظروف وحساب ارتباط المرتين، فكلما كان الارتباط مرتفعا كان الثبات عاليا.

ويقاس ثبات الملاحظ عن طريق ثبات نتائج الملاحظ نفسه، وذلك بمقارنة ملاحظاته بملاحظات أفراد آخرين يتبعون نفس طريقته فى تسجيل مشاهداتهم عن الظاهرة التى يلاحظونها[2].

وأخطاء الملاحظة على أنحاء شتى، منها ما هو متصل بعينة السلوك الذى يلاحظ، ومنها ما هو نابع من الملاحظ نفسه. فأما ما يتصل بعينة السلوك فيمكن تصحيح كثير من مثالبه إذا حدد الباحث بدقة خصائص المجتمع الأب الذى يشتق منه عينته، وذلك عن طريق تعريف تفصيلى دقيق للأفراد والموقف ولنوع السلوك الذى يصدر عن الأفراد فى ذلك الموقف وحدود العينة التى سيلتزم بها. وأما أخطاء الملاحظ نفسه فيمكن تصحيح مسارها بتسجيل الظاهرة كما تحدث وأثناء حدوثها لا بعد أن ينتهى الباحث من مراقبتها، وأن يخضع هذا التسجيل لخطة واضحة المعالم والأصول، وأن تكون هذه الخطة من البساطة والوضوح والموضوعية بحيث لا يختلف فى تطبيقها باحثان اختلافا كبيرا بمعالمها الرئيسية وإن اختلفا فى بعض تفصيلاتها.

---

(1) Newcomb, T. M.: Social Psychology. London, Tavistock, 1952, pp. 635 - 636.

(٢) راجع معامل كندال: سعد عبد الرحمن (القياس النفسى) دار الفكر العربى ١٩٩٨م.

بذلك يرتفع الثبات وتتخلص الملاحظة من كثير من الأخطاء والشوائب التى قد تحول بينها وبين دقة أدوات القياس وطرق البحث.

(ب) الطريقة التجريبية:

١ ـ أهمية الطريقة التجريبية:

الطريقة التجريبية أساس التقدم العلمى فى مجالات المعرفة البشرية لأنها تنتهى إلى الكشف عن أسباب الظواهر والعوامل المؤثرة فيها. ولذا تعد هذه الطريقة، الطريقة الرئيسية فى أبحاث العلوم الطبيعية، وتقترب العلوم الإنسانية من دقة وموضوعية تلك العلوم بمقدار استخدامها لتلك الطريقة فى أبحاثها المختلفة.

وهى تحقق كل الأهداف الثلاثة الأساسية للبحث العلمى وهى: التنبؤ، والفهم، والتحكم. ولا تكاد ترقى أغلب الطرق الأخرى إلى ما ترقى إليه التجربة، لأن تلك الطرق غالبا ما تنتهى عند هدف الفهم ولا ترقى إلى هدف التحكم.

وتمتاز الطريقة التجريبية أيضا باتساع مجالات تطبيقها فى علم النفس الاجتماعى فلا يقصر استخدامها فقط على الإنسان بل تمتد أيضا إلى الحيوان لتدرس الظواهر فى حالتها النقية بعيدة عن أثر الشوائب الثقافية التى يصعب أحيانا التحكم فيها وعزلها.

٢ ـ البحث التجريبى والبحث غير التجريبى:

فى البحث التجريبى يوفر الباحث الشروط وينشىء الموقف الضرورى لملاحظة الظواهر. وفى البحث غير التجريبى يتعرف الباحث على المواقف التى يجد فيها الظواهر ليلاحظها، أو ينتظرها حتى تظهر ثم يلاحظها.

وعندما يوفر الباحث الشروط وينشىء الموقف فإنه بذلك يهيىء لنفسه الفرص المناسبة لدراسة ما يريد دراسته تماما دون أن تعترضه ظواهر أخرى أو يستطرد لغير ما يريد.

ومن أمثلة تهيئة تلك الظروف ما قام به آش[1]Asch سنة ١٩٥١ فى دراسته لأثر الضغوط الجماعية على سلوك الفرد حيث طلب الباحث من سبعة أفراد أن يحددوا طولا غير صحيح لخط واضح الطول، وليكن هذا التحديد ٣ سم بينما الطول الحقيقى للخط ٢ سم. وترك الباحث الفرد الثامن وحده ليحدد هو بنفسه طول الخط الذى يراه. وكان على كل فرد من الجماعة أن يعلن حكمه.

(1) Asch, S. E. Effects of group pressure upon the modification and distortion of Judgements. In. H. Guetzkow (ed.). Group, Leadership and Men. Pittsbnrgh, Pa: Carnegie Press. 1951, p. 177 - 190.

وقال كل فرد من الأفـراد السبعة إن طول الخط ٣ سم، وعندمـا جاء الدور على الفرد الثامن وجد أن طول الخط يساوى ٢ سم فقط. وكان عليه أن يخضع لرأى الجماعة ويجاريها فـيقول ما قالت ويقرر أن طول الخط ٣ سم، أو يخـتلف عنها ويقول رأيه هو بصراحة ويعلن أن طول الخط ٢ سم فقط. وهو عندما يجارى الجـماعة فى حكمها فإنه بذلك يدل على تأثره بضغوطها، وعندما يصدر حكمه مستقلا عنها فإنه بذلك يدل على استقلاله عنها وتحرره من ضغوطها.

والمتغير المستقل هنا رأى الجـماعة فى طول الخط، ويستطيع الباحث أن يطلب من أفراد الجماعـة أن يزيدوا أو ينقصوا من طول الخط وفق ما يريد. والمتغـير التابع هنا هو رأى الفـرد الذى لم يطلب إليـه الباحث مـسبقـا أن يعلن قبولا بحكم صدر إليـه من الباحث.

٣ ـ أركان الطريقة التجريبية:

قوام البحث التـجريبى دراسة العلاقات القائمـة بين المتغيرات المستقلة والمـتغيرات التابعة، وذلك عن طريق إحداث تغيرات مقصودة فى المتغيرات المستقلة للكشف عن أثر ذلك التغـيير فيـما يحدث من تغـير فى المتغيـرات التابعة،وذلك بهـدف معرفة أسـباب الظواهر والعوامل المؤثرة فيها.

وغالبا ما تقـتضى مثل هذه الدراسة اختيار جـماعتين إحداهما تجريبية فـيها تحدد العلاقة بين أثر تغـير المتغير المستقل علـى ما يحدث من تغير فى المتغـير التابع، وأخرى ضابطة فيها يثبت أثر المتغير المستقل لمـعرفة ما يمكن أن يحدث فى المتغير التابع وهو غير متأثر بالمتغير المستقل. وتتم مقارنة نتائج الجماعـتين لمعرفة أثر التغير المقصود والتغير غير المقصود، وذلك بهدف تحديد الأسباب الحقيقية للظاهرة.

٤ ـ المتغير المستقل والمتغير التابع:

المتغير المستقل هو العامل الذى يظهر أو يختفى أو يتغيـر تبعا لظهور أو اختفاء أو تغير المتغير الذى يتحكم فيه الباحث ويعالجـه تجريبيا فيظهره أو يخفيه أو يزيده أو ينقصه فى محاولتـه لتحديد علاقته بظاهرة تلاحـظ. وغالبا ما يرمز له فى الأبحاث النفـسية، والنفسية الاجتماعية بالرمز «م» أى المثير أو متغير الاستثارة.

والمتغير التابع غالبا ما يرمز له فى الأبحـاث النفسية والنفسية الاجتـماعية بالرمز «س» أى الاستجابة أو متغير الاستجابة والبـاحث لا يتحكم فيما يحدث للمتغير التابع، وما عليه إلا أن يسـجل ما يحدث لهذا المتغـير نتيجة لـتحكمه هو فى المتغيـر المستقل، وذلك لأن ما يحدث للمتـغير التابع هو فى حقيقـته نتيجة لما حدث أو يحدث للمـتغير المستقل.

وقد بدأ البحث التجريبى فى علم النفس الاجتماعى بالجماعة الصغيرة على أنها المتغير المستقل، فيظهر أثرها عندما يعمل الفرد فى إطارها ويختفى أثرها عندما يعمل الفرد مستقلا عنها وفى منأى عنها. وكان على الباحث أن يسجل أثر هذه الجماعة على سلوك الأفراد، وبذلك تصبح المتغيرات التابعة هى ما يطرأ على سلوك الأفراد من تغير نتيجة كونهم أعضاء فى جماعة صغيرة عندما يكلفون بأعمال حركية أو يحلون مسائل حسابية وقضايا منطقية، أو يصدرون أحكاما عقلية أو جمالية أو خلقية أو آراء عامة.

ثم تطور البحث التجريبى بعد ذلك فى علم النفس الاجتماعى إلى مقارنة أداء الأفراد وهم يعملون معا، يعمل كل فرد منهم مستقلا عن الجماعة. وبذلك يصبح المتغير المستقل هنا هو الجماعة، فيظهر فى عمل الفريق ويختفى فى عمل الفرد. ويصبح المتغير أو المتغيرات التابعة هى نتائج السلوك كما تبدو فى متوسط عمل الفريق وفى عمل الفرد.

وتعد أمثال تلك التجارب ـ فى الأغلب والأعم ـ امتدادا للتجريب فى علم النفس العام. وغالبا ما يخضع تفسير نتائجها للنظريات الشائعة فى ذلك العلم. وأيا كان الرأى فى موقع تلك التجارب من البحث العلمى فى علم النفس الاجتماعى فإنها بلا شك تمثل بدء الاتجاه التجريبى فى ذلك العلم.

ثم تطور التجريب بعد ذلك فى علم النفس الاجتماعى، ولم تعد نظرة العلم إلى الجماعة الصغيرة على أنها متغير مستقل خارجى بالنسبة للفرد، بل أصبحت متغيرا مستقلا داخليا. وبذلك تغيرت نظرة العلم لتلك الجماعة من مجرد وسيط لممارسة الأفعال والسلوك إلى وحدة عضوية تحدد سلوك أعضائها. وتلك هى النظرة الجشتالتية التى يرجع الفضل فيها إلى أبحاث ليفين[1] Levin. عن ديناميات الجماعة. وبذلك تحول البحث من المنهج الأرسططالى إلى المنهج الجاليلى. وأصبحت الجماعة الصغيرة ـ من هذا المنظور الجديد ـ هى مجال القوى، تصدر منها وعنها الظواهر الاجتماعية التى تعتمد فى خصائصها على دينامية تلك الجماعة مثل قوى الجذب والتماسك ومظاهر الزعامة، وغير ذلك من الظواهر التى تعد متغيرات تابعة لمتغيرات مستقلة يتحكم فيها الباحث فيوجه القوى المؤثرة فى التفاعل الجماعى، وما يؤدى إليه هذا التفاعل من محصلة لتلك القوى.

وغالبا ما يعنى مفهوم دينامية الجماعة فى مثل تلك الأبحاث سيكولوچية الجماعة. لكن علينا أيضا أن نخطو فى هذا الميدان العلمى بحذر لأنه بالرغم من خصوبة

(1) Levin, K. Field Theory and Social Science. N. Y. Harper. 1951.

تلك الأفكار التى أعلنها ليفين إلا أن ذلك لا يقلل كثيرا من أهمية الأنماط السابقة للتجريب فى علم النفس الاجتماعى، وخاصة أن ليفين نفسه لم يصل إلى إطار نظرى متكامل لأبحاثه بل ظلت تلك الأبحاث بمثابة امتدادات جريئة فى ميدان جديد وتكاد حتى الآن لا تتجاوز هذا الموقع وذلك المنظور العلمى.

وبالرغم من الجهود التى بذلها كثير من أتباع ليفين مثل هايدر[1] Heider سنة ١٩٤٦ وكارتريت وهارارى[2] Catwright and Harary سنة ١٩٥٦ إلا أن أغلب أبحاثهم لم تنجح إلا بالنسبة للجماعة الثنائية dyad والجماعة الثلاثية triad ولم تصلح للجماعات الأكثر من ذلك أفرادا.

وهكذا نرى أن النظرة إلى المتغيرات المستقلة والتابعة فى علم النفس الاجتماعى نظرة واسعة شاملة تمتد من مجرد دراسة أثر الجماعة على الفرد إلى أثر تفاعلها الداخلى على بقية أفرادها.

وتمتد مناهج البحث التجريبى فى علم النفس الاجتماعى عن طريق المتغيرات المستقلة والمتغيرات التابعة إلى أهم منهجين من مناهج البحث العلمى ونعنى بهما المنهج الأرسطالى والمنهج الجاليلى.

٥ - الجماعة التجريبية والجماعة الضابطة:

الجماعة التجريبية هى الجماعة التى يتعرض أفرادها للمتغير المستقل. **والجماعة الضابطة** هى الجماعة التى يناظر أفرادها أفراد الجماعة التجريبية ولا يتعرضون للمتغير المستقل.

فإذا كان الهدف مثلا هو قياس أثر وجود الجماعة على إنتاج الفرد فإن الجماعة التجريبية فى هذه الحالة يمكن أن تتكون من مجموعة من الأفراد بحيث يعمل كل فرد من أفرادها فى مواجهة جماعة من الناس وتصبح المتغيرات التابعة فى الجماعة التجريبية إنتاج الأفراد فى الأعمال التى يقومون بها.

وتتكون الجماعة الضابطة من مجموعة من الأفراد، بحيث يناظر أفرادها الجماعة التجريبية ويعمل كل فرد من أفرادها بمعزل عن جماعة المواجهة التى يتعرض لها أفراد الجماعة التجريبية. وبذلك لا يتعرض أفراد مثل هذه الجماعة للمتغير المستقل. وتصبح المتغيرات التابعة أيضا هى إنتاج أفراد الجماعة الضابطة أو استجاباتهم.

(1) Heider, F. Attitudes and cognitive organization. J. Psych. 1946, 21, 107 - 112.

(2) Catwright, D., and Harary, F. Structural balance: A generalization of Heider's theory. Psychol. Rev. 1956, 63, 277 - 293.

٦ ـ التصميم التجريبى:

يدل التصميم التجريبى فى معناه العام على خطة التجربة التى تشتمل على اختيار الأفراد، وترتيب الإجـراءات، ونوع المعالجة التـجريبية، وطريقـة تسجيل البـيانات، مع الإشارة إلى الأسلوب الإحصائى الذى سيتبع فى تحليل النتائج.

ويدل فى معناه الخاص على تنظيم القياس فى الجماعتين التجريبية والضابطة وفى المتغيرات المستقلة والتابعة.

وللتصميم التـجريبى الخاص بتنظيم عمليات القياس نماذج مخـتلفة نلخص أهمها فيما يلى:

النموذج الأول: القياس البعدى للجماعتين:

يقاس أثر المتغير المستقل بمقارنة متوسط استجـابات الجماعة التجريبية بعد تعرضها للمتغير المستـقل بمتوسط استجابات الجماعة الضابطة التى لم تتعرض للمـتغير المستقل، وذلك باعتـبار أن تلك الاستجـابات هى المتغيـرات التابعة، ثم يحسب فـرق المتوسطين والدلالة الإحصائية لـهذا الفرق. فإذا كان للفرق دلالة إحصـائية فإن ذلك يدل على أثر المتغير المستقل. وإذا لم يكن للفرق دلالة فإن ذلك يدل على انعدام أثر المتغير المستقل.

وإذا رمزنا للمتـغير المستقـل بالرمز (س) وخاصة أن المفروض رياضـيا أن المحور السينى فى الرسم يمثل هذا المتغير، فإن المحور الصادى يمثل المتغير التابع، ولذا سنرمز له بالرمـز (ص). وبذلك يمكن توضيح أهم خـصائص هذا النمـوذج فى الجدول التـالى: حيث يدل الرمز ص٢ على نتيجة القيـاس البعدى للمتغير التابع فى الجماعـة التجريبية، ويدل الرمز صَ٢ على نتيجة القياس البعدى للمتغير التابع فى الجماعة الضابطة.

الجماعة	القياس القبلى	المتغير المستقل	القياس البعدى	الفرق
التجريبية	لا	نعم	نعم (ص٢)	ص٢ - صَ٢
الضابطة	لا	لا	نعم (صَ٢)	

نموذج القياس البعدى للجماعتين التجريبية والضابطة

النموذج الثانى: القياس القبلى ــ البعدى للجماعتين:

تقاس المتغيرات التابعة فى الجماعتين التجريبية والضابطة قبل بدء التجربة وبعد انتهائها، أى قبل تعرض الجماعة التجريبية للمتغير المستقل وبعد تعرضها ثم تقاس الفروق وتحسب الدلالة. والجدول التالى يبين هذا النموذج.

الجماعة	القياس القبلى	المتغير المستقل	القياس البعدى	الفرق
التجريبية	نعم (ص١)	نعم	نعم (ص٢)	ق = ص٢ - ص١
الضابطة	نعم (صَ١)	لا	نعم (صَ٢)	قَ = صَ٢ - صَ١

نموذج القياس البعدى للجماعتين التجريبية والضابطة

ويدل الرمز ص١ على نتيجة القياس القبلى للمتغير التابع فى الجماعة التجريبية. ويدل الرمز صَ١ على نتيجة القياس القبلى للمتغير التابع فى الجماعة الضابطة. ويدل الرمز ص٢ على نتيجة القياس البعدى للمتغير التابع فى الجماعة التجريبية. ويدل الرمز صَ٢ على نتيجة القياس للجماعة الضابطة. ويدل الرمز ق على فرق القياس القبلى من القياس البعدى للمتغير التابع فى الجماعة التجريبية. ويدل الرمز قَ على فرق القياس القبلى من القياس البعدى للمتغير فى الجماعة الضابطة.

وعلى الباحث بعد ذلك أن يقارن ق، قَ أو يقارن ص٢، صَ٢ ليستدل على أثر المتغير المستقل على المتغير التابع.

النموذج الثالث: القياس القبلى ــ البعدى لجماعة واحدة:

ومن القياس القبلى ــ البعدى ما يصبح على جماعة واحدة فقط هى الجماعة التجريبية، ويحل كل فرد محل الجماعة الضابطة، أى أن الفرد يصبح هو نفسه جماعته الضابطة فتقاس استجابته فى المتغير التابع قبل تعرضه للمتغير المستقل ثم تقاس استجابته بعد ذلك فى المتغير التابع بعد تعرضه للمتغير المستقل. ويحسب الفرق بين الاستجابتين على أنه أثر المتغير المستقل.

الجماعة	القياس القبلى	المتغير المستقل	القياس البعدى	الفرق
الجماعة التجريبية	نعم (ص١)	نعم	نعم (ص٢)	ق = ص٢ - ص١

نموذج القياس القبلى والبعدى لجماعة واحدة

النموذج الرابع: القياس القبلى ــ البعدى لجماعتين متبادلتين:

يقاس المتغير التابع فى إحدى الجماعتين قبل تعرضها للمتغير المستقل، ويقاس المتغير التابع فى الجماعة الثانية بعد تعرضها للمتغير المستقل. وتختار الجماعتان بطريقة عشوائية من الأفراد الذين سيتعرضون للمتغير المستقل. ويدل الفرق بين القياس القبلى فى الجماعة الأولى، والقياس البعدى فى الجماعة الثانية على أثر المتغير المستقل.

ويستخدم هذا النموذج لعزل أثر القياس للمتغير التابع على المتغير المستقل. والجدول التالى يدل على هذا النموذج.

الجماعة	القياس القبلى	المتغير المستقل	القياس البعدى	الفرق
الجماعة التجريبية	لا	نعم	نعم (ص٢)	ق = ص٢ - صَ ١
الجماعة الضابطة	نعم (صَ١)	ربما	لا	

نموذج القياس القبلى لجماعتين متبادلتين

النموذج الخامس: القياس القبلى ــ البعدى للجماعات المتعددة:

لا تقتصر النماذج على مجرد جماعة تجريبية وجماعة ضابطة وعلى استعراض الاحتمالات الممكنة للقبلية والبعدية والتجريبية والضابطة، بل قد تمتد فى بعض الأبحاث إلى نماذج معقدة مثل القياس القبلى البعدى لجماعة تجريبية وجماعتين ضابطتين، أو لجماعة تجريبية وثلاث جماعات ضابطة.

ومن هذه النماذج ما يستخدم لفصل أثر المتغير المستقل عن أثر القياس القبلى حتى ولو كان بين القياسين تفاعل، حيث يؤثر المستقل فى القبلى ويتأثر به. وهذا يقتضى زيادة جماعة ضابطة ثانية على الجماعة الضابطة الأولى، ويسمى مثل هذا النموذج، نموذج الجماعات الثلاث. ولا تقاس الجماعة الثانية قياسا قبليا ولكن تعرض للمتغير المستقل وتقاس قياسا بعديا. ثم تقارن النتائج بعد ذلك وتحسب الفروق وفروق الفروق وذلك لتنقية المتغيرات من شوائب القياس القبلى وشوائب التغير الذى يحدث خلال الفترة التى تمضى بين القياس القبلى والقياس البعدى.

ويستخدم نموذج الأربع جماعات، أى جماعة تجريبية وثلاث جماعات ضابطة، للتخلص من أثر المتغيرات الجانبية التى تؤثر على النتائج ولا تندرج تحت فئات المتغيرات المستقلة والتابعة، وللتخلص أيضا من أثر التغير الذى يحدث نتيجة للنمو خلال الفترة

التى تمضى أيضا بين القيــاس القبلى والقياس البعدى. وفى هذا النموذج تقــاس الجماعة التجريبية والجمــاعة الضابطة الأولى قياسا قبليا، ولا تقاس الجماعــتان الضابطتان الثانية والثالثـة قياس قبلـيا، بل نفترض أن قـيـاسهـما القبلى يساوى مـتوسط القيــاس القبلى للجماعـة التجريبية وللجـماعة الضابطة الأولى. وتعرض الجـماعة التجريبـية والضابطة الثانية للمتغيــر المستقل، ولا تعرض الجماعتان الأولى الضابطة والثالثـة الضابطة للمتغير المستقل. وتعالج النتائـج باعتبار أن الجماعات الأربع تتعرض بنفس الدرجـة للمتغيرات الجانبية، ثم يتم القياس البعدى للجماعات الأربع وتحسب الفروق وتقارن النتائج، ويدل فرق القياس القبلى والبعدى للجماعة الضابطة الثالثة فى هذا النموذج على أثر المتغيرات الجانبية أو التغير الذى يحدث نتيـجة للنمو، وذلك لأن هذه الجماعة لم تخضع للقياس القبلى ولم تتـعرض للمتغيـر المستقل. ويدل التغـير الذى يحدث فى الجمــاعة الضابطة الثانية على أثر المتـغير المستقل وعلى أثر المتغـيرات الجانبية أو النمو. ويدل الـتغير الذى يحدث فى الجماعة الضابطة الأولى على أثر القياس القبلى وعلى أثر المتغيرات الجانبية أو النمو، ويمكن الحـصول على أثر المتغـير المستـقل وحده فقط بطرح نتـيجة التغـير الذى يحدث فى الجماعة الضابطة الثالثة من التغير الذى يحدث فى الجماعة الضابطة الثانية.

ولا يكاد يختلف هذا النموذج الرباعى فى معناه الدقـيق عن إجراء التجربة مرتين بجماعة تجريبية واحدة، وجماعة ضابطة واحدة، وقياس قبلى ـ بعدى.

وتتطلب هذه النمـاذج حساب الفروق، وفـروق الفروق، والدلالات الإحصـائية لمثل تلك المؤشرات الإحـصائية. ولا تـستخدم مـثل تلك النماذج إلا فى التـصميـمات التجريبية المعقدة. ولذا لا يلجأ إليها البـاحثون إلا إذا فشلت النماذج السابقة البسيطة فى المعالجة التجريبية للمشكلة التى يتصدى البحث لها[1].

وفى وسع الباحث أن ينشىء لبـحثه نماذج أخرى لمواجهـة خصائص الظاهرة التى يبحثـها. وتعتمـد عملية استحـداث مثل تلك النماذج على ابتكار البـاحث وأصالته فى ارتياد المجهول.

٧ـ نقد التجارب المعملية:

وبالرغم من أهمية التجارب التى تجرى على الجماعة الصغيرة فى المعمل، وخاصة بما تحققه للباحث من ضبط علمى واضح لمتغيرات الظواهر التى يدرسها، وبما تهيئه من

(1) Selltiz, C., Jahoda, M., deutsch, M., and Cook, S. W.: Research Methods in Social Relations. N. Y. Holt, Rinehart and Winston. 1963, pp. 108 - 122.

- Solomon, R. L. Extenion of control group design. Psych. Bull. 1949, 46, pp. 137 - 150.

تحكم فى المتغير المستقل، ومن دقة فى تسجيل ما يطرأ على المتغير التابع من تغير نتيجة لتغير المتغير المستقل، إلا أن التفاعل الاجتماعى فى حياتنا اليومية يتطور ببطء يختلف عن سرعة التغير التى تصاحب تجارب المعمل. وقد يصبح من المستحيل مجاراة النبض الطبيعى للتغير فى إطار المعمل. وبذلك تبدو أهمية الطرق الأخرى للبحث النفسى الاجتماعى مثل الملاحظة المقننة التى تمتد على فترات متعاقبة من الزمن لتساير بهذا الامتداد بطء النبض الطبيعى للتغير فى الحياة اليومية. ومثل الطريقة التتبعية أو الطولية التى تصاحب الظاهرة وهى تتغير خلال مراحلها الزمنية التى يلى بعضها بعضا.

ويشترط أيضا لنجاح تجارب المعمل بساطة المتغيرات وألا يشق على الباحث ضبطها والتحكم فيها وتسجيلها. وهذه البساطة ليست دائما هى الصورة التى توجد بها الظواهر فى بيئتها الطبيعية. ولذلك فعلى الباحث أن يقترب كلما أمكن من الموقف الطبيعى الذى توجد فيه الظواهر المختلفة. وعليه أن يستخدم طرقا أخرى غير الطريقة التجريبية ليسجل الظواهر كما هى دون أن يفتعل لها المواقف غير الطبيعية التى تبعدها عن حقيقتها.

ودوافع الأفراد الذين يشتركون فى التجارب المعملية تختلف ـ فى الأغلب والأعم ـ عن الدوافع الحقيقية للأفراد فى مواقف الحياة اليومية. وبذلك فإن سلوك الفرد فى المعمل سلوك شكلى، وسلوكه فى الحياة استجابة طبيعية لما يواجهه من أحداث، وخاصة عندما يشعر الفرد فى المعمل أن سلوكه يخضع للملاحظة وأن سلوكه فى حياته الطبيعية لا يخضع لتلك الملاحظة.

فالتجارب المعملية بهذا المعنى ليست إلا نماذج سريعة وبسيطة لما يحدث فى الحياة اليومية. ولذا يعاب عليها كل ما يعاب على مثل تلك النماذج من مواقف مصطنعة مفتعلة.

وقد بدأت بوادر مثل هذا النقد أخيرا تعم الميدان التجريبى فى علم النفس بصفة عامة، وفى علم النفس الاجتماعى بصفة خاصة حتى اضطر بعض علماء مناهج البحث إلى أن يتخذوا موقف المدافع عن الطريقة التجريبية فى مقدمات كتبهم التى يعالجون فيها تلك الطريقة، بعد أن بسطوا بأمانة علمية نواحى القصور الذى تعانى منه الطريقة التجريبية. ولا أدل على ذلك من المقدمة التى يتحدث فيها المؤلفون كارلسميث Carlsmith واليزورث Elisworth وآرنسون Aronson[1]. عن مآخذ الطريقة التجريبية فى كتابهم الذى نشروه سنة ١٩٧٦ عن طرق البحث فى علم النفس الاجتماعى.

(1) Carlsmith, J. M. Ellsworth, P. C., and Arson, E. : Methods of Research in Social Psychology. Reading Mass., Addison - Wesley, 1967, p. VII.

خامسا ـ أهم تصنيفات الأبحاث النفسية الاجتماعية

قد يتبادر إلى الذهن أننا نستطيع أن نصنف الأبحاث النفسية الاجتماعية إلى أنواع بالنسبة لمناهج البحث وطرقه، لكننا إذا فعلنا ذلك فكأننا ندور فى دائرة مفرغة. ولذا سنعتمد على أسس أخرى أكثر اتصالا بمستويات الأبحاث، ومدى التحكم أو اللاتحكم فى متغيراتها ونوع الفائدة المرجوة منها.

والأساس الأول المقترح لتصنيف الأبحاث إلى أنواع هو أساس المستوى. ويتحدد المستوى بعدد الخطوات التى تستغرقها طريقة البحث. وتسمى أبحاث المستوى الأول الأبحاث الاستقصائية ولا تكاد خطوات طرقها تتعدى الخطوة الأولى. ومن أبحاث هذا المستوى الأبحاث الكشفية والاستطلاعية. وتسمى أبحاث المستوى الثانى الأبحاث الوصفية لأن خطواتها تنتهى عند تحليل المشكلة إلى متغيراتها وما يمكن أن يقوم بين هذه المتغيرات من علاقات ولا تشتمل بذلك على كل خطوات البحث. ومن أبحاث هذا المستوى البحوث الوصفية أو المسحية والتتبعية والارتباطية. وتسمى أبحاث المستوى الثالث الأبحاث السببية لأنها تشتمل على جميع خطوات البحث وتستهدف الكشف عن الأسباب التى تكمن وراء الظاهرة. ومن أبحاث هذا المستوى الأبحاث التجريبية.

والأساس الثانى المقترح هو أساس التحكم فى المتغيرات. فإذا تحكم الباحث فى متغيرات الظاهرة وغير بعضها ليرصد ما يحدث من تغير فى البعض الآخر سمى البحث معمليا ومن أبحاث هذا النوع الأبحاث التجريبية، وهى تنتمى إلى هذا التصنيف باعتبار الإجراءات، وتنتمى إلى تصنيف المستويات باعتبار النتيجة التى تنتهى إليها. وإذا لم يتحكم الباحث فى متغيرات الظاهرة ورصدها كما تحدث فى مجالها الطبيعى سمى البحث ميدانيا. ومن أبحاث هذا النوع البحث الميدانى نفسه.

والأساس الثالث المقترح هو نوع الفائدة. فإذا كانت الفائدة علمية أكاديمية سمى البحث أساسيا. ومن أبحاث هذا المستوى البحث الأساسى نفسه. وإذا كانت الفائدة عملية سمى البحث تطبيقا. ومن أبحاث هذا النوع بحث الفعل أيضا.

وبذلك ينتهى هذا التصنيف المقترح لتصنيف الأبحاث إلى التنظيم التالى:

(أ) المستوى الأول: الأبحاث الاستقصائية. وأهمها الكشفية والاستطلاعية.

(ب) المستوى الثانى: الأبحاث الوصفية، وأهمها المسحية، والتتبعية، والارتباطية.

(جـ) المستوى الثالث: الأبحاث السببية. وأهمها التجريبية.

(د) **التحكم**: الأبحاث المعملية. وأهمها التجريبية.

(هـ) **اللاتحكم**: الأبحاث الميدانية.

(و) **الفائدة العلمية**: الأبحاث الأساسية.

(ز) **الفائدة العملية**: الأبحاث التطبيقية، وبحث الفعل Action research.

وسنبين فيما يلي الأبحاث التي لم نتعرض لها من قبل. وسنكتفي بالنسبة للأبحاث المعملية وهي أيضا الأبحاث التجريبية بما سبق أن بيناه بالتفصيل في شرحنا للطريقة التجريبية.

(أ) المستوى الأول: الأبحاث الاستقصائية:

١ ـ الأبحاث الكشفية:

لا تتم عملية اختيار مشكلة البحث في خطوة واحدة بل قد يتطلب الأمر القيام بدراسات وأبحاث كشفية للتأكد من صلاحية المشكلة للبحث وتحديد أهميتها وذلك قبل التوصل إلى القرار النهائي لاختيارها. وتسمى مثل هذه البحوث أيضا ببحوث الجدوى، وبحوث الصياغة لأنها تساعد أيضا على معرفة جدوى وفائدة بحث المشكلة، وتعين على صياغتها[1].

وتزداد أهمية الدارسات والبحوث الكشفية كلما كان ميدان البحث جديدا وأغلب معالمه غامضة أو مجهولة ولم تخضع بعد خضوعا واضحا لأبحاث متعددة.

وكما تؤدي الدراسات الكشفية إلى تحديد المشكلة فإنها تستخدم أيضا زيادة ألفة الباحث بمشكلة البحث، واستجلاء جوانبها المختلفة، وفي توضيح معالمها ومفاهيمها الرئيسية، وفي ترتيب أولويات الخطوات التي يتطلبها البحث، وفي معرفة مدى إمكانات بحث المشكلة في المعمل أو في الميدان الحيوي لوجودها، أي كما تحدث في حياة الناس. وقد يستخدم الباحثون المتمرسون مثل هذه الأبحاث والدراسات الكشفية في الخطوات الضرورية للاهتداء إلى الفروض المناسبة لمشكلة البحث.

٢ ـ الأبحاث الاستطلاعية:

تعقب الأبحاث والدراسات الكشفية الأبحاث والدراسات الاستطلاعية التي تستهدف معرفة مدى توافر العدد المناسب من أفراد العينة للقيام بالبحث ومدى توافر

---

(1) Exploratory studies - دراسات كشفية Feasibility studies دراسات جدوى
Formulative studies دراسات صياغة

أدوات القياس، والأدوات الجديدة التى يتطلب البحث إعدادها، وبناء تلك الأدوات وتجربتها تجربة مبدئية لتصحيح عيوبها ومعرفة حدود ثباتها وصدقها كلما أمكن ذلك. وقد يحتاج مثل هذا الأمر إلى قيام الباحث بتحليل مفرداتها تحليلا عاما حتى يتحقق من صلاحيتها للقياس. وبذلك يتضمن البحث الاستطلاعى التجريب القبلى[1]. لأدوات القياس وخاصة فى بناء استبيانات الاتجاهات النفسية التى تعد من أهم مباحث علم النفس الاجتماعى.

ويتضمن البحث الاستطلاعى أيضا إعداد قوائم الملاحظة كما سبق أن بينا ذلك فى دراسة قوائم الشطب والقوائم التكرارية.

وفى مقدور الباحث أيضا أن يجرب بطريقة مبدئية التصميم الذى يناسب بحثه وذلك بتجربة أكثر من تصميم فى دراسته الاستطلاعية، وذلك لاختيار التصميم المناسب وخاصة فى الأبحاث المعملية كما سبق أن بينا ذلك فى دراسة تصميمات الطريقة التجريبية.

(ب) المستوى الثانى - الأبحاث الوصفية:

١ - الأبحاث المسحية:

تختص البحوث والدراسات المسحية بتجميع البيانات من التقارير أو الجداول الكمية أو من كليهما. ويعتمد المسح العلمى على طرق وأدوات مختلفة لتجميع تلك البيانات. ومن أهم تلك الطرق الملاحظة، وأدواتها القوائم التكرارية، وقوائم الشطب، والتقارير الوصفية التى يكتبها الملاحظون عن الظواهر التى يسجلونها. وتعتمد البحوث والدراسات المسحية أيضا على الوثائق والاستبيانات، والمقابلة.

وعلى الباحث أن يحدد منذ البدء مدى شمول البحث المسحى. فإما أن يمتد بمسحه إلى المجتمع الأب، أو أن يقتصر على عينة يختارها من ذلك المجتمع. فإذا كان المجتمع صغيرا ومحدودا فإن الباحث يستطيع أن يمسح المجتمع كله. وإذا كان مجتمع البحث كثيرا وغير محدد فإن عليه أن يختار عينة مناسبة وبطريقة علمية، ومثال ذلك العينة الطبقية العشوائية أو العشوائية فقط أو المقصودة ليجمع منها البيانات بأدواته التى يستخدمها فى ذلك المسح.

٢ - الأبحاث التتبعية:

تعنى البحوث والدراسات التتبعية[2]. رصد وتسجيل التغير الذى يطرأ على ظاهرة ما خلال نموها أو تطورها من الحيوان إلى الإنسان، مثلا، أو من طفولة الإنسان

---

(1) Pilot studies دراسات استطلاعية — التجريب القبلى Pretest -

(2) Genetic studies الدراسات التتبعية

إلى مراهقته ورشده وشيخوخته. ومن أهم ميادين علم النفس الاجتماعى التى تعتمد على البحوث التتبعية ميدان التنشئة الاجتماعية وما يطرأ على النمو الاجتماعى من تغير خلال مراحل الحياة.

وتعتمد البحوث التتبعية على نوعين من الطرق: الطريقة الطولية والطريقة المستعرضة[1].

فأما الطريقة الطولية فتعتمد على تتبع نمو ظاهرة نفسية اجتماعية عند جماعة محددة من الأفراد خلال سنوات نموهم المتتابعة عاما بعد آخر، ورصد ما يحدث من تغير فى الظاهرة نتيجة للنمو.

وأما الطريقة المستعرضة فتعتمد على اختيار جماعة من الأفراد من كل عمر من الأعمار المتتالية لتدرس فيها خصائص الظاهرة بالرغم من اختلاف الأفراد.

وبالرغم من دقة الطريقة الطولية فإنها تستغرق من الباحث وقتا طويلا قد يمتد لسنوات متعددة. ولذلك فأغلب الباحثين المعاصرين يفضلون الطريقة المستعرضة على الطريقة الطولية لسرعة الحصول على النتائج.

٣ـ الأبحاث الارتباطية:

بدأ الاهتمام بالبحوث والدراسات الارتباطية منذ أوائل هذا القرن وذلك عندما اهتدى سبيرمان Spearman سنة ١٩٠٤ إلى تحليل معاملات الارتباط للكشف عن العامل العام الذى أطلق عليه بعد ذلك مصطلح الذكاء. وبذلك تأكدت أهمية هذا النوع من البحوث فى ميدان علم النفس الفارق. وأدى هذا النجاح إلى استخدام البحوث الارتباطية فى أغلب ميادين علم النفس وخاصة فى مباحث علم النفس الاجتماعى. ومثال ذلك التحليل العاملى للاتجاهات النفسية والقيم، وغير ذلك من الموضوعات التى يشتمل عليها هذا العلم.

وتتلخص أهمية البحوث الارتباطية فى أنها تكشف عن الخصائص المشتركة لمتغيرات متعددة مهما كان نوع هذه المتغيرات: هى بهذا المعنى تمتد إلى ما بعد التعرف على الظواهر العلمية المختلفة التى تنتهى عندها بحوث المسح والبحوث التتبعية، إلى اكتشاف التنظيم الذى ترتبط به تلك الظواهر وخاصة عندما يتآلف بعضها مع البعض الآخر ليكون بذلك نوعا من أنواع التجمعات أو الفئات أو الطوائف. وهى بهذا التجمع

---

(1) Longtudinal method الطريقة الطولية
- Transversal method الطريقة المستعرضة

تتطور بمستوى البحوث إلى ما يقرب من السببية التى تنتهى إليها البحوث المعملية التجريبية، لكنها لا تصل بحق إلى تلك السببية، وإن كانت تشير إليها وإلى احتمالات وجودها. وبذلك تصبح كمداخل للمستوى الثالث أو النوع الأخير من أنواع البحوث، وخاصة عندما تمتد البحوث الارتباطية إلى ما بعد الارتباط من تحليل للعوامل التى أدت إلى ذلك الارتباط أو إلى حساب معاملات الانحدار التى تعتمد أولا وأخيرا على معاملات الارتباط والتى تمهد للتنبؤ بقيم ظاهرة ما من الظواهر التى يدرسها الباحث وذلك بمعرفة القيم التى تقابلها فى ظاهرة أخرى.

(جـ) المستوى الثالث ـ الأبحاث السببية:

أهم أبحاث هذا المستوى هى الأبحاث التجريبية، وهى تجريبية باعتبار الطريقة، وسببية باعتبار النتيجة، وقد سبق شرحها بالتفصيل وشرح تصميماتها المختلفة فى دراستنا للطريقة التجريبية. وسنكتفى هنا بمجرد ذكر مستواها ونوعها حتى تستقيم مكونات نموذج التصنيف المقترح الأبحاث.

(د) التحكم ـ الأبحاث المعملية:

أهم أبحاث التحكم أيضا هى الأبحاث التجريبية، وقد سبق ذكرها فى الأبحاث السببية. وهى تنتمى أيضا إلى نوع التحكم باعتبار متغيراتها المستلقة وما تخضع له من تغيير وأثر هذا التغيير على المتغيرات التابعة. وبما أن هذا النوع من الأبحاث يجرى عادة ـ فى الأغلب والأعم ـ فى معامل البحوث لتهيئة الشروط اللازمة للتحكم فى متغيراتها وضبطها ضبطا علميا دقيقا. لذا فهى تسمى معملية باعتبار مكان الإجراء.

(هـ) اللاتحكم ـ البحث الميدانى:

يتميز البحث الميدانى بأنه يلاحظ ويرصد الظواهر كما تحدث فى بيئتها الطبيعية ولا يضبطها أو يتحكم فيها بطريقة مفتعلة كما يحدث فى التجارب التى تجرى داخل معامل البحوث. ولذلك يحاول الباحث الميدانى ألا يكون لوجوده أو وجود الباحثين الآخرين أى أثر يذكر على سلوك الأفراد والجماعات التى يجرى البحث عليهم وبينهم. ولذا فنتائجه أكثر قابلية للتطبيق من الأبحاث الأخرى لاتصالها المباشر بواقع الحياة اليومية. وقد شاع هذا النوع من الأبحاث أخيرا فى علم النفس الاجتماعى وظهرت مؤلفات عدة توضح أهمية ونتائج الأبحاث النفسية الاجتماعية فى أمور حياتنا اليومية.

وكثيرا ما يستخدم البحث الميدانى فى دراسة الأنماط السلوكية التى ترجع فى اختلافها إلى اختلاف الأنماط الثقافية. وعلى الباحث الميدانى الذى يتصدى لمثل هذا

النوع من الأبحاث أن يعيش مع الناس الذين يدرسهم، وأن يستعين بطريقة الملاحظة فى حصوله على المعلومات التى يسعى لجمعها وتحليلها وتفسيرها. وقد يستخدم الباحث أيضا طريقة المقابلة لجمع البيانات الأساسية من بعض الأفراد الذين يمثلون نماذج محددة فى تلك المجتمعات.

(و) الفائدة العلمية - البحث الأساسى:

يعتمد علم النفس الاجتماعى فى بنائه النظرى على البحوث الأساسية التى تبدأ بالإجابة على أسئلة تتصل اتصالا مباشرا بالبناء الفكرى للعلم، وتنتهى بالنظريات التى تلخص ذلك البناء الفكرى فى تعميم يضم طائفة من الظواهر التى يتصدى علم النفس الاجتماعى لدراساتها. ومن أمثلة المحاولات الأولى لصياغة مثل تلك النظريات ما ذهب إليه تارد من أن أساس السلوك النفسى الاجتماعى هو التقليد أو نظرية النزعات الفطرية لمكدوجل، ودورها فى تحديد السلوك الاجتماعى عن طريق الغرائز والنزعات الفطرية العامة. وقد واجهت مثل هذه المحاولات والنظريات نقدا شديدا لأنها لم تعتمد على البحث الأساسى وطريقته العلمية فى نشأتها ومراحل صياغتها. وهكذا تتضح أهمية البحوث الأساسية فى البناء الصحيح للعلم.

وبذلك يتجه البحث الأساسى فى علم النفس الاجتماعى، كما يتجه فى العلوم الأخرى، إلى اكتشاف القواعد الأساسية التى تدعم البناء الفكرى، وإلى التوصل إلى النظريات العلمية التى تتصف بالإيجاز والشمول والتفرد، وما أسلفنا ذكره عن التنبؤ، والفهم، والتحكم.

والنظرية تعبير موجز عن حقائق عدة. فهى بذلك تعميم. وجوهر التعميم الإيجاز. وهى بإيجازها هذا تنحو نحو الاقتصاد فى الجهد، والاقتصاد فى الإبانة عن القصد.

ويعنى الشمول امتداد الإطار النظرى ليشتمل على الحقائق الفرعية التى تتصدى النظرية لتفسيرها. وبذلك تتآلف تلك الحقائق فى تنظيم متماسك متكامل يشملها جميعا ويسفر عنها. ويتبلور مثل هذا التنظيم والتكامل فى النظرية.

هذا وكلما انفردت إحدى النظريات بتفسير الحقائق التى تشتمل عليها ثبتت النظرية وزادت صحتها. ووجود نظرية أخرى تفسر نفس الحقائق التى تفسرها النظرية الأولى يضعف الأهمية العلمية للنظريتين لأن فى ذلك الازدواج تناقضا علميا.

ومن النظريات الحديثة فى علم النفس الاجتماعى التى اعتمدت على البحث الأساسى فى بنائها الفكرى نظريات الاتجاهات والمجال، والدور، وغير ذلك من النظريات المختلفة.

(ز) ـ الفائدة العملية:

١ ـ البحث التطبيقي:

يبدأ البحث التطبيقي بحل مشكلة قائمة، ولذلك يشتق الباحث التطبيقي فروضه من الاحتمالات العملية التي تقتضيها طبيعة حل المشكلة. وليس معنى هذا أن نقطة البدء التي يتطور منها البحث، مشكلة كانت أم مسألة علمية، تحدد دائما نوع النتائج التي ينتهي إليها، فقد تؤدي المشكلة إلى اكتشاف حقيقة علمية، وقد تؤدي الحقيقة إلى علاج مشكلة قائمة. ولذلك فقد يهتدي العلم في نشاطه الدائب لاكتشاف الحقائق والقوانين وصياغة النظريات إلى حل مشكلة عملية، وهو في سعيه لحل المشكلات العملية اليومية قد يصل إلى بعض الحقائق التي تهيىء الفكر لصياغة نظرية جديدة.

ولذلك فبالرغم من أننا نقسم الأبحاث بالنسبة لأهدافها إلى أساسية وتطبيقية إلا أنهما مرتبطان. ولقد دأب علم النفس الاجتماعي منذ نشأته الأولى على أن يهتم بالمعرفة من أجل المعرفة في أبحاثه الأساسية، وبالمعرفة من أجل تطوير السلوك الاجتماعي وتصحيح مساره، وتحقيق مجتمع الرخاء والرفاهية والعدالة في محاولة جادة لإنشاء اليتوبيا أو الجمهورية الفاضلة التي سعى الإنسان منذ فجر الفكر لتحقيقها.

ومن أمثلة الأبحاث التطبيقية في علم النفس الاجتماعي، طرق مقاومة التعصب، ووسائل التغلب على الإشاعة، وأساليب زيادة فعالية الأفراد في تفاعلهم الاجتماعي، والمناقشة الجماعية وأثرها في التفكير الجماعي، وتغيير الاتجاهات وقياس الرأي العام والعوامل المؤثرة في تكوينه وتوجيهه، والتماسك الجماعي، والروح المعنوية، والقيادة أو الزعامة.

وقد تطور مجال الأبحاث التطبيقية في علم النفس الاجتماعي حتى امتدت إلى أمور حياتنا اليومية[١].

٢ ـ بحث الفعل:

قد تكون الفجوة بين ميدان البحث التجريبي وميدان التطبيق التنفيذي واسعة كبيرة، فتفشل العملية بالرغم من إمكان نجاحها في نواحيها العملية والتنفيذية. تفشل لضعف التكامل والتنسيق بين الناحيتين.

من أجل ذلك نشأ بحث الفعل[٢] في إطار بحث العمليات[٣] لعلاج هذه الصعوبة في أخطر ميادين البحث والتنفيذ، وذلك عندما يؤدي الفشل إلى خسارة فادحة في

---

(1) Swingle, P. G. (ed.) Social Psychology in everyday Life. London, Penguin. 1973.

(2) Action research — بحث الفعل

(3) Operational research — بحث العمليات

الأرواح. وهكذا نشأ بحث العمليات لإنجاح عملية تطبيق العلم لخدمة الحرب بطريقة جديدة لم تكن معروفة من قبل.

وعندما نشأ بحث العمليات كان يهدف إلى تطوير الطرق العملية فى البحث والتجريب لزيادة كفاءة استخدام الأسلحة الحربية الموجودة وليس لاختراع أسلحة جديدة. وهو فى جوهره دراسة علمية للعمليات التى تحدث أثناء إنجاز عمل ما. لا كما تحدث فى المعمل، وإنما كما تحدث فى الواقع للوصول بالكفاءة إلى أقصى ما يمكن.

ولهذا يعرف بحث العمليات كما سبق أن بينا ذلك بأنه الدراسة العلمية للعمليات والطرق المستخدمة فى مواقع العمل ومواقف حياتنا اليومية لزيادة الفاعلية عن طريق تحسين العمليات باكتشاف طرق الإصلاح من خلال نقد وتقييم علاقة الفرد بنوعية ومستوى كم العمل وأساليب الأداء والتنفيذ.

ويعتمد التطبيق النفسى الاجتماعى لبحث العمليات على بحث الفعل، ومن أهم خصائص بحث الفعل ما يلى:

ـ اشتراك الباحثين مع العاملين فى الميدان، وبذلك يتكون فريق البحث من الذين يجيدون إعداد التصميم العلمى الصحيح للبحث وأدواته وعينته وطرق تحليل نتائجه. ومن الذين يعيشون أحداث المشكلة ويمارسون أداء العمل.

ـ يجرى البحث مباشرة فى الميدان.

ـ يهدف البحث إلى علاج المشكلة فى ظروفها العملية القائمة، ولا يهدف إلى مجرد الكشف عن بعض الحقائق العلمية المتصلة بالمشكلة أو النابعة منها.

واشتراك العاملين فى الميدان مع الباحثين فى بحث يساعد على دقة صياغة المشكلة، ويجعلها نابعة من الواقع اليومى للميدان، ويزود الباحث بالمعلومات المباشرة الضرورية لبناء التصميم العلمى الصحيح للبحث، ويساعد أيضا على صحة تطبيق نتائج البحث وتعميم انتشاره.

وقد يؤدى اشتراك العاملين فى الميدان مع الباحثين إلى تخفيف حدة التوتر التى غالبا ما تنشأ بينهم وتعوق تقبل كل نوع منهما لمنهج الآخر وأسلوب معالجته للمشكلات.

ومن أمثلة بحث الفعل فى علم النفس الاجتماعى ما يقوم به الباحثون مع المواطنين الذين يعيشون أحداث بيئتهم وأبعاد مشكلاتهم من دراسة مشتركة وجهد تعاونى فى تنمية المجتمع القائم مهما كان نوعه؛حضريا كان أم قرويا أم بدويا، وخاصة معالجة المشكلات الناشئة عن المجتمعات المستحدثة والتهجير والتوطين، وما ينشأ عنها من مشكلات حادة تحتاج إلى علاج علمى عملى مباشر سريع فى نفس الموقع.

سادسا - الملخص

تبدأ موضوعات هذا الفصل بتحليل الصعوبات التى يواجهها الباحث فى ميدان علم النفس الاجتماعى، ثم يلى ذلك توضيح معنى المنهج العلمى وبيان لأهم أنواعه، وللطرق العلمية التى تنتمى إلى تلك الأنواع، وتنتهى موضوعات الفصل بتصنيف الأبحاث إلى أنواع.

وتتلخص أهم صعوبات البحث فى علم النفس الاجتماعى فى كثرة عدد الظواهر مما يؤدى إلى تنوع طرق البحث من الملاحظة الميدانية إلى التجربة المعملية. وكثرة عدد المتغيرات، وهذه الصعوبة تتطلب الاستعانة بأساليب تحليل المتغيرات المتعددة. وتشابك العلاقات، وتأثر الظواهر بعملية البحث، ولذا فمن الأفضل استخدام التصميمات التجريبية التى تعتمد على أكثر من جماعة ضابطة.

ويحدد هذا الفصل بعد ذلك معنى المنهج على أنه علم طرق البحث، وهذا يعنى الدراسة المنظمة المنطقية لقواعد وطرق البحث العلمى، وصياغتها صياغة إجرائية تيسر استخدامها. وتصنف المناهج إلى قبلية وبعدية، وإلى خارجية أرسططالية وداخلية جاليلية. وفى القبلية تسبق الطريقة الظواهر وتخطط لحدوثها لضبط قياسها والتحكم فى متغيراتها، ومن طرقها الطريقة التجريبية. وفى البعدية تسبق الظاهرة الطريقة، فالطريقة تسجل وترصد ما هو قائم فعلا دون تدخل فى متغيراتها، ومن طرقها طريقة الملاحظة. وفى الخارجية الأرسططالية تنسب الظاهرة لغيرها من الظواهر الأخرى وتعتمد على الاستقراء للتعميم وعلى الاستنباط لاختبار صحة التعميم على الجزئيات. ومن طرقها الطريقة التجريبية. وفى الداخلية تنسب الظاهرة إلى مكوناتها، ومن طرقها طريقة تحليل التفاعل الاجتماعى ودينامياته.

ويعتمد المنهج فى تقييمه لطرق البحث على ثلاثة معايير: **أولها التنبؤ**، والطرق التى تقتصر فقط على التنبؤ تعد طرق المستوى الأول من مستويات طرق البحث، **والثانى الفهم**، أى معرفة الأسباب والعوامل المؤثرة فى حدوث الظاهرة. وتعد الطرق التى تعتمد على التنبؤ والفهم من طرق المستوى الثانى. **والثالث التحكم**، أى توجيه العوامل المؤثرة فى الظاهرة. وتعد الطرق التى ترقى إلى هذا المستوى الثالث أرقى طرق البحث.

وتؤدى دراسة مناهج البحث إلى الطرق الصالحة للظواهر النفسية الاجتماعية. ونعنى بالطريقة العلمية القواعد التى تتبع لترتيب الإجراءات للتوصل إلى الإجابة على تساؤلات البحث للحصول على المعرفة اللازمة للبناء النظرى للعلم أو لحل المشكلات القائمة. هذا ولا توجد طريقة علمية واحدة، بل هى طرق متعددة تختلف تبعا

لاختلاف نوع البحث ومهارات الباحثين، ولكنها برغم هذا التعدد تشترك فى خطوات عامة هى تحديد مشكلة البحث أو موضوعه، وفروضه، واختبار تلك الفروض، وتسجيل النتائج وتفسيرها. وتعتمد عملية اختيار الطريقة المناسبة على أساسين. **الأول**: خصائص موضوع البحث وهذا يتطلب تحليل أبعاد الموضوع لمعرفة ما إذا كان يمكن بحثه بطريقة واحدة أم بطرق متعددة. **والثانى**: خصائص الموقع وخصائص الظواهر لمعرفة ما إذا كان مكان البحث المعمل أم الميدان.

وتكاد تكون طرق الملاحظة والطرق التجريبية أهم الطرق المستخدمة فى علم النفس الاجتماعى، وتعنى الملاحظة المراقبة المقصودة لرصد ما يحدث وتسجيله كما هو. وهى تعتمد على طرق متعددة، وتختلف هذه الطرق تبعا لاختلاف موضوع الملاحظة. وتشتمل عمليات الملاحظة على المعينات والأدوات والوسائل، وتتطلب تدريب الباحثين.

وتستخدم الملاحظة فى الأبحاث الاستطلاعية والاستكشافية فى البحث الميدانى وتستخدم أيضا فى البحث المعملى التجريبى، ومن أهم مزاياها تسجيل السلوك كما يحدث فى مواقفه الطبيعية، وكما يتغير خلال نموه فى التنشئة الاجتماعية. كما تستخدم عندما لا تصلح الطرق الأخرى، وخاصة عندما يصعب التفاهم مع الأفراد والأطفال والحيوانات. ويحد من عمومية انتشار الملاحظة أن بعض الظواهر تحدث عندما لا يتوقع فيه الباحث حدوثها وأن وجود الباحث قد يشكل خطورة له ومثال ذلك ملاحظة الكوارث والنكبات أثناء وقوعها، وأن الظواهر التى تلاحظ قد تختلط بظواهر أخرى تحول دون نقائها، وأن أغلب البيانات التى تجمع عن طريق الملاحظة بيانات وصفية فلا ترقى إلى المعالجة الكمية. ويشترط لنجاح الملاحظة خضوعها لخطة واضحة الخطوات والإجراءات. وتبدأ هذه الخطة بإعداد قائمة الأمور التى ستلاحظ، وتعتمد فى اختيار موضوعاتها على الإطار النظرى للبحث وفروضه، ويشترط فى الموضوعات أن ترتبط بمشكلة البحث ارتباطا عاليا،وأن ترتبط ببعضها البعض ارتباطا ضعيفا حتى تمتد إلى أكبر عدد من أبعاد مشكلة البحث. وتتطور الخطة فى خطوتها الثانية إلى اختيار فئات التصنيف. وتحدد خطوتها الثالثة طريقة تسجيل الملاحظة بحيث تكون بسيطة وسريعة وعملية ويمكن ترجمتها إلى مقادير كمية.

وللتسجيل طريقتان: **الأولى**: اختيار عينة من الأحداث والثانية اختيار عينة زمنية. ومن أهم المشكلات التى تواجه الملاحظ طريقة ملاحظة السلوك الجماعى، ويمكن التغلب على هذه المشكلات بتسجيل ما تقوم به الجماعة من إنجازات، أو بتسجيل سلوك كل فرد ثم حساب المؤشرات الإحصائية للتجمعات الكمية مثل المتوسط والانحراف المعيارى، ويحسب ثبات الملاحظ بمقارنة ملاحظاته بملاحظات الآخرين.

والطريقة الثانية: الشائعة فى علم النفس الاجتماعى هى الطريقة التجريبية، وتعد بحق الطريقة الرئيسية فى أبحاث كل العلوم وعلى رأسها العلوم الطبيعية لأنها تحقق كل أهداف البحث العلمى من تنبؤ إلى فهم إلى تحكم. وتختلف الطريقة التجريبية عن طريقة الملاحظة فى أنها تنشىء الموقف الضرورى لملاحظة الظاهرة. وتتحكم فى متغيراته بينما الملاحظة تسجل الموقف كما هو ولا تتحكم فى متغيراته.

وأركان الطريقة التجريبية أربعة: **التغيرات المستقلة** وهى التى تخضع لتحكم الباحث فيغيرها. **والمتغيرات التابعة** وهى التى يقيس الباحث أثر تغير المتغير المستقل عليها. **والجماعة التجريبية** وفيها يغير المتغير المستقل. **والجماعة الضابطة** وفيها لا يغير المتغير المستقل. ويسمى تنظيم القياس بين أركان البحث الأربعة تصميما تجريبيا.

وللتصميم نماذج مختلفة، الشائع منها خمسة نماذج. **الأول**: القياس البعدى للجماعتين التجريبية والضابطة، وفيه يقارن متوسط استجابات الجماعة التجريبية بعد تعرضها للمتغير المستقل بمتوسط استجابات الجماعة الضابطة التى لم تتعرض للمتغير المستقل. **والثانى**: القياس القبلى البعدى للجماعتين وفيه تقاس المتغيرات التابعة فى الجماعتين التجريبية والضابطة قبل وبعد التجربة. **والثالث**: القياس القبلى البعدى لجماعة واحدة وفيه يصبح الفرد نفسه وكأنه الجماعة الضابطة، وتقاس استجابة الفرد قبل التعرض للمتغير المستقل وبعد التعرض له، وتقارن نتائج القياسين، ويشترط قصر المدة الزمنية بين المقياسين للتغلب على العوامل الخارجية. **والرابع**: القياس القبلى البعدى لجماعتين متبادلتين، ويستخدم لعزل أثر القياس القبلى للمتغير التابع على المتغير المستقل. ويقاس المتغير التابع فى إحدى الجماعتين قبل تعرضها للمتغير المستقل. ويقاس المتغير التابع فى الجماعة الثانية بعد تعرضها للمتغير المستقل. ويدل الفرق بين القبلى فى الأولى والبعدى فى الثانية على أثر المتغير المستقل. **والخامس**: القياس القبلى البعدى للجماعات المتعددة. ويستخدم لفصل أثر المتغير المستقل عن أثر القياس القبلى، ولعزل أثر المتغيرات الخلفية. وتقاس الجماعات التجريبية والجماعة الضابطة الأولى قياسا قبليا. ونفترض أن القياس القبلى للثانية والثالثة الضابطة يساوى متوسط القبلى للتجريبية والضابطة الأولى. وتعرض التجريبية والضابطة الثانية للمتغير المستقل. وتقاس كل الجماعات قياسا بعديا. وتحسب الفروق وتقارن النتائج. ويمكن الاستعاضة عن هذا النموذج بإجراء التجربة مرتين بجماعة تجريبية واحدة وضابطة واحدة وقياس قبلى وبعدى.

وبالرغم من أهميـة ودقة الطريقة التجـريبية إلا أنها بدأت تـفقد جزءا كبـيرا من أهميتها عند البـاحثين المعاصرين، وذلك لأن سرعة التغير الاجـتماعى فى المعمل أسرع منه فى حياتنا الطبيعية، وأن المتغيرات فى الحيـاة اليومية ليست ببساطة متغيرات المعمل، وأن دوافع أفراد التجربة فى المعمل غير دوافعهم فى مواقف الحياة.

وينتهى هذا الفصل بتنظيم مقترح لتصنيف أهم الأبحاث النفسية الاجتماعية.

ويعتمـد هذا التنظيم على أسس ثلاثة، **الأول**: أساس المستوى. ويقتصر المستوى الأول على الأبحاث التى لا تكاد تتعدى الخطـوات الأولى من خطوات عملية البحث، وتسمى أبحاثه الاسـتقصائيـة، وأهمها الكشفيـة والاستطلاعية، والمسـتوى الثانى يصل بأبحاثـه إلى أغلب خطوات عمليـة البحث لكنه لا يمتـد إلى نهايتـها، وتسمـى أبحاثه الوصفية، وأهمها المسحية، والتتبعية،و الارتباطية. والمستوى الثالث: وتصل أبحاثه إلى نهاية الخطوات، وتسمى أبحاثه السببيـة، وأهمها التجريبية. **والأساس الثانى**: هو مدى التحـكم فى المتغـيرات. والقسم الأول هـو التحكم وتسـمى أبحاثه المعـملية، وأهمـها التجريبية، والقسم الثانى هو اللاتحكم، وتسمى أبحاثه أبحاث المواقف الطبـيعية وأهمها الميدانية. **والأساس الثالث**: نوع الفائدة، والقسم الأول هو الفائـدة العلمية وأهم أبحاثه الأساسية، والقسم الثانى هو الفائدة العملية. وأهم أبحاثه التطبيقية، وبحث الفعل.

سابعا ـ المراجع العامة

المراجع العربية:

١ ــ فان دالين. د. ب: مناهج البحث فى التربية وعلم النفس. ترجمة: محمد نبيل نوفل وسليمان الخضرى الشيخ وطلعت منصور غبريال ومراجعة سيد أحمد عثمان، القاهرة. مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٩.

٢ ــ نجيب إسكندر ولويـس كامل مليكة ورشدى فـام منصور: الدراسة العلمـية للسلوك الاجتماعى. القاهرة. مؤسسة المطبوعات الحديثة ١٩٦١.

(3) Burroughs, G. E. R.: Design and Analysis in Educational Research. Birmingham. Univ. Birimingham Press, 1971.

(4) Carlsmith, J. H. Elisworth, P. C., and Aronson, E.: Methods of Research in Social Psychology. Reading, Mass. Addison Wesley. 1976.

(5) Fraisse, P., and Piaget, J.: Traite de Psychologie Experimentale. IX Psychologie Social. Paris. Press Univ. de France. 1965.

(6) Goode, W. J., and Hatt, P.K.: Methods in Social Research. N. Y. McGraw - Hill 1952.

(7) Jones, E. E., and Gerard, H. B.: Foundations of Social Psychology. N. Y. John Wiley. 1967.

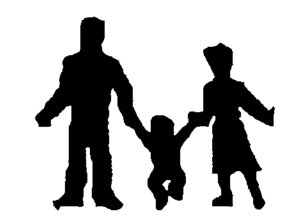
(8) Kourganoff, V.: La Recerche Scientifique. Paris. Press Univ. de France. 1961.

(9) Lindzey, G., and Aronson, E. (Eds.) : The Handbook of Social Psychology. Reading Massachusetts. Addison Wesly. Vol. 2. 1961.

(10) Newcomb, T. M.: Social Psychology. London. Routledge and Kegan. 1952.

(11) Selltiz, C., and others: Research Methods in Social Relations. N. Y. Holt, Rinehart and Winston. 1963.

(12) Weiss, C. H.: Evaluatiion Research. New jersey. Prentice Hall. 1972.



الفصل الحادى عشر

مظاهر السلوك الاجتماعى الحيوانى

أولا - العلاقة بين السلوك الاجتماعى الحيوانى والإنسانى.

ثانيا - التنظيمات الاجتماعية الحيوانية.

ثالثا - العلاقات الاجتماعية الحيوانية.

رابعا - مظاهر السلوك الاجتماعى عند الحشرات والطيور والرئيسيات.

خامسا - الملخص.

ما كان لبشر أن ينشيء الحياة الاجتماعية من العدم. فجذورها أعمق من بشريته، وأصلها لا يصدر عن الحياة الإنسانيـة وحدها، بل إنها لتظهر واضحة عند بعض الأنواع الحيوانية حتى أصـبحنا نطلق على بعض الحشرات اسم الحشرات الاجتمـاعية مثل النمل والنحل. وتسلك بعض الطيور مسالك اجتماعية واضحة فى علاقاتها مع بعضها البعض ومع غيرها. وتقـترب المظاهر الاجتمـاعية الحيوانيـة للرئيسيات أى الثدييـات العليا من الخصـائص النفسية الاجـتماعـية للإنسان، وخاصـة أن الإنسان ينتمى علمـيا إلى تلك الرئيسـيات، وإن اختلف عنهـا فى بعض صفاته اختـلافا نوعيـا لا كميا، ومـثال ذلك قدرته الفائقـة على استخدام اللغـة الرمزية، وبذلك أصبح بحق سيـد الأحياء على هذه الأرض.

وسـيبـدأ هذا الفـصل بدراسة عـلاقة الـسلوك الاجتـماعى الحـيـوانى بالسلوك الاجـتمـاعى الإنسانى، وكـيف تنتـقل مظاهره عبـر الحـيوان إلى الإنسـان، ثم تتطور موضوعات هذا الفصل مـن ذلك إلى دراسة التنظيمات الاجتماعية الحـيوانية، ثم تنتهى من ذلك كله إلى دراسـة أهم خـصـائص السلوك الاجـتـماعى للـحشـرات والطيـور والرئيسيات.

أولا ـ العلاقة بين السلوك الاجتماعى الحيوانى والإنسانى

تهدف دراسة العلاقة بين السلوك الاجتماعى الحيوانى والإنسانى إلى الكشف عن الأصول الحيوانية لبعض أنماط السلوك الإنـسانى. وتتطلب مثل هذه الدراسة إعادة تعريف السلوك الاجتماعى حتى يصل إلى مستوى التعميم الذى يمتد بآفاقه إلى السلوك الحيوانى والإنسانى معا.

بهذا تتأكد أهمية دراسة السلوك الحيوانى فى علم النفس الاجتماعى، كما تأكدت فى أغلب الفروع الأخرى لعلم النفس مثل علم النفس التجريبى، وسيكولوچية التعلم.

ويقـتضى البـحث عن تلك الأصـول الحيـوانية الكـشف عن خصـائص السلوك الاجتماعى الحيوانى من حيث مدى تشابهه واخـتلافه عن بعضه البعض، وما يقترب به من السلوك الإنسانى، وما يفترق به عنه.

(أ) معنى السلوك الاجتماعى الحيوانى:

عندما نعالج موضوع السلوك الاجتمـاعى عند الحيوان فعلينا أن نعيد تعريف هذا السلوك حتى لا يصبح مـقصورا على الإنسان فقط. وبذلك يعنى السلوك الاجـتماعى

فى هذا الإطار الجديد النشاط الذى يستثار بين أفراد النوع الواحد فى تفاعلها الاجتماعى حيث يؤثر بعضها فى البعض الآخر ويتأثر به.

وقد أصبح من المتعارف عليه الآن أن أى سلوك يسلكه الحيوان لا يخلو من مظهر اجتماعى يتصل به ويرتبط باستثارته واستجابته ولا يخلو أيضا من بعض الأسباب أو النتائج الاجتماعية.

ولذا فإن أغلب المشتغلين بعلم النفس الحيوانى لا يميلون إلى تقسيم السلوك إلى اجتماعى ولا اجتماعى. وإنما يميلون إلى تحديد درجة الاجتماعية على مقياس متتابع التدريج يبدأ قريبا من الصفر ويكاد يصل فى نهايته إلى مائة.

ويبدأ صفر مثل هذا المقياس بالتجمعات التى لا تعتمد على التفاعل الاجتماعى النفسى لأفراد النوع الواحد، ويقترب من مستوى الصفر كل تجمع ينشأ عن مثير خارجى ولا ينبع من تفاعل أفراد الجماعة نفسها، مثل هروب جماعات الحيوانات وهى تعدو فى فزع من النيران التى تشتعل فى الغابات، ومثل انجذاب جماعات الفراش نحو مصدر الإضاءة.

ويتدرج المقياس بعد ذلك فى مستوياته التصاعدية المتعاقبة حتى يصل قرب نهايته إلى التفاعل النفسى الاجتماعى الخصب الذى ينشأ بين الأفراد، وبين الأفراد والجماعة، وبين الجماعات، ليسفر بذلك عن مثيرات تحول فى ديناميات التفاعل إلى استجابات، واستجابات تتحول إلى مثيرات.

وهكذا يتطلب السلوك الاجتماعى مستوى أعلى من التنظيم الذى يتطلبه السلوك الفردى الاجتماعى. ولهذه الفكرة أهميتها التجريبية فى دراسة وتحليل سلوك الحيوانات المختلفة وخاصة الدنيا منها. وذلك لأن السلوك الاجتماعى يعنى العلاقات المتبادلة بين الأفراد، ولا يقتصر على السلوك الذى يصدر فقط عن فرد من الأفراد.

(ب) أهمية دراسة الحياة الاجتماعية عند الحيوانات:

سنلم هنا إلمامة وجيزة بالحياة الاجتماعية عند الحيوانات لأهميتها القصوى فى فهم وتحليل السلوك النفسى الاجتماعى للإنسان، ولا تكاد تقل أهميتها فى هذا الميدان عن أهمية التجارب التى تجرى على الفئران والحيوانات الأخرى لدراسة عملية التعلم عند الإنسان.

ولدراسة الحياة الاجتماعية عند الحيوانات أهميتها أيضا فى معرفة نشأة الحياة الاجتماعية وتطورها، وفى أنها تزود الباحث بأبسط صور العلاقات الاجتماعية،

ليستعين بهذه البسائط فى تحليل العلاقات المعقدة التى تبدو فى حياة الإنسان اليومية. وهى أيضا تمهد له السبيل لدراسة أثر الوراثة والبيئة فى السلوك الاجتماعى للإنسان. فإذا اشترك الإنسان والحيوان فى مظهر ما من مظاهر السلوك الاجتماعى فإننا نرجعه ـ عادة ـ إلى عامل بيولوجى عام، وإذا اختلف الإنسان والحيوان فى مظهر من مظاهر السلوك الاجتماعى وتميز به الإنسان عن الحيوان، فإننا نرجعه إلى الثقافة والتراث الاجتماعى البشرى. هذا وفى وسع الباحث أن يجد فى السلوك الاجتماعى للحيوانات ميدانا ممهدا لتجاربه. ذلك لأن نتائج التجارب أقرب لموضوعية العلم فى الحيوان منها فى الإنسان لدقة التحكم فى المؤثرات المختلفة، ولسهولة عزل الظاهرة الخاصة بالبحث، ولانعدام التجاوب الشخصى بين الباحث من ناحية، ومادة التجربة من ناحية أخرى.

(جـ) مدى تشابه واختلاف السلوك الاجتماعى عند الحيوانات:

لكل نوع من أنواع الحيوانات خصائص معينة تحدد خصائص سلوكه، وتعتمد هذه الخصائص على حركات الجسم أو بعض أعضائه، وعندما تنتظم هذه الحركات معا فى صورة مركبة تصبح بعد ثباتها وتواترها فى ظهورها نمطا من أنماط السلوك.

وتعد الخطوة الأساسية فى دراسة السلوك الاجتماعى لأى نوع من الحيوانات هى إعداد قائمة بأنماط السلوك التى يعتمد عليها الحيوان فى توافقه مع بيئته الاجتماعية.

وقد تتشابه بعض أنماط السلوك للأنواع الحيوانية المتقاربة. وعلى سبيل المثال يتقارب صوت نباح الكلاب والذئاب والثعالب فى مواجهتها للمواقف الاجتماعية المتشابهة أو المتماثلة.

وقد تختلف أنماط السلوك الاجتماعى بين أفراد النوع الواحد كما تدل على ذلك التجارب التى أجريت على حيوانات المعمل، والملاحظات التى سجلت على الحيوانات الطليقة فى بيئتها الطبيعية. وقد يرجع هذا الاختلاف إلى صفات وراثية تكوينية. وقد يرجع لأثر البيئة وعلاقة الحيوان بمتغيراتها المحيطة به.

وهناك من الدلائل العلمية ما يشير أيضا إلى اختلاف السلوك الاجتماعى اختلافا بينا بين أفراد النوع الإنسانى، لكن البحث عن أساس هذا السلوك وهذا الاختلاف أمر عسير، لأن الفصل الواضح بين النواحى الوراثية وخبرات الطفولة المبكرة لم يستقر بعد بالنسبة للنوع الإنسانى.

(د) التفرقة بين السلوك الاجتماعى الإنسانى والحيوانى:

يختلف السلوك الاجتماعى الإنسانى عن السلوك الاجتماعى الحيوانى فى أنه معقد تهيمن عليه ثقافة متميزة. ونعنى بالثقافة ذلك الكل المعقد فى تكوينه الذى يشمل العقائد، والفن، والخلق، والقانون، والتقاليد، والمعلومات، وكل ما يكتسبه الفرد فى حياته الاجتماعية.

والتفرقة النفسية الاجتماعية بين سلوك الإنسان وسلوك الحيوان تنحصر فى قدرة الإنسان على إدراك واستخدام الرموز فى حياته اليومية. واللغة أهم الرموز الصوتية. وتنشأ هذه القدرة عند الإنسان من ملابسات الحياة الاجتماعية، ومن طول مرحلة الطفولة واعتمادها المباشر على البيئة الاجتماعية وتأثرها بمجرى الأحداث الذى ينحو نحو عالم تهيمن عليه رموز عامة وحضارة متميزة. وبالتالى فإن هذه الرمزية تؤدى بالإنسان إلى شعوره بذاته، وإدراكه للنظام القائم وخضوعه له، وتأثره الشعورى واللاشعورى بالمعايير الخلقية المختلفة.

وتشترك لغة الحيوانات مع لغة الإنسان فى أنها أصوات تصدر عن الجسم يصاحبها نشاط عقلى خاص، وتتصف هذه الأصوات بأنها تثير فى أفراد نفس النوع استجابات خاصة.

وتختلف لغة الحيوانات عن لغة الإنسان، فى أن لغة الحيوانات أصوات منفردة تعبر عن حالة انفعالية خاصة، فهى تنبع من أصول غريزية فطرية فالكلب ينبح حتى ولو عزل بعد ولادته مباشرة عن أى كلب آخر، فهو فى نباحه هذا غير مقلد وغير متأثر بالبيئة الاجتماعية الكلبية. وعلى العكس من ذلك نجد أن الطفل المصرى إذا نقل بعد ولادته مباشرة ليعيش فى بلد آخر مع قوم يتكلمون لغة غير العربية، كالانجليز مثلا، فإنه يتحدث الإنجليزية كأى طفل إنجليزى ولا يتحدث أو يفهم اللغة العربية.

ولنا بعد هذا التحليل أن نقرر أن القدرة اللغوية فطرية، وأن تعلم أى لغة أمر مكتسب يختلف باختلاف طبيعة كل لغة، وأن البيئة التى تساعد الفرد على اكتساب لغته هى البيئة الاجتماعية وليست البيئة الطبيعية. واللغة بهذا المعنى نتاج فوق العضوى، أى أنها عضوية فى أساسها، وفوق العضوية فى مظهرها الرمزى البشرى.

فعبقرية النوع الإنسانى تقوم على ثقافته. وهو وحده من بين جميع أنواع المملكة الحيوانية يتميز بتلك الثقافة. ويرى كثير من العلماء وخاصة علماء الأنثربولوچى أن الثقافة انبثقت فجأة يوم أن ظهر الإنسان على سطح هذه الأرض، أى أن وجودها رهن بوجوده.

وبظهور الثقافة ظهرت معها وسائل الاتصال الرمزية الصحيحة، وظهرت معها الاختراعات بأنواعها المختلفة، وظهرت معها الوسائل والطرق التى تؤدى إلى اكتساب الصفة الاجتماعية.

وظهرت مهارات جديدة اكتشفها أو اخترعها أفراد ممتازون فى ذكائهم وفى قدراتهم وفى مواهبهم ثم نقلوها إلى باقى أفراد النوع الإنسانى، وكانت وسيلتهم فى

ذلك هى اللغة والتقليد، ثم نقلهـا الأطفال عن آبائهم بنفس الوسائل والطرق التى نقلها الآباء من قادة الفكر والاختراع. وهكذا سرت من جيل إلى جيل عبر الزمن حتى أمست عرفا وأصبحت تقاليد مرعية.

فاللغة اللفظيـة هى جوهر الثقافة. اللغة التى تقوم علـى المدركات والتجريد هى التى ميـزت النوع الإنسانى عن بقيـة أنواع المملكة الحيـوانية. فلا يشق على الكثـير من أنواع الحيوانات أن يعبر عن جوعـه، لكن الإنسان وحده هو القادر على أن يطلب لحما أو برتقالا لغـذائه، فالألفاظ أرديه تتدثر بهـا الخبرات والتجـارب التى تمر بالفرد وبالنوع الإنسانى كله. والألفاظ تجريد وتعميم لجزئيات محسوسة مادية. فقولك «هذه البرتقالة» يعنى برتقالة معينة تراها بعينيك وتلمسـها بيديك. وقولك «برتقال» يعنى أى برتقال فى العالم. فهو تجريد وتعميم يشتمل على كل برتقالة وجدت وستوجد، ويجمع هذا اللفظ الكلى جميع الصفات المشتركـة العامة فى كل أنواع البرتقال، ولا ينطوى على الصفات الخاصة التى تميز كل برتقالة عن أى برتقالة أخرى.

وقد أعلن جوليان هكسلى[1] Huxley سنة ١٩٤١ أنه مـا كان لكائن حى غـير الإنسان أن يختـرع لغة رمزية مجـردة، وذلك لأن الإنسان بتكوينه البيولـوجى، وبسمو وتعقيد جهـازه العصبى، ومرونته الفائقة وتأقلمه مع البيـئات المختلفة، يقف فوق ذروة سلم التطور.

ثانيا - التنظيمات الاجتماعية الحيوانية

التنظيـمات الاجتـماعيـة ظاهرة تنشأ من تجـمعات الأفـراد، وما تسـفر عنه هذه التجمـعات من علاقات وتفـاعل ودينامية. ولا ترقى مثل هذه التـجمعات إلى مـستوى التنظيم إذا ظلت مقـصورة على مجـرد الوجود المكانى فى حيـز مشتـرك، بل تمتد إلى وظائف محددة ومتعددة.

وسنبين فيـما يلى خصائص التـجمعـات الحيوانية، ومـا تمليه الجماعـة الداخلية والجماعة الخارجية من أنماط سلوكية على الحيوانات، ونشأة نظام الأسرة، وعلاقة بعض تلك التجمعات بالأرض، ومدى دفاع الأفراد عن موطن الإقامة.

(أ) التجمعات الحيوانية:

يؤدى السلوك الاجـتمـاعى لبعـض أنواع الحيـوانات إلى تجمع الأفـراد معـا فى جمـاعات لهـا تنظيم واضح، ويسفـر مثل هذا التنظيم عن المظاهر المخـتلفة للعـلاقات

(1) Huxley, J. Man Stands Alone. London: Harper and Brothers. 1941.

الاجتماعية مثل السيطرة والخنوع، والقيادة والتبعية، كما هو الحال بالنسبة لجماعات الذئاب حيث تعيش معا فى جماعات لها خصائص محددة، وبالرغم من أن الذئب يستطيع أن يفترس ذئبا آخر إلا أنه يتعاون مع ذئاب جماعته فى قتل الفريسة ولا يعتدى عادة على ذئب آخر، أى على حيوان من نفس نوعه.

وبذلك لا تعتمد وحدة التجمعات الحيوانية على مجرد وجود الأفراد فى حيز مكانى مشترك لكنها تعتمد على العلاقات التى تقوم بين كل فردين أو أكثر من أفراد الجماعة.

وتتنوع التجمعات الحيوانية تنوعا شديدا، وهى تخضع فى ذلك التنوع والاختلاف إلى اتساع مدى أنماط السلوك الحيوانى. فقد يكون التجمع للتعاون على اصطياد فريسة ما، وقد يكون للبحث عن المأوى المناسب والدفاع عنه.

وبذلك يؤدى كل تنظيم من تنظيمات أنماط السلوك الاجتماعى الحيوانى إلى نوع مختلف من أنواع التجمعات الحيوانية، وخاصة أن بعض هذه الأنماط تظهر عند بعض أنواع الحيوانات ولا تظهر عند الأنواع الأخرى.

وقد يكون التجمع موقوتا أو مستمرا. فعندما تجتمع الحيوانات لارتياد بقعة من الأرض واكتشاف ما بها، أو للبحث عن المأوى المناسب أو لإشباع الغريزة الجنسية فى مواسم معينة، فإن مثل هذا النوع من السلوك يؤدى إلى تجمعات موقوتة. وعند ما تجتمع الحيوانات للعناية بالصغار وخاصة عندما يقوم حيوان بإطعام حيوان آخر، فإن ذلك يؤدى إلى تجمع مستمر يشبه التجمعات العائلية، ويشيع هذا النمط من التجمع عند الثدييات العليا وعند الطيور، وعند الحشرات الاجتماعية مثل النمل والنحل.

ويختلف حجم الجماعة الحيوانية تبعا لاختلاف النوع الذى ينتمى إليه الحيوان. وعلى سبيل المثال فجماعة الثعالب لا تزيد عن الذكر والأنثى وما ينجبان، ولا تستطيع الثعالب أن تعيش فى جماعات كبيرة تقوم على التوافق المتبادل بين الأفراد لتبقى الجماعة بحجمها الكبير.

(ب) الجماعة الداخلية والجماعة الخارجية:

الجماعة التى ينتمى إليها الفرد تسمى الجماعة الداخلية، والجماعة التى لا ينتمى إليها هى جماعة خارجية بالنسبة له. وبين الجماعتين فوارق وحدود قائمة. وغالبا ما ينشأ التعصب من التباين القائم بين الجماعتين.

وينطبق هذا التقسيم على أغلب أنواع المملكة الحيوانية. فالنمل يتعرف على أفراد جماعته من رائحتها ويهاجم كل نملة لا تنتمى إلى جماعته. والطيور تهاجم كل طائر لا

ينتمى إلى زمرتها، والشمبانزى لا ترتاح إلى أى شمبانزى غريب يقترب منها، وقد تألف صحبته بعد حين لكنها لا تملك إلا أن تنفر منه بادىء ذى بدء. ويشتد نباح كلاب الحى عندما تبصر كلبا غريبا عنها.

ولا تقوم هذه التفرقة النوعية على أساس الطبيعة البيولوچية التى تقارب بين أفراد النوع الواحد، وتباعد بينه وبين أفراد الأنواع الأخرى، فكثيرا ما شوهدت البقرة الوحشية مع الفيل بين أحضان الغابات، وكثيرا ما شوهد الحمار الوحشى يرعى مع الغزال والنعام. وكلب الحراسة يهش لأصحابه حينما يلقاهم وينبح فى وجه كل إنسان غريب يطأ بقدميه عتبة الدار.

ولو كانت التفرقة النوعية هى أساس الحدود القائمة بين كل جماعة داخلية وكل جماعة خارجية لما هاجم الطير كل طير لا ينتمى إلى جماعته، ولما هاجمت كلاب الحى كل كلب شارد ضال تقوده أقدامه نحوها.

لكن التفرقة بين الجماعتين تقوم فى جوهرها على أساس العلاقات الاجتماعية التى تربط كائنا بآخر وتؤاخى بينهما.

(جـ) نظام الأسرة:

يهتم علم النفس الاجتماعى بدراسة نظام الأسرة وخصائصها عند الرئيسيات أى الثدييات العليا، ليكشف بذلك عن المظاهر الأولى التى صاحبت نشأة الأسرة فى صورتها البشرية ونوعية العوامل التى أدت إلى تطورها.

ولم يصل العلم بعد فى اكتشافاته إلى ما يقترب من الأسرة البشرية إلا عند قردة الجيبون Gibbons حيث لا يكاد يزيد عدد أفراد جماعتها عن ذكر وأنثى وما ينجبان من أطفال[1]. ويرجع صغر حجم هذه الأسرة إلى كثرة ما ينشأ من شجار وعدوان بين أفراد كل جنس، أى بين الذكور والذكور، وبين الإناث والإناث.

وتتكون وحدة النظام الاجتماعى عند أغلب الرئيسيات الأخرى من جماعة الذكور، وأخرى من الإناث والصغار. وفى مثل هذه الجماعة يولد الفرد، ويعيش، ويموت. ولا يرتبط الذكور بأى من الصغار ارتباط الأب بأطفاله، لاستحالة تحديد الأب بيولوچيا فى أغلب تلك الحالات. وعندما يمكن تحديد إقامة بعض هذه الرئيسيات فإنه يمكن معرفة العلاقة بين الآباء والأمهات والأطفال كما تدل على ذلك أبحاث

---

(1) Carpenter, C. R. Naturalistic Behavior of Nonhuman Primates. Pennsylvania: Univ. Park Pennsylvania. 1944. ?Vol. 4, p. 630.

ساد[1] Sade التى نشرها سنة ١٩٦٥ عند ملاحظاته على قردة الريصص Rhesus فى المقاطعة التى تعيش فيها فى سانتياجو، وقد لاحظ الباحث أن العلاقات التى تقوم بين الأمهات والأطفال علاقات مستمرة، وكذلك العلاقات التى تقوم بين الأطفال التى تولد من أم واحدة، ولم يلاحظ مثل تلك العلاقات بين الآباء والأطفال.

(د) موطن الإقامة:

تحافظ قردة الكاليسيبس Callicebus التى تعيش فى أمريكا الجنوبية على موطن إقامتها، وتدافع عنه ضد أى مغير. وغالبا ما تتجمع قردة كل موقع بصفة دورية على حدود موطنها لتتشاجر مع قردة المواقع المجاورة لها.

وتحدد قردة كينيا بأفريقيا لنفسها موطنا صغيرا للإقامة، وتدافع عنه ضد أى دخيل.

وكثيرا ما تتداخل مواطن الإقامة عند أغلب الرئيسيات، أى الثدييات العليا، دون أن يثير هذا التداخل أى سلوك عدوانى. فهى بذلك لا تحتفظ لنفسها بموطن ثابت للإقامة، ومثال ذلك الشمبانزى والغوريلا التى تصنع لنفسها كل ليلة مأوى تنام فيه وتنتقل بذلك من موقع لآخر.

ثالثا - العلاقات الاجتماعية الحيوانية

يميل أغلب العلماء إلى قصر موضوع علم النفس الاجتماعى على العلاقات الاجتماعية، وما ينشأ عنها من تفاعل ودينامية ومظاهر نفسية اجتماعية مختلفة.

وسنبين فيما يلى خصائص تلك العلاقات الاجتماعية فى مجالها الحيوانى والعوامل التى تحدد نشأتها ووجودها، ودورها فى التنشئة الاجتماعية. وما ينشأ بين الطفل وأمه من علاقات تحدد مسار حياته المقبلة، ومدى اعتماد وسائل التفاهم غير اللفظى على تلك العلاقات، وأثرها فى عملية التقليد، ودورها فى الغضب والعدوان الذى تتسم به بعض أنواع السلوك الحيوانى فى مواقف الخوف والإحباط، وما ينشأ عنها من سيطرة وخنوع.

(أ) العلاقات الاجتماعية بين الحيوانات:

يمكن أن تعرف العلاقة الاجتماعية على أنها سلوك متواتر متوقع يحدث بين فردين فيؤثر أحدهما فى الآخر ويتأثر به.

---

(1) Sade, D. S. Some aspects of parent off spring and sibling relations in a group of rhesus monkeys. Amer. J. Phys. Anthropol. 1965, 23, 1 18.

وبالرغم من أن هذا المفهوم معروف وشائع منذ زمن بعيد بين المشتغلين بالحياة الاجتماعية الإنسانية إلا أن أهميته بين أفراد المملكة الحيوانية لم تظهر إلا سنة ١٩٢٢ فى البحث الذى نشره شيزلدريب إب[1]. Schjelderup - Ebb عن خصائص جماعات الدجاج، وخاصة ما يحدث بين دجاجتين فى التقاطهما للطعام، وعندما يختصمان على الطعام فإن إحدى الدجاجتين تنقر الأخرى فى رأسها أو تتجنبها. وهكذا يمكن تحليل هذه العلاقة الاجتماعية على أساس السيطرة والخنوع.

وتوصف العلاقة التى تنشأ بين الأنواع الحيوانية المختلفة بأنها اجتماعية، وأبسط وأقرب صور هذه العلاقات ما نشاهده من ارتباطات بين الحيوانات الأليفة والإنسان كعلاقة الكلب بصاحبه عندما يقابله بالفرح والترحاب، ويعبر عن فرحه بقفزاته المتعاقبة وحركات ذيله السريعة وعدوه ذهابا وجيئة، وقد يقال أيضا، مع شئ من التجاوز، أن علاقة المفترس بفريسته علاقة اجتماعية شأنها فى ذلك شأن علاقة العائل بالذى يتطفل عليه.

وأيا كان الرأى فى جوهر هذه العلاقات فهى تدل على اتصال قائم بين فردين يؤثر أحدهما فى الآخر ويتأثر به: ولذا تعد علاقات اجتماعية.

ولقد عكف كاربنتر[2]. Carpenter على دراسة خصائص وعدد العلاقات الاجتماعية بين القردة وبعض الثدييات العليا الأخرى. ووصف العلاقات القائمة بين الذكور والإناث، وبين الصغار. وبذلك اهتم بناحيتين رئيسيتين: الجنس والعمر. وبحث جميع الاحتمالات الممكنة للعلاقات الثنائية. وانتهى إلى طريقة لحسابها. والمعادلة التالية تبين هذا العدد حيث يدل الرمز (ن) على عدد أفراد الجماعة.

$$\text{عدد العلاقات} = \frac{ن\,(ن - ١)}{٢}$$

فإذا كان عدد أفراد الجماعة (٧) فإن عدد العلاقات $= \frac{٧\,(٧ - ١)}{٢}$

= ٢١ علاقة

وكما عكف كاربنتر على تحديد عدد العلاقات عكف أيضا على بحث أهم أنواع العلاقات الاجتماعية الممكنة بين الحيوانات، وانتهى إلى أنها تتلخص فيما يلى:

---

(1) Scott, J. P. The Social Psychology of Infrahuman Animals. In G. Lindez et al (eds.) The Handbook of Social Psychology. Reading Massachusetts, Addison ` Wesley. 1969, Vol. 4, p. 616.

(2) Carpenter, C. R. Naturalistic Behavior of Nonhuman Primates. Pennsylvania: Univ. Park. Pennsylvania. 1944, Vol. 4, p. 616.

١ ـ العلاقات الجنسية بين الذكر والأنثى.

٢ ـ علاقات السيطرة والخنوع.

٣ ـ علاقات الرعاية والتعلق مثل علاقات الوالدين بصغارهما.

٤ ـ علاقات الرعاية المتبادلة مثل تبادل الإطعام بين أفراد مستعمرات النمل.

وجميع هذه الأنواع تؤدى إلى التماسك الجماعى بين أفراد الجماعة الحيوانية الواحدة.

(ب) أهم العوامل التى تؤثر فى العلاقات الاجتماعية الحيوانية:

يمكن أن نلخص أهم العوامل التى تؤثر فى تحديد نوع العلاقات الاجتماعية الحيوانية فيما يلى:

١ - البيئة الطبيعية - فللمناخ مثلا أثره فى هجرة الطيور وغيرها من الحيوانات.

٢ - التكوين البيولوچى - فاختلاف التكوين البيولوچى لأفراد مملكة النحل يحدد وظائف أفرادها من العاملة إلى الملكة.

٣ - العوامل الفسيولوچية - فهى تحدد علاقة الذكر بالأنثى، وتنشئ روابط اجتماعية معينة.

٤ - العوامل النفسية - وخاصة العوامل الانفعالية، ففزع الشاة يسرى فى القطيع كله.

(جـ) التنشئة الاجتماعية الأولية:

نعنى بالتنشئة الاجتماعية فى معناها العام ـ الحيوانى والإنسانى ـ العملية والعمليات التى يمر بها الكائن الحى ليصبح بذلك فردا فى جماعة، يتأثر بها ويؤثر فيها.

وتعتمد فى بدئها على ما يمكن أن يسمى التنشئة الاجتماعية الأولية، وهى التنشئة التى تقوم فى جوهرها على مدى تعلق الوليد بأمه تعلقا يقترب فى كثير من نواحيه من تعلق المتطفل بالذى يعوله.

ويلخص سكوت[1] Scott فى بحثه الذى نشره سنة ١٩٦٧ المظهرين الرئيسيين للتنشئة الاجتماعية الأولية فيما يلى:

---

(1) Scott, J.P. The Development of Social Motivation. In D. Levine (Ed.). Nebraska Symposium on Motivation: Lincoln: Univ. of Nebraske Press. 19667.

١ ــ خوف الطفل وبكاؤه عندما تغيب عنه أمه أو أهله وأقرانه، واستجابته فى هذه الحالة توصف بأنها معتدلة نسبيا، وتضعف حدتها أو تزول تبعا لزيادة العمر.

٢ ــ خوف الطفل وبكاؤه عندما ينقل إلى بيئة غير مألوفة بحيث لا يستطيع أن يتعرف فيها على ما يخفف عنه شعوره بالاغتراب، واستجابته فى هذه الحالة توصف بأنها حادة شديدة، وتزداد حدتها تبعا لزيادة العمر.

ولعل خير مثال يؤكد نتائج أبحاث سكوت عن التنشئة الاجتماعية الأولية ما توصل إليه الباحثون بعد دراسة سلوك الكلاب الصغيرة بعد عزلها مؤقتا فى بيئة غريبة غير مألوفة لها، وعندئذ بدأت الكلاب فى نباح مستمر حتى وصل متوسط أصوات نباحها إلى ١٤٠ صوتا فى الدقيقة، وعندما أعيدت إلى بيئتها المألوفة كفت مباشرة عن النباح. وتقل نسبة أصوات النباح إذا ما عزلت الكلاب عن أهلها وأقرانها فى مسكنها المألوف ولم تنقل إلى بيئة أخرى غريبة.

ولقد تواترت نتائج الأبحاث العلمية المتعددة على تأكيد عمومية التنشئة الاجتماعية الأولية عند عدد كبير من الأنواع المختلفة للطيور والثدييات. ويكاد ينحصر نشاطها السريع فى فترة زمنية محدودة وقصيرة. وغالبا ما تبدأ هذه التنشئة عند الحيوانات مباشرة بعد الولادة أو الفقس، وتتأخر فى بدئها عند الأنواع البطيئة النمو.

وتحدث عملية مماثلة فى مظهريها السابقين عند الطفل البشرى فيما بين الأسبوع السادس والشهر السادس[1].

ومظاهر التنشئة الاجتماعية الأولية تبدأ عند الكتاكيت وأفراخ البط خلال الـ ٢٤ ساعة الأولى من بدء حياتها، ثم تزداد استجابات الخوف بسرعة بعد ذلك خلال الأيام الأربعة الأولى بعد الفقس، فيتعلق الكتكوت أو فرخ البط بأى حيوان أو حتى بأى شئ لا حياة فيه بما فى ذلك أفراد نوعه أو أفراد الأنواع الأخرى من الحيوانات، أو حتى بالنماذج أو البدائل الصناعية لأفراد نوعه بشرط أن تكون كل هذه الحيوانات أو النماذج مألوفة له من قبل، كما تدل على ذلك نتائج أبحاث مولتز[2]. Moltz سنة ١٩٦٠ والتى تتلخص فى أن الكتكوت يخاف إذا ترك وحده كما يبدو ذلك فى طريقة صياحه، ثم يختفى هذا الخوف عندما يقترب الكتكوت من شئ مألوف لديه.

---

(1) Gray, P. H. Theory and Evidence of Imprinting in Human Infants. J. Psychol. 1958, 46, 155 - 166.

(2)Moltz, H. Imprinting: Empirical Basis and Theoretical Signifiance Psych. Bull. 1960, 57, 291 - 314.

وقد درست عملية التنشئة الاجتماعية عند الثدييات دراسة مستفيضة على الكلاب الأليفة.

وتبدأ هذه العمليـة بعد الولادة بثلاثة أسابيع، وخلال الأسابيع التـالية حتى يصل عمر الكـلب إلى ١٢ أسبوعا يتعـلق فيها الكلب الصـغير بالكلاب الأخرى الصـغيرة، وبالناس، والأشياء المنتشرة فى البيئة الطبيعـية المحيطة به. وتصل هذه العملية إلى قمتها فى المدى العمـرى الذى يمتد من الأسبـوع السادس إلى الأسبـوع الثامن، ثم تصل هذه العملية إلى نهايتها عندما يبدأ الكلب يخاف خوفا شديدا من الحيوانات الغريبة[١].

وتدل نتـائج الأبحـاث الـتى أجـريت على الكلاب وعلى الـطيـور على أن هذه العملية لا تعـتمد على الطعام كثواب، ولا تتـأثر كثيرا بالعقاب. وبذلك تصـبح عملية التنشئة الاجتماعية الأولية، فى الأغلب والأعم، عملية داخلية.

وأوضح هارلو[٢]. Harlow سنة ١٩٥٨ أن صـغار القـردة التى تربى بمعـزل عن أمهاتها تتعلق بالنمـاذج غير الحية لبدائل الأمهات، وعندما تكون لها الخـيرة فإنها تتعلق بالبـديل الذى يشعـرها بالدفء والراحة أكـثر مما تتـعلق بالبديل الذى تحـصل منه على طعامها.

ولذلك يرفض هارلو الفرض الذى يعتبر التنشئة الاجتماعـية عملية مكتسبة تعتمد على بعض الحاجات الأساسية مثل الطعام.

وبذلك تصبح عمليـة التنشئة الاجتماعـية الأولية، عند كثير من العلمـاء، عملية داخلية إلى حد كـبير، ولا تتأثر إلا تأثرا قليلا أو كثـيرا بالمثيرات الخارجيـة وبالتدعيم. ولذا فهى تختلف من هذه الناحية عن السلوك الذى يخـضع للتدعيم الخارجى، وهذا ما يميزها عن العمليات الأخرى.

ولا تعتمـد المرحلة الأولى لهذه العملية على نمو استـجابات الخوف فى مـواجهة الأغراب كـما يدل على ذلك سـلوك الكلاب الصغـيرة التى لا يسـفر سلوكـها إلا عن استجابة خوف عابرة قصيرة تجـاه الأغراب، بينما تنفعل بشدة لغياب الأقارب والأقران. ثم تتطور العمليـة حتى يصبح الخـوف من الأغراب والبيئـة غير المألوفة حـائلا قويا بين الصغير وبين التعود على كل ما هو جديد غير مألوف.

---

(1) Scott, J. P., and J. L. Fuller. Genetics and the Social Behavior of the Dog. Chicago, Univ. of Chicago Press. 1965.

(2) Harow, H. The Nature of Love. Amer. lPsychologrits. 1958, 10, 673 - 685.

ربما أن هذا لا يعنى أن هذه الخاصية قد انتهت تماما، فإننا نستطيع أن نستنتج من ذلك أن عملية التنشئة الاجتماعية الأولية لها من خصائصها ما يؤدى إلى استمرارها فى إلحاح ومثابرة غريبة، وهذا ما يمكنها من تكوين روابط أخرى على امتداد حياة الفرد إذا وجدت الظروف المناسبة لذلك.

(د) وسائل التفاهم غير اللفظى:

تواترت نتائج الأبحاث المتعددة على تأكيد التشابه الكبير القائم بين وسائل التفاهم غير اللفظى عند الإنسان والرئيسيات الأخرى وخاصة تعبيرات الوجه، ونوع وطريقة الوقفة، ونبرة الصوت واتجاه التحديق[1].

وهذا التشابه يلقى كثيرا من الضوء على نشأة تلك الوسائل ومدى تطورها.

وتدل نتائج الدراسات المقارنة للثقافات المختلفة على تشابه بعض وسائل التفاهم غير اللفظى من مجتمع لآخر، وذلك بالرغم من اختلاف ثقافات مثل تلك المجتمعات.

ويقوم التفاهم الاجتماعى بين الثدييات العليا على إشارات مختلفة بعضها بصرى، وبعضها سمعى، وبعضها سمعى بصرى، ومثال ذلك صياح الغوريلا وهى تضرب صدرها بيديها.

ولعل أقرب وسائل الاتصال اللغوى إلى لغة الإنسان تلك التى تصدر عن قردة أمريكا الجنوبية، حيث تتألف لغتها من طائفة كبيرة من التجمعات الصوتية المتعددة المرنة القابلة للتعديل تحت تأثير الخبرات الجديدة التى تمارسها تلك القردة.

ومهما يكن من أمر هذه الوسائل اللغوية غير اللفظية التى تستخدمها الثدييات العليا فإنها لا ترقى فى أى صورة من صورها إلى لغة الإنسان اللفظية ووحداتها الرمزية.

(هـ) التقليد عند الحيوانات والإنسان:

التقليد ظاهرة اجتماعية يشترك فيها الإنسان وبعض أنواع الحيوان. وهو فى جوهره استجابة فرد لمثير يصدر عن فرد آخر. وبين الاستجابة والمثير تشابه قد يقارب بينهما إلى درجة التماثل.

وقد يقلد الحيوان الإنسان، أو يقلد الحيوان حيوانا آخر. والحيوان يقلد الإنسان فى التصفيق والتقبيل والرقص والإشارات واللعب واستخدام بعض الآلات البسيطة، ولا

---

(1) Argyle, M. Bodily Communication. London, Methuen, 1976, p. 4.

يعنى هذا أن تلك الأمور مقصورة على الإنسان وحده، إذ قد يقوم بها الحيوان من تلقاء نفسه. هـذا، وتدل نتائج الأبحـاث المختلفـة على أن الحيـوانات تميل إلى التـقليـد. فالدجاجة التى تأكل طعـامها حتى تشبع ثم تكف عن الطعام، تعود لطعـامها ثانية رغم شبعها حـينما ترى دجاجة جائعة تأكل أمامها. والشـمبانزى الذى يرفض أن يأكل قطعة من السليلوز يعود فيأكلها حينما يرى إنسانا يمضغها أمامه.

ويتدرج التقليد عند الكائن الحى من مجـرد إثارة الانتباه إلى أن يصل إلى مستوى التقليد الصحيح، أى أنه يمر بالمراحل التالية:

١-الاستثارة- إثارة انتباه المقلد للنشاط الذى سيقلده.

٢-الغاية- تهيؤ المقلد لإدراك وفهم الهدف الذى يشتق مـعناه من طبيعة المثير ومن طبيعة الموقف الذى يشتمل عليه.

٣-الوسيلة- ملاحظة المقلد وفهمه للأساليـب والوسائل التى يقوم بها الفرد الآخر أمامه.

٤-الممارسة- ممارسة العمل بالوسائل التى تحقق الهدف مع مـتابعة تصحيح الممارسة حتى يطابق سلوك المقلد ما يقوم به الفرد الآخر.

والإنسان أشد وأدق مقلد بين جميع أفـراد المملكة الحيوانية، ويليه فى تلك المرتبة الشمبانزى ثم القردة.

وتدل دراسات فالنتين[1] .Valenttine التى نشـرها سنة ١٩٢٠ على أن التقلـيد يظهر عند الأطفـال فى سن مبكرة. وهو يؤيد رأيه هذا بتجاربه التى أجـراها على عدد كبير من الأطفال تمتد أعمارهم من بضعة أسابيع إلى ٢١ شهرا. وتتلخص تلك التجارب فى إجراء ٣٦ حركة مختلفة أمام الأطفال. وتنقسم هذه الحركات إلى نوعين:

١ ــ نوع يعتمد على مجرد تحريك عضلات الوجه، واليدين، والرأس.

٢ ــ ونـوع يعتـمد فى جوهره على اسـتخدام بعض الأجـهزة البسـيطة مثل دق الطبول.

ولقد أسفرت نتائج تلك التجارب عن الحقائق التالية:

١ ــ تقليـد الابتسام والضـحك وإخراج اللسـان، ويقوم به الأطفـال الذين تقل أعمارهم عن ستة أشهر.

---

(1) Valentine, C. W. The Psychology of Imitation. B. J. Psych. 1930, 21, 105 - 132.

٢ ـ تقليد حركات الرأس وإشارات اليدين، ويقوم به الأطفال الذين تمتد أعمارهم من ستة أشهر إلى سنة.

٣ ـ تقليد الحركات التى تعتمد على الأجهزة البسيطة، ويقوم به الأطفال الذين تزيد أعمارهم عن سنة.

فالتقليد إذن سلوك يقوم به الإنسان والحيوان ويعتمد فى تطوره عند الإنسان على مراحل النمو التى يمر بها الطفل وعلى حظه من النضج.

(و) السلوك العدوانى عند الحيوانات:

مفهوم العدوان عند الحيوانات مفهوم معقد يحتاج لمزيد من الدقة والتحديد، وخاصة فى أغلب الأبحاث التى نشرت فى هذا الميدان.

ويدل مفهوم العدوان عند أغلب الباحثين على طائفة متعددة مختلفة من السلوك يجمعها قدر مشترك هو الغضب والإيذاء أو الرغبة فى الإيذاء[1] وكثيرا ما يصف الباحثون سلوك المفترس مع فريسته فى مطاردتها ثم قتلها لأكلها ـ سلوكا عدوانيا، وما ينشأ من قتال بين أفراد قطيع من الحيوانات وقطيع آخر، أو بين أفراد القطيع الواحد، وما ينشأ عن المنافسة بين أفراد النوع الواحد مثل نباح كلب على كلب آخر واعتدائه عليه، أو بين أفراد الأنواع المختلفة مثل مطاردة كلب لقطة أو قطة لفأر، وما يحدث عندما يدافع الحيوان عن مكان إقامته ضد أى مغير، وما يحدث أيضا عندما تدافع الأنثى عن أطفالها فتعتدى على كل مغير أو عابر سبيل.

وتختلف أيضا نتائج دراسة السلوك العدوانى على الحيوانات الطليقة فى غاباتها وبيئتها الطبيعية عن تلك التى تجرى على الحيوانات الأسيرة فى حدائق الحيوانات أو أقفاص المعامل.

ويعرف لامبو[1]. Lambo سنة ١٩٧١ العدوان بأنه هجوم على فرد أو شئ، أو على الذات نفسها، وقد يكون عنيفا مخربا، ويؤدى إلى إيلام الآخرين.

والعدوان فى نظر فرويد وبعض الباحثين الآخرين مثل دولارد[٢]. Dollard سنة ١٩٣٩، ينشأ من الإحباط والإخفاق فى إشباع الحاجات الغريزية، ولقد دلت نتائج أبحاث زاندر[٣]. Zander سنة ١٩٤٤ على زيادة تكرار حدوث العدوان نتيجة لزيادة تكرار حدوث الإحباط.

---

(1) Lambo, T. A. Aggressiveness in the human life cycle within different socio - cultural settings. Inter. Soc. Sce. 1971, XXIII, 1, 79 - 88.

(2) Dollard, J. Et al. Frustration and Aggression. New Haven, Conn,: Yale Univ. Press. 1939.

(3) Zander, A. R. A study of experimental frustration. Psychol. Monog. 1944, 56, 256 - 507.

ويعرف الإحباط بأنه موقف يمنع أو يعوق مسار السلوك نحو تحقيق هدفه سواء أكان الهدف حقيقيا أم خياليا، تفصيليا أم عاما، ماديا أم رمزيا.

وبالرغم من كثرة التجارب التى تؤيد فكرة العدوان الناشئ عن الإحباط إلا أن الإحباط لا يؤدى فقط إلى العدوان بل قد يؤدى إلى مسالك أخرى مثل التراجع.

وينشأ العدوان عند أغلب الحيوانات نتيجة لمثيرات حسية معروفة، يتلخص أهمها فى النواحى البصرية، والسمعية، واللمسية والشمية.

فقردة المكاك وغوريلا الجبال تسلك سلوكا عدوانيا إذا ما أمعن النظر فيها أى إنسان.

وعندما يسمع الغراب تغريد طائر فإنه سرعان ما يصيح فى فزع فيجتمع حوله أقرانه لمهاجمة ذلك الطائر الغريب وإيذائه والاعتداء عليه.

وإذا أحس الفأر بأحد يمسك ذيله أو يقرصه فإنه يستدير نحوه فى وحشية ليهاجمه ويعضه.

وتدل نتائج أغلب الأبحاث على أن حاسة الشم من أقوى مثيرات السلوك العدوانى عند القوارض وخاصة الفيران[1]. فعندما وضع فأران معا فى قفص واحد نشأت بينهما معارك متعددة، وأصبح سلوكهما عدوانيا، ثم خفت حدته مع مرور الزمن، ونقصت مرات حدوثه بطريقة ملحوظة. وعندما استبدل فأر جديد بأحد هذين الفأرين نشأت المعارك من جديد واشتد القتال بينهما. فإذا بال الفأر المستبعد على الفأر الجديد وأكسبه بذلك رائحته فإن الفأر المستبقى فى القفص يتقبل الجديد دون أن يناصبه العداء الشديد. وبالعكس إذا بال فأر غريب على أحد فأرى القفص فإن المعارك تبدأ بينهما من جديد فى حرارة وقوة بعد أن كانت قد خفت حدتها واعتدلت.

(ز) السيطرة والزعامة:

السيطرة ظاهرة اجتماعية تبدو واضحة عند أنواع كثيرة من الحيوانات. ونعنى بها تأثر فرد أو جماعة بفرد آخر والانقياد له، وتمهيد الفرصة لزعامته. وبذلك تصبح الزعامة عند الحيوانات مقصورة على السيطرة والخنوع ولا تمتد إلى المظاهر الأخرى للزعامة فى صورها الإنسانية المتعددة المتباينة.

وسنبين فيما يلى مظاهر السيطرة عند الحيوانات المختلفة لنبين بذلك خصائص الزعامة، ثم نخلص من تلك المظاهر إلى تحديد أهم العوامل التى تؤثر فيها وتعتمد عليها.

---

(1) Ropartz, P. The relation between olfactory perception and aggressive behaviour in mic. Amin. Behav. 1968, 16, 97 - 109.

١ ـ مظاهر السيطرة:

تتلخص أهم مظاهر السيطرة فى المقـر الذى يختاره الزعيم لإقامتـه ليحدد بذلك أهميته ومكانتـه، وفى مدى توجيهه لتحـركات الجماعة سواء أكان هذا التـوجيه بطريقة مباشرة أم بطريقة غير مباشرة.

ولقـد كشفـت نتائج الملاحظات العلمـية التى قـام بها العلـماء[١]. على القـردة الإفريقية على أن أكثرهـا سيطرة يتخذ لنفسه مقرا وسط الجماعـة وخاصة عندما يتحرك جمع القردة من مكـان لآخر، ويتخذ الأقل سيطرة مكانه بعـيدا عن الوسط ويزداد هذا التباعد تبعـا لنقصان السيطرة. ويستمر انحدار هذه المستويات حـتى لا يبقى أمام صغار القردة إلا الإطار الخارجى للجماعة. وعندما يحس أحد هؤلاء الصغار بأى خطر يقترب منه سرعـان ما يصيح طلبا للنجـدة، وعندئذ يترك الكبار مـواقعهم فى وسط الجمـاعة ليحملوا الصغار. فيهددوا المعتـدى أو يهاجموه. وبذلك تستطيع جماعة القردة أن تطرد أى دخيل عليها وحماية صغارها منه.

وتحتل الإناث والأطفال مـوقعا قريبا من كـبار الذكور طلبا للحـماية، وتمتد هذه الحماية من الكبار للصغار فى مواقف الحياة الخطرة.

ويتزعم القردة العاوية[٢]. أحد أفرادها من الذكور الأقـوياء، وهو الذى يقفز أولا من شجرة لأخرى، وتتبعه بعد ذلك جمـاعة القردة فتقفز وراءه، وبذلك يحدد هو اتجاه سير الجماعة بطريقة مباشرة.

ولا يتدخل زعيم قردة المكاك[٣]. فى توجيه تحركات الجماعة إلا إذا اختلف معها، وهو بذلك لا يبدأ عملية القفز إلا أنه يهتم بها ويؤثر فى توجيهها بشكل أو بآخر، فمثلا إذا قفزت الجماعة فى اتجاه ما، وقفز هو فى اتجـاه آخر فإن الجماعة سرعان ما تعود إليه لتقفز معه فى اتجاهه هو. وبذلك يوجه تحركات الجماعة بطريقة غير مباشرة.

ومن القردة نوع ثالث لا يتدخل زعيمها فى توجـيه تحركاتها وإنما يترك الأمر كله لأحد صغار القـردة الذين ينتشرون عند أطراف الجماعة، أو حـتى لإحدى كبار الإناث كما يحدث بين قردة البابون[٤]. حيث يتزعمها أشـد الذكور الكبار بأسا وقوة، ويمارس سيطرته فى مسالك أخرى غير تحديد تحركات الجماعة.

---

(1) De Vore, I. (Ed.) Primate Behavior, N. Y.: Holt. 1965.

(2) Howling Monke — القردة العاوية

(3) Macaques Monkeys — قردة المكاك

(4) Baboo Monkeys — قردة البابون

٢ ـ عوامل السيطرة:

تعتمـد سيطرة الفرد على الجمـاعة التى ينتمى إليهـا على عوامل مختلفـة أهمها الجنس ذكرا كان أم أنثى، والقوة، والعمر الزمنى، والموقف الذى يغلب بعض خصائص شخصية فرد ما على شخصية فرد آخر أو على خصائص مجموعة من الأفراد.

ويختلف نوع العامل من حيث فعاليته وتأثيره تبعا لاختلاف نوع الحيوان. وسنبين فيما يلى كل عامل من تلك العوامل، ودور كل منها فى السيطرة والزعامة.

فالزعـامة مثلا فـى مجتمـعات الغوريلا تئـول دائما للذكر، وكـذلك عند ذكور الدجاج الرومى. وتتخذ السيطرة عند الماشية وخاصة ذوات الحوافر الغليظة صورة أخرى تتناسب مع خصائصها وطبيعتها، فتـميل أكبر الإناث إلى تحديد اتجاه حركة بقية القطيع ولذلك تتخذ مكانها فى الصدارة بينما يبقى كـبار الذكور فى الخطوط الخلفية حيث يكثر احتمال ظهور الدخلاء. والسيطرة أيضا عند الطائر الصغير المعروف بأبى فصادة للأنثى.

وبعض أنواع الطيور تنحو نحو القتال فى سبيل الغلبة والسيطرة، ومثال ذلك قتال الديكة، حيث يسلك المغلوب عـلى أمره سلوكا ظاهره الطاعة والخـوف، وباطنه العزلة والانتحـاء بعيدا عن غـريمه. وبذلك تعتـمد السيطرة فى هذه الحـالة على القوة البـدنية للزعيم.

والزعامة عند بعض أنواع الطيور ترجع إلى الـعمر الزمنى. وبذلك يسيطر الطائر العجـوز على متوسـطى السن وصغاره. ولهـذه الظاهرة الأخيـرة ندها فى المجتمـعات الإنسـانية الأولى، حين كـان يسيطر كـهول الأسـرة والقبـيلة والعشـيرة على شـبابـها وصغارها.

وهناك ظاهرة أخرى لا تخضع فى تفسيرها للجنس أو للقوة أو للسن وإنما تخضع لعوامل شخصـية تختلف تأثيراتها تبعـا لاختلاف متغيرات الموقـف نفسه. وتدل أبحاث شيزيلدريب إب[١]. Schjelderup - Ebbe على أن طائرا ما مـثل (أ) يغلب طائرا آخر مثل (ب) ويغلب (ب) طائرا آخـر مثل (جـ) وينتهـى الأمر بأن يغلب (جـ) (أ) بدل أن يغلب (أ) (جـ).

وتدل نتائج تجارب ماسلو[٢]. Maslow بوضوح على أهمية متغيرات الموقف فى تحديد نوع السـيطرة وما يتبـعها من زعـامة. فعندما لاحـظ الباحث أن طائرا تمكن من

---

(1) Schjelderup - Ebbe, T. Social Behavior of Birds. in Murchison, G. A Handbook of Social Psychology. Worcester, Mass: Clark Univ. Press 135.

(2) Maslow, A. H. The role of dominance in the social and sexual behavior of infra - human primates. J. of Psychology. 1936, 48, pp. 261 - 277.

السيطرة على طائر آخر نقل الطائر المغلوب على أمره إلى مكان آخر واستبدل به طائرا ثالثا، فتغلب الأول على الثالث، ثم جمعهم الباحث بعد ذلك فى موقع واحد فتضامن الثانى والثالث وهزما الأول، فاستكان لهما وذهبت عنه نعرته الأولى. وعندما أبعد الطائر الثالث عنهما ظل الأول فى استكانته، ولم يعاود قتاله فى سبيل سيطرته.

رابعا ـ مظاهر السلوك الاجتماعى عند الحشرات والطيور والرئيسيات:

ينتهى هذا الفصل إلى دراسة المظاهر الاجتماعية للحشرات وخاصة النحل والنمل، والطيور ولبعض الرئيسيات وخاصة القردة والشمبانزى والغوريلا.

وتعد هذه الدراسة تطبيقا لما سبق أن بيناه من الخصائص العامة للسلوك الاجتماعى، وما يقترب به من السلوك الإنسانى، وما يبتعد به عنه، وما يسفر عنه هذا السلوك من تنظيمات اجتماعية تهيىء المجال لوجود الأسرة، وما تعتمد عليه تلك التنظيمات من علاقات اجتماعية مختلفة.

(أ) مظاهر السلوك الاجتماعى عند الحشرات:

انتهى التطور بالحياة الاجتماعية عند بعض أنواع الحشرات إلى مستوى يوصف أحيانا بأنه ذروة ذلك التطور. فبعض هذه الحشرات تعيش فى جماعات تتألف كل جماعة من آلاف الأفراد، يسيرون معا وكأنهم فيالق جيش منظم، يعبرون العقبات التى يلاقونها فى طريقهم فى مهارة ونظام، يساعد بعضهم بعضا تجاه الخطر المشترك، يدافعون عن مساكنهم بحيلتهم وأرواحهم، يوزعون العمل بينهم توزيعا عادلا لا غبن فيه ولا إجحاف. يشتركون جميعا فى تنشئة الصغار، وتفنى فرديتهم وتتلاشى فى خدمة الجماعة.

ولقد تطورت الحياة الاجتماعية عند تلك الحشرات من آماد سحيقة واستقرت فى صورتها النهائية من ملايين السنين، ولم يتطور من جميع أنواع الحشرات المعروفة والتى تقدر بحوالى ٥٠٠٠٠٠ نوع إلا نسبة ضئيلة تبلغ حوالى ٣٪، ولعل أهم أنواع الحشرات الاجتماعية هى النحل والنمل.

١ ـ مدى تقارب السلوك الاجتماعى للحشرات من الإنسان:

المقارنة العابرة بين حياة الإنسان وحياة تلك الحشرات تدل دلالة واضحة على أنها سبقتنا بأشواط بعيدة فى مضمار الحياة الاجتماعية، لكن يعيبها ثباتها واستقرارها وجمودها.

ويعتقد هويلر[1]. Wheeler أن التفرقة العلمية بين السلوك الاجتماعى للحشرات وبين السلوك الاجتماعى للإنسان أمر جد عسير للتشابه البالغ بين نوعى السلوك، ويخالفه فى ذلك بعض العلماء الذين يرون أن تشابه الحياة الاجتماعية عند الحشرات وعند الإنسان تشابه ضئيل لا يؤدى إلى حقائق علمية ثابتة.

لكن شتان ما بين الإنسان وما بين تلك الحشرات، فالإنسان حينما يضل الصراط السوى فى سلوكه الاجتماعى يجد نفسه إما فى أعماق السجون أو فى مستشفى المجانين. ويجد المجتمع قد أقام له دورا للقضاء لتحكم لصالح الجماعة. وأقام له دورا للعلم لإعداده لحياة قوامها النظم الاجتماعية والتقاليد والعرف، وكل ما اصطلحت عليه الجماعة وقدسته. فتلك القيم والمعايير التى تهيمن على حياة الإنسان إنما هى وليدة ثقافته. وهى تختلف أحيانا من شعب لشعب ومن جيل لجل، وتتطور وترقى برقى المثل العليا، وبجهود قادة الفكر، ويتطور فكرة الإنسان عن نفسه، وعن الكون كله، فهى خاضعة فى جوهرها للتطور الفكرى عند الإنسان.

لكن تلك الحشرات الاجتماعية لا تدرى ولا تدرك فى حياتها جنوحا أو نفورا لأنها لا ترى لحياتها طريقا غير الذى تسلكه، فهى اجتماعية بالفطرة، ترث ألوان حياتها المختلفة مع ما ترث من صفات بيولوجية فسيولوجية. وهى بذلك أشبه ما تكون بآلات وأجهزة تلقائية صماء تحركها أنماط خاصة استقرت فى أعماقها منذ ملايين السنين.

ومهما يكن من أمر حياتنا فهى ترسم لنا طرقا وسبلا تهدينا إلى ما نسعى إليه أحيانا من نظم جديدة لحياة اجتماعية فاضلة.

وبالرغم من هذا الجمود الذى يتصف به سلوكها فإنها تتصف بالمرونة أيضا فى مواجهة ظروف البيئة المتغيرة أو خلال تكوين مستعمراتها، ولهذا عاشت هذه الأحقاب الطويلة لقدرتها على التوافق مع متغيرات البيئة.

حدود الجمود والمرونة:

تعيش أغلب الحشرات الاجتماعية فى مستعمرات تشبه أحيانا فى وظائف أفرادها وظائف العائلة البشرية الكبيرة أو القبيلة.

وبالرغم من التحديد الدقيق لعمل كل فرد من أفراد تلك المستعمرات بما يدل على جمودها واستقرارها إلا أن نفس هذه الأعمال تسفر عن مرونة غريبة فى مواجهة

---

(1) Wheeler, W. M. social life among. the insects. Sci. Mon. 1922. IV. 25, 385 - 404.

الظروف الجديدة وفى بدء تكوين كل مستعمرة من تلك المستعمرات، فمثلا عندما تهاجر ملكة النحل لتبدأ مملكة جديدة فإنها تختار لنفسها مكان إقامتها ثم تسلك فى البداية سلوك النحلة المنعزلة، ثم يتطور سلوكها بعد ذلك إلى سلوك الشغالة فتعنى بصغارها لتكفل لهم الحياة فى المهجر الجديد. وعندما يتوافر العدد الكافى من الشغالة يتطور دورها فتصبح ملكة للخلية[1].

وتتصف أيضا مستعمرات النمل فى نشأتها الأولى بنفس المرونة التى تتصف بها خلايا النحل، ويتغير توزيع وظائف أفراد المستعمرة تبعا لنمو المستعمرة من بدائية إلى تجمع معقد فى تكوينه ونظامه، وبذلك تصبح وظائف أفراد الجيل الأول مقصورة على الشغالة، ثم تعنى هذه الشغالة برعاية الجيل الثانى الذى يظهر فيه الجنود، ثم تثبت بعد ذلك وظائف كل طبقة وكل فرد وتصبح أدوارها جامدة مستقرة. وعندما تصل تجمعات تلك الحشرات إلى صورتها النهائية أو شبه النهائية يصبح توزيع العمل حادا دقيقا جامدا.

والسبب الذى من أجله تتصف أعمال تجمعات الحشرات بالدقة والجمود هو المحافظة على النوع والسلالة وذلك عن طريق التناسل، والتغذية والحماية. وتلك هى الحاجات الرئيسية التى تسعى الحشرات لتحقيقها حتى أصبحت بذلك هى كل حياتها عبر ملايين السنين التى عاشتها.

وقد انتهى التطور فى حياة تلك الحشرات إلى تقسيم التجمعات إلى طبقات محددة التكوين والوظائف، وبذلك أصبح تكوين الملكة مهيأ للولادة والتناسل، وتكوين الشغالة للتغذية، وتكوين الجنود للحماية. ويعتمد مثل ذلك التكوين على عاملين رئيسيين هما الوراثة ونوع التغذية. فعلى سبيل المثال تتغذى يرقة ملكة النحل دائما على غذاء الملكات وتتغذى يرقات الشغالة على هذا الغذاء فى الأيام الثلاثة الأولى من حياتها فقط، ثم تتغذى بعد ذلك على غذاء الشغالات. ولأمر ما تصبح هذه الشغالات عقيمة حتى تصبح عملية التناسل مقصورة على الملكة. ويكتمل نمو الملكة فى مدى ١٦ يوما ويكتمل نمو الشغالات فى مدى ٢١ يوما. وبالمثل فإن التوزيع الطبقى فى مستعمرات النمل الذى يميز الملكة عن الشغالة وعن الجنود يتأثر فيما يبدو بالبيئة وبتوزيع الغذاء أكثر مما يتأثر بالوراثة، والدليل على ذلك أنه عندما يقل الغذاء فى مستعمرة النمل فإن الجيل

(1) Schneirla, T. C. Problems in thebiopsychology of social organization. J. Abn. Soc. Psychol. 1946, 41, 385 - 402.

الجديد يصبح كلـه من الشغالة[1]. وهذا يعنى أن تحـديد نوع الطبـقة يصـبح من المرونة بحيث يتغيـر تبعا لتغير الظروف البيئـية المحيطة بتلك الحشرات الاجتماعـية وخاصة فى المراحل الأولى لتكوين المستعمرة.

٣ - وسائل التفاهم:

تعد وسائل الاتصال الاجتماعى ركنا أساسيا فى فهم التنظيم الاجتماعى وما يسفر عنه من تعاون بين أفراد التنظيم نتيجة لتـأثر سلوك فرد ما بسلوك فرد آخر حيث يتم هذا التأثير عن طريق ذلك الاتصال.

وتتلخص أهمية دراسة وسائل الاتصال الاجتمـاعى عند الحشرات الاجتماعية فى أنهـا تمهد الطريق للكشف عـن نشأة وتطور وسـائل الاتصال الاجـتمـاعى عامـة وعند الإنسان خـاصة للتشابه الغـريب القائم بين الحيـاة الاجتمـاعية للحشـرات الاجتماعـية وللإنسان.

وقد دلت نتائـج الملاحظات والتجارب العلميـة التى أجريت على النمل على أن الإشارات اللمسية والكيميائية والسمعية هى أهم وسائل الاتصال الاجتماعى وأن أكثرها شيوعا هى الإشارات الكيميائية، ولذا فـسرعان ما يهاجم النمل أى نملة يشم فيها رائحة غريبـة تختلف عن رائحـة مستـعمرة النمل، حـتى ولو كانت تلك النملة تنـتمى لتلك المستعمرة، وبالعكس لا يهاجم النمل أى نملة غريبة لها نفس رائحة المستعمرة[2].

وفى مستعمرات النمل يقف الجنود متـراصة عند مداخلها فلا تستطيع أى نملة من الشغالة أن تدخل المسـتعمرة أو تخرج منهـا إلا إذا ربتت على رأس أحد الجنود أو على بطنه، وعندئذ يتحرك الجندى لتمر النملة ثم يعود بعد ذلك إلى مكانه ليسد بذلك منافذ الدخول والخروج. ولمثل هذا الجندى قدرة فائقة على تميـيز أى نملة دخيلة فلا يسمح لها بالمرور مهما ربتت على رأسه أو بطنه. وهكذا يصبح اللمس لغة يفهم النمل رموزها.

ويستخـدم النحل الإشارات البصرية فى رسـائله التى ينقلها لزملائه عندمـا يعثر على مصدر للغذاء: فهو يرقص ليحدد برقصه اتجاه ذلك المصدر وموقعه وبعده أيضا[3]. فتقل دورات الرقص عندما يكون مصدر الغذاء بعيدا، وتزداد عندما يكون قريبا، ويحدد ميل النحلة وهى ترقص اتجاه المصدر.

---

(1) Gregg, R. E. The origin of castes in ants with special referance to Pheidale Morrisi Forel. Ecology, 1942, 23, 295 - 308.

(2) Dropkin, V. H. Host specificity relations of termites protozoa. Ecology 1941, 22, 200 - 202.

(3) Frisch, K. von. Bees; Their Vision, Chemical, Senses, and Language. Ithaca: Cornell Univ. Press. 1950.

الصداقة والضيافة:

من أهم الظواهر التى لاحظهـا العلماء[1] فى مستـعمرات النحل والنمل، وبعض الحشـرات الاجتمـاعية الأخـرى الصداقة والضـيافة، وهى بذلك تقـترب فى كثـير من نواحيها من السلوك الاجتماعى الإنسانى.

وتمتد علاقة تلك الحـشرات بالضيوف من مجرد تقبل وجـودها إلى الترحيب بها إلى الاستضافة الفعلية التى قد تصل إلى الإيواء والإطعام. ولقد لاحظ هويلر أن بعض أنواع النمل تخـصص لضيوفـها مـساكن قريبـة منها، وأن صـغار النمل تتـسلق ظهور الضيوف العـابرة وتلعق أجسامها وخـاصة رءوسها وأفواههـا. ولا يعترض الأهل على سلوك صغارها فى طـريقة ترحيبهـا. ويبدو اهتمام الكبار بالـضيوف فيمـا يقدم لها من طعام.

الرق:

تختلف حاجة الحـشرات وخاصة النمل للرقيق على حسـب نوعها. ولقد لاحظ الباحثون أربعة أنـواع من النمل تستعين فى أمور حياتها اليومـية بالرقيق، فهناك نوع من النمل يحتفظ بالرقـيق لكنه يستطيع أن يحيا بدونه. والأنواع الثـلاثة الأخرى لا تستطيع أن تحيا إذا لم تكفل لها الرقيق حياتها. ويحصل النمل على ما يبغى من رقيق عن طريق الغارات التى يقوم بها ليحصل بذلك على اليرقات التى تربى بعد ذلك فى عشش الرقيق لتقوم بعد ذلك بتغذية وتربية الصغار، أى بالأعمال التى تقوم بها شغالة تلك المستعمرة. ويتعرض مثل ذلك الرقيق للأذى عندما يقاوم أو يعترض.

(ب) مظاهر السلوك الاجتماعى عند الطيور:

يختلف السلوك الاجتـماعى عند الطيور عنه عند الحشرات فى أن الطيـور متأخرة فى تطورها الاجتماعى تأخـرا بعيدا، لكنها رغم ذلك متنوعة مخـتلفة. ومن الطيور ما يعيش فى جمـاعات كبيرة، ومنها ما يعـيش فى جماعات صغيـرة، ومنها ما يسلك فى حياته سبلا اجتماعية واضـحة. ومنها ما يسلك سبلا تجنح إلى العزلة أكثر مما تجنح إلى

---

(1) Wasmann, E. Psychology of Anto and of Higher Aminals. St. Lowis: B. Herder. 1905.

- Wheeler, W. M. The Social Insects, Theie Origin and Evolution. N. Y.: Harcourt, Brace, 1928.

- Plath, O. E. Insect Societies. In Murchison (Ed.) A Hand book of Social Psychology. Warcester, Mass.: Clark Univ. Press. 1985. pp. 83 - 141.

التجمع، ومنهـا ما يألف الحياة الاجتماعية لشـهور عدة. ومنها ما يـحياها فى لحظات عابرة ثم ينفر منها. فحياتها إذن حول قلب تتأرجح بين قطبين وتتذبذب بين نهايتين.

ويجب أن نفرق بين مجرد التجمع، وبين الحياة الاجتـماعية. فقد تتجمع الطيور فى صعيد واحد، لكنها لا تتعاون ولا تتصل من قريب أو من بعيد بأية صلة اجتماعية. وقد تتجمع الطيور للهـجرة فتنتظم فى وحدة جامعة يقودها مرشد منهـا يتقدمها فتندفع فى طيرانها إثره.

ولقد درس لورنز[1] Lorenz هجـرة بعض الطيور فـشاهد الجـمع يضطرب عند غياب بعض أفراده. وشاهد الجمع يطارد كل طائـر غريب يحاول أن ينضم إليه ويشاركه هجرته.

وشـاهد أيضا حـيـاة هذا النوع من الطيـور طوال أيام السنة فألـفاها تعـيش فى جماعات لها وحدتها الاجتماعية، حيث يرتبط أفرادها بعلاقات متبادلة مشتركة.

وتكاد تشـترك أغـلب أنواع الطيور فى شـعـورها المرهف بحب السـيطرة وحب الخنوع، فما اجتمع طائران معا إلا وأدرك كل منهما مكانته بالنسبة للآخر، فإذا أحدهما قائد والآخر مقود.

(جـ) مظاهر السلوك الاجتماعى عند القردة:

١ - مدى تقارب السلوك الاجتماعى للقردة من الإنسان:

بين القردة والإنسان تشابه فى بعض نواحى السلوك الاجتماعى لكل منهما وتباين فى بعض نواحيـه الأخرى. والدراسة المقـارنة للقردة والإنسان تـلقى ضوءا على بعض المنابع الأولى للحـياة الاجتـماعـية الإنسـانية، وتسفـر عن تمايز النوع الإنسانـى ببعض الصفات، واستقلاله وانفراده بها وحده[2]. وبذلك فالمقارنة تهدينا إلى ما يلى:

١ ـــ تبدأ عـلاقة الأم بوليـدها كعلاقـة بيولوجية ثم تتطور إلـى نوع من الرعاية والحماية. ويلمـس الباحث بذور الأسرة وجذورها الأولى فى تلك العـلاقة. فهى تزود الناشئ الصغير بمقومات حياته المقبلة. لكنها تقصر عن أن تبلغ المستوى الإنسانى لعجزها عن السمو إلى تكوين الثقافة بعناصرها المختلفة كما تبدو فى الإنسان.

(1) Friedmann, H. Bird Societies. In G. urchison, A Handbook of Social Psychology. Warcester Mass.: Clark Univ. Press. 1935.

(2) Young. K. Handbook of Social Psychology. N. Y.: Appleton, 1948. 27 - 39.

٢ ـ يتخذ السلوك العدائى عند القردة مظهرا من مظاهر التنازع على السيطرة للاستحواز على الغذاء أو للفوز بالأنثى. وقد يكون السلوك العدائى مباشرا فيبدو فى العراك البدنى العنيف، وقد يكون غير مباشر فيبدو فى تجهم الوجه وإشارات اليدين ونبرات الصوت.

٣ ـ تتأثر سيطرة القرد على أنثاه بدورة النشاط الجنسى. وفى مقدور الأنثى أن تخضع الذكر وتسيطر عليه عندما يراودها عن نفسها، لكنه سرعان ما يستعيد سيطرته وزعامته عندما تنتهى تلك الدورة.

٤ ـ تلعب صغار القردة ألعابا مختلفة تشبه ألعاب الأطفال. ولا يميل الكبار إلى اللعب.

٥ ـ يتعاون جميع القردة فى البحث عن الطعام، وفى مواجهة الخطر المشترك، وفى دفاعهم عن غذائهم وعن صغارهم. وهم بتعاونهم هذا يشبهون النوع الإنسانى فى بعض ألوان سلوكه الاجتماعى.

٦ ـ تتفاهم القردة بالأصوات والإشارات ـ كما أسلفنا ـ لكنها عاجزة عن اختراع لغة رمزية تنتقل من جيل إلى جيل آخر، وتنقل معها تراث وخبرات الأجيال الماضية كما يفعل الإنسان. وعلى الرغم من أن حنجرة القردة وأوتارها الصوتية صالحة للنطق بألفاظ أية لغة كانت، إلا أن التكوين العضوى للمخ ليس صالحا لاختراع اللغة[١].

٧ ـ يتعلم القرد بسرعة ويستخدم أحيانا بعض الآلات البسيطة فى حياته كالعصى والحبال، لكنه يعجز عن إدراك العلاقات المجردة، وعن إدراكه لذاته ككائن اجتماعى.

٨ ـ يعطف القرد على الضعاف، لكنه سرعان ما ينسى كل ما يرتبط بالموقف الذى أثار عطفه عندما تنتقل به أمور الحياة بعيدا عن الإدراك المباشر لذلك الموقف.

٢ ـ علاقة الطفل بأمه:

تتألف جماعة القردة عادة من القرد وإناثه وصغاره. والجماعة بتكوينها هذا تؤدى وظائف متعددة مختلفة أهمها التناسل، وتنشئة الصغار، والبحث عن الطعام، والدفاع

---

(١) تبلغ خلايا المخ العصبية حوالى١٢ مليون خلية فى الإنسان، وترتبط هذه الخلايا بأنسجة عصبية تكاد تبدو تحت الميكرسكوب وكأنها لانهائية. ولهذه الأنسجة أهميتها الكبرى فى التكوين الوظيفى للمخ البشرى. وإذا قورن هذا المخ بأمخاخ الرئيسيات أى الثدييات العليا فإنه يبدو بالنسبة لها وكأنه عملاق فى عالم كله أقزام. ولقد بلغ به تطوره المعارج العليا حتى تمايز عن تطور الحيوانات كلها فى تعقيد التكوين وفى عمق وسمو الوظائف التى يقوم بها.

عن حق الجماعة أمام كل خطر، ومهاجمة كل معتد جائر. وهكذا تستمتع القردة بحياتها الاجتماعية ويبدو استمتاعها هذا فى ميلها إلى التجمع، وعزوفها عن العزلة، وما تيسر لها الحياة من اللهو واللعب.

وحنان الأم وعطفها على صغارها يشبه حنان الأم الآدمية وعطفها على أولادها. وتظل علاقة الأم بوليدها قوية وثقى حتى يبلغ عمر الصغير أربعة أشهر يصبح بعدها قادرا على القفز والعدو والاستقلال بحياته نوعا ما، لكنه لا يفتأ يلجأ إليهما كلما خاف أذى أو شرا، وعندما يتعرض الصغير للخطر ويصيح طلبا للعون فإن أمه سرعان ما تستجيب له، ويستجيب له أيضا أى قرد كبير يكون قريبا منه، ويدفع عنه الأذى. وبذلك يتدرب صغار جماعة القردة على ألا يؤذى بعضهم بعضا، وحتى عندما يفرض الكبار سيطرتهم على الصغار فإنهم لا يضربونهم وإنما يكتفون فقط بمطاردتهم وتهديدهم لفظيا لا يخرج فى جوهره عن الصياح والوعيد.

ولا تقتصر وظيفة الأم على مجرد إرضاع الوليد، بل تمتد إلى نظافته وتوجيهه وتعليمه، وهكذا يحب الرضيع أمه، وينتقل هذا الحب ــ مع تدرج نموه ــ إلى القردة الكبار، وينتقل أحيانا إلى الإنسان الذى يدربه ويعنى به.

٣ ـ وسائل التفاهم:

للقردة أصوات وإشارات خاصة تنقل بها انفعالاتها ورغباتها إلى الآخرين، وهى وسيلتها للتعبير عن النشاط الجنسى، والحاجة للطعام، والهرب واللعب والسيطرة. ولها من وسائل الاتصال الاجتماعى ضروب أخرى غير الأصوات والإشارات. فهى تؤدى المعنى الذى تريد أن يفهمه عنها رفاقها بما يبدو على أسارير وجهها من غضب أو سرور، وبما يبدو فى وقفتها من معان مختلفة.

٤ ـ التعاون:

يقرر كوهلر[1] Kohler أن التعاون بين القردة قوى واضح، ويستدل على ذلك ببعض تجاربه التى أجراها عليها، فلقد لاحظ أنها عندما تجد موزا معلقا بعيدا عنها، وعندما تجد ــ فى نفس الوقت ــ بضعة صناديق خشبية مبعثرة بالقرب منها، فإنها تتعاون فى وضع الصناديق بعضها فوق بعض لتصل إلى الموز.

(د) مظاهر السلوك الاجتماعى عند الشمبانزى:

ليس من السهل دراسة السلوك الاجتماعى للشمبانزى لأن أغلبها يهرب من الباحثين إلى أعالى الأشجار، لأنها تعيش فى جماعات صغيرة فى غابات لا يرتادها الإنسان لصعوبة دروبها وتشابك أغصانها ووعورة مداخلها ومخارجها.

---

(1) Kohler. W. The Mentality of Apes. N. Y.: Harcourt, Brace. 1926.

وبالرغم من كل المصاعب فلقد تمكن كورتلاندت[1]. Kortlandt سنة ١٩٦٢ من دراسة السلوك الاجتماعى للشمبانزى، وذلك عندما سنحت له الظروف بأن يلاحظها وهى تغشى الأماكن المكشوفة وتطمئن لوجود الباحث ولا تهرب منه. وكذلك تمكن أيضا جودال[2]. Goodall سنة ١٩٦٥ من تسجيل ملاحظاته عنها عندما توافرت له نفس تلك الظروف المناسبة.

١ ـ القدرة على استخدام الأدوات:

سجل الباحثان ملاحظاتهما التى توصلا إليها، ومن أهم تلك النتائج التى اتفقا فيها أن الشمبانزى تستطيع أن تستخدم ما تجده فى بيئتها الطبيعية من أشياء مختلفة استخدام الإنسان للأدوات والأجهزة التى يستعين بها فى حياته العملية. وانفرد جودال بدراسة سلوك الشمبانزى عندما تنجح فى أسر الحيوانات الأخرى الصغيرة تمهيدا لأكلها.

٢ ـ جماعات الشمبانزى:

دلت نتائج الأبحاث السابقة على أن جماعات الشمبانزى أقل استقرارا وأكثر تباينا من جماعات القردة، وأن جماعاتها قد تتكون من قلة من الإناث مع الصغار، أو قلة من الذكور فقط، أو الذكور والإناث دون الصغار. وتعيش مثل هذه الجماعات معا فى نفس المنطقة وتلتقى بين الحين والآخر.

وقد تتكون جماعات مؤقتة من أى خليط من الأعمار والجنس.

٣ ـ الخوف والعدوان:

غالبا ما يصاحب الخوف عند الشمبانزى السلوك العدوانى ولذا يعد الخوف أحيانا من أهم مثيرات السلوك العدوانى. وسنبين فيما يلى المواقف التى تثير الخوف ومدى علاقة الخوف بالعدوان ثم نستطرد بعد ذلك إلى دراسة ظاهرة العدوان.

وكثيرا ما يخاف الشمبانزى من الأشياء التى لا تسبب له أذى ولا ترتبط بأية صورة من صور الخوف البدائى. فهو قد يخاف من شخص ما، أو من جهاز علمى أو من بعض أجزائه، أو من حبل له طول وسمك ولون ونسيج معين، ولا يخاف من الحبال الأخرى، أو من فطيرة بها دودة، أو من نوع من الخضروات له شكل متمايز، وهكذا. ولقد سجل [3]. Kohler سنة ١٩٢٧ وهب[4]. Hebb سنة ١٩٤٦ ما يحدث من فزع لدى الشمبانزى عندما يرى لعبة تمثل حمارا، أو تمثالا لرأس شمبانزى، أو تمثالا لرأس إنسان.

---

(1) Kortlandt, A. Chimpanzes in the wild. Sci. Amer. 1926, 206, 5, 128 - 138.

(2) Goodall, J. Chimpanzes of the Bombe Stream Reserve. In, I. De Vore (Ed.) Primate Behavior. N. Y.: Holt, Rinehart & Winston, 1965.

(3) Kohler, W. The Mentality of Apes, N. Y.: Harcourt Brace, 1926.

(4) Hebb. D. O. On the nature of fear. Psychol. Rev. 1946, 53, 259 - 276.

ومن أهم التجارب الـتى قام بها هب[1] .Hebb سنة ١٩٤٩ على ارتبـاط الخوف بالعدوان ما حدث لجماعة من الشمبانزى الصغار والكبار عندما شاهدت شمبانزى صغيرا بعد تخديره. فأما الصغار فقد اعـتدى بعضها عليه بالعض والضرب حتى اضطر الباحث إلى إبعاده عنها. وأما الكبـار فقد ثار بعضها وبدأت مظاهر الخـوف واضحة على وجوه أغلبها، وقد صاحب هذا الخوف سلوك عدوانى. وأما أمه فقد انتابها خوف شديد وهلع بالغ وراحت تقـفز قـفزات حـادة وقوية داخل قـفصـها ثم تحـول سلوكهـا إلى سلوك عدوانى، فبدأت تشد أسلاك القفص وتحاول تحطيمها.

ويستمتـع الشمبانزى بإغاظة الآخرين، ولذا فـهو كثيرا ما يصيـح فجأة ويضرب قضبـان القفص ليخيف أى إنسان يقـترب منه، ،ويثور أيضا ثورته العارمـة عندما يرشه بعض الناس بالماء. أى أنه بذلك يغـيظ الآخـرين عندما يفـزعهم ويغـتاظ منهم عنـدما يداعبونه.

ويرتبط غضب الشـمبانزى بالإحباط، ولذا فـقد يكون المثير المألوف لـلغضب ما يصدر عن الـناس أو الشمبـانزى من أفعـال لا يرضى هو عنها، أو عن فـشلهم فى أن يقوموا بما يتوقعه منهم من أفعال.

وقد لا يغضب الشمبانزى إذا حيل بينه وبين شئ ما، لكنه يغضب ويثور ويتحول سلوكه إلى سلوك عدوانى إذا لم يحدث ما كان يتوقعه[2]. ومثال ذلك ما حدث لأحد ذكور الشـمبـانزى عندما أدخلوا له أنثى فى القـفص المجاور له، فنهض وسـار نحوها عندما رآها واقترب جدا منـها إلى أن حالت قضبان القفص وأسلاكه بينه وبـينها، فتقبل الموقف كمـا هو ولم يغضب بالرغم من أن هدفه لم يتـحقق، لكنه سرعان مـا يغضب ويثور ويتحول سلوكـه إلى سلوك عدوانى إذا أفهمه حارسه بطريقة مـا أنه سيأخذه إلى قفص الأنثى ثم لم يفعل.

(هـ) مظاهر السلوك الاجتماعى عند الغوريلا:

تختلف الغـوريلا عن بقية الثـدييات العليا فى أنهـا نباتية. شأنهـا فى ذلك شأن الأبقار والأغنام، ولذا فـهى تحتاج لكمـية كبيـرة من الغذاء ليكفى أجسـامها الضخـمة وقوتها الهائلة. وحجمها وقوتها يحميانها من أغلب الدخلاء.

---

(1) Hebb. D. O. the Organization of Behavior. N. Y.: Wiley, 1949.

(2)Hebb, D. O., and Thompson, W. R. The Social Significance of Animal Studies. In G. Lindezey and E. Aronson. The Handbook of Scocial Psychology. Reading, Massachusetts: Addison Wealey, 1968 Vol. 2, pp. 756 - 757.

وقد لاحظ شيلر Schaller[1]. سنة ١٩٦٣ قلة عدد أفراد جماعة الغوريلا شأنها في ذلك شأن جماعات الشمبانزى. وغالبا ما تتألف الجماعة من ذكر أو ذكرين وقلة من الإناث والصغار والأطفال.

ونادرا ما تتشاجر الغوريلا مع بعضها البعض، لكنها سرعان ما تسلك مسلكا عدوانيا تجاه أى دخيل يهدد أمنها فتضرب صدرها بيدها وهى تصيح فى غضب لتخيف الدخيل فإذا لم يترك مأمنها هاجمته بقسوة واعتدت عليه.

ولقد اكتشف شيلر أنه يستطيع أن يقترب من جماعة الغوريلا دون أن يصيبه أذى إذا فهم عنها مثيراتها الاجتماعية. فتحديق البصر فى عينى الغوريلا يثير نزعتها للعدوان، وسرعان ما تهاجم أى فرد يحملق فى وجهها، ولذا كان الباحث يلاحظها من إحدى زوايا عينيه دون أن يشعرها أنه ينظر إليها مباشرة حتى تظن أنه ينظر إلى شئ آخر غيرها ولا يعنيه من أمرها شئ. وكانت الغوريلا تمر به دون أن تفكر فى إيذائه وتتركه وشأنه.

خامسا - الملخص

تمتد جذور الحياة الاجتماعية إلى ما هو أبعد من الإنسان حيث تبدأ عند الحيوانات، لكن الإنسان يتميز عنها باستخدام لغة لفظية رمزية. وتهدف دراسة العلاقة بين السلوك الاجتماعى الحيوانى والإنسانى إلى الكشف عن الأصول الحيوانية لبعض أنماط السلوك الاجتماعى الإنسانى.

ونعنى بالسلوك الاجتماعى الحيوانى ما يستثار بين أفراد النوع الواحد من نشاط فى تفاعلها الاجتماعى حيث يؤثر بعضها فى البعض الآخر ويتأثر به. ويؤكد الاتجاه الحديث عمومية السلوك الاجتماعى بحيث يقيم له مقياسا متصل التدريج يبدأ صفره من اللااجتماعى ثم يتطور حتى يصل إلى نهايته عند السلوك الاجتماعى الصحيح الذى يقترب مستواه من الحد النهائى للمقياس.

وتؤدى دراسة السلوك الاجتماعى الحيوانى لفهم وتحليل السلوك الاجتماعى الإنسانى؛ لأن الصور البسيطة للعلاقات الحيوانية تساعد على تفسير السلوك الإنسانى المعقد وتوضح نشأة الحياة الاجتماعية وتطورها لسهولة التجريب على الحيوان، وللتفرقة بين أثر الوراثة والبيئة فى الأنماط المختلفة للسلوك الاجتماعى.

ولا يستقيم السلوك الاجتماعى الحيوانى ـ عادة ـ فى نمط واحد، فكثيرا ما يتشابه سلوك الأنواع المختلفة، وكثيرا ما تختلف بعض أنماط سلوك النوع الواحد.

---

(1) Schaller, G. B. The Mountain Gorilla. Chicago Press, 1963.

ولا تعتمد التجـمعات الحيوانية على مجرد وجود الأفراد فى حـيز مكانى مشترك بل تعتمد على العلاقات التى تنشأ بين الأفراد. وقد يكون التجمع للتعاون على اصطياد الفريسة أو للبحث عن المأوى، وقـد يكون موقوتا أو مستمرا، ويختلف حـجم الجماعة الحيوانية اختلافا كبيرا من نوع لآخر.

وبعض الحيوانات تهاجم كل غريب عن جماعتهـا فتسفر بهذا السلوك من انتمائها إلى جمـاعة داخلية تقابلـها جماعـة خارجية تشـتمل على الأغراب عنهـا. وقد تتكون الجماعة الداخلية من أفـراد من أنواع مختلفة كما ترعى البقرة الوحـشية مع الفيل. وقد تقترب بعض الجـماعات الحيوانية فى نظامـها من الأسرة البشرية فتـتألف من ذكر وإناثه وصغارها. وبعضها يتكون من الذكور فقط أو من الإناث وأطفالها. وترتبط بعض تلك الجماعات ارتباطا وثيقا بالمكان الذى تعيش فـيه فتهاجم كل دخيل يقترب منه. والبعض الآخر لا يكاد يقيم فى مكانه إلا ليلة واحدة.

ويعتمد السلوك الاجتماعى فى جميع مستوياته الحيوانية والإنسانية على العلاقات التى تنشأ بين الأفراد وبين الأفـراد والجماعات. وتعرف العلاقة بأنـها كل ما يحدث بين فردين أو أكثـر فيؤثر أحدهمـا فى الآخر ويتأثر به. ويعـتمد عدد العلاقـات على عدد الأفراد فـيصبح ١٠ عندمـا يكون عدد الأفراد ٥، ثم يزداد زيادة كـبيرة كلمـا زاد عدد الأفراد حـتى يصبح ٤٥ عندما يكون عـدد الأفراد ١٠، وتتلخص أهم أنواع العـلاقات الجنسية، وعلاقـات السيطرة والخنوع، والرعاية والتعلق، وتتحدد نوعـية هذه العلاقات بالبيئة الطبيعية وخاصة المناخ وأثره على هجرة الطيور، وبالتكوين البيولوچى الذى يحدد وظائف أفراد الجمـاعة وخاصة فى خـلايا النحل والنمل، وبالعوامل الفسيـولوچية التى تبين دور الذكر والأنثى وخاصة فى مواسم التـزاوج وما يسفر عنه هذا الدور من سيطرة وخنوع، وبالعوامل النفسية التى تفسر انتقال الفزع من فرد لجميع أفراد القطيع.

وتحدد العلاقات التى تنشأ بين الأم أو بديلها وطفلها بدء التـنشئة الاجتماعية التى توجه حياة الفرد حتى يصبح عضوا فى مجتمع الكبار. وتتميز التنشئة الاجتماعية الأولية التى تبدأ بها تلـك العلاقات بخوف الطفل خوفـا معتدلا وبكائه عندمـا تغيب عنه أمه، وبخوفـه خوفا شديدا وفـزعه وصراخه عـندما ينتقل إلى بيـئة غريبة. وتبـدأ مثل تلك العمليات مبـاشرة بعد الولادة عند الطيور، وتبدأ متـأخرة نسبيا عند الرئيسـيات وخاصة عند الإنسان.

وتعتمد الحيـوانات كما يعتمد الإنسان على وسائل محددة للتـفاهم الاجتماعى. وتتشابه وسائل التفاهم غير اللفظى وخاصة تعبيرات الوجه، واتجاه التحديق عند الإنسان

والحيوان. وتتشابه أيضا وسائل التفاهم غير اللفظى من مجتمع إنسانى لمجتمع آخر بالرغم من الاختلاف الثقافى القائم بين المجتمعين، والوسائل إما أن تكون بصرية أو سمعية، أوبصرية سمعية.

وكما يعتمد الإنسان فى كثير من نواحى تعلمه على التقليد، يعتمد عليه الحيوان أيضا. ويعنى التقليد تشابه الاستجابة والمثير بين فردين. وقد يصل هذا التشابه إلى حد التماثل. ويتم التقليد خلال مراحل تبدأ بإثارة نشاط المقلد ثم تتابع بعد ذلك من التوجه نحو الهدف إلى إدراك الطرق والأساليب حتى ينتهى إلى الممارسة الفعلية باستخدام الوسائل المناسبة لتحقيق الهدف. والإنسان أكبر مقلد بين الحيوانات يليه فى ذلك الشمبانزى ثم القردة.

وتميل بعض الحيوانات إلى السلوك العدوانى للدفاع عن وجودها أو لتحقيق استمرار ذلك الوجود. ويعرف العدوان بأنه هجوم على فرد أو شئ أو على الذات نفسها، وينطوى على الغضب والإيذاء، أو الرغبة فى الإيذاء.

وقد ينشأ العدوان من الإحباط، لكن الإحباط قد يؤدى أيضا إلى أشياء أخرى غير العدوان. وتختلف مثيرات العدوان تبعا لاختلاف نوع الحيوان، فقد تكون بصرية، أو سمعية، أو لمسية، أو شمية كيميائية.

وتتصل ظاهرة الزعامة عند الحيوانات بالسيطرة والخنوع، وتعنى السيطرة تأثر فرد أو جماعة بفرد آخر والانقياد له. وتتضح أهم مظاهر السيطرة فى اختيار الزعيم لمقر إقامته، وغالبا ما يكون هذا المقر وسط الجماعة، وفى تحديده لاتجاه سير الجماعة. وهو إما أن يبدأ الحركة أو يعلن موافقته أو رفضه. وتتأثر السيطرة بالجنس فيسيطر الذكر فى جماعات الغوريلا وتسيطر الأنثى فى قطعان الماشية، وتتأثر أيضا بالقوة البدنية، وبالعمر الزمنى، وبالعوامل الشخصية التى تختلف تبعا لاختلاف الموقف.

وتتضح أغلب مظاهر السلوك الاجتماعى الحيوانى عند الحشرات الاجتماعية وخاصة النحل والنمل وعند الطيور والرئيسيات.

وقد وصل التطور بالحشرات الاجتماعية إلى حياتها الحالية خلال ملايين السنين، وتبلغ نسبة ما تطور منها إلى ما لم يتطور حوالى ٣٪ من مجموع أنواع الحشرات الذى يبلغ ٥٠٠,٠٠٠ نوع. وتقترب مظاهر الحياة الاجتماعية للنحل والنمل من مظاهر الحياة الاجتماعية الإنسانية، وتفترق عنها فى جمودها واستقرارها، وإن كانت تسفر فى سلوكها عن نواح غريبة من المرونة، وخاصة فى مواجهتها للظروف الجديدة، مثل انتقال

ملكة النحل لمكان جديد وقيامها بوظائف الشغالة إلى أن يتوافر العدد الكافى من الشغالة لقيام خلية النحل بوظائفها.

وتعتمد الحشرات الاجتماعية فى تفاهمها على إشارات لمسية أو شمية، أو كيميائية، أو سمعية، وأكثرها شيوعا الإشارات الشمية. فسرعان ما يهاجم النمل أى نملة يشم فيها رائحة غريبة. وتستخدم النحلة الإشارات البصرية لتحدد مصدر الغذاء وبعده وذلك عن طريق رقصات معينة.

وكثيرا ما يسفر سلوك النحل والنمل عن مظاهر اجتماعية قد تظن بادئ ذى بدء أنها مقصورة على الإنسان، فهى تنشئ صداقات بينها وبين غيرها من أفراد الخلايا الأخرى، وتخصص للضيوف مكانا للإقامة وتغير على غيرها من أفراد المستعمرات الأخرى لتحصل على يرقات تربيها وتدربها لتصبح رقيقا يقوم على خدمتها.

وتعيش الطيور فى جماعات لها وحدتها الاجتماعية، وكثيرا ما تضطرب جماعتها فى هجرتها إذا غاب أحد أفرادها، وهى أيضا تطارد كل طائر غريب يحاول أن ينضم إليها ويشاركها هجرتها. وتشترك أغلب أنواع الطيور فى حب السيطرة وحب الخنوع.

وتتقارب مظاهر السلوك الاجتماعى للقردة من نظيراتها عند الإنسان. وتدل نتائج الدراسات المقارنة على تقارب نظامى الأسرة عند القردة والإنسان، وذلك لأن علاقة الأم بوليدها فى الحالتين تبدأ بيولوجية،ثم تتطور بعد ذلك إلى رعاية وحماية وتوجيه. ويقترب السلوك العدوانى للقردة من السلوك العدوانى للإنسان، وخاصة فى سيطرته وخنوعه. وهو قد يكون مباشرا كما يحدث فى العراك البدنى، أو غير مباشر كما يبدو فى تجهم الوجه وإشارات اليدين ونبرات الصوت. وتتأثر علاقة الفرد بأنثاه ومدى سيطرته عليها بدورة النشاط الجنسى. وتلعب صغار القردة ألعابا تشبه إلى حد كبير ألعاب الأطفال. وتتعاون القردة فى البحث عن الطعام وفى مواجهة الخطر المشترك. وبالرغم من أن للقردة إشارات تستخدمها فى التفاهم إلا أنها لا ترقى إلى لغة الإنسان اللفظية الرمزية، فهى لا تعدو أن تكون مجرد أصوات تعبر عن انفعالات. ويستخدم القرد بعض الأدوات والأجهزة، وهو بذلك يشبه الإنسان. ويعطف القردة الكبار على الصغار كما يعطف الرجال والنساء على الأطفال.

ولا يختلف السلوك الاجتماعى للشمبانزى كثيرا عن سلوك القردة، فهى أيضا تستطيع أن تستخدم الأدوات والأجهزة البسيطة أو تعيش فى جماعاتها لكنها أقل استقرارا وأكثر تباينا من جماعات القردة. وقد تتكون من الذكور فقط، أو الإناث والصغار، أو الذكور والإناث دون الصغار، ويتصل الخوف عندها اتصالا وثيقا بالعدوان

وقد يصبح الخوف نفسه من أهم مثيرات العدوان. وهى تخاف من بعض الأشياء العادية مثل وجود شخص ما، أو من جهاز علمى، أو من حبل له شكل خاص، أو حتى من بعض الخضروات، أو من تمثال لرأس شمبانزى أو لرأس إنسان.

وتعيش الغوريلا فى جماعات صغيرة شأنها فى ذلك شأن جماعات الشمبانزى. وغالبا ما تتكون جماعة الغوريلا من ذكر أو من ذكرين، وقلة من الإناث والأطفال. وتثور الغوريلا إذا حملق أى فرد فى وجهها فتضرب صدرها بيديها وتصيح ثم تهاجم.

سادسا - المراجع العامة

(1) Allee, W. C. Animal Aggregations. Chicago: Univ. of Chicago Press. 1931.

(2) ----------. Principles of Animals Ecology. Philadelphia: Saunders. 1949.

(3) ----------. Cooperation among Animals. N. Y. : Schuman. 1951.

(4) Althmann, S. A. (Ed.) Social Communication among Primates. Chicago: Univ. of Chicago Press. 1967.

(5) Carpenter, O. R. Naturalistic Behavior of Nonhuman Primates. Pennsylvania: Univ. Park Pennsylvania. 1944.

(6) De Vore, I. (Ed.) Primate Behavior. N. Y.: Holt, Rinehart and Winston. 1965.

(7) Dollard, J., and Others. Frustration and Aggression. New Haven: Yale Univ. Press. 1939.

(8) Kohler, W. The Mentality of Apes. N. Y.: Harcourt, Brace. 1926.

(9) Murchison, C. (Ed.) A Handbook of Social Psychology Warcester, Mass.: Clark Univ. Press. 1935.

(10) Miller, N. E., and Dollard, J. Social Learning and Imitation. New HavenL Yale Univ. Press. 1941.

(11) Portmann, A. Animals as Social Beings. N. Y.: Viking Press. 1961.

(12) Schaller, G. B. The Mountain Gorrilla. Chicago: Univ. of Chicago Press. 1963.

(13) Scott, G. P. Aggression. Chicago: Univ. of Chicago Press. 1958.

(14) Scott, J. P. The Social Psychology of Infrahuman Animal. In G. Lindzey and E. Aronson (Eds.) The Handbook of Social Psychology. Reading Massachusetts: Addison - Wrsley. Vol. 4. 1969.

(15) Southwick, C. H. (Ed.) Primate Social Behavior. N. Y.: Van Nostrand. 1963.

(16) Tinbergen, N. Social Behavior in Animals. London: Methuen. 1953.

(17) Zuckerman, S. The Social Life of Monkeys and Apes. London: Kegan Paul. 1932.



رقم الإيداع	٢١٠٥ / ٩٩
الترقيم الدولى I. S. B. N	977 - 10 - 1212 - 6